الألف كتاب
الثانى
١٦٣

أرنولد جزل

الطفل

من الخامسة إلى العاشرة

الجزء الأول

ترجمة : أ. عبد العزيز توفيق جاويد

مراجعة : د. أحمد عبد السلام الكردانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب




الطفل
من الخامسة إلى العاشرة

الألف كتاب الثانى



من الخامسة إلى العاشرة

الجزء الأول

تأليف
أرنلد جزل (وآخرين)

ترجمة
الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد

مراجعة
الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني

تقديم
الدكتور: عبد العزيز القوصي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

هذه ترجمة لكتاب

THE CHILD FROM FIVE TO TEN

BY

ARNOLD GESELL, M.D.

DIRECTOR OF THE CLINIC OF CHILD DEVELOPMENT
SCHOOL OF MEDICINE, YALE UNIVERSITY

FRANCES L. ILG, M.D.

ASSISTANT PROFESSOR OF CHILD DEVELOPMENT

IN COLLABORATION WITH

LOUISE BATES AMES, Ph.D.

CURATOR OF THE YALE FILMS OF CHILD DEVELOPMENT

GLENNA E. BULLIS

ASSISTANT IN RESEARCH

مقدمة الطبعة الثانية

لقد شهد ميدان دراسات «نمو الأطفال» تطورات واسهامات متعددة فى شتى جوانب النمو الإنسانى ـ جسمياً وحركيا، وعقليا ومعرفيا، وانفعاليا، واجتماعيا؛ وفى النمو الإنسانى كوحدة متكاملة تتمثل فى نمو الشخصية.. وفى كل هذه الجوانب والاهتمامات قامت نظريات وأجريت بحوث وتجارب تعكس الأهمية البالغة للتعرف على عالم الطفولة وآفاق نموها، وعوامل تقدمها أو سوائها، وكذلك عوامل تأخرها أو انحرافها. اعتباراً لمسلمة أساسية وهى أن بناء استراتيجيات وخطط الرعاية والتنشئة والتربية، وكذلك طرق وأساليب التعامل مع الأطفال، لا يتأتى إلا على أساس من المعرفة العلمية بطبيعة تطور نمو الأطفال وبخصائصه، وكذلك بصعوباته ومشكلاته، وبالظروف والمتغيرات الباعثة على تقدم نمو الأطفال أو المحبطة لامكانات النمو الكامنة فى الطفل بحكم فطرته كإنسان.

والواقع أنه رغم التعدد الهائل فى نظريات ومدارس البحث فى سيكولوجية نمو الأطفال، إلا أنه تظل لمدرسة «أرنولد جيزيل» قيمتها بل وتشامخها بين الاسهامات العلمية المتميزة فى هذا الميدان. فما قدمه «جيزيل» للتراث السيكولوجى بعامة ولسيكولوجية الطفولة وتضميناتها التربوية بخاصة ليعد من الأعمال العلمية التليدة التى لا يمكن إغفالها بأى حال من الأحوال عند تناولنا للطفولة ولعالمها.

ونرى أن إعادة نشر أعمال «جيزيل» ـ كما ترجمها ذلك الرعيل الأول من علماء مصر ترجمة علمية حضارية ـ ضرورة قومية خدمة للطفولة وتواصلا مع الجهود العلمية الرائدة فى هذا الميدان.

أ.د. طلعت منصور
أستاذ الصحة النفسية
كلية التربية جامعة عين شمس



مقدمة الطبعة الأولى

لا يكاد يذكر موضوع الدراسات السيكولوجية الحديثة لخصائص نمو الأطفال حتى يذكر معها اسم الدكتور أرنلد جيزل . وهو أستاذ أمريكى فى جامعة ييل ، امتاز بأنه استغل الإمكانيات الحديثة فى تسجيل أعمال الأطفال فاستغل التصوير الفوتوغرافى والتصوير السينمائى والتسجيل الصوتى وغير ذلك . وقد بذل جهوداً جبارة حتى قامت الجامعة بفضل ما جمعه من هبات ببناء معمل سيكولوجى لدراسة الأطفال وملحق بهذا المعمل عيادة سيكولوجية ومدرسة للحضانة . وبهذه الوسيلة أمكنه أن يدرس الأطفال العاديين وغير العاديين وأن يدرسهم تحت ظروف الملاحظة العادية الطبيعية وتحت ظروف التجريب .

وبهذا الوصف يعتبر جزل أول من خلق ظروفاً كهذه لدراسة الأطفال . وقد أتيح له تحت هذه الظروف أن يدرس التوائم ، وأن يوازن بين نمو الطفل الصغير والحيوان الصغير ، وأن يسجل يوما بعد يوم تصرفات الأطفال . وقد تمكن بهذا كله من أن يضع معايير النمو للأطفال الصغار من وقت ميلادهم ، فتقدم بعمله هذا خطوة كبيرة بعد الخطوة التى خطاها الفريد بينيه . وقد سجل جزل خلاصة بحوثه التى قام بها من عام ١٩٢٠ تقريبا فى أول كتاب نشره عام ١٩٢٨ واسمه الطفولة والنمو الإنسانى .

ونذكر له أنه أول من أوجد حجرة الملاحظة وهى حجرة صغيرة يجلس فيها الباحث ليلاحظ من نافذة صغيرة الأطفال وهم يلعبون وينشطون فى حجرة أخرى ، والميزة فى هذا أن الملاحظ يرى الأطفال ولكن الأطفال لا يرونه على الإطلاق وبذلك يتصرفون على طبيعتهم ولا يتسرب إلى ذهنهم أنهم تحت الرقابة مما قد يغير فى سلوكهم تغييرا يضعف من قيمة الملاحظة .

ويمتاز عمله ببساطة المواقف التي يتعرض لها الأطفال ، فمن هذه أن يعطى الطفل مكعباً أحمر اللون ليلعب به ثم يأخذه منه ويضعه فجأة في كيس يسهل فتحه ، ثم يلاحظ مايفعله الطفل ، فبعض الأطفال ينسون المكعب بمجرد اختفائه وبعضهم يبكى وبعضهم يأخذ الكيس ويفتحه ويستخرج المكعب منه . وكما يختلف الأطفال في السن الواحدة أمام هذه المشكلة يختلف الطفل تبعا لسنه في حلها . مثال آخر أن يضع أمام الطفل قبل السادسة من عمره مرآة ويرقبه ليرى هل ينظر الطفل خلف المرآة ليتبين هل هذا الذى يراه فيها مختبىء خلفها . وله بهذه الوسائل البسيطة من عصى وأحبال ومرايا وأكواب تجارب عديدة عاونته على فهم طبيعة التفكير وطبيعة التعلم عند الأطفال منذ الأيام الأولى .

وقد أدت به بحوثه إلى وضعه ما يسمى قوائم النمو ، فتجد في رأس القائمة السن التي خصصت لها ، فهذه قائمة لسن الثلاثة الأشهر وتلك لسن الشهرين وتجد في القائمة بيانا بما ينتظر من الطفل في هذه السن . وباستعمال هذه الكشوف وتطبيق ما فيها على الأطفال من سن مبكرة يمكننا أن نعرف هل أعمال الطفل وتصرفاته متأخرة عما ينتظر له من سنه أو متمشية معه أو متقدمة عنه . وتبعاً لهذا نهيء للطفل أسباب النشاط والنمو التي تجعله يفيد إلى أقصى حد ممكن .

ومن دراساته الطريفة أنه وازن بين ما ينتظر من طفل إنسانى ومن طفل قرد في مختلف الأعمار الأولى فوجد أن الرمش بالعين والعطس والمص والبكاء تحدث كلها في اليوم الأول عند الاثنين ، أما إدارة الرأس والوجه لمتابعة شيء يتحرك فإنها تحدث عند القرد بعد ثلاثة أيام من ولادته أما عند الإنسان فإنها تحدث بعد شهرين أو ثلاثة . أما محاولة المشى فتحدث عند القرد بعد اثني عشر يوما وعند الطفل بعد اثنى عشر شهراً . وأما جذب الأم للاشتراك في اللعب فإنه يحدث عند القرد بعد خمسة أسابيع وعند الطفل الإنسانى بعد مدة تتراوح بين عشرة أشهر وثمانية عشر شهرا . والقرد يجرى بعد أربعة عشر يوما أما الطفل الإنسانى فإنه يجرى بعد مدة تتراوح بين ثمانية عشر شهرا وأربعة وعشرين شهرا . ويُفطم الطفل القرد بعد سبعة أسابيع أما الطفل الإنسانى فإنه يُفطم بعد مدة تتراوح بين ستة أشهر واثنى عشر شهرا .

وقد أجرى جزل تجاربه على التوائم المتحدة ليدرس خصائصها وليدرس الصلة بين التعلم والنضج فكان يأخذ توأما ويدربه على ارتقاء السلم عند أول تعلمه المشى وكان يترك التوأم الآخر بغير تدريب ويستمر فى تجربته هذه ثلاثة أشهر يكون التوأم غير المتدرب قد بدأ بعدها يصعد السلم دون معونة . وكان فى هذه المرحلة يغرى كلا منهما بصعود السلم فوجد أن التوأم الذى لم يتدرب ليس أقل من حيث السرعة والإتقان من التوأم الذى تدرب . بل إنه فى بعض الحالات كان يجد أن التوأم الذى لم يتدرب أسبق وأكفأ من التوأم الذى تدرب .

وقد كرر جزل وتلاميذه تجاربهم هذه على أعداد من التوائم المتحدة وصلت على مدى السنين إلى أكثر من أربعين توأما وقد استنتج من هذا كله أنه لا يجوز أن يعلم الطفل أى شىء قبل الأوان ، أى قبل اكتمال النضج الذى يساعده على التعلم ولعل هذا يهدينا إلى النصح لمن يدفعون بأولادهم دفعا إلى التعلم بأن يتريثوا ، فالتعلم عند النضج أفعل منه قبل ذلك .

ونلاحظ أن دور السينما فى أغلب بلدان العالم قد أخذت تعرض أفلام جزل وتجد فيها لعب الطفل بمفرده ولعبه مع زملائه ، وموازنة بين طفل وقرد ، ومواقف الحرمان وآثاره على الأطفال . وتقرأ كذلك فى إحدى الصحف اليومية فى أمريكا جزءاً من الصحيفة مخصصاً فى كل يوم للأسئلة التى توجه إلى جزل وزملائه وتلاميذه وتجد كذلك الإجابات عن هذه الأسئلة .

بهذا لم يكن جزل عالماً باحثاً فحسب وإنما سعى إلى خلق وعى سيكولوجى سليم .

وقد قصدنا بهذا التقديم أن نعرف القارىء بعميد من عمداء علم نفس الطفل وقد اهتم بالسنوات العشر الأولى أكثر مما اهتم بغيرها ، ذلك لأن هذه الفترة تزخر بالخصائص وبالتغيرات مما يجعلها أكثر فترات الحياة امتلاء بالمشكلات ، وأكثرها امتلاء بما يحصله الطفل من مهارات ، وأكثرها كذلك تعرضاً للأزمات ، ففيها مشكلات النوم والمخاوف ومشكلات الأكل وفيها يتكون الإطار العام لشخصية الإنسان .

وقد ذهب علماء النفس التحليلى إلى أن هذه المرحلة هى أهم مرحلة فى حياة الإنسان بالنسبة لنموه

والكتاب الذى بين يديك كتاب يضم فى صفحاته خلاصة ما يزيد على الثلاثين عاماً من تقصٍّ دقيق وبحث عميق اشترك فيه الآلاف من العلماء والآباء والأمهات والأطفال .

وهو يزيد القارىء بصيرة بسيكولوجية الأطفال ويزيده علماً بالأسس التى يجب أن يعاملوا طبقاً لها وبذلك يجد القارىء فى هذا الكتاب الأساس الأول لتكوين الأجيال القادمة .

وإنى إذ أقدم المؤلف لأشكر له خطابه الرقيق الذى بعث به إلىّ عند ما علم منى بأن الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى والأستاذ عبد العزيز توفيق قد شرعا فى إخراج الكتاب باللغة العربية ، فكان سرور المؤلف عظيما فلله الشكر كل الشكر ، ولأستاذى الدكتور الكردانى وزميلى الأستاذ عبد العزيز توفيق شكراً مضاعفاً ، لأنهما أتاحا لى فرصة الاستمتاع بشرف تقديم المؤلف وتقديم الكتاب فى صورته هذه للمكتبة العربية ؟

د. عبد العزيز القوصى

المستشار السابق

لوزارة التربية والتعليم

كلمة

المترجم والمراجع

يرجع الفضل فى اختيار هذا الكتاب القيم إلى الأستاذ أحمد نجيب هاشم وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد ، فهو الذى أهداه من أمريكا للمترجم واقترح عليه ترجمته وذلك على أثر سماعه محاضرة للمؤلف شهدها جمهور كبير يقدر بالآلاف فسحرهم بعلمه الفياض وبراعته الخطابية . فلما قرأه المترجم أعجب به وشرع فى الحال فى نقله إلى اللغة العربية ثم قدمه للجنة التأليف والترجمة والنشر لطبعه ونشره . وقد عُنى بقراءته السيد رئيس اللجنة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف وعرضه على المجلس لإقرار طبعه ، فاختار المراجع الحالى لمراجعة الكتاب قبل طبعه .

وقد سر المترجم والمراجع ما لقياه من اهتمام الدكتور عبد العزيز القوصى بإخراج الكتاب إلى اللغة العربية تقديراً له وحرصاً على انتفاع قراء العربية به . وكان لمعونته فضل كبير فى الحصول على الإذن بالترجمة من المؤلف والناشر بأمريكا بغير مقابل ، كما تطوع سيادته مشكوراً بتقديم الكتاب ومؤلفه .

ونريد أن نقرر هنا أننا لم نأل جهداً فى إظهار الكتاب فى العربية بنفس الروح والنظام التى قصدها المؤلف فى الأصل الإنجليزى . وقد استخدمنا من المصطلحات التى سبقنا إليها الرائدون الأولون من أساتذة علم النفس ما رافنا واتفق مع المعنى المقصود وخالفناهم فى قليل جداً فأوردنا مصطلحات أخرى وضعناها أقرب إلى المعنى المقصود فى الكتاب ، ثم استخدمنا ألفاظاً جديدة تتمشى مع ابتكارات المؤلف العديدة فى تعبيراته ، ومن أمثلة هذه الألفاظ الجديدة : الانسياح والوظف والرهافة والسكنية الخ .

وقد شجعنا على ذلك أن المصطلحات العلمية لا تزال فى دور التكوين ومن مصلحة اللغة أن يدلى كل باحث بدلوه ويسجل ثمرة اجتهاده ، فإذا راقت هذه الألفاظ التى وضعناها الأساتذة الإخصائيين الأفاضل كان فى ذلك ما يسرنا ونفخر به ، وإذا لم يوافقونا على بعض ما ذهبنا إليه من ألفاظ فنرجو أن يلتمسوا لنا العذر وأن يرشدونا إلى ما هو أصوب لاتباعه فيما يلى من طبعات أو فى الجزء الثانى من الكتاب :

ولأهمية المصطلحات عنينا بإثباتها بشىء من التوسع بالانجليزية وأمامها مقابلها العربى كما أثبتناها مرة أخرى مرتبة حسب الأبجدية العربية وأمامها مرادفها الإنجليزى .

ونرى لزاماً علينا أن نسدى الشكر إلى الدكتور عبد العزيز القوصى على الكلمات الطيبة التى ذكرها عنا فى تقديمه للكتاب ونشكر الوزارة على ترحيبها بالكتاب ودرجه ضمن قائمة الألف كتاب ، كما نشكر لجنة التأليف والترجمة والنشر على جهودها الطيبة فى إخراج هذا الكتاب بوجه خاص وفى خدمة اللغة العربية بوجه عام .



أرنلد جزل



الفهرس

صفحة

القسم الأول

النمو

القسم الثانى

الطفل فى نموه

صفحة

تمهيد

أسهمت فى تكوين هذا الكتاب عقول كثيرة — وخاصة إذا نحن أدخلنا فى حسابنا جماهير الحضناء والأطفال الذين جعلنا من عقولهم الآخذة فى النمو موضوع دراستنا أثناء حقبة طويلة من السنين . وقد ظل مؤلفا هذا الكتاب يعملان معاً كموظفين فى عيادة ييل لدراسة نمو الطفل من عشر سنوات إلى عشرين سنة ، وكانت لهما ميول مشتركة تتلاقى عند المشكلة العامة التى تواجه الأطفال جميعاً منذ اللحظة التى يولدون فيها ألا وهى مشكلة النمو .

وتتركز فى السنوات الخمس الأولى من الحياة أروع أطوار هذا النمو وأقوى النواحى الأساسية فيه ، إذ تبدو المظاهر الخارجية للنمو العقلى المبكر منسقة ومنظمة إلى حد كبير وسائرة وفق قوانين مطردة ، فى حين أن السنوات التى بين الخامسة والعاشرة تبدو بالقياس إلى السنوات الخمس الأولى غير محددة نسبياً ، وذلك لأن المؤلفات التى تحت يدنا عن هذه السنوات كانت تجنح إلى ضمها بعضها إلى بعض فى تعميمات إجمالية ، وكان من الطبيعى الاهتمام بمعرفة ما إذا كانت عمليات التنسيق والتنظيم الدقيقة التى تظهر جلية واضحة فى فترة الحضانة تمتد كذلك إلى سنى الدراسة .

وهنا يقوم هؤلاء الحضناء والأطفال الذين هم دون السن المدرسى بدورهم ! وذلك أنهم ينمون . فالرضيع الذى يتحسس بيديه الكرة الصغيرة (أو البلية) فى سن ثمانية وعشرين أسبوعاً ، والذى يقبض عليها بطريقة الكماشة فى سن الأربعين أسبوعا نبتت له فى الوقت المناسب أضراس سن السادسة ، وعند ذاك يروح يستعمل مقبض عقله (أى جهاز الحركة عنده) فيقبض به على أشياء أكثر خفاء وعسرا — كالحروف الأبجدية والأعداد وفتات من المعلومات وآداب السلوك . وتمشياً منه مع طبيعته الأولى تتغير أنماط سلوكه بتقدمه فى السن ، ولا تكون التغيرات واضحة وضوحاً أخاذاً بل تدريجية ، على أنه عندما حلل ما تجمع لدينا من سجلات السلوك الكثيرة تجلى لنا أن نمو العقل يتم فيما بين الخامسة والعاشرة وفقاً لقوانين

طبيعية ثابتة ، وربما لا تبدو الأنماط على مثل هذه الدرجة من شدة التحديد لعين الشاهد العادى لكن دهشتنا كانت عظيمة لما بدا فيها من خصائص مطردة ثابتة عند ما درست بالطرق الإكلينيكية (المتبعة فى العيادات) ، ويحاول هذا الكتاب أن يدون ما تكشف لنا من ثبوت هذه الخصائص .

وإن منطق معالجتنا الإكلينكية التى تتابع أطوار الحياة والنمو عند الأطفال موضح فى مقدمة الكتاب توضيحاً أتم وأوفى . وخير الطرق لمعرفة سر التكوين الديناميكى للسلوك هو طريق الاتصالات الودية المتتابعة الفردية لا الدراسات الجماعية . ومما له فضل كبير فى توجيه هذا البحث وصوغه تلك البحوث المعيارية ، وما أسدته العيادة من خدمات هدفها التشخيص والنصح ، وما بذلته دار الحضانة من إرشاد وتوجيه ، وما تم من تحليل للتسجيلات السنمائية تحليلا منظما باحثا عن الأنماط المختلفة للسلوك — كل هذه النواحى لها الفضل فى توجيه هذا البحث الاستقصائى وصوغه .

وثمة بحث تمهيدى فى «سلوك الحضناء أثناء تناول الطعام» نشر فى كتاب سابق (١٩٣٧) كان لنا هادياً ومرشداً فيما أعقبه من توسع ، وكانت للدكتورة إلج المؤلفة الثانية لهذا الكتاب ، بوصفها طبيبة أطفال ، خبرة إكلينيكية بالأطفال السويين من جميع الأعمار حتى سن العاشرة فريدة فى اتساعها وتنوعها ، كما أن خبرتها فوق ذلك بالأطفال المنحرفين والمعضلين أدت إلى شحذ استبصارها بالطرق المألوفة التى يعبر بها النمو عن نفسه .

وقد وجهت السيدة إعز أمينة مخازن الأشرطة الخاصة بنمو الأطفال بجامعة ييل عناية خاصة إلى التحليلات الموضوعية لأنماط السلوك ، التى سُجلت تسجيلا يبعدها عن شوائب الخطأ ، حتى أصبحت خبيرة راسخة القدم فى مناهج البحث هذه التى ألقت ضوءاً مباشراً وغير مباشر على عمليات نمو الأطفال فى جميع الأعمار .

وكانت الآنسة بوليس ، بوصفها مساعدة لنا فى الأبحاث وفى غيرها ، خير معوان لنا فى أبحاثنا المتعلقة بالنمو أمد عشرين عاماً أو تزيد ، كما كانت بصيرتها النافذة ومعرفتها التامة بحياة الأطفال و بيوتهم عوناً قيما لنا على إتمام دراستنا ، وقد تولت أيضاً

امتحانات المهارات البصرية التى أمدتنا بأنوار إضافية كثيرة سلطت على خصائص سلوك الأطفال فى سن الروضة والمدرسة

أما المؤلف الأول فإنه يستطيع بوصفه مديراً للعيادة أن يدلل على ما علاً نفسه منذ زمن بعيد من اهتمام بالحضناء وصغار الأطفال ، بل الحق أن اهتماما خاصاً بالأطفال فى سن المدرسة يساوره منذ أوليات هذا القرن ، اهتماما يرجع إلى يوم إصداره أول كتاب نشر له ألفه مع زوجته السيدة جيزيل ، وأنه ليأمل أن يحظى من القراء بابتسامة تشجيع يخصون بها ذلك الكتاب والسيدة التى ساهمت فى تأليفه .

ويجب أن يزخر هذا التمهيد بالاعتراف بالجميل الذى يثقل كاهلنا فنحن مدينون بالفضل لكل زملائنا موظفى العيادة السابقين منهم والحاليين ومدينون بعد ذلك ديناً عظيما للآنسة جانيت ليرند — رئيسة دار الحضانة التوجيهية — وزملائها لما هم عليه من إلمام بـ « فردية الأطفال » كما تتجلى فى السنوات السابقة للمدرسة .

ويستحق آباء الأطفال وأمهاتهم أن يختصوا بالذكر لمعاونتهم لنا معاونة لا حد لها فى استكشاف خصائص أطفالهم فقد تمثل هؤلاء الوالدون وجهة نظرنا فى دراسة النمو وأصبحوا شديدى المهارة فى تقديم الملاحظات التى تتعلق بمكنيات[1] عملية النمو وكانت العلاقه بين البيت والعيادة وثيقة يظللها الاهتمام والثقة المتبادلان . وانا لنرجو أن نسجل إعجابنا بموقف هؤلاء الوالدين وتقديرنا العميق لجهودهم فى هذا السبيل .

وقد جرت دراستنا لمعظم أطفالنا فى نيوهافن وفى العيادة إلى أن سعدنا فى عام ١٩٤٢ بالاتصال بمدرسة نيوكنن الريفية بولاية كونكتيكت فاجتنينا هنا أيضا ثمار اهتمام متبادل برفاهية الأطفال إذ حبانا موظفو هذه المدرسة الممتازة بوقتهم وحماستهم فى سخاء ، بل لقد عدلوا براجهم تعديلا خاصا من أجلنا ، وقد أفدنا أيضاً من تشككهم ونقدهم السليم ، والحق أننا نقدم أجزل الشكر والثناء لهيئة التدريس بأكلها وبخاصة المستر هنرى ولز ناظر المدرسة والسيدة بولينا أولسن ، ناظرة المدرسة

---

(١) آثرنا أن نعرب الكلمة الإنجليزية mechanism على هذه الصورة .

الصغرى ، التى كانت فيما سلف المرشدة والموجهة الأولى فى دار الحضانة التوجيهية التابعة لنا .

وقد استخدمنا فى اعتدال وقصد الوسائل الإيضاحية والوسائل المجردة أوالتصورية فى عمل الرسوم التوضيحية لهذا الكتاب ، وإنا لنخص السيدة رودلف زالنجر بأطيب الشكر لما أبدته من اهتمام ومهارة فى عمل الرسوم النهائية التى تترجم عن الرسوم الأولية التخطيطية التى وضعناها تحت تصرفها .

ولما كان عمل عيادتنا تمتد جذوره فى أعماق الماضى ، فقد وجب علينا أن نشير مرة أخرى إلى التعضيد الذى شدت به أزرنا كل من هبات روكفلر ومؤسسة كارنيجى وجامعة ييل ، وكذلك كان للتعضيد المستمر الذى خصتنا به مدرسة الطب بييل وللمنحة الكريمة لشركة النظارات الأمريكية ، عن طريق مكتبها الخاص بعلم البصريات ، الفضل فى تمكين عيادتنا من القيام بجهودها الراهنة الجريئة .

لماذا ألفنا هذا الكتاب الذى بدأناه إبان حرب وفرغنا منه فى أعقابها ؟ ربما كان مما حفزنا إلى ذلك الحرب وما جرته على الطفولة من كوارث محزنة وظلم بين ، فلم يعد من المبتذل أن نقول : إن الأطفال هم الأمل الوحيد الباقى للانسانية . وإنا لنحيل القارئ إلى الخاتمة الفلسفية التى ينتهى بها هذا الكتاب ليلتمس فيها بقية هذا التمهيد .

على أن لنا كلمة نضيفها عن الأطفال أنفسهم ، فهم مناط أمل الإنسانية لأنهم فى ظلال حضارة دمقراطية يقدمون الدليل الأوفى على ما يكمن فى الروح الإنسانية من قوى وإمكانيات ، وما ركب فيها من صفات فاتنة ، فليتنا نستطيع أن ندرك براءتهم الصافية وإخلاصهم الصادق ! وأنه لايزال عندهم حتى اليوم الكثير مما يمكن أن نتعلمه منهم لو دققنا فى الملاحظة التدقيق الكافى . والحق أن ابن الخامسة عندما يبلغ سن العاشرة ، يكون من القدرة على التعبير بحيث يستطيع فعلا أن يخبرنا بشىء عن نفسه وعن أنفسنا مباشرة . ولعله من الواجب علينا فى هذه السن الانتقالية الهامة سن العاشرة ، إذ الطفل على حافة المراهقة ، أن نثق به ثقة تامة .

ونحن نرجو فى الوقت ذاته أن يعينكم هذا الكتاب على زيادة التعرف إلى أطفالكم فى سنيهم من الخامسة إلى العاشرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة الطبعة الإنجليزية

كيف بني هذا الكتاب وكيف يمكن استخدامه ؟

لكل كتاب أصل وقصة ، وكثيراً ما يساعد الأصل على الإجابة عن الأسئلة التى لا محيص عنها ، المتعلقة بالهدف والمجال والنهج . وهذا الكتاب بالذات لم يسطر عن روية سابقة وتصميم متعمد ، كما لم يكن أيضاً نتيجة مجرد فكرة واتتنا فيما بعد ، فقد أدركنا إذ استعرضنا أمره أمام الذاكرة أنه نما عن ضرورة داخلية بوصفه ملحقاً للكتاب السابق له المسمى « الجنين والطفل فى حضارة اليوم (١٩٤٣) » فالكتابان يتمم كل منهما الآخر ، وربما جاز اعتبارهما رفيقين متلازمين ؛ وإن أنشئ كل منهما لينهض على قدميه مستقلا .

وقد سبق فى كتاب آخر أقدم عهداً هو « السنوات الخمس الأولى من الحياة (١٩٤٠) » أن نسقت هيئة العمل بعيادة جامعة ييل خلاصة منظمة نوعا ما لخصائص السلوك فى السويين من الجنين والأطفال قبل سن المدرسة ، وبنيت المقدمات (أو الحقائق العلمية) على دراسات إكلينيكية ومعيارية واسعة المدى ، وعرضت فى صورة تبيان لخصائص الأعمار المختلفة وللتسلسلات التكوينية (أو الوراثية) .

وكتابنا هذا يتبع نفس النمط العام الذى سرنا عليه فى المطبوعات السالفة . والحق أنه من نواحى الترتيب الأساسى لمادة موضوعه ، ولخطة المعالجة ولتكوينه (من حيث الحجم والشكل الخ) يمثل تماماً أخاه الموسوم «الجنين والطفل فى حضارة اليوم» ، وذلك لسبب وجيه جداً هو أن قوانين نمو الأطفال لا يطرأ عليها أى تغير حقيق فى سن الخامسة .

وإن اهتمامنا المتواصل بالأطفال الذين كنا قد درسناهم أثناء مدة الحضانة وسنوات ما قبل المدرسة أدى بنا إلى القيام بمشاهدات سنوية تعقبنا فيها هؤلاء الأطفال أنفسهم فيما بين الخامسة والعاشرة ، فالكتاب الحاضر إذن إنما يغلب عليه فى الواقع طابع دراسة تطورية لتنسيق أنماط السلوك فى أثناء السنوات العشر الأولى من الحياة ،

فدراستنا للموضوع طولية قطعاً ، والنتائج التى وصلنا إليها أوردناها على صورة سلالم نمائية[١] تحوى ما يقارب سبعة عشر مستوى من مستويات العمر ، وعشر مجالات سلوكية كبرى . ورغبة منا فى تسهيل الرجوع إلى ما سطرنا ، والمعاونة فى تفسيره ، قدمنا النتائج أيضاً على صورة خلاصات عمرية فى قطاعات عرضية[٢] .

وقد سبق أن أشرنا فى « التمهيد » إلى الظروف المواتية التى أحاطت باستعراضنا هذا للنمو النفسى لطفل المدرسة . وقد أتاح لنا تضافر هيئة العمل وتعاونها أمد فترة طويلة من السنين القيام بشىء من التفكير الجماعى فى تفسير ما بين أيدينا من مادة ضخمة ، ويسّر لنا الستار ، الذى يشف من ناحية واحدة فقط ، القيام بملاحظات إضافية . على حين جُعلت الاتصالات الأساسية بالأطفال ووالديهم فردية إلى حد كبير ، كما أن هذه الاتصالات كانت تزداد وتتراكم حتى راح الأطفال واللاحظون والممتحنون والآباء يفهم بعضهم بعضاً ، وقد كان النمو الطبيعى لهذا الترابط والتفاهم المتبادل ، مدى العشر السنوات أو أكثر ، عنصراً هاماً فى تأكيد صحة أبحاثنا هذه .

وكانت مناهجنا إكلينيكية فى روحها وأساليبها الفنية أكثر منها إحصائية أو تجريبية بحتة ، وقد استخدمنا الوسائل المعيارية فى مقاييسنا وملاحظاتنا وأيدناها بالموفور من اللاحظات المطابقة للفطرة والتى سجلناها بطريقة الاختزال . وتمشياً منا مع أسلوب الفحص الإكلينيكى لم نلتزم وسائل موحدة ثابتة فى جميع الأعمار ، بل كنا نغير ملابساتها ومواضع تركيز الاهتمام فيها تبعا لتغير وتنقل ملابسات النمو ومعالمه البارزة وكنا كلما تغير الطفل بازدياد نضجه كيفنا الأساليب وفق تغيره ، وكان تتبعنا صورة هذه التكيفات واتجاهها يعيننا على إبراز سمات النضج وخصائصه ولما كنا نعالج على الدوام سلماً (أى سلسلة دائبة التقدم من المقدمات أو الحقائق المسلم بها) فإن

(١) جمع سلم نمائى وسلم النمو هو ما اخترناه لترجمة growth gradient الذى يوضح به المؤلف مراحل أو درجات النمو عند الاطفال فى كل سن ، وإن كنا نفضل لفظة « ممال » حين يقصد من كلمة gradient المعنى الرياضى أى ميل منحنى النمو عند أية فترة قصيرة بالذات من فترات النمو

(٢) أورد المؤلف فى القسم الثالث المذكور فى الكتاب التالى (الذى سيظهر قريباً) نتائجه الخاصة بسلالم النمو بحيث يأخذ سمة من سمات النضج ويتتبعها فى مختلف أعمار الطفل وهذا هو المقصود بالدراسة الطولية وكذلك أورد فى الباب الثانى من هـذا الكتاب صورة لسمات النضج المختلفة لكل سن على حدة . وهذا هو المقصود بالخلاصات العمرية فى قطاعات عرضية .

طريقة التقويم[1] الإكلينيكي هذه كانت فى جوهرها نسبية ومصححة نفسها بنفسها ، وكانت تنطبق على المعلومات التى نحصل عليها من الأحاديث الخاصة مع الأفراد ، وكذلك على المعلومات التى نحصل عليها بالمشاهدة المباشرة .

وقد فحصنا خمسين طفلا أو يزيد فى سن الخامسة والخامسة والنصف والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة ، وعددا أقل من ذلك فى سن العاشرة ، وكان معظم هؤلاء الأطفال من ذوى الذكاء العالى المعدل ، أو دوى الذكاء الممتاز ، من بيوت الطبقة المتوسطة أو العالية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ، وكان ثلاثة أرباع هؤلاء الأطفال ممن يؤمون دار الحضانة التوجيهية التابعة للعيادة وبعضهم كذلك ممن دُرس دراسة نمائية أثناء مرحلة الحضانة ، وكانوا كلهم تقريباً ممن دخلوا المدرسة الابتدائية العامة ، ومن ثم يمثلون جماعة أمريكية ميسورة . وهناك مجموعة خاصة مكونة من أربعة عشر طفلا التحقوا بمدرسة خاصة ممتازة بإحدى مدن ولاية كونكتيكت كانت تفحص كل عام مرتين ابتداء من سن السادسة إلى بلوغ التاسعة . ولم يقتصر الأمر بالنسبة لهؤلاء الأطفال على فحصهم فحصا فرديا ، بل وضعوا أيضاً تحت الملاحظة كأعضاء فى الجماعات التى تضمها فصولهم الدراسية ، وجرت بشأنهم مشاهدات ومناقشات عدة مع مدرسيهم حول سلوكهم الفردى والجماعى .

وكان سجل حالة كل طفل ينمو حتى يبلغ حجما ضخما قبل أن تصل دراستنا إلى نهايتها ، وكان يشمل المواد الآتية لكل اتصال دورى : « ا » فحص نفسانى مبنى على جداول ييل النمائية وعلى مقياس ستانفورد بينيه . «ب» اختبارات عملية بما فى ذلك سلسلة اختبارات آرثر . «حـ» اختبارات الاستعداد للقراءة بما فى ذلك اختبارات منرو . « د » اختبارات المهارات البصرية بما فى ذلك التثبيت التعقبى والمزج والحدة الخ ... «هـ» ملاحظات مأخوذة عن الطبيعة لسلوك الطفل أثناء اللعب ، ثم لسلوكه العرَضى المتصل بوضعة جسمه[2] وبتوتراته . «و» حديث خاص واسع المدى مع الأم ، يتصل بالسلوك فى المنزل والمدرسة . وكثيرا ما أظهرت الملاحظات العابرة

---

(١) استعملت كلمة تقويم فى الكتاب كله بمعنى تقدير القيمة .

(٢) Posture الوضعة اسم من وضع يضع يقصد به الهيئة التى يتخذها الجسم فى وضع خاص .

الواقعية أنها كاشفة للحقائق إذا ما ربط بينها وبين الملاحظات التي يغلب عليها التعمد. وقد حللت جميع السجلات بعناية عمرا فعمرا وموقفا فموقفا وطفلا فطفلا ، وسجلت النسب المئوية للتردد[١] ، لكنها لم تجعل الأساس الوحيد للاستنتاجات النهائية ، ولم تذكر في هذا الكتاب . وأحيانا كان سلوك مفرد ، ولكن كاشف ، يؤدى إلى التعرف على اتجاه نمائي ذي بال ، وكان طابع المقياس النهائي لما يصدق وما يقطع بصحته نمائيا هو : هل للسلوك الذى نحن بصدده موضع يمكن تعيينه في سلم النمو في ضوء الأدلة المتجمعة المستمدة من حصيلة المقدمات (أو الحقائق) المجمعة عن كل الأطفال في كل الأعمار ؟

وهذا المقياس إكلينيكي بكل صراحة ، ولكننا بذلنا من العناية ما يجب للظفر بوافر من المقدمات أو الحقائق الموضوعية[٢] ، وقد نوقشت سلالم النمو وما حوته من عناصر ومقومات فرادى ، وكذلك اتجاهات النمو ، مناقشات تفصيلية في مؤتمرات عدة وقد تضمن كل ذلك تقديرات ذاتية لكن صحبتها ضمانات تجعلها تصحح نفسها بنفسها . وقد استلزم تعقد هذه المقدمات وتنوعها الكثير أن نستخدم طريقة التقريب المتوالى ، ولم يكن يفي بغرضنا أى تقرير إحصائي عن الترددات غير مصحوب بما يفسره فقد كانت مهمتنا جعل المقدمات مفهومة واستخلاص المعاني لكي يزداد القارئ استبصارا بطبيعة النمو عند الأطفال . وبالرغم من أننا قمنا بدراسة واسعة اقتضتنا سنوات عديدة من التطبيق ، فليس غرضنا الأول أن نقدم نتائجنا كمجرد حقائق بل أن نتيح للقارئ فرصة الاستفادة مما تعلمناه في أثناء الفرص الفريدة التي سنحت لنا إبان البحث ، فقد كان من الامتيازات النادرة أن يتاح للمرء أن يتعرف مثل هذا التعرف الجيد على مجموعة نابهة من ناشئة أمريكا .

ومن ثم فتكوين الكتاب يوضح نفسه بنفسه وذلك لأن هذا الكتاب قد أنشئت كل خطوة فيه ونصب الأعين ما يهم القراء وبخاصة الوالد والمدرس[٣] ، وكذلك

---

(١) frequency عدد مرات تكرار حدوث الحركة أو الواقعة أو الظاهرة .

(٢) objective أى الواقعية البعيدة عن الميول الفكرية والشخصية .

(٣) المقصود بكلمة « الوالد » الأب والأم على السواء وبكلمتي « المدرس والمعلم » المدرس والمدرسة والمعلم والمعلمة على السواء .

الأطباء والمربيات وغيرهم ممن تقتضيهم مهنهم صيانة مصالح الأطفال وسعادتهم أثناء نموهم من الخامسة إلى العاشرة .

والقسم الأول من الكتاب يقصد به إعطاء القارئ فكرة توجيهية أولية عن جوهر النمو ، فالنمو أو التطور (إذ أنهما مترادفان) يظل فكرة مجردة جوفاء ما لم نتخيلها عملية محسوسة تنتج أنماطا من السلوك ، وتتغير الأنماط مع نضج الطفل شكلا ونوعا ، وفى الإمكان ترتيبها فى صورة سلالم نمائية . ولكى يستطاع فهم أهمية السنوات بين الخامسة والعاشرة بوجه عام ، جعلنا من الفصل الأول مدارا لبحث علاقة تلك السن بالدورة الكلية للحياة . وأما طبيعة النمو النفسانى فهى موضوع يعالجه الفصل الثانى . والاتجاهات العقلية للآباء والمعلمين تتوقف بدورها على تقدير عوامل النمو هذه ، كما يستبين من الفصل الثالث .

أما القسم الثانى فإنه يرسم لك مراحل التقدم لنمو عقل الطفل بواسطة سلسلة من تبيانات للخصائص فى صورة قطاعات عرضية . وإنا لملخصون لك النمو العقلى فى السنوات الأربع الأولى فى عروض موجزة عدتها اثنا عشر . والغرض من هذا الملخص إعطاء أساس وصورة عامة لوصفنا للسنوات من الخامسة إلى العاشرة ، وكل من هذه المستويات العمرية السنوية يعالج بتفصيل أوفى ، كما يرجع فيه على الدوام وبانتظام إلى عشرة مجالات كبرى للسلوك هى :

(١) الخصائص الحركية	(٢) الصحة الشخصية	(٣) التعبير الانفعالى
(٤) المخاوف والأحلام	(٥) الذات والجنس	(٦) العلاقات بالناس
(٧) اللعب والتسلية	(٨) الحياة المدرسية	(٩) الحاسة الخلقية

(١٠) النظرة الفلسفية البعيدة .

هذه الأنواع العشرة جامعة شاملة إلى حد ما ، والواقع أننا لم ننته إليها قبل البدء فى البحث بل جاءت نتيجة طبيعية للمقدمات عندما حللت السجلات الأساسية لهذا البحث ، وهى تحدد سمات النضج التى صغناها جلية محسوسة فى الأعمدة المزدوجة فى الفصل الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع ، ولكى يسهل الرجوع إليها أوردناها فى بنود لها نفس الأرقام دائما .

وينبغى ألا تعد سمات النضج معايير قياسية جامدة أو نماذج ثابتة ، فما يقصد منها إلا أن تكون أمثلة توضح أنواع السلوك (سواء منها المرغوب أو غير المرغوب) التى تنزع إلى الحدوث فى هذه السن . ولكل طفل طراز أو نمط خاص لنموه ينفرد به ، وسمات السلوك الملخصة هنا يمكن استخدامها لتفسير فرديته[١] ولتدبر مستوى النضج الذى يظف[٢] فيه الطفل .

وكل مستوى من مستويات الأعمار التى يتضمنها الباب الثانى يعالج بوصفه وحدة ، لكن لا كوحدة مستقلة . وقد أبرزنا أثناء البحث كله التسلسلات الديناميكية التى تكفل استمرار تيار النمو الكلى . وربما لذ للقارئ الذى يرغب فى الإلمام بفترة معينة من العمر أن يقرأ الفترتين المحيطتين بها لكى يحس بالاتجاهات الماضية والمستقبلة.

فالغرض الأكبر من هذا الكتاب هو أن ننقل إلى القارئ إحساسا بمعنى اتجاهات النمو . ومع أن المادة نفسها مرتبة حسب الأعمار فإن غرضنا لم يكن إنشاء معايير عمرية جامدة ولا مقاييس ثابتة نطبقها فى كل حالة ، فالنمو حركة ، ولذا ينبغى علينا أن نهتم أكبر ما نهتم بمركز الطفل فى دورة دائبة التحرك إلى الأمام .

والقسم الثالث يعالج مركب النمو الكلى . وإنا لنأخذ بيد القارئ إلى عشر مصاطب وثيقة الاتصال لكى يستطيع الحصول على نظرة إجمالية شاملة لمنحدرات النمو الفياضة ، مع ما بها من اتجاهات ترجع إلى عهد الحضانة . وقد صيغت الاتجاهات أيضا فى جداول تتكون من سلالم نمو ، فالمصاطب تمثل المجالات العشرة الكبرى للسلوك (الفصول من ١١ — ٢٠) وكل مجال من هذه المجالات يمثل ميدانا من ميادين النمو يكون من وضوح المعالم بحيث يمكن اعتباره موضوعا منفصلا . ولكى يستطيع الإنسان أن يفهم طبيعة منظر يقع تحت بصره يجب عليه أن ينظر إليه من زوايا متنوعة ، وعلى نفس هذه الشاكلة كثيراً ما تكشف هذه الفصول عن موضوع واحد فى أشكال مختلفة ، فستجد مثلا أن الخصائص الحركية تؤثر فى التعبير الانفعالى وفى متنفسات التوتر النفسى ، بل لعلها تدخل فى الإحساس بالذات وبالتالى

---

(١) individuality الفردية وهى محصل خصائص الفرد التى تميزه عن غيره من الأفراد .
(٢) من وظف يظف function أدّى وظيفته .

تؤثر فى علاقة الشخص بالناس ، وهذه بدورها تمس الأخلاقيات والحياة المدرسية . ومن المهم جدا أن تدرك ما عليه مركب النمو من وحدة وعدم تقسم . وإنا لنأمل أن الكثرة نفسها ، فى سلالم النمو (وعددها يربو على الأربعين) وفى أوجه التشابه فى هذه السلالم ، ستلقى ضوءا على عملية النمو بوصفها حقيقة حية مكتملة .

وهنا أيضاً نود أن نؤكد أن السلالم تكون دائماً نسبية لا مطلقة ، فهى لا تقدّم إليك بوصفها معايير للقدرة المطلقة بل كمعايير تقريبية للتسلسلات النمائية . ولن تكون السلالم عونا لك فى توجيه الطفل إلا إذا استعملت فى تحديد مكان الطفل بالنسبة إلى أشكال معينة للسلوك فى مركب النماء الكلى ، فالمطلوب منك بوصفك إنسانا غير اخصائى ليس قياس العقل بل مجرد الحصول على إحساس باتجاهاته .

فلا تعجب إذا وجدت طفلك يأتى أعمالا لم يرد ذكرها فى الكتاب فنحن نعلم أن كل طفل واحد إنما هو فرد له ذاتيته وأنه يتنقل طبقاً للجدول الزمنى المحبوك الخاص به . ومع هذا فقد أعطيناك فى الصورات[1] الجامعة للخصائص سمات النضج الوصفية كما أعطيناك فى سلالم النمو المتسلسلة هيكلا من المراجع تسترشد به ، فإذا أنت لم تستعمل هيكل المراجع هـذا فى جمود بالغ فالراجح أنه يعاون فى جعل طفلك أوضح لك وأقرب إلى فهمك . ولو فرض أنه كان طفلا سويا ، كما لعله يكون ، فستجد نفسك عندئذ مطمئناً إلى أنه يتقدم باطراد (وإن فى غير انتظام) إلى الأمام نحو مستويات نضج أعلى . وهذه الطمأنينة ستعجلك أقدر على توجيهه أحسن توجيه يلائمه فى أية مرحلة من مراحل نموه ، توجيها حذراً بالنسبة لماضيه ومشيداً بالنسبة لمستقبله ، وستجد نفسك على الدوام تواجه الأدوار المختلفة واحداً بعد واحد 11 على أن الخطة الأساسية الكلية لا تخضع لسلطانك ، فهى على قدر كبير من التعقيد والغموض بحيث لا يستطاع إيكالها للأيدى البشرية ولذا تتولى الفطرة معظم الأمر وتكتفى فقط بأن تلتمس منك المعاونة .

(١) profiles صور نفسية تمثل حالة الفرد أو مستواه مستقاة من سلسلة من المشاهدات ومن اختبارات تقيس مختلف نواحى عقليته .



القسم الأول

أتستطيع أن تخبرنى كيفية النمو ،

أم هى كاللحن والسحر

سر لا يمكن الإدلاء به .

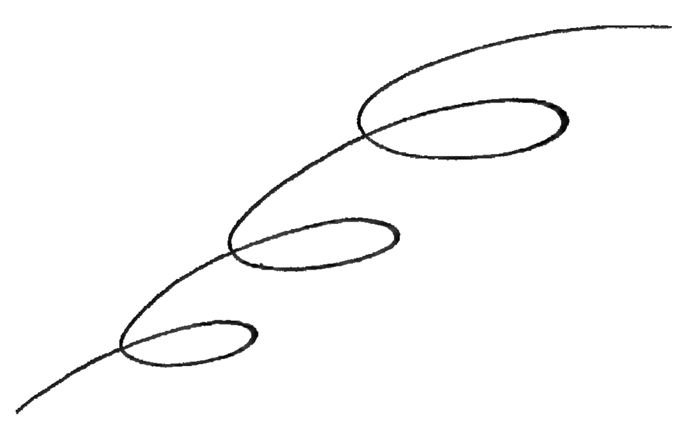
إميلى دكنسن

(١٨٦٢)





١
دورة النمـــو



تشغل السنوات بين الخامسة والعاشرة مركزا هاما فى عملية النمو الإنسانى وخطتها المرسومة بالفطرة . وربما جاز لنا ، لكى نقدر قيمة هذه السنوات ، أن نسرح البصر فى اتجاهين : أحدهما يمتد إلى الماضى ، والآخر يمتد صوب المستقبل . ويساعدنا على رؤية صورة عامة شاملة لسنوات الطفولة الوسطى هذه رسم توضيحى .

والحضين المولود حديثا يستغرق فى المتوسط ما يقارب العشرين عاما قبل أن يصير كبيراً[١] . والولادة نفسها سبقتها عشرة أشهر قمرية من النمو ، أصبح فيها الزيجوت (أو اللاقح)[٢] علقة (أو جنيناً لم يتشكل) ، وأصبحت العلقة جنينا متشكلا ، وما أن يبدأ الطفل حياته جنينا ، أعنى بعد ثمانية أسابيع من الحمل ، حتى تبدو فى جهازه العصبى وجهازه العضلى دلائل التنظيم ، فيتحرك الجنين بعضلات الجسم والرأس والذراع والرجل ، وسرعان ما تتحرك الأعين والأيدى فى حركات فاترة لكنها ذات نمط خاص ، حتى إذا حل الأسبوع العشرون من الحمل صار الوليد العتيد يملك تلك البلايين من خلايا الأعصاب التى ستتحكم فى سلوكه مدى حياته .

---

(١) adult مكتمل النمو والنضج .

(٢) zygote مكون من اتحاد خلية ذكرية بأخرى أنثوية .

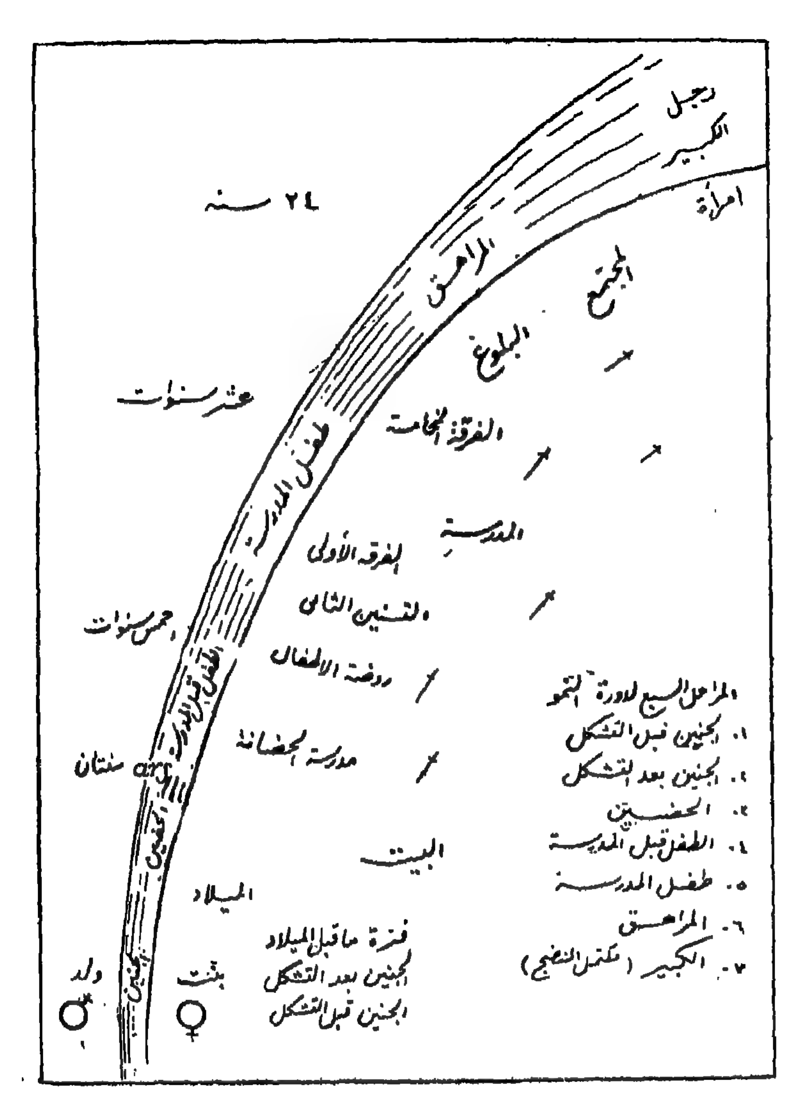
وتأخذ بدايات الفوارق بين الولد والبنت فى الظهور فى زمن مبكر هو الأسبوع الثامن من الحياة فى الرحم ، وقبل الميلاد بزمن طويل يوسم طفل المستقبل بميسم الفردية . وكل طفل يولد وفيه قوى وإمكانياتٌ خاصة به ذكراً كان أو أنثى . ولكل طفل نمط نماء فريد ، تعيّنه تلك القوى والإمكانيات ، كما يحدده حظه من البيئة المحيطة به .

وهناك مع ذلك سمات للنمو أساسية وتسلسلات نمائية معينة اختص بهما الجنس البشرى فى ظل الثقافة الحديثة . والرسم التوضيحى المرافق يبين هذه الخصائص المميزة العامة . وهو مرسوم بحيث يستطيع الإنسان أن ينظر فى الاتجاه الطويل الذى يمتد فى آماد المستقبل أو ينظر فى الاتجاه العميق المنحدر نحو الماضى الذى تم فيه التكوين .

وطريق النمو العام متشابه عند البنين والبنات ، بيد أن النضج عند البنات يكون أسرع وأبكر منه عند البنين ، ومن ثم يريك رسمنا التوضيحى منحنيين منفصلين ، وهو يصور لك سبع مراحل ، وهى لا تقابل المراحل التى ابتدعها شكسبير فى عمر الإنسان إلا مقابلة جزئية . وأما المراحل البعيدة مراحل الشيخوخة والهرم فلم ندخلها فى حسابنا ، وقد ركزنا اهتمامنا بوجه خاص على التقدم النمائى الذى يسير كما يلى : —

(١) مرحلة الجنين قبل التشكل — من صفر إلى ٨ أسابيع
(٢) مرحلة الجنين بعد التشكل — من ٨ إلى ٤٠ أسبوعا
(٣) مرحلة الحضانة — من الميلاد إلى سنتين
(٤) سن ما قبل المدرسة — من ٢ إلى ٥ سنوات
(٥) الطفولة — من ٥ إلى ١٢ سنة
(٦) المراهقة — من ١٢ إلى ٢٠ أو ٢٤ سنة
(٧) الكبير (مكتمل النضج)

وقد اختص الإنسان دون سائر المخلوقات بأطول مدة من عدم النضج النسبى ، فهو من التعقيد بحيث يقتضى استكمال نموه الجسمى والعقلى أكثر من عشرين سنة . ولذا لم يكن عبثا تأجيل حق الانتخاب فى حضارتنا الدمقراطية إلى سن الحادية والعشرين .



وتحتل السنوات من الخامسة إلى العاشرة مكانا متوسطاً فى هذا المدى الطويل من عدم النضج ، وهذه السنوات الوسطى سنوات متوسطة بكل من المعنيين الحيوى (البيولوجى) والثقافى ، ففى أثنائها يبدل الطفل أسنانه اللبنية وهو حدث حيوى ، وفى سن السادسة يشق أولى أسنانه الدائمة ، وتكون فى العادة ضرساً يصح أن نسميه ضرس دخول المدرسة لأنه يؤذن بالتحاق الطفل بالمدارس الابتدائية وهذا حدث اجتماعى .

والبلوغ هو الصوة(١) الكبيرة التالية فى طريق النمو وهو يحدد بداية المراهقة التى تستمر ما يقارب العشر سنين حتى يبلغ الفرد حد النضج ، فهى سنوات استكمال وإتمام ، والسنوات الخمس الأولى من الحياة سنوات تمهيد وإعداد ، على حين تقع سنوات الطفولة الوسطى بين بين ، ولذا لا يستطاع فهم هـذه السنوات إلا بدلالة الماضى الذى تمتد جذورها فيه والمستقبل الذى تتجه صوبه .

ولكونها سنوات متوسطة تعوزها الحيوية الأخاذة التى تتميز بها الحضانة من ناحية والمراهقة من ناحية أخرى ، ومن ثم استخف العلماء بدراسة نفسانية الفترة من الخامسة إلى العاشرة فأعملوا فيها الحذف والاقتضاب ، ويبدو فى المؤلفات الخاصة بها نزوع إلى التعميم عنها جملة دون تمييز لما فى ثناياها من فوارق عمرية . أجل إن المدارس الابتدائية تنقل أطفالها إلى فرق أعلى على أساس التقدم فى السن ، بيد أن خطط الدراسة وأساليبها تحددها فى الغالب نفسانية التعلم الضيقة الأفق بدلا من نفسانية النمو السمحة . وينزع ضغط نظم المدرسة إلى إخفاء كل من الفوارق الفردية والعمرية فى عمليات النمو أو التجاوز عنها ، فالطفل لا يقتصر التقدم عنده على القوة والمهارات بل إن التغير يلم بصميم أنماط نفسانيته الخاصة .

ولضآلة ما يعرفه الآباء عن هذه التغيرات الدقيقة الخفيّة يجنحون إلى لوم المدرسة وتحميلها تبعة كل اعوجاج وسوء توافق ، كما يجنح المدرسون بدورهم إلى إلقاء هذه التبعة على الطفل والوالد ، والغالب أنه لا لوم على أحد فالجهل بطرق النمو أساس كثير مما نلقى من صعوبات ، فياليت الطفل يستطيع أن يزيدنا بيانا عن الكيفية التى بها يحس ويفكر ويتصرف ، فنحن نغلو فى إصدار الأحكام على أساس من البينات السطحية للنجاح أو الإخفاق ، ثم نعود فنزيد أحكامنا التواء بما نسقطه أو نصبه فى عقل الطفل من نزعة إلى المنافسة قوامها الغرور .

وهنا أيضاً نجد أن زيادة الاستبصار بقوانين النمو وبطرقه المحسوسة من شأنها أن تضفى على العلاقات بين الأطفال والكبار صبغة إنسانية ، وسنجد أن أداء واجب سهل (؟) مثل تمييز الكلمات فى صفحة مطبوعة ليس من البساطة بحيث يُحل بمجرد

---

(١) الصوة علامة الطريق landmark

التمرين والتدريب (بقليل من التأديب وبغير كثير من العبث !) ، ذلك أن وظيفة الإدراك البصرى فى الإنسان تعدل فى تعقيداتها الفريدة وظيفة الكلام ، ولا يزال علينا أن نتعلم الكثير عن تطور هذه الوظيفة فى علاقاتها المتعددة النواحى بالحياة وبالتربية . وإن الزيادة المخيفة فى العيوب البصرية وفى ضروب العجز عن القراءة فى السنوات الأولى من الدراسة لأبلغ شاهد على تعقيدات النمو فى هذه السنوات .

ولعلنا قد بالغنا فى شأن الاضطرابات التى تحدث فى المراهقة ، كما بالغنا كذلك فى ثبات الطفولة واتزانها ، فما يجرى بين الخامسة والتاسعة عشرة يزيد كثيراً على ما تلحظه العين جهارا : إذ يتقلب الطفل أثناءها بين أدوار الاتزان النسبى وأدوار عدم الاتزان العرضى ، وتتعاور عليه فى إيقاع الموسيقى ضروب مختلفة القوة من أدوار النشاط الانطوائى ونقيضه الانبساطى ، ومن الاهتمام بالمنزل مقابل المدرسة ، ومن مهمات النفس حيال مهمات الجماعة ، ومن التحركات بدافع حركى دقيق إلى التحركات بدافع حركى كبير ، ومن الانتقالات رواحا وغدوا ، ومن ألوان السيطرة الدقيقة على حركات العين . ولن نستطيع أن نصل إلى صورة مضبوطة لحقيقة هؤلاء الأولاد والبنات الذين يكتنفهم شىء من الغموض إلا إذا استطعنا أن نتعرف على التحورات النمائية التى تناظر كلا من هذه السمات ونقيضها المقابل ، فالنمو لا يسير فى خط مستقيم .

من أين تأتى هذه الاتجاهات والتقلبات النمائية ؟ إنها ليست بنت البيئة المعاصرة وإنما هى قبل كل شىء تعبيرات عن عمليات النشوء والارتقاء السحيقة القدم ، فالإنسان لم يتكون فى يوم واحد بل استغرق الأمر عصورا مترامية للوصول بقدراته إلى ماهى عليه الآن فى المشى والتكلم والاشتغال بيديه والتدبير بعقله والإدراك بمثل هذه البصيرة الخصبة وتوقع العواقب بخيال بعيد المدى ، ولا بد للطفل من أن يعبر من جديد هذه العصور الشاسعة على صورة ما مركزة ، وهذا بدوره يستغرق زمناً إذ لا بد لجهازه العضوى من أن يستجمع ماورثه عن أسلافه من الخيوط الأساسية ويعيد نسجها ، وهو يضارع بضخامة التعقيدات فى جهازه العصبى ضخامة ماضى أسلافه .

وعندما يبلغ الطفل سن الخامسة يكون قد قطع شوطا طويلا فهو قد اجتاز ثمة

إحدى الراحل ، فلم يعد مجرد وليد حدث بل صار زميلا صغيراً ! يكاد يعتمد على نفسه فى الشئون الأولية الرتيبة للحياة المنزلية ، وهو على استعداد للاشتراك فى حياة المجتمع البسيطة فى غرفة الدراسة . وإنه ليبدى فى سماته الانفعالية وفى ذكائه العام وقابليته للتكيف جهازاً حركياً جيد التكوين والتنظيم ، وكأنما الطبيعة قد أكملت إلى حين ماأخذت على عاتقها أن تخلقه ، فطفل الخامسة يمثل على أقل تقدير صورة تمهيدية للرجل المكتمل ، ولعله يسجل بطريقة غامضة ما كان فى يوم من الأيام أعلى مستوى للنضج الكامل فى ماضى الجنس السحيق .

فالخامسة إذن سن سكون وقرار ، فالطفل يظل فترة قصيرة فى حالة توازم متزن مع كل من نفسه وبيئته حتى لكأن مشكلة نموه قد حلت ، ولكن دفعة النمو وضغط المطالب الثقافية يخلقان توترات جديدة ، وقد تكون هذه المطالب فى بعض الأحايين مفرطة الكثرة حتى لكأنما الثقافة مصرة على وضع يدها على الطفل وامتلاكه ، وكأنما هو من ناحيته مصمم على تمثل تلك الثقافة لأنه بطبيعة الأمر مقضى عليه أن يشب عن سن الخامسة .

ومع هذا فليس من اليسير عليه أن يوازن موازنة سهلة مطردة بين نفسه وبين بيئته المتشعبة . وإنه ليبدو فى السادسة أقل تكاملا مما كان عليه فى الثالثة . وهو أدنى إلى طفل الثانية والنصف ، الذى لم يعرف بعد نفسه ولا بيئته معرفة تامة ، ولذا يكون توازنه متأرجحا بين طريقين . كذلك طفل السادسة يكون فى طور ذى قطبين (ثنائى القطبية) يحاول فيه أن يكشف نفسه وبيئته الجديدة فى وقت واحد ، والاختيار والتوفيق بين القطبين يخلقان أنواعا من التوتر والتردد ، فالطفل هنا يحل مشكلات جديدة للنمو وهذا هو المفتاح لفهم بعض مايعترضه من صعوبات ، وما يبدو عليه من عدم استقرار وهو على أبواب تعليمه الرسمى (formal) .

أما طفل السابعة فهو أملك لأمر نفسه وأقل تقلبا وأعظم مقدرة على أن يستوعب تجاريبه الثقافية الجديدة وينظمها ، وهو ينشئ علاقات أمتن وأثبت مع رفاقه ومعلمه ، وهو بالتأكيد أدنى إلى وحدة القطب وأقدر على أن يأخذ مايجيئه ، وقد قل عدم اتزانه . فهذا الطور بالمقارنة إلى غيره طور استيعاب وتمثل ، فالطفل ينمو يوما بعد يوم فى كيانه العقلى .

وفى سن الثامنة تبدو فى ميزانية الوارد والصادر أنواع جديدة من التوازن ، فالطفل قد شاد لنفسه بناءً من التجارب أشد رسوخا ، وأصبح فى مستطاعه أن يعطى مثلما يأخذ . وهو يبدى قدراً أكبر من البادأة والتلقائية فى انطلاقه لمواجهة مطالب البيئة المحيطة به ، ويستطيع أن يتآخى مع نظرائه ، وفى سن التاسعة يواصل الابتعاد عن روابط الطفولة والتجرد من قيود المنزل . وهو — إذ يزداد عدم مبالاته بذويه الكبار حين يكون بعيداً عنهم — يعيش فى وسط ثقافى من اختياره هو .

ويبلغ عدم المبالاة هذا فى سن التاسعة والعاشرة ذرى جديدة . فيصير البنون والبنات على السواء مستقلين بأنفسهم إلى درجة مدهشة ، فقد تزايد اعتمادهم على أنفسهم واكتسبوا فى الوقت نفسه مشاعر جماعية قوية عميقة ، واهتمام الطفل بجماعة الصغار يساعد فى تلك العملية المعقدة ، عملية الانفصال عن جماعة العائلة المنزلية ، وهذا جزء من طريقة النضج .

وفى الوقت نفسه يزداد التباعد بين الجنسين ، ففى سن العاشرة يكون الميل إلى انفصال كل فريق عن الآخر قد أصبح محدداً بيّن التحديد ، ويدخل البنات قبل الصبيان بقليل فى دور ما قبل البلوغ ، ويتميز هذا الدور بتغيرات فى نسب الجسم ، وفى استحالة الغذاء[١] ، وفى إفرازات بعض الغدد الصماء[٢] ، وهذه التغيرات تزداد ظهوراً فى المراهقة التى هى مدة تستطيل ، ويخلص فيها الإنسان من عدم النضج شيئا فشيئا ، وبذا يصير الطفل شابا ، والشاب كبيراً .

وتستمر مرحلة المراهقة عند الأولاد عشر سنوات تقريباً وعند البنات دون ذلك بعام أو عامين ، فالمراهقة إذن تكاد تعدل فى طولها الحضانة والطفولة معاً ، وهى من الناحية الثقافية فترة بالغة الحرج ، لأنها هى الفترة من العمر التى يبدأ فيها توجيه الشاب باطراد إلى تحمل مسئوليات المواطن وإلى فهم معنى الزواج ، وبالزواج يصبح القطاع الأول الكبير من دورة النمو حلقة كاملة الاستدارة إذ يتأسس عند ذلك بيت

---

(١) metabolism وهو نوع من التغير الغذائى فى الخلايا .

(٢) indocrine غدد تصب إفرازاتها (وهى هرمونات) فى الدم مباشرة وتسبب ازدياد نشاط بعض الأعضاء .

جديد ويولد حضين جديد و يبدأ جيل جديد سيرة حياته التى تسير بدورها فى ذلك التسلسل الأبدى من حضانة إلى طفولة إلى مراهقة إلى أبوة .

وليس لنا أن ننتظر من الطفل الخلى البال أن يتأمل المدى الكامل لهذه الدورة من النمو ، فهو منغمس فى الحاضر تماما ، ويجب على الآباء والمعلمين أن يعوضوه عما يعوزه من بعد النظر فإنهم وهم الكبار يستطيعون أن يفهموا خيراً منه مجال تلك الدورة واتجاهاتها ، وفى مقدورهم أن يضعوا ثقتهم فى هذه الاتجاهات ، وأن يستخدموا ما لديهم من معرفة ومهارة لتوجيهها ، وفى استطاعتهم بشتى الوسائل أن يلوحوا للحضين والطفل والشاب بالمستقبل المدخر له .

لكل هذه الأسباب أصبح من أهم الأمور وألزم الواجبات على المدرسين والآباء أن يلموا بدورة النمو كلها فى صورتها العامة القوية الرائعة . و إن نظرة مدركة للتطور يلقونها على المشاكل اليومية لسلوك الطفل لتضفى على هذه المشكلات كل معنى وجلال ، كما أنها تقلل ما تسببه لهم من مضايقات . ولن نستطيع أن نفهم حياة الطفل بروح من التناسب والفكاهة إلا إذا شاهدنا تلك الحياة من خلال عدسات النمو المجسمة التى تظهر الصورة على حقيقتها .

ونحن إذا نظرنا خلال هذه العدسات رأينا الأشياء ببعدها الثالث ، أى مجسمة : فتتخذ معايب الأطفال وجهودهم فى محاولاتهم وضروب عدم نضجهم تتخذ كلها معنى جديداً ، وعندئذ يقوّم مسلك كل طفل بدلالة تاريخ تطوره وأنماط نموه الفريدة الخاصة به ، وتعدّل الضغوط الخارجية وفقاً لحاجات نموه فى تغيرها ، وعندئذ يربى بالتوجيه القائم على الفهم العطوف .

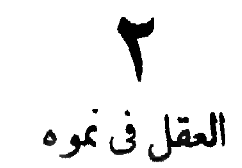
والهدف الذى يرمى إليه هذا الكتاب إنما هو زيادة الفهم ، و إنا لبادئون بعرض شامل لدورة النمو ، فنرى التسلسلات العريضة التى تميز الجنس الإنسانى بوجه عام ، وفى ثنايا هذه التسلسلات نجد كثيراً من الاختلافات فى الأنماط وفيما يبرز من النقط التى تكمن فى الأساس الذى تبنى عليه الفردية .

وهناك أيضاً موكب حافل بالتغيرات التى تأتى على مر الزمن ، وسنقدم لك فى الصفحات التالية عرضاً لخصائص هذه التغيرات بشىء من التفصيل ، ولا يزج بشىء

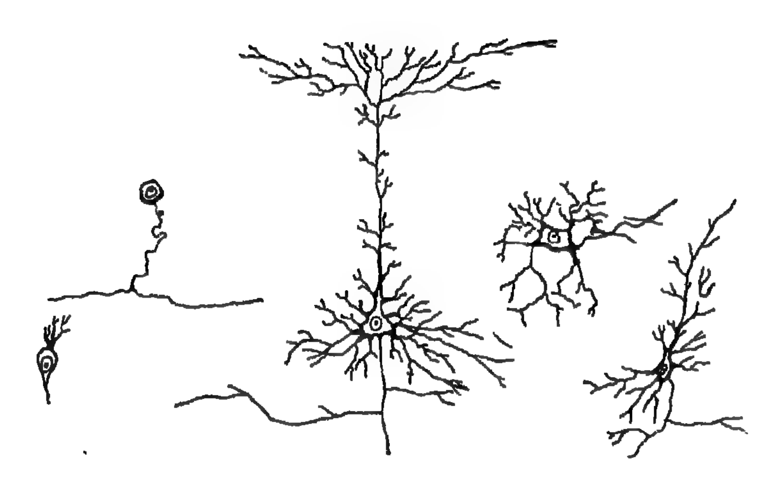
من هذه التغيرات فجأة بصورة مسرحية . كما أن هناك فى الإيقاع والتوقيت اختلافات شخصية عديدة ، على أن من المفيد أن نرسم صورة تخطيطية لهـذه التغيرات حتى يتكون لدينا إطار من المراجع يبرز عمليات النمو للعيان .

وهذا يحتم علينا أن نعدل ونضبط عدساتنا المفسرة من سنة إلى أخرى ، وذلك لأن طفل السادسة يمكن تمييزه من طفل السابعة تمييزاً له دلالته ، كما يمكن استبانة طفل السابعة بدوره من طفل الثامنة . فإذا تيسر لنا أن نحدد اتجاه هـذه الفروق السنوية استطعنا أن نكيف ما نستعمله من وسائل وما نتوقعه من نتائج وفق طبيعة الطفل الفرد وحاجاته .

وإلا فكيف نستطيع أن نتجنب تلك الأخطار الماثلة على الدوام ، أخطار الاستبداد فى البيت وفى المدرسة ؟ وبأى طريقـة أخرى نستطيع أن نحقق روح الدمقراطية التى تحنى الرأس إجلالا لكرامة الفرد قبل كل شىء ؟



٢
العقل فى نموه



« ليتنى أفهم طفلى » ، تلك هى الأمنية التى تختلج فى صدر كل أب صحيح العقل . « وددت لو فهمت إلى أبعد حد ممكن فردية كل تلميذ من تلاميذى » ، ذلك هو هدف المدرس الحديث ، على أن هذا الفهم يتطلب شيئا من التقدير للكيفية التى بها ينمو العقل ، وهذا الكتاب يبحث فى عقول الأطفال الذين هم فى دور النمو .

ولا داعى لأن تشغلنا وتقلقنا العلاقات الخفية الغامضة بين العقل والجسم (ويطلق عليهما أحيانا الروح والجسد) . ويكفى أن نعلم أن نفسانية الطفل التى تشمل سلوكه كله مرتبطة بجهازه العصبى ارتباطا لا انفصام له ، بل هى مرتبطة فى واقع الأمر بجهازه العضوى كله . ولسنا نستطيع أن نفصل بين « العقل » وبين الطفل فى ـعه ، وإنا لنضل السبيل إلى حد كبير إذا اعتبرنا « النفس psyche » قوة خفية ـل من وراء ستار فإنما الطفل وحدة .

وجهازه العصبى هو الذى يجعله كذلك ، وهو يتكون من بلايين متعددة من ـدات العصبية المسماة بالنيورونات تتصل بكل جزء حساس وكل جزء متحرك فى

الجهاز العضوي قاطبة . والنيورونات النمائية تتخلل الأوعية الدموية والقلب والرئتين والقناة الهضمية (المعدية المعوية) والأعضاء التناسلية البولية وعواصر المستقيم والمثانة والغدد المخاطية وغدد العرق واللعاب والدموع والغدد الصماء ذات الإفراز الداخلي . ونيورونات الحس تخدم عدداً لا يحصى من الأطراف الحساسة في الجلد والأغشية المخاطية وسطوح المفاصل والأوتار العضلية وعدداً من أعضاء الإحساس الدقيقة التخصص ، التي يعد البصر أدقها إبداعا . ونيورونات الحركة تخدم الجهاز العضلي المتشعب ، الذي يبلغ عدده ستمائة زوج من العضلات تقريبا ، يضاف إليها بلايين كثيرة من اللويفات القابلة للتقبض . ونيورونات الترابط تسجل وتنسق وتكيّف وتنظم حركة المرور الداخلية الهائلة في الجهاز كله وتكوّن منها أنماطا من التذكر والحديث والتخيل والترامز والإرادة . وسواء استعرنا تعبيراتنا من علم الكيمياء أم من علم الإلكترونات ، فإننا نستطيع أن نتصور جهاز الحركة في الإنسان شبكة هائلة من التنظيمات السلكية واللاسلكية تحيل الحضين إلى خالق مبدع وتحيل الطفل إلى جهاز رائع يمشي ويتكلم .

والعقل في نموه جزء لا ينفصل من هذه الشبكة الضخمة من الأنسجة الحية ، والعقل ينمو لأن النسيج ينمو . وللنيورونات قدرة خارقة على النمو ، وهي تتكاثر بسرعة كبيرة في فترتي الجنين قبل التشكل والجنين بعد التشكل اللتين توضع فيهما أسس السلوك ، فحين يتم الجنين خمسة أشهر يكون قد امتلك قدراً يبلغ اثني عشر بليوناً من الخلايا العصبية أو تزيد هي قوام الجهاز العصبي ، وتستمر هذه الخلايا في النمو والانتظام طيلة دورة النمو .

وربما أمكن تصور عقل الطفل كنوع ما من نسيج عجيب — نسيج ينمو ، فتكوينه من الناحية المادية يتمثل في متاهة عظيمة من الأعصاب والحزم العصبية ، وفي نسيج لبادي بالغ الدقة من الألياف المتفرعة واللويفات البديعة . والعقل يتكون من الناحية الوظيفية من ميول أو نزعات وأنماط من السلوك . ونحن لا نستطيع أن نرى النسيج اللبادي الكامن ولكننا نستطيع أن نرى أنماط السلوك الخارجية ، وتبلغ هذه الأنماط من كثرة الأشكال ومن الترابط الطبيعي مبلغاً يجعل العقل يشبه بحق نسيجا

ثمين النسج مجدد التكوين — نسيجاً عضويا لا يبرح ينمو منشئاً أثناء نموه أنماطاً جديدة .

إن الوالدين والمعلمين الذين يظنون أن الطفل من الطواعية بحيث يمكن تشكيله من جديد بالضغط الخارجي الشديد قد جانبهم التوفيق فى فهم طبيعة العقل على حقيقتها ، وربما جاز لنا أن نشبه العقل بالنبات لا أن نشبهه بالطين لأن الطين لا ينمو ، والطين يصاغ من الخارج فقط أما النبات فيصاغ قبل كل شيء من الداخل بواسطة قوى النمو ، وسيعنى هذا الكتاب بإبراز هذه القوى وتوكيدها .

ولا بد للتوجيه الرشيد أن يبدأ بفكرة النمو ، فلا مندوحة للمرء لكي يفهم الطفل فى سنوات الحضانة أو فى المدرسة من أن يكون على علم بسلالم النمو التى تحدد اتجاهات سلوكه وأنماطها .

ما هو سلم النمو ؟ إنه سلسلة من مراحل النضج أو درجاته التى يرقى بها الطفل إلى مستوى سلوكى أعلى . وسيتبين من قليل من الإيضاحات المحسوسة كيف تعمل سلالم النمو عملها فى السنة الأولى من العمر وفى السنوات السابقة للمدرسة وفى السنوات من الخامسة إلى العاشرة أيضاً .

مثال ذلك أن الرضيع يكتسب فى أثناء عامه الأول القدرة على التقاط الأشياء ، وهذا جزء هام جداً من عتاده السلوكى أو خبراته السلوكية ، إذ أن نضج العضلات والوصلات النيورونية اللازمة للقبض السريع المضبوط يستغرق زمناً طويلا ، ونستطيع اختبار قوى القبض هذه فى نموها بوضع مكعب أحمر صغير أمام الرضيع فنجده لا يستطيع فى البداية أن يلتقط المكعب إلا بعينيه فقط ، وليس بيديه . وفيما يلى تجد سلم النمو هذا مبسطاً إلى أقصى حد . (انظر أيضاً الرسم الرمزى فى صفحة ٢٨ الذى يوضح عمليات النمو هذه) .

سلوك القبض

(١) سن ١٢ أسبوعا ينظر إلى المكعب .

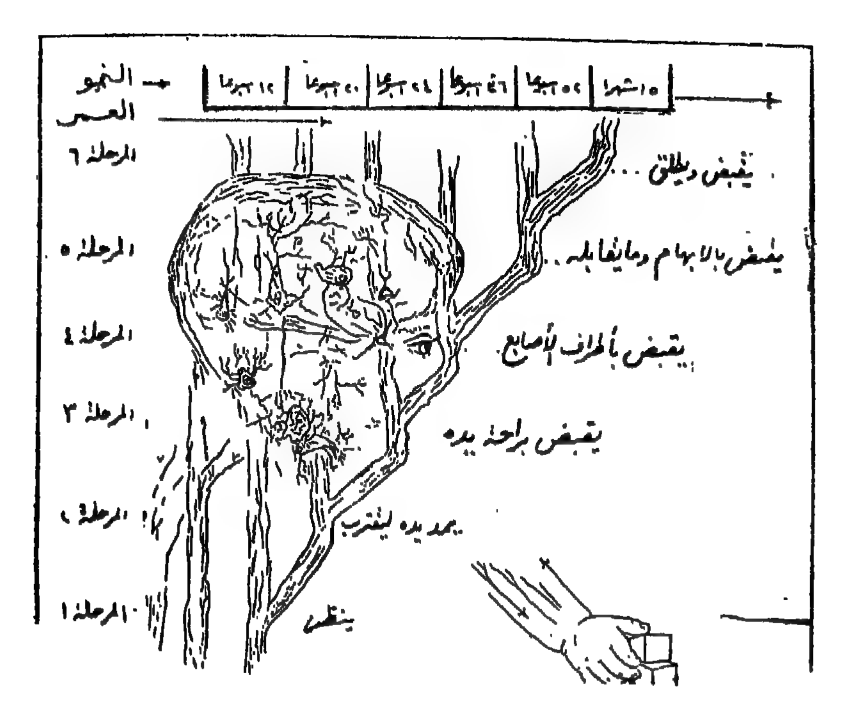
(٢) « ٢٠ « ينظر إليه ويقترب منه .

(٣) سن ٢٤ أسبوعا ينظر إليه ويقبض عليه بيده كلها فى حركة خفة .
(٤) « ٣٦ « ينظر إليه ويقبض عليه بأصابعه بمهارة ،
(٥) « ٥٢ « ينظر إليه ثم يقبض عليه بالإبهام والسبابة ثم يطلقه (أى يخلى سبيله) بمهارة .
(٦) سن ١٥ شهرا ينظر إليه ويقبض عليه ثم يطلقه لكى يبنى برجا من مكعبين .

فهذا السلم البسيط يمثل المكنية الأساسية للنمو النفسى برمته ، ولا يمثل النمو العقلى للحضين فحسب بل لتلميذ المدرسة أيضاً . فلندقق النظر إذن فى الطريقة التى تتكون بها الأنماط فى هذا النسيج النمائى المعين ، فإذا تذكرنا أن العقل ينمو على طريقة لا تخالف طريقة نمو النبات فقد رسمنا ما يشبه شجرة توضيحية يتبين منها كيف تتشعب وتتمايز أنماط سلوك القبض بواسطة التفرع فروعا كبيرة ثم تفرع هذه فروعاً أصغر منها . وكل نمط جديد ينبثق بالنمو من النمط القديم ، ومع ذلك يحتفظ بعلاقة تربطه به . والنمط النهائى لبناء البرج هو الذروة التى يتركز فيها كل النمو الذى حدث قبل ذلك . فالسلم يبدأ بالنمط البسيط نسبياً وهو نمط النظر ، وكلما زاد الطفل فى النضج توالت درجات الصقل والدقة فى تسلسل طبيعى : (١) تركز البصر فى نقطة أو بؤرة . (٢) امتداد الذراع ليقترب . (٣) القبض باليد . (٤) القبض بالإصبع . (٥) الإطلاق . (٦) تكوين البرج . والطفل فى سن ١٥ شهراً يسترجع هذا التسلسل فى لمحة ، لكن هـذه اللمحة السلوكية الماهرة هى الثمرة النهائية المتسقة أنماطاً لسنة كاملة من نمو تشييدى .

ولكل المهارات المدرسية تاريخ نمو سابق مماثل لهذا ، ويسرى عليها دائماً مبدأ الاستعداد النمائى ، وهى لا تكون أبداً النتاج الوحيد للتمرين أو التدريب . خذ مثلا سلماً بسيطاً آخر ذا ست درجات فى مجال سلوك القراءة ، فإن طفل الشهر الخامس عشر الذى بلغ لتوه المهارة الحسية الحركية اللازمة لبناء برج يكون أيضاً على أدنى عتبات القراءة ، ويستطيع الآن أن يساعد فى تقليب صفحات كتاب مصور . وهو يستطيع على التحقيق أن يميز الثقب المستدير فى لوحة أشكال عليها دائرة ومثلث ومربع ،

ولا شك أن فى هذا بذرة نمو القدرة على تعرف شكل حرف O المستدير وهى أولى خطوات القراءة كلها ! وفوق هذا يستطيع أن يقرأ إلى هذا الحد بعض صور من



رسم رمزى يوضح عمليات النمو التى يقوم عليها صوغ أنماط السلوك ، صورت فيه ست مراحل لنمو سلوك القبض : ١ — عند سن ١٢ أسبوعا يقتصر الحضين على النظر الى المكعب . ٢ — عند سن ٢٠ أسبوعا يقترب منه بذراع مثنى . ٣ — عند سن ٢٤ أسبوعا يمسكه بضغط من راحته . ٤ — عند سن ٣٦ أسبوعا يمسكه بأطراف أصابعه . ٥ — عند سن ٥٢ أسبوعا يمسكه بين الإبهام والسبابة . ٦ — عند سن ١٥ شهراً يجمع بين الإمساك والإطلاق فى تكيف واضعا مكعبا فوق آخر فيبنى البرج فى لحة وهذه اللمحة أساسها القضاء زمن نمائى قدره ١٥ شهراً بعد الميلاد .

وتتيسر هذه الاستجابات عن طريق اتصالات بين نيورونات وألياف عضلية لا حصر لها ، اتصالات تكونت أنماطا فى تلك الفترة وتمثلها رمزيا إنبجاسات من نيورونات مختلفة الألوان فى كل من المخ والعمود الفقرى . وتنبت هذه النيورونات وتنمو بكيفية لا تختلف عنها فى النباتات والأشجار ، فهى ترســـل الفروع والفريعات والعساليج المجمعة فى الأطراف والتفرعات التى فى النهايات . وتمتد لويفات كالخيوط من أطراف الأصابع الى الحبل الشوكى واللحاء المخى . وهناك مليون من الألياف العصبية تربط العين بالغابة المعقدة أشد التعقيد من النيورونات فى اللحاء المخى .. وهذا النسيج الحى المصوغ أنماطا والمنشىء للأنماط فيه إشارة الى كيفية نمو الطفل .

كتاب : فيلمس بيده صورة يتعرفها . وسلم النمو الذى نعرضه للإيضاح يبدأ بهذا النمط من السلوك — إدراك أوّلى لصورة على صفحة مطبوعة .

سلوك القراءة

(١) ١٥ شهرا	يلمس بيده الصورة التى يتعرفها فى كتاب .
(٢) ١٨ «	يشير بأصبعه إلى صورة يتعرفها فى كتاب .
(٣) سنتان	يسمى ثلاث صور فى كتاب .
(٤) ثلاث سنوات	يميز أربعة أشكال هندسية مطبوعة .
(٥) أربع سنوات	يميز أبرز الحروف الكبيرة .
(٦) من الخامسة إلى السادسة	يميز أبرز الكلمات المطبوعة .

والأعمار المحددة أمام المراحل فى السلم السابق تمثل اتجاهات معيارية متوسطة . وكل السلالم عرضة للتغيرات الفردية تبعاً لقيم الأعمار ، لكن التسلسل فى أى سلم يغلب عليه أن يظل واحداً لجميع الأطفال على الرغم من أمثال تلك التغيرات . وسلالم النمو كما سنوضح فيما بعد فى هذا الكتاب مزدوجة النفع : فهى أولا تحدد سمات النمو التى تتميز بها الطفولة بوجه عام ، وثانياً تمكننا من أن نحدد فى أى طفل بالذات مستويات النضج المناظرة لهذه السمات ، وبهذه الكيفية نتعرف كلاً من الفرد والمجموعة التى ينتسب إليها .

وكلما تقدم الطفل فى العمر ازدادت أنماط سلوكه تعقيداً ، وبدا أنها تحمل إلى حد أكبر طابع المؤثرات الثقافية . على أن مكنيات النمو لا تتغير ، ويظل الطفل محافظاً على أنماطه الفريدة الخاصة به فى النمو والتكيف . ويصح أن نوضح هذا بسلم نمو آخر ذى ست درجات يصور تقدما مطرداً معيناً فى مجال « سلوك التملك » ، ويدخل تحت هذا الاسم الأنماط والميول أو النزعات التى تتصل بالاستيلاء على الأشياء وتملكها ، وجمع المتلكات .

ولاشك أن سلم التملك هذا كان يجب أن يبدأ بسلوك القبض ، وذلك لأن الطفل مخلوق شديد الميل إلى القبض ! ! فهو يقبض على الأشياء ويمسكها فى تلهف شديد .

وكثيراً ما يقاوم أخذ الشيء منه بعد حصوله عليه ، ولكن علاقة الملْكية التي تربطه بالشيء عابرة إلى حد يجعلنا لا نكاد نعده مالكا للعبة ! وكل ما هنالك أنها تخصه ، فليس عنده إحساس قوى بالملكية الشخصية . ومع هذا فإنا نرى فى طفل الخامسة اعتزازاً شخصياً بالأشياء التى تخصه ، وهـذا ينم عن صورة أرفع بكثير لسلوك التملك . وسلم النمو للخمس أو العشر السنوات التالية قريب من النحو الآتى :

سلوك التملك

(١) ٥ سنوات : يزهو بممتلكات شخصية معينة (كقبعة أو رسم من صنع يده) .

(٢) ٦ « : يجمع أشتاتاً متناثرة كيفما اتفق (كبطاقات المعايدة) .

(٣) ٧ « : يجمع عن قصد وباهتمام جازم مستمر (كجمع تذاكر البريد) .

(٤) ٨ « : يجمع بحماسة وباهتمام قوى بحجم المجموعة (كالصحف الهزلية وعرائس الورق) .

(٥) ١٠ « : يجمع جمعاً أقرب إلى الرسمى وبأنواع من الاهتمام العقلى المتخصص (كجمع الطوابع) .

(٦) ١٥ « : يدخر النقود فى اقتصاد وتدبير مميز وفى اهتمام بقيم النقود .

يبين تحليل السلم السابق أن المحددات الثقافية ليست قوية بالقدر الذى تبدو به فى الظاهر . ولا شك فى أن القبعات وتذاكر البريد والمجلات الهزلية والطوابع والنقود سلع ثقافية ، ولكن القيمة التى سيسبغها الطفل بغريزته على هذه السلع وكيفية جمعه إياها واعتزازه بها وطريقة تصرفه فيها — كل ذلك يتوقف على خصائصه النمائية (والمزاجية) وسيبدو أنه تنسحب على جميع ميادين السلوك علاقة مماثلة لهذه بين عملية النضج (الحيوية) وبين عملية التثقيف (البيئية) . وسلالم النمو الأولية بيدها المفتاح لأحكم طرق التوجيه والتربية .

وسنجمع لك فى القسم الثالث[١] سلالم عديدة ، تتناول تنوعات واسعة المدى

---

(١) فى الكتاب التالى الذى سيظهر قريباً .

من ساحات السلوك ، وستشمل صوغ الشخصية أنماطاً وفقاً للنمو وستشمل كذلك نمو القدرات ومواضع الاهتمام المدرسية . وإنا لنأمل أن دراسة القارئ لهذه السلالم المنوعة ستضفى قوة ووضوحا على الصورة التى كونها لنفسه عن عقل الطفل . وطبيعة هذا العقل تتأبى علينا ما لم نستطع أن نفكر فى النفس بوصفها جهازاً حركياً عضوياً فى حالة نمو له أنماط فى كل ترتيباته الخفية والظاهرة ، وهذه الأنماط تتحكم فى أشكالها وتسلسلاتها قوانين عميقة الفهم . ويجب أن يكون تقدير أهمية أى سلوك للطفل بدلالة شكله وموضعه فى سلم تسلسلى .

وسلالم النمو عبارة عن إطارات يُرجع إليها فى تحديد مرحلة النضج التى بلغها الطفل فى أى ميدان معين من ميادين السلوك ، ولا تطبق السلالم للتحقق من عمر عقلى ، ولا لقياس الطفل بطريقة اعتباطية ، وإنما القصد منها الوصول إلى موضعه التقريبى فى تسلسلات نمائية متنوعة ، وهذا يمكننا من أن نقدر الشوط النمائى الذى قطعه الطفل والشوط التالى لذلك مباشرة ، وعندئذ يمكن تكييف أساليب التربية والإرشاد وفق ما بلغه من نضج . ويؤدى الفشل فى التعرف على حظه من النضج إلى جهد ضائع وتدخل ضار وتأديب جائر .

وطبيعى أن سلوك الطفل يكون أحياناً من المباغتة والتناقض بحيث يكون فهمه عسيراً جداً ، بل ربما لاح لنا أنه يتأخر بينما تحتم سلالم النمو عليه أن يتقدم ، ففى مثل هذا الموقف ، سواء نشأ فى البيت أم للمدرسة ، يصبح من الأهمية بمكان أن نفسر المشكلة حسب دلالات النمو ، وعلينا أن نتذكر أن العقل لا يتقدم فى نموه تقدماً مستقيما مستوياً ، فطريق النمو غير معبد (بقدر يختلف باختلاف الأطفال) وهو يتعرج وفى بعض الأحايين يلتوى إلى الخلف بطريقة تشعر بالتقهقر والنكوص . على أنه إذا كان الطفل سويا فإن الاتجاه النهائى يكون نحو مستوى أعلى للنضج من جميع النواحى والنمو شبيه بنهر ، يحتفر ماؤه خير مجرى يستطيعه ويمضى قدماً حتى يصل إلى غاية أو هدف .

وربما كان الطفل يتقدم تقدماً طيباً وإن بدا سير نموه منحرفاً ، ويتجلى ذلك بوضوح شديد من الطريقة التى يتعلم بها الرضيع كيف يحبو ، لقد أماطت الملاحظة

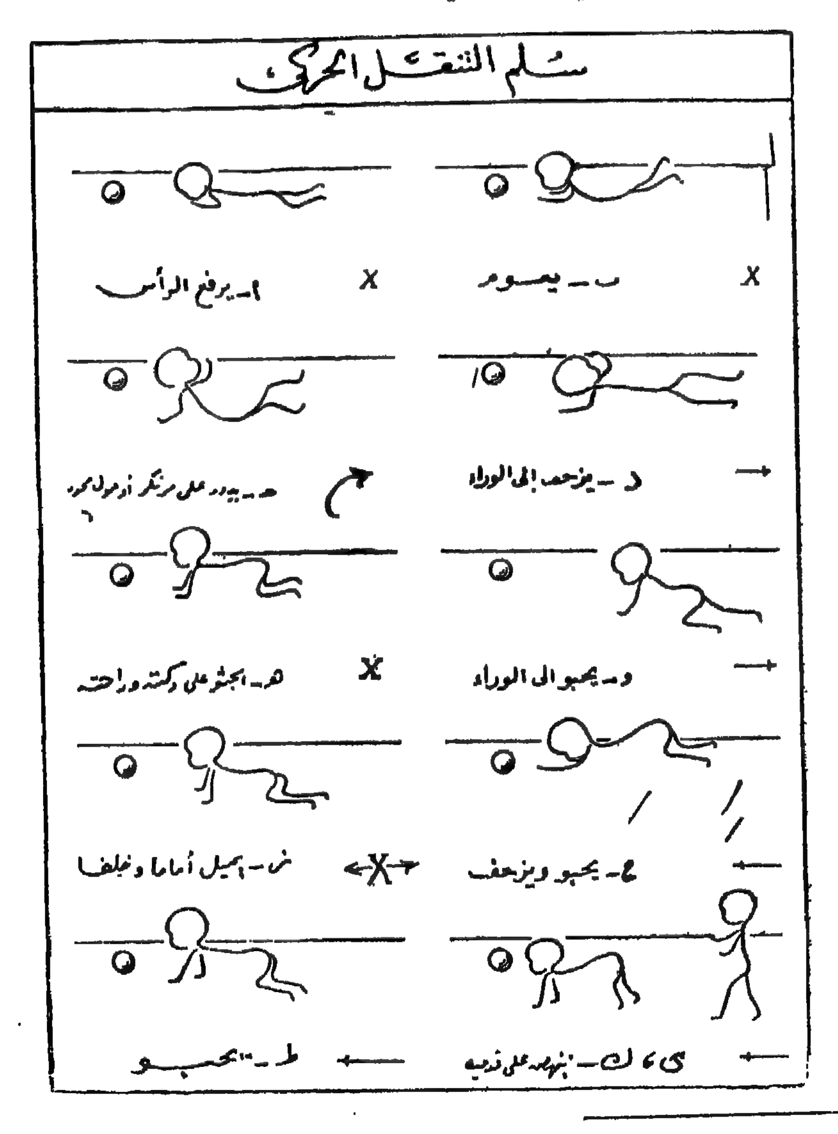
الدقيقة الشامَ عن أن الرضيع يمر فى نحو عشرين مرحلة (أو شبه مرحلة صغيرة) أثناء اكتسابه هـذه القدرة على التنقل الحركى . وإنك لتجد عرضاً مصوراً لعشرة من هذه المراحل فى السلم المرافق . والهدف النهائى هنا هو التنقل الحركى إلى الأمام ، أى التقـدم على الأربع مع الإكباب على الوجه . ولـكن لا يفتك أن تلحظ أن السلوك فى مرحلة معينة كثيراً ما يبدو مخيباً للهدف ، بل لقد يسير على عكسه . ومع ذلك ترى الطفل فى الأوان المناسب ينطلق فيعبر الأرض على يديه وركبتيه ، ثم على يديه وقدميه ، ثم على قدميه وحدها أخيراً .

والمراحل التالية صورت فى الرسم التوضيحى (وقد أسقطنا أكثر من اثنتى عشرة مرحلة تتخللها) :

المرحلة	نمط السلوك	التقدم	الرمز
ا	يرفع الرأس دون أن يحرك الساقين	لا شىء	×
ب	يعوم (تنتصب الرأس وتمتد الساقان)	لا شىء	×
حـ	يدور حول نفسه (تنثنى وتمتد الذراعان على التعاقب)	دورانى	(→
د	يزحف إلى الوراء (الذراعان تدفعان)	إلى الوراء	→
هـ	يجثو على ركبتيه وراحتيه (يرفع الجذع)	لا شىء	×
و	يحبو إلى الوراء (يخفض الجذع)	إلى الوراء	→
ز	يهتز (فى وضع الحبو العالى)	تذبذبى	←×→
ح	يحبو ويزحف (يميل أماماً)	أمامى	←
ط	يحبو (على اليدين والركبتين)	أمامى	←
ى	يحبو على راحتيه وباطن قدميه (على اليدين وباطن القدمين)	أمامى	←
ك	ثم ينهض على قدميه .		

ويتضح من التسلسل السابق ، الذى ينسحب بالفعل على الجنس البشرى عامة ، أن الفطرة لا تسير مباشرة نحو هدفها على الدوام ، بل تتخذ طريق التفاف غير مستقيم ، وتبدو فى بعض الأحيان وقد ثبتت فى منتصف الطريق ، كأنها لا تدرى أى سبيل تسلك ! والطفل فى المرحلة (ز) يكون مهيأً تماما للتنقـل من مكان إلى

آخر ، ولكنه بدلا من ذلك يميل أماما وخلفا متردداً بين بديلين ، وفى المرحلة (جـ) در"(١) فى دائرة ، وفى المرحلتين (د ، و) سار إلى الخلف فعلا ، وظل فى مكانه تماما فى مراحل أخرى ، ومع هذا فإنا ندرك حين نستعرض السلم كله بإمعان أن الطفل كان طوال الوقت ماضيا قدما فى النمو حتى عندما كان يدفع بنفسه إلى الوراء . إن للفطرة احتيالا زائغاً لا يدركه منطقنا .



(١) Spun من أدر المغزل أداره شديدا فدر دورا فهو درار (spinning) .

والطفل من وثيق التضامن مع الفطرة بحيث يتحتم علينا احترام ما أودع فيه أو فطر عليه من تدرج منظم النمو ، فمن ذا الذى تحدثه نفسه بمعاقبة حضين لأنه رفع جسمه إلى الخلف بدلا من الأمام ، أو لأنه تردد بين الخلف والأمام ، أو لأنه جمع بين غطى الزحف والحبو بدلا من استخدام الطريقة الصحيحة للتنقل الحركى ؟ وإنا لنرى فى النواحى الفجة الساذجة من سلوكه الانبطاحى أن الفطرة نفسها تحتاج إلى وقت لتشكل من جديد فى الفرد نوعا معقدا من السلوك قطع الجنس فى اكتسابه أحقابا مديدة من التطور .

إن صوغ أنماط السلوك الانبطاحى يزودنا بمثال مفيد يوضح المكنية التى تتحكم فى نمو الطفل فى جميع الأعمار ، فالرضيع يكشف عن ألوان من عدم النضج وهو يحل مشكلات التنقل الحركى ، حتى إذا دخل المدرسة مبتدئاً واجهته مشكلات أخرى ، لكنه سيكشف أيضا عن ألوان من عدم النضج تعدل تلك ، فهو يسير فى كتابته فى اتجاهات خاطئة ، ويعكس الكلمات بطريقة تدهشنا ، ويبدو فى بعض الأحيان وكأنه لا يتقدم مطلقاً ، ولكنه يصل فى النهاية إلى التنسيق الضرورى بين وضعة الجسم والعينين واليدين الذى يمكنه من أن يكتب كتابة مستقيمة . وتتوقف دائما سرعة تقدمه على نضج جهازه العصبي قبل كل شىء ، ولذا كان وجوب « تأديبه » إذا صدرت منه أخطاء حركية أمراً مشكوكا فيه . ومن الخير أن نتذكر التدرجات اللولبية التى « يتعلم » بها الطفل كيف يحبو حين نفسر فشله فى تعلم القراءة والكتابة والحساب .

وواضح من هذه المناقشة التمهيدية أن دلالة سلوك الطفل وأهميته تتوقف على موضع ذلك السلوك من تسلسل نمائى ، ففى كل موقف يعرض نتساءل عن النمو الذى سبقه وعن النمو الذى يحتمل أن يتلوه ، وفى سياستنا للأطفال لا نحتاج كثيرا إلى القواعد التقريبية المحفوظة بل نحتاج إلى تبين اتجاهات الموقف . وسنجد فى سلالم النمو الوسيلة لذلك وهى خطوط العرض التى تمثل مستويات النضج وخطوط الطول التى تمثل الأعمار .

ولا يقتصر التغير الذى يحدث للطفل كلما تقدم فى العمر على زيادة طوله ووزنه

بل يمتـد إلى تناسب أعضائه و إلى كيماويات جسمه نفسها ، وأهم من ذلك كله أن عتاده السلوكى يتغير ، والتغيرات تأتى متدرجة حتى أنها تخيب عن الملاحظة فى كثير من الأحيان ، وهى تسترق الخطى كاللص فى بهمة الليل .

ولهذا السبب نفسه يحسن تحديد التغيرات بطريقة تجعلها واضحة بينة ، وهذا هو ما حاولنا أن نفعله فى القسم الثانى من الكتاب فرسمنا لكل سنة من الخامسة إلى العاشرة صورة نموذجية ترتسم فيها خصائص السلوك المميزة لذلك العمر ، وليس من المفروض أن هذه الصورة تنطبق انطباقا دقيقا على أى طفل بالذات ولكنها توحى بالسمات التى يمكن تقويمه على أساسها . وسلسلة من هذه الصور السنوية تنفع أيضا فى تحـديد الاتجاهات المحسوسة نحو النضج . وكما أن العين تحتاج إلى صورتين متراكبتين لترى العمق ، فكذلك نحتاج إلى مستويين للنضج متجاورين للحصول على صورة مجسمة لنمو الطفل .

وهذه المصورات[1] السلوكية لسنة بعد أخرى تمدنا بنقط الخلاف الأساسية فى سلالم النمو التى جمعناها ونسقناها إلى حد ما (كما تنسق القوانين) فى القسم الثالث ، وهذه المصورات ترسم الخطوط الرئيسية لصورة سلوكية كاملة . ويمكن استعمال السلالم فرادى أو فى مجمعات متنوعة استعمالا تحليليا ، إذ المقصود منها أن تستخدم كوسائل تفسيرية ، فإذا هى طبقت على الوجه الصحيح أعانت الكبار الراشدين على تقويم مشكلات النمو التى يواجهها كل طفل . والطفل لا يكاد يقوى على صوغ مشكلاته لنا ، فلا بد لنا من مراقبة سلوكه واتخاذه مفتاحا للفهم ، فإذا ما عكس الأرقام فلعله يكون فى مرحلة تناظر مرحلة الزحف إلى الوراء فى التنقل الحركى .

وقد ينبئنا سلم النمو أين وصل الطفل وإلى أين يتجه ، فإذا ما طبقنا عدة سلالم على ميادين سلوكها العدة ، حصلنا على صورة أحسن من ذى قبل لحالة نضج الطفل فى مجموعها ، بل لعلنا نظفر بما يدلنا على أقوى ما فى رصيده من فضائل ، وما هو محسوب عليه من نقائص خاصة ، إن كان فيه شىء منها . ولا يستلزم ذلك أن نتوقع

---

(١) Profiles صور نفسية .

له تقدما واحداً فى جميع ميادين السلوك ، فإنا نعرف أن هناك كثيراً من الاختلافات الطبيعية فى العمر الزمنى الذى تكتسب فيه القدرات المدرسية ، كما نعرف أن لكل طفل نمطاً فريداً للنمو . وتعيننا سلالم النمو على اكتشاف هذا النمط الفريد ووصفه لسبب بسيط هو أن النمو الأساسى يسير فى تسلسلات تسرى على الجميع تقريبا .

والطفل خير معيار لنفسه ، ولن نراه أقرب إلى طبيعته كما نراه وهو يتغير ، وذلك لأن خصائصه النمائية هى أصدق دليل يهدينا إلى فرديته .

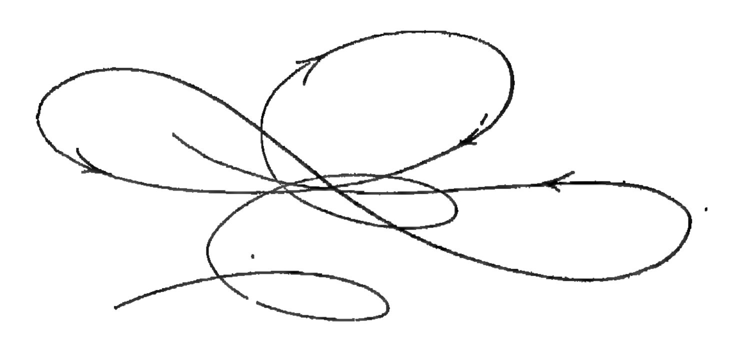
وتنبئنا سلالم النمو أيضا بشىء عن الفوارق النفسية بين الأولاد والبنات ، فالبنات أكثر تقدما وعمومية فى بعض أنواع السلوك ، والأولاد أكثر حدة وتقيداً ، مثال ذلك ما يحدث فى بعض نواحى سلوك التملك . وبعض هذه الفوارق خاف دقيق ، ولكن له دلالته ، ويجب أن يكون له تأثير على نظرتنا وموقفنا كآباء ومربين .

وسلالم النمو تتناول الأمور النسبية لا المطلقة ، وليس فى وسع شىء أن يكون أكثر تضليلا من المطلق ، وبخاصة فى سياسة الأطفال . والإطلاق بغير قيد يؤدى إلى الاستبداد وهذا بدوره يؤدى إلى العماية ، عماية عن حالة الطفل من حيث النمو وعن حاجاته النمائية . فالسرقة من وجهة النظر المطلقة هى دائماً سرقة ولكن استعمال سلم بسيط لسلوك التملك ، حتى ولو كان استعمالا خفاً ، يبين أن هناك فرقاً بين « اختلاس » يصدر من طفل السابعة وبين سرقة معينة يرتكبها ابن العاشرة .

فسلالم النمو إذن تمكننا من أن ننظر نظرة نمائية إلى نقط الضعف فى كفاية البشر وفى أخلاق الطفولة . والفلسفة النمائية تشد أزرها سلالم نمو محسوسة لاتكون بريئة من تشجيع سياسة التساهل فحسب بل تجعلنا أكثر تنبهاً إلى حاجات الأطفال النمائية ، ولمثل هذه الفلسفة دخل بعيد المدى فى انسجام العلاقات بين الوالد والمعلم والطفل .



العلاقة التى تربط بين الوالد والمعلم والطفل



يكاد يكون الوليد عند ولادته مندمجاً فى الكون اندماجاً تاماً بمعنى أنه ليس لديه أى إحساس بالذات ، أى إحساس يميز بين عالم الأشياء وعالم الأشخاص . ومع تقدمه فى النضج يأخذ بالتدريج فى التفريق بين الأشياء ، فيتعلم كيف يميز بين الحى وغير الحى ، ثم يكتشف على مهل ذاته الجثمانية ، فيصبح على تنبه مبهم إلى نفسه كشخصية ، ويكتشف والديه ، ويفرق بين الأصدقاء والغرباء ، وبين الأطفال والكبار ، وبين المعتدين والخيرين . ثم يكتشف أنه شخصية ذات قوة فعالة تتفاعل مع ما حولها ، تؤثر بأعمالها وتتأثر بأعمال غيرها .

وهو لا يفصح عن ذلك كله باللفظ ، بل يدخل النزعات الاجتماعية فى بناء شخصيته النامية ، ويكون ذلك فى الغالب عن طريق خبراته مع غيره من الناس ، والواقع أن شخصيته هى النتاج النهائى لجميع العلاقات الشخصية التى يتبادلها مع الناس فإذا كان ذلك النسيج المعقد من العلاقات سليم التكوين نزعت شخصيته إلى السلامة والصحة . وغنى عن البيان أن التنظيم الأساسى للشخصية يحدث فى خلال السنوات الخمس الأولى من الحياة .

وإذن تكون علاقات الوالد بالطفل فى الحياة العائلية ذات أهمية حاسمة فى الصوغ المبكر لأنماط الشخصية ، فالبيت الحسن التنظيم الذى يسبغ على الطفل رعاية والديه

سوية خير كفيل يضمن الصحة العقلية فى الطفل النامى ، والمدرسة طبعاً لا تستطيع أن تجنى أقصى الثمار إلا إذا عملت فى انسجام مع مثل ذلك البيت . بيد أن هـذا الانسجام يجب أن يكون ذا شعبتين ، وألا يقف الطفل فيه موقف المتفرج البرىء فحسب . وفى الحق أن الطفل من الخامسة إلى العاشرة يقف على رأس مثلث من القوى المتبادلة بين الناس ، وواضح أن الحياة تكون عليه أسهل لو كان واجبه أن يتواءم وفق والديه وحدهما أو وفق معلميه فقط ، ولـكنه مضطر لأن يتواءم وفق كل من هاتين المجموعتين من الـكبار الراشدين . وتكون المهمة فى بعض الأحايين مزدوجة الصعوبة ، عندما يعجز الـكبار فى البيت والمدرسة عن التفاهم لتوحيد وجهة النظر . والرسم التوضيحى المرافق بأسهمه المزدوجة الاتجاه يبين المجال الثلثى الذى تظف فيه كل هذه القوى المتبادلة بين الجميع .

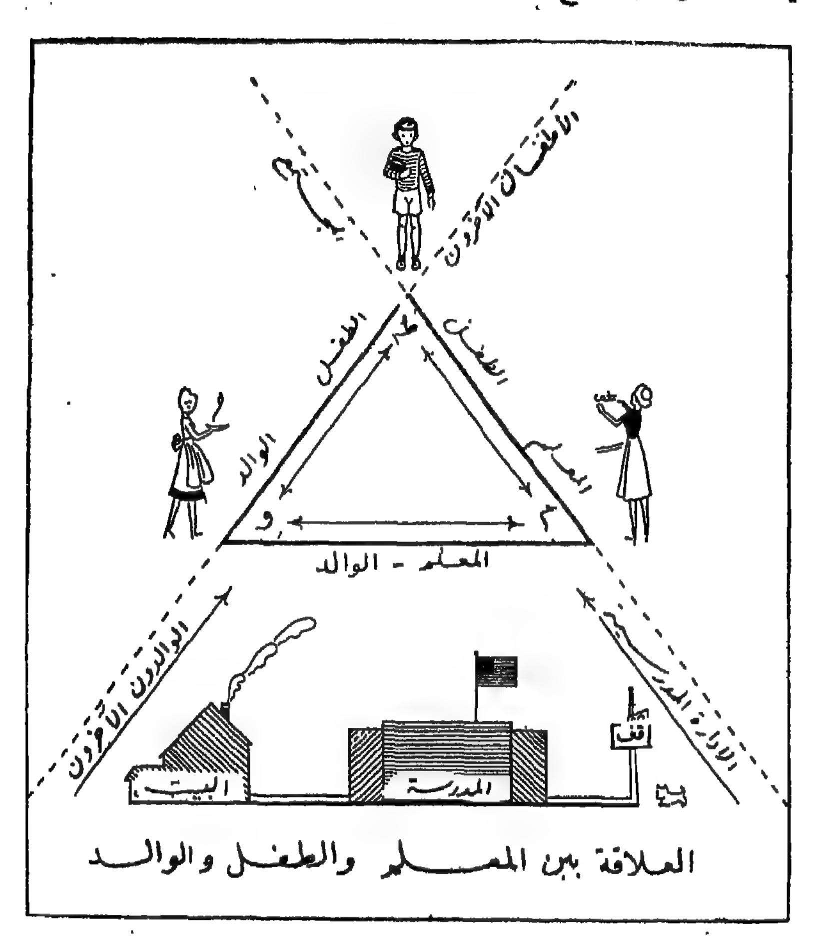
وربما كانت خير الوسائل لتفهم معنى علاقة المعلم بالتلميذ ومكنيتها هى مقارنتها بمثالها الأول الذى طبعت على غراره وهو علاقة الوالد بطفله ، فما هى أوجه الشبه ؟ وما هى الفوارق ؟ .

(١) تقوم العلاقة بين الوالد وطفله على الوراثة أو القرابة ، وترتكز العلاقة بين المدرس والطفل على السلطة المخولة من الدولة ، وهذه السلطة جليلة رهيبة ، وهى من وجهة النظر التربوية تخلع على المدرس ميزة أكيدة لأنها تضع المعلم (أو المعلمة) فى موضع يجعله ينظر إلى المشا كل المتصلة بنمو الطفل نظرة واقعية .

(٢) إن حجم أسرة المعلم كبير ، وهذا بالطبع يضفى على العلاقة بين الوالد وطفله ميزة جوهرية . غير أننا إذا تذكرنا أن الوالد لا يستطيع أن يخصص بكيفية مباشرة إلا جزءاً يسيراً من وقته لمهمة تربية الأطفال علمنا أن كفة المزايا ليست راجحة فى جانب المنزل تماماً ، وتظفر المعلمة فوق هذا بتعزيز نفسانى هائل يأتيها عن طريق احتكاك المجموعة المدرسية بالطفل كفرد منها ، فى استطاعتها استخدام المجموعة للتأثير على الطفل .

(٣) إن ما يظلل البيت من ألفة وثيقة وما يميزه من حجم محدود يتيح للوالدين الطبيعيين أقصى الفرص للتعرف على خصائص أطفالهما ، على أن المعلم من هذه الناحية

أيضا لا يشوب بالحرمان التام إذا كان مدربا تدريبا مهنيا على إدراك الفوارق الفردية . زد على ذلك أن المعلم يشهد الطفل كعضو فى جماعة متعاونة ، وهذا من شأنه أن يبرز للعيان خصائص لا يستطيع المنزل أن يكشف عنها .



رسم توضيحى يمثل العلاقات المتفاعلة بين الوالد (و) والطفل (ط) والمعلم (م) . وبؤرة الاهتمام فيه هى الطفل فسعادته وفلاحه لا تتأثر فقط بعلاقاته بوالده ومعلمه بل تتأثر أيضاً بالعلاقات المتبادلة بين هذين . ونظرة الوالدين والمعلمين بدورها تتأثر بالمجتمع الذى يحدد بدوره مستويات موظفى المدارس وسياستهم . ويتأثر إلى حد كبير الوضع المهنى والأساليب المهنية للمعلمين بنوع الإدارة المدرسية .

(٤) تكون الروابط العاطفية بين الوالد وطفله أثناء السنوات الأولى فى المدرسة أقوى من التى بين المعلمة والطفل ، والمعلمة الماهرة تجل هذا الفارق ولا تحاول أن

تظف بديلا عن الأم . والمعلمة محبة أفلاطونية مستنيرة توزعها على تلاميذها رغبة منها فى سد حاجاتهم النمائية فتعطى لبعضهم نصيبا أوفر من الذى تعطيه للبعض الآخر ، فصداقتها هذه تتسم بالقبول والسلامة والإنسانية . وما أتعس ذلك الطفل الذى يتعلم فى فصل يخيم عليه جو كريه منفّر ملىء بالتسلط والغطرسة إلى حد يزعزع شعوره بالاطمئنان والأمن .

لم تعد غرفة الدراسة التى يغشاها الاستبداد — شأن المنزل الاستبدادى الذى كان فيا غبر من الأيام — لم تعد أمراً يتفق وروح الدمقراطية ، وذلك أننا أدركنا منذ الحرب العظمى الثانية أن مصادر الروح الدمقراطية ومغارسها يجب أن تلتمس فى بيوت الشعب ومدارسه ، أعنى فى طريقة عيش الناس بعضهم مع بعض ، تلك التى تسود علاقات الوالد بالطفل ، والمعلم بالطفل . ورب سائل يقول . أليس الأطفال بحاجة إلى التأديب ؟ بلى ، ولكن التأديب بوصفه شكلا من أشكال الحكم يمكن أن يكون أتقراطيا أو دمقراطيا ، وهو يستطيع أن يتحدى قوانين النمو كما أنه يستطيع الإذعان لها فى دماثة وتواضع .

وإذا حللنا العلاقات المستنيرة بين الوالد والطفل ، وبين المعلم والتلميذ من الناحية النفسية ، وجدناها تشترك فى ثلاثة مقومات :

١ — مراعاة شعور الآخرين ٢ — إحساس بالفكاهة ٣ — فلسفة للنمو .

(١) مراعاة شعور الآخرين : مراعاة شعور الناس هى الأمر الجوهرى الأول ، وإن العبارة نفسها تحمل فى طياتها فكرة احترام كرامة الفرد ، وقد أحسن من قال إن رعاية شعور الآخرين إنما هى فى حد ذاتها نظام اجتماعى ، ولا شك أنها تعين على نمو الاتجاهات الدمقراطية .

فلو بدأ الوالدون والمعلمون عملهم مفترضين سلفاً أنهم يستطيعون أن يتفضلوا على الطفل فيحوروه ويصبغوه فى قالب معد من قبل ، فإنه مقضى عليهم بأن يصيروا أتقراطيين إلى حد ما ، ولو أن الوالدين على النقيض من ذلك بدأوا عملهم مفترضين أن كل طفل ينحدر إلى هذا العالم بفرديته الفريدة ، فلا مناص من أن يصيروا أكثر مراعاة للشعور ، وذلك لأن واجبهم سيكون تفهم فردية الطفل وإعطاءها أحسن

ما فى المستطاع من فرص لتنمو وتكشف قدراتها ، ويصدق هذا أيضاً على المعلمين .

فمراعاة الشعور ، بالمعنى الذى نستعمل فيه اللفظ هنا ، ليست مجرد دماثة اجتماعية أو منزلية فحسب بل هى ضرب من الفن ، أو قل إنها نوع من سعة الإدراك وقوة الخيال يمكّن الإنسان من فهم اتجاهات إنسان آخر ، فهى نوع واع من السماحة يعترف بما لدى الأفراد الآخرين من خصائص مميزة ، هى صورة ناشطة فعالة من صورة التأدب

(٢) الإحساس بالفكاهة : لا يؤثر عن الحكومات الدكتاتورية[1] الإحساس بالفكاهة ، بل تمتاز بإعوازها فى ذلك إلى حد يجعلنا نؤمن بحق أن الإحساس بالفكاهة له عند الديمقراطيات نوع من الأهمية .

فالإحساس بالفكاهة هو إحساس بالتناسب فيه مرونة ، ووظيفته صون الفرد من أن يصبح آليا جامداً ، وهو للعقل نوع من اللعب شبيه بالتمتع بالحرية ، فإذا كان المعلم على نصيب منه صان له صحته النفسية وصان صحة تلاميذه أيضا ، فالفكاهة صمام أمن ينفس عن التوترات التى فى غير محلها وعن صرامة التأديب غير الحكيم ، فغرفة الدراسة التى يتجاوز فيها الجد حده تغتصب من الأطفال حق التماس السعادة الذى دعى إليه جفرسن .

(٣) فلسفة للنمو : إن شخصية الطفل إنما هى ثمرة لنمو تدريجى متمهل ، والجهاز العصبى للطفل ينضج على مراحل وفى تسلسلات طبيعية ، فهو يجلس قبل أن يقف ، ويناغى قبل أن يتكلم ، ويقول « لا » قبل أن يقول « نعم » ويختلق قبل أن يقول الصدق ، ويرسم دائرة قبل أن يرسم مربعا ، وهو أنانى محب لذاته قبل أن يكون مؤثراً عليها يحب الخير لغيره ، وهو يعتمد على الآخرين قبل أن يصير أهلا للاعتماد على نفسه . فجميع قدراته بما فى ذلك أخلاقياته خاضعة لقوانين النمو . وليس المقصود بمهمة رعاية الطفل أن يصب من الناحية السلوكية فى قالب مجهز له من قبل وإنما المقصود بها مساعدته خطوة فخطوة وتوجيه نموه فى الاتجاه الصحيح .

---

(١) Fascism

وليس معنى الفلسفة النمائية التساهل والتسامح ، بل هى عوضاً عن ذلك التكيف الإنشائى تبعاً للقيود التى تصحب عدم النضج ، فإذا أعوز المعلم مثل هـذه الفلسفة فقد يستخدم الصارم من طرق التأديب ، والخاطئ من أساليب التعليم التى ابتكرت لإخضاع التلاميذ والوصول بهم إلى مستوى واحد منسق ، وإن أعوز الوالد (أو الوالدة) مثل هذه الفلسفة فإنه قد يتهم المعلم ظلماً بعدم موالاة النهوض بطفله إلى المستوى الواجب من التحصيل ومن الأخلاق .

وأحياناً يفشل المعلم كما يفشل الوالد فى أن يفهما أن مشكلات سلوك الطفل تنجم عما استقر فى نفسه نحو الكبار فى كل من البيت والمدرسة من اتجاهات متعارضة ، ولا حاجة بنا إلى القول أن على الوالدين تجنب إبداء ملاحظات عن معلم طفلهم فى غير تدبر ، أو ملاحظات تؤدى إلى الحيرة أو الارتباك ، كما يجب أن يبذلوا كل ما فى وسعهم لتوطيد مكانته المشروعة . ولن يتحقق التفاهم المتبادل بدون قيام وحدة فى الهدف واتفاق على السياسة المتبعة فى إدارة شئون المدرسة خاصة كانت أو عامة .

وقد أصبح نظام المـدارس العامة فى أمريكا أداة لا غنى عنها لضمان استمرار الدمقراطية فيها ، ومنذ زمن يرجع إلى سنة ١٩٣٥ استطاع مجلس السياسات التعليمية (الذى أقامته جمعية التربية القومية والجمعية الأمريكية لمديرى المدارس) أن يصل إلى نتائج جوهرية ثلاث :

(١) إن أسلوب الحياة الدمقراطى يلقى تحديا داخل البلاد وخارجها .

(٢) إن المدارس العامة هى دعامة الدمقراطية وخط دفاعها الأول .

(٣) إن أكثر المشاكل المواجهة لمهنة التدريس إلحاحا وأشدها من الناحية العملية حدة هى تحقيق الدمقراطية وصيانتها عن طريق التعليم .

وقد أنجزت جمعيات « الوالدين والمعلمين » عملا هاما يعد فى الطليعة بتقريب المسافة بين البيت والمدرسة وخلق اتحاد أوثق بينهما ، ولا يزال أمام هذه الجمعيات أن تؤدى خدمة أخرى ضرورية ، على أن هـــذه الجمعيات بالغت فى الاعتماد على

الاجتماعات التى تضم الجماعات ، وعلى أيام العرض ، وعلى البرامج الرسمية وعلى مناشدة الجماهير ، للوصول إلى غاياتهم المبتغاة ، وسيلقى نظام المدارس العامة فى العصر الذى يلى الحرب ألوانا جديدة من الضغط فى سبيل الربط بين تعليم الآباء والأمهات وتعليم أطفالهم بروابط أدنى إلى الألفة الوثيقة . وسيحتاج ذلك إلى أن يلتقى الوالد والمعلم فى مداولات فردية تتسم بالطابع الشخصى ، غير أنه ينبغى ألا تكون هذه المداولات قائمة على أساس عرَضى فقط ، بل إن فى الإمكان جعلها من الأجزاء المميزة فى صميم البرنامج التربوى بأجمعه ، وذلك بتخفيف الإفراط فى التشديد على ضرورة مداومة حضور التلميذ إلى المدرسة . وإن فى الإمكان تعديل جدول الدراسة السنوى المعتاد ، بمدارس الريف والقرى والمدن على السواء ، تعديلا يفسح المجال للأحاديث الخاصة وللمشاورات .

ومثل هذه الترتيبات المطبوعة بالطابع الفردى تنزع إلى صبغ أعمال المدرسة بصبغة إنسانية ، وإلى مقاومة الجنوح إلى روح الجندية الأمر الذى لا يتسق البتة مع ثقافة دمقراطية ، فما أحوج مدارسنا إلى من يقطع عليها بمثل هذه الوسيلة مجرى سيرتها المألوفة ، فإن انقسامها إلى خانات فى تجمعات متجانسة وإلى طبقات بعضها فوق بعض أخذ يتزايد ويشتد . ويجب أن تزداد الاختلاط بين صغار الأطفال وكبارهم وأن تزداد الاتصالات بين آباء المستقبل الذين فى الفصول الثانوية وبين الأولاد والبنات فى الفصول الابتدائية ، كما يجب أن يزداد التبادل المرن بين الوالدين والمعلمين . وقد نُعت نظام المدارس العامة بأنه من أشد نظمنا استبداداً ، فإن صح هذا فإن إصلاح الحال لا يكون إلا بتخفيف صرامة الإدارة المدرسية السائدة ، وتحطيم الحواجز التى تحول دون قيام علاقات إنسانية فى حرية أوسع .

هذه هى الاعتبارات العريضة التى تجعل تحسين العلاقة التى تربط بين الوالدين والمعلمين والأطفال ضروريا وحيويا جدا بالنسبة لحضارتنا ، فهذه العلاقة ذات ثلاث شعب ، والطفل بروابطه المزدوجة يكون حلقة متوسطة ويخلق بذلك رباطا ثالثا من المسئولية بين الوالدين والمعلمين . ولن يتسنى للمسئولية أن تصير متبادلة إلا عن طريق اتحاد وجهتى النظر بالنسبة لما يجب أن يكون عليه الطفل من سعادة من ناحية

نموه ، وهذا بدوره يحتاج إلى ما هو فوق اختبارات التحصيل العلمي ومقاييس الذكاء وبطاقات التقارير المدرّجة ، وذلك بأن يقلل كل من البيت والمدرسة على السواء من التعويل على المنافسة ، وأن يصير أكثر اهتماما حقيقيا بطبيعة شخصية الطفل وحاجاتها.

ويتوفر هذا الكتاب على تلخيص خصائص الشخصية بدلالة النضج النمائي والثقافة البيئية . ولم يركز الاهتمام على التقدم من الناحية العلمية بل على عتاده الجوهرى من السلوك(١) — ، أي مهاراته وتصرفاته الحركية وحياته الانفعالية وتصوره لكل من الخطأ والصواب وتواؤماته الاجتماعية وإحساسه بذاته واتجاهاته الجنسية ولعباته وألعابه ومناشطه التلقائية ومهماته المدرسية وتبيّنه لموضعه واتجاهه في عالم الطبيعة وفي عالم الجماعة البشرية الذي يزداد امتداداً واتساعا .

هذه هي الأساسيات الجوهرية الحقة للحياة المتمدينة ، وهي وحدها التي تستطيع جر المعلم والوالد والطفل إلى تفاعل حيوى له آثاره . وإنا لنسمع الكثير عن ترسيخ مُثل الديمقراطية العليا في الأذهان ، ولترسيخ المبادئ في الأذهان دورٌ هام ، وأهم منه وأعظم ، تطبيق هذه المثل العليا كأسلوب من الحياة على العلاقة اليومية بين الوالد والمعلم والطفل .

كلمة خاصـــة إلى الآباء

تتفتح على الآباء اليوم أبواب عهد جديد ، فوضع الأطفال في العائلة آخذ في التغير ، ودور الأب في البيت في تغير مقابل . فمنذ أمد غير بعيد كان الوالد ملكا حقاً وكلمته هي القانون ، وكان القانون صارماً ، وكان يضع نفسه بمعزل عن شئون أطفاله البسيطة التي تجرى كل يوم ، مدخراً سلطانه لمناسبات أسمى تتصل بالتأديب والتحذير ، ولم يكن ليلين قناة حتى أنه كان أثناء فترة الحمل الطويلة يلتزم اعتزالا يليق بمهابته .

واليوم كل هذا في تغير بفعل تيار القوى الثقافية الجارف الذى لا يدافع ، فالآباء يشاطرون مشاطرة فعالة في حمل الأعباء اليومية الكثيرة التي تصحب تربية الأطفال .

---

(١) equipment أي ما تجمع لديه من خبرات سلوكية .

فالمشاركة لا الانعزال هي المتجه الجديد . وإن ما تختص به فترة الحمل وصحة الأمومة اليوم من اهتمام بوضع الخطط اللازمة لها لآية تؤذن بتقدم جديد في أساليب الحياة ، والمسرحية الناجحة المسماة « الحياة مع الأب » التي مثلت في برودواى شجعتنا على أن نلوح بأيدينا في سرور مودعين « رب العائلة » الذي ساد في الأيام الخالية الطيبة .

والأب المصرى يمر الآن في مرحلة اكتشاف دوره الجديد ، وقد اكتشف بالفعل أنه لم يعد يقنع بالمساعدة عند الطوارئ الفاجئة في التغذية الليلية والغسيل ، ولا بالاتصالات العرضية بأطفاله في الأمسية أو بعد ظهر السبت . ويدهشه إلى حد ما أن يجد طفله في بعض الأحايين لا يستجيب لتقربه منه تقربا سليم القصد عامراً بالمحبة ، كما يجد الأب طفله في بعض الأعمار خيرا منه في بعضها الآخر ، ولعله نعيم بوجه خاص بسلوكه في سن الثالثة أو الخامسة ثم بُهت لسلوكه في سن السادسة . وبعض الآباء لا تستقر علاقته بابنه على أساس من الصحبة التي ترتاح إليها النفس إلا حين يبلغ الابن سن التاسعة أو العاشرة ، وعندها يسمو ما بينهما من صلة إلى علاقة الرجل بالرجل .

أجل إن بعض الأعمار أسلس وأبهج من بعضها الآخر ، لكنها جميعا شائقة وذات دلالة ، ولن تصل علاقة الطفل بالأب إلى مستوى من الاستثارة الكاملة حتى يشترك الوالدان معاً في بذل الجهد التماسا لفهم خصائص الطفل الدائمة التغير عند كل مرحلة جديدة من مراحل تقدم النضج ، وهذا يتطلب منا أن ننظر نظرة نمائية شاملة إلى جميع مشكلات العناية بالأطفال وسياستهم ، كما يتطلب منا أن نتعرف على مكنيات النمو تعرفا يتزايد عمقا ونفاذا .

إننا نعيش في عصر صناعي ولا داعي لتخوفنا من فكرة المكنيات وتصورها ، والآباء بوجه خاص يعرفون شيئاً عن دقة الآلات والمكنات وضبطها وجمالها ، وما أسرع ما يثب فكرهم إلى المنشآت الذرية والدارات الإلكترونية والموجات الطويلة والقصيرة وترددات الموجات ، وهم يتشوقون لمعرفة ما يجعل الطفل يدق كما تدق الآلة . ولا يحط من قدر الطفل أو الأب تطبيق الفكر الآلية والصور

الميكانيكية على النواحى المتعددة لعجائب سلوك الطفل ونموه الفردى . وهذه الفكر والتصورات لا تحل لغز الحياة ولكنها تقوى إيماننا بأن الحياة والنمو يسيران وفق قوانين مرعية .

وهى تساعدنا على أن نفهم لماذا كانت مسالك النمو عند الطفل لولبية إلى حد كبير ، ومع ذلك منسقة أنماطاً ومتوازنة إلى أقصى حد بتأثير نزعة شاملة لتحقيق أسمى ما نرجوه للطفل . ومثل هذا النوع من الاستبصار يفضى بنا إلى فهم أعمق للفوارق الفردية ويتجه بنا صوب تسامح فلسفى وتقدير أقوى وأكثر حيوية لمعنى الحضانة والطفولة .

وإنا لندعو بمنتهى الاحترام جميع الآباء الذين قد يقع هذا الكتاب فى أيديهم أن يعدوه كتاب دراسة تمهيدية فى فن الاكتناه النفسى[1] الذى يعالج مكنيات نمو الطفل ، وبالتالى تحسين صلات الوالد بالطفل .

(١) Psychotechnology

القسم الثاني

نمو الرجل كنمو الطبيعة ،

يتركز فى الداخل ،

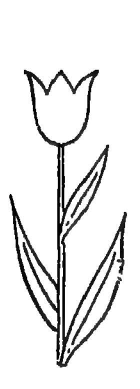
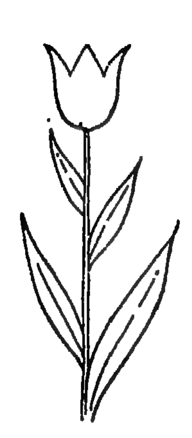
يذكيه الهواء والشمس ،

لكنه ينشط من تلقاء نفسه .

إميلى دكنسن



٤
السنوات الأربع الأولى

إن دورة التطور البشرى مستمرة فكل نمو يبنى على نمو سابق له ، ومن ثم تكون عملية النمو خليطا عجيبا محيرا من الخلق والتخليد ، فالطفل على الدوام صائر شيئا جديداً ، ومع ذلك فهو يجمع دائما خلاصة ماضيه ، فنفسانيته فى سن الخامسة هى « الثمرة الناتجة » عن كل ما حدث له فى أثناء السنوات الأربع التى أعقبت مولده والأربعين أسبوعا التى سبقت ذلك الميلاد ، فالماضى كله بمثابة تمهيد للحاضر .

١ — الحضين الحديث الولادة

يؤذن الميلاد بوصول الفرد لا ببدايته ، فالبدايات الحقة ترجع إلى مدى العلقة والجنين حين تتخذ أنسجة البدن وأعضاؤه صورتها ، وحين ترتسم بعمق وتتشكل مقدما صور السلوك المقبل نفسه ، بل إن أنواع بنية الجسم ترسم مقدما ربعة مكينة أو مستديرة لينة أو صنارية ضعيفة ، وكذلك توضع أسس طرائق الاستجابة التى تتميز بها أنواع البنيات المختلفة .

أما تكوين أنماط السلوك فيتخذ طريقه فى بكور ملحوظ ، فبعد أربعة أسابيع من الحمل ينبض القلب ، وبعد ثمانية أسابيع تحدث الرأس والجذع حركات دقيقة

صغرى ، وبعد اثنى عشر أسبوعاً تتثنى اليدان ، وبعد أربعة وعشرين أسبوعاً يصبح الصدر قادراً على الحركات المتعاقبة المنتظمة ، وبعد أسابيع من الثامن والعشرين إلى الأربعين قد تبلغ جميع الوظائف الجسدية (الفسيولوجية) من النضج ما يكفى لضمان بقاء الجنين إن ولد .

وما يكاد الصغير يولد حتى يصبح لزاما عليه أن يكافح من أجل بقائه نفسه . وبمعاونة الفطرة وعناية القائمين عليه لابد أن يبلغ بالوظائف المتنوعة لأعضاء جسمه كالتنفس وتنظيم الحرارة والهضم والإخراج والنوم والاستيقاظ حد التناسق الكافى ، وبينما هو يقوم بهذه المواءمات المبكرة فى حياته يبدو مزعزعا غير متزن ، وتكون بدايات استجاباته ضعيفة وفيها تناقض فإنه يجفل ويعطس ويرتجف ويبكى لأتفه استثارة ويكون تنفسه ودرجات حرارة جسمه غير منتظمة بل ربما ابتلع فى الاتجاه الخاطىء ! وقد جرت العادة أن يتغلب على عواصف التكيف ويستقر إلى اتزان نسبى فى بضعة أسابيع ، ولكن هذه التحولات الأولى تكلفه من العناء ما يسوغ لنا أن نقول إن الطفل لا يكون ميلاده قد تم حقا إلا عندما يبلغ الأربعة أسابيع .

وليس فى الإمكان رسم فاصل دقيق بين الوظائف الجسدية والنفسية . والعامل الذى يحدد مرضاة الطفل وحاجاته ومهماته وحوافزه هو حالة جهازه العضوى بأكمله وما يندرج تحتها من أيض[1] ومن كيمياء سوائله البدنية ومن توتر جهازه العضلى ، وإن كثيراً من سلوكه ليتصل طيلة حضانته اتصالا مباشراً بالوظائف المعقدة من تغذية إلى نوم إلى قضاء ضرورة ، بل إن اكتساب الكلام يتضمن المزج من جديد بين أنماط سلوك التغذية والتنفس ، وهى عملية اقتضى صقلها وبلوغها حد الكمال فى البشر ملايين عدة من السنين ، ومن ثم فالوظائف النمائية الدنيا تندمج فى الجهاز الحركى النامى ، وهى تلون الأنماط الانفعالية والاتجاهات المزاجية . والجهاز العصبى المستقل الذى يتحكم فى هذه الوظائف يعمل فى تضامن وثيق مع الجهاز العصبى المخى الشوكى الذى يسيطر على الإحساس والحركة . والرضيع الحديث

---

(١) Metabolism ما يحدث للغذاء من تغير فى الخلايا .

الولادة لديه بالفعل كل ما يحتاج إليه من أجهزة لازمة للشعور والإحساس والتحرك كما أن نموه العقلى أخذ يشق طريقه .

وسيتقدم الطفل فى السنوات الأربع التالية تقدماً مدهشاً لن تراه يتقدم بمثل سرعته أبداً بعد ذلك ، لأنه فى تلك الأثناء ينشىء قاعدة متسعة لهرم يتوالى ارتفاعه خلال السنوات من الخامسة إلى العاشرة ، ويكون فى أثناء النصف الأول من هذا العقد الأول من حياته طفلا منزلياً قبل كل شىء ، وأما فى النصف الثانى فيكون طفلا يتوزّعه البيت والمدرسة ، فهو يتقدم فى تعاقب سريع من طست الحمام إلى المهد إلى الكرسى العالى إلى حظيرة اللعب[1] ثم إلى المدخل المسقوف للدار فإفريز الشارع فغرفة الحضانة فحجرة الدراسة ، إلى الفرقة الأولى فالثانية فالثالثة فالرابعة فالخامسة ، وهذه بالمعنى النمائى رحلة طويلة وسريعة أيضاً .

وسيوجز هذا الفصل وصف الشوط النمائى الذى يقطعه الطفل فى نموه أثناء السنوات الأربع الأولى وبيان خصائصه ، وذلك بالوقوف عند صُوَى الأسابيع الرابع والسادس عشر والثامن والعشرين والأربعين ، والأشهر الثانى عشر والخامس عشر والثامن عشر ، والسنوات الثانية والثانية والنصف والثالثة والرابعة[2] . ولا يتلكأ الطفل عند أية واحدة من هذه الصوى ولذا سنبرز الدفعة المستمرة التى تحمله قدماً فى طريقه إلى الأمام ، لكننا نستطيع الحصول على فكرة عن تكوين سلوكه المتغير وهو يجتاز الطريق إلى غاياته المتتابعة إذا استعنا بعشر رسوم تخطيطية تُرسم عن طريق تصور إيقاف الحركة لحظات عند كل صوة .

٢ — سن ٤ أسابيع

لم يعد الوليد ابن الشهر مجرد مبتدىء فى فن الحياة الأوّلى ، فهو يتنفس بانتظام وقلبه قد ثبّت سرعته ، وانتظمت درجة حرارة جسمه بعد الاضطراب ، وحالة

---

(١) مساحة صغيرة مسورة يلعب الطفل داخلها .

(٢) إن شاء القارىء الحصول على بيان تفصيلى عن مراحل النمو هذه ، فليرجع إلى شقيق هذا الكتاب «الحضين والطفل فى حضارة اليوم» تأليف جزل وإلج ونشر هاربر سنة ١٩٤٣

عضله الاستجابية أقل تقلباً عما كانت عليه منذ زمن بعيد حين كان حديث الولادة فحسب . ولديه مدخرات من بدايات التقلص العضلى يستدرها ليستجيب حركياً بشد جسمه حين نحمله ، وهذا يجعله يشعر بأنه أقل رخاوة وأكثر تماسكا ، كما أنه يصير بفضل ما أصاب من زيادة فى التقلص العضلى أكفأ وأقدر على مواجهة صدمات القـدر .

وقد أصبحت ردود الأفعال عنده (أى كيفية استجاباته) منـذ ميلاده أكثر تشكلا وأوضح صورة فنومه آكد واستيقاظه أقطع ، إذ يفتح عينيه عن آخرهما ولا يستسلم كثيراً إلى نعاس خفيف مبهم ، وفى يقظته يرقد فى العادة ورأسه منحرف إلى ناحية يؤثرها وكثيراً ما يمد الذراع فى تلك الناحية ، ويثنى الذراع الأخرى فى مستوى الكتف فى هيئة تشبه لاعب الشيش ، وهو يتخذ وضعة الجسم هـذه التى هى المنعكس التوترى للعنق من حين إلى حين ، وينشطها بمختلف الحركات كأنما هى تمرين نمائى ، وإنها فى الواقع لكذلك ، فبواسطتها تضع الفطرة أساس التآزر بين العيون والأيدى .

ولن تمضى بضعة أسابيع أخرى حتى يشرع الوليد ينظر فى اتجاه الذراع الممدودة ويلمح يده بناظريه ، ويستطيع حتى فى تلك الآونة أن يرى شيئاً متحركا يتدلى بالقرب من عينيه وأن يتعقبه بهما فترة وجيزة ، ولكن يداه تظلان متقبضتين فهو لم يتهيأ بعد لمد يديه أو بسطهما .

وهو لا يظهر الانتباه إلا بقدر ما تسمح له قدرته السلوكية ، وسيصدُق هـذا عليه دائماً حتى بعد أن يبلغ سن المدرسة ، أما الآن فيظهر عليه بوضوح الانتباه إلى كل الإحساسات المتصلة بحسن سير الهضم والتى تغمره بعد الأكل ، وإلى الدفء العظيم الذى يناله من الاستحمام . وقد يجمد فى بعض الأحايين عن كل حركة من فرط اهتمامه وهو يتأمل وجه أمه . وأنماط انفعاله بسيطة جداً إن جاز لنا أن نحكم بما يبدو على أسارير وجهه بصفة عامة من عدم تأثر ، ومع ذلك فإنه يستجيب استجابة إيجابية لما يريحه ويرضيه واستجابة سلبية لما يلقاه من ألم أو حرمان ، فهو يبكى ويصغى وقد تصدر عن حنجرته أحياناً أصوات خلقية ضعيفة .

وفى علامات السلوك هـذه كلها نرى بدايات نمو اللغة والائتلاف والإدراك والذكاء ووضعة الجسم بل والتنقـل الحركى نفسه ، والجهاز الحركى العصبى (النيورونى) آخذ فى الانتظام بسرعة ، فالعقل فى نمو .

٤ — سن ١٦ أسبوعا

يكون الجهاز الحركى العصبى عند سن ستة عشر أسبوعا قد بلغ من الإحكام حداً لا يرضى معه الطفل دائما بالرقاد على ظهره ، فهو يحب أن يُوضع فترات وجيزة فى هيئة الجلوس حتى يستطيع مواجهة العالم وعيناه شاخصتان إلى الأمام ، وفى هذا الوضع يستطيع أن ينصب رأسه ، وهو أول مقومات الوضعة القائمة التى سوف تمكنه فى مدى سنة أخرى من المشى وحده ، فالتسلط على الرأس والعينين يسبق التسلط على القدمين .

وقد اكتسب ابن الستة عشر أسبوعاً سيطرة عظيمة على الأزواج الستة من عضلات الكشف التى تحرك عينيه فى تجويفهما ، وتتركز عيناه على يده ثم تنقلان بؤرة تركزهما إلى شىء قريب ، وكذلك تتعقبان لعبة مدلاة تتحرك فى نصف دائرة . فالعينان فى سبيلهما إلى خفة الحركة وسرعتها .

وفى طريقة تلذذ الحضين فى سن ستة عشر أسبوعاً بوضعة الجلوس شىء من التنبؤ ، فإن عينيه تلتمعان ونبضه يقوى وتنفسه يسرع ، ويبتسم حين يُحول من الوضع الأفقى إلى الرأسى إذ فيه توسعة للأفق البصرى فوق كونه فوزا رياضيا ، كما أن فيه تعرفا لموضعه الجديد الاجتماعى .

وقد اتسعت إلى حد كبير آفاق سلوكه الاجتماعى ، الشخصى منه والمتبادل مع الناس فهو يناغى معلناً رضاه ويضحك فى هدوء أو يقهقه ولم يكن ليبتسم إلا فى المناسبات المتصلة بالمعدة ، أما الآن فهو يقلد الابتسامة الاجتماعية ، كما أنه يبتسم مستجيبا ويجهر بصوته إذا أقبل الناس عليه .

ولم يعد التقبض غالباً على يديه بل أخذ انقباضهما ينحل وسرعان ما تصبحان قادرتين على الامتداد نحو الأشياء على أن الطفل يكتفى فى الوقت الحاضر بمد بصره

إليها ، فبعينيه يفتش وينظر فى ترقب ، بل قد يوجههما إلى بعض التفاصيل الصغيرة فى البيئة الواقعة تحت بصره ، وهو يربط بين الصوت والنظر ويلحظ مدركا عند ما يسمع ويرى طعامه يجهز ، ويستجيب لكل شاردة وواردة ويظل ذلك عنده على الدوام جوهر الحكمة ولبابها .

والعادة بالوليد ذى الستة عشر أسبوعا أن يكون جيد التواؤم مع كل من عالمى الأشياء والأشخاص ، وهذا يعود من ناحية إلى كونه يستمد رضا وارتياحا كبيراً من استعمال عينيه بلا قيد ، ويهتاج ويتبرم إذا لم تنقع لظمئه البصرى غلة ، ويهدأ ويقر عيناً عندما يتعاون النبهان البصرى والاجتماعى فى سبيل إمداده بما يشتهيه من خبرة بصرية . ولكن هناك مطالب جديدة وراء الأفق ، فلا بد له فى القريب العاجل من أن يشبع نهم اليدين كما أشبع نهم العينين .

٤ — سن ٢٨ أسبوعا

ويجىء دور الجوع اللمسى بعد الجوع البصرى ، أو بالأحرى يتحد الاثنان الآن فالوليد فى سن الثمانية والعشرين أسبوعا مطبوع على تناول كل شىء يمكنه أن يضع عليه عينيه ويديه ، فسواء أ كان مستلقيا على ظهره أم جالسا فى كرسيه العالى فلابد له من شىء يمسكه بيده أو يضعه فى فمه ، وهو يحب أن يجلس منتصبا لأنه آخذ فى اكتساب السيطرة على عضلات جذعه ، وهى خطوة ثانية فى سبيل الوصول إلى الوضعة القائمة .

تأمل بأى انتباه مركز يمارس قواه النامية ، فإنه إذا رأى دبوسا للملابس على لوحة لعبه التقطه فى لحظة وحمله إلى شفتيه ولسانه التماسا للانطباعات اللمسية ودق به على اللوحة التماسا للصوت والحركة ونقله من يد إلى أخرى ثم أعاده ثانية ابتغاء الخبرة اليدوية ثم يفحصه وهو يقلبه رغبة فى الإدراك البصرى . ومثل هذا الانتباه التلهفى منشؤه حاجات النمو ، فلعب الصغير عمل وعمله لعب .

ونشاطه الذاتى يشغل عقله ويستحوذ عليه إلى حد كبير يجعله قادرا على تسلية نفسه مددا طويلة ، لكنه يستطيع أن يبتسم لناظريه كما أنه فى العادة يألف الوجوه المعهودة والغريبة على السواء . وإنه ليكشف حقا عن جمع رقيق بين الاحتواء الذاتى

وبين النزعة الاجتماعية ، ويتنقل بسهولة بين النشاط المنبعث من نفسه والنشاط الذى مرجعه إلى المجتمع ، وهو يصغى إلى الكلمات التى ينطقها الآخرون كما يصغى كذلك إلى ما يُصدره هو نفسه من أصوات .

وفى هذه السن تكون قدرات الطفل فى توازن حسن ، وتكون أنماط سلوكه واتجاهاته متلاقية متوائمة ، إذ يبلغ من انسجام تكوينه أنه لا يسبب للقائمين بأمره إلا قليلا من الارتباكات ، فهى فترة اتزان نمائى قصيرة الأجل ، وستمر عليه فترات مماثلة أثناء ما سيعقب ذلك من سنى نموه على أنها ستكون هى الأخرى عارضة سريعة الزوال ، فإن مركب النمو لا يستقر البتة استقراراً كاملا ، فللنمو وثباتٌ وتوترات جديدة تُحدث من عدم الاتزان ألواناً لا تلبث عراها أن تنحل بدورها فتحل محلها مرحلةٌ أخرى وقتية من التوازن النسبى .

ولوليد الأسابيع الثمانية والعشرين مشكلات كثيرة جديدة تتعلق بوضعة الجسم والتنقل الحركى وتناول الأشياء باليدين والسلوك الاجتماعى الشخصى ، ولا بد له من مواجهتها قبل أن يبلغ الأربعين أسبوعا ، ولا يمكن أن يظل طريق النمو الحقيق معبدا على الدوام . .

٥ — سن ٤٠ أسبوعا

تتسع الآفاق تبعاً لكل تقدم فى النضج الحركى يصيبه الصغير فحضين الأربعين أسبوعا يستطيع أن يحبو وهذا يوسع مدى مبادآته وخبراته توسعة عظيمة ، لكن لعل مماله دلالته ومغزاه أنه ينزع دائما إلى رفع رأسه منتصبا ومد عينيه أماما وهو يحبو ، ويبدى اهتماما خاصا بالسطوح الرأسية ألق بها يشد نفسه فيقف على قدميه ، وذلك لأن الوضعة القائمة هى هدفه النمائى ، وهو يقترب من هذا الهدف فى ضبط حركى كبير ففى إمكانه أن يجلس مستقلا تماما كما يستطيع الوقوف مستندا .

ويتقدم أيضا ضبطه الحركى الدقيق ، ضع أمامه خيطا على منضدة تجده يمسك به كالكماشة فى ضبط وسرعة ، وكان فى سن ثمانية وعشرين أسبوعا يصفع الخيط براحته المبسوطة ، فلئن أصبح الآن أكثر تميزا فذلك لأن ملايين لا عداد لها من

الاتصالات الدقيقة قد انتظمت بهدوء فى شبكة لوظائفه العصبية والعضلية ، فالفطرة تعمل بوجه خاص لجعل حدة أطراف أنامله الحساسة كاملة ، وهو خاضع لميل لا يقاوم يدفعه للوكز والدعبسة والنبش بأصبعه السبابة الممدودة .

وهذه وسيلة أخرى لتوسيع الأفق النفسى فهو إذ يدس يده مستطلعا يسبر غور البعد الثالث الذى هو العمق ويكتشف السر الطبيعى للوعاء وما وعى . ضع مكعبا فى فنجان أمامه تجده يمد يده فيه ويتحسس المكعب بأصابعه وذلك لأن عالمه المحسوس لم يعد منبسطا كما كان من قبل .

ثم إنه ينفذ أيضا فى بيئته الاجتماعية بتعمق أكبر ، ويزداد حذقه فى التفريق بين المألوفين له والغرباء عنه ، وهو يقلد الحركات والإيماءات وتعبيرات الوجه والأصوات ، وهو يعى قولك « لا ! لا ! » ويردد « دا ! دا ! » ولعله قد تعلم أحد ألاعيب الحضانة ، على أنه إن استطاع الآن أن يبطط كعكة ، مما يبتهج له الجميع ، فلا يرجع الفضل فى ذلك إلى تعليم الكبار بقدر ما يرجع إلى استعداده النمائى ، ولقد كان من المحال تماما تعليمه فى سن ثمانية وعشرين أسبوعا ألعوبة الحضانة هذه .

٦ — سن ١٢ شهرا

قد أتمت الأرض دورة كاملة حول الشمس منذ أن ولد الوليد — وهو عمر زمنى مقداره سنة واحدة ، والصغير يستطيع الآن أن يضع مكعبا فى فنجان ثم يطلقه من يده . وهو عمر نمائى مقداره سنة واحدة . وعمر الطفل إنما يكون على قدر سلوكه ، ولا بد أن يُقوّم الطفل من وجهة نظر التوجيه والتربية بدلالة مستوى النضج لقدراته ، وهو حين يبلغ السنة الأولى يستطيع فى العادة أن يدور حول حظيرته بنفسه ، على أنه فى المشى يحتاج معونة هادية مستمدة من يد ساندة .

والمهارات الحركية الكبيرة يتبدى فيها اختلاف فردى يفوق ما يتبدى فى السلوك الحركى الدقيق وفى السلوك التكيفى . ضع مرة أخرى خيطا على المنضدة تجد الطفل يقابل بمهارة إبهامه وسبابته ويجذب الخيط بينهما بسرعة ثم يُدلّى الشىء المربوط فى طرف الخيط ويهزه وبذا يقيم الدليل على تزايد إدراكه للعلاقات ، وهو يستطيع أن

يفكر ويستنتج فيمسك بمكعب ويلمس به مكعبا آخر ، أو يضع مكعبا فى صندوق أو فى راحة يد أمه المبسوطة لتلقيه .

فلو ترك الطفل لسجيته وأمامه اثنا عشر مكعبا لأظهر نمطا سلوكيا يعلمنا الكثير ، فإنه يلتقط أحد المكعبات ثم يسقطه ويلتقط مكعبا آخر ويسقطه ثم يلتقط ثالثا ويدعه يقع ، ويتم كل هذا بطريقة لا تخلو من عدم النظام ، على أن جميع قوانين النمو تنبئنا بأن تناول المكعبات واحدا بعد الآخر على هذا النوال ينبغى أن يُعد الخطوة الأولى فى سلم الرياضيات !! فهو ليس بأقل من عدّ بدائى . وليس هذا النمط الرائع من السلوك ثمرة التقليد والمحاكاة ولا هو ناشىء عن تأثير ثقافى ، وإن كانت الثقافة ستمده فى الأوان المناسب بالعناوين المناسبة التى هى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .. الخ وسيأتى الزمن الذى تصبح فيه تلك العناوين رموزا حقيقية ويستمتع الطفل عندئذ بما يقابلها من مدركات ، ولكن لم يحن الوقت بعد !!

وابن السنة يستطيع فى المواقف الاجتماعية أيضاً أن يفكر ويستنبط ، فهو يحب نظارة يستمعون له ويعيد تمثيل الأفعال التى أضحكت ويستمتع بجميع أنواع لعب الغدو والرواح المنزلية ، وهذا التجاوب الاجتماعى أساسه تزايد قوة الإدراك العاطفى عنده مما يساعده على قراءة مشاعر الآخرين بدقة أكثر من ذى قبل .

٧ — سن ١٥ شهرا

وفى سن خمسة عشر شهرا تبدو صورة السلوك كأنما فقدت انسجامها وتوازنها ، فهذه هى سن الطعن والدفع والقذف ، فالأخذ والعطاء فيما بينه وبين الآخرين من دفع وجذب يحل محله سلوك ذو اتجاه واحد ، فلم يعد طفل الخمسة عشر شهرا مجرد وليد حابٍ طوّاف ، فإنه يجاذب الرسن الجلدى[1] بكل ما اكتشفه فى نفسه من قدرة على المشى فى تعثر وترنح ، ويميل إلى قلب سلال المهملات ، ويحب خلع حذائه . والدافع الحركى الكبير عنده قوى ، فهو لا ينقطع عن النشاط مع انفجارات

---

(١) سير يربط فى كتفى الطفل وتمسكه الأم بيدها لتجذبه متى شاءت محافظة على الطفل

قصيرة الأمد من تنقلات حركية فيبدأ الحركة ثم يتحرك ثانية ويصعد ويتسلق مجاهدا ، فكأنما هو سيارة جيب معتدية يجرب فى نفسه جميع سرعاتها .

فإذا هو حُصر فى حظيرته فمن المحتمل أن يتناول كل لعبة ويقذفها خارجها ، وهذا طراز مكبر من إطلاق القُبضة[1] ، نمط من القذف يحتاج إلى تدريب — فى تقديره هو على الأقل . والقذف الفطير يسبق نمائياً أشكال الرمى التى فيها تآزر أعظم ، على أن هذا القذف ليس فطيراً بكل معانى الكلمة لأن الطفل يقذف بعينيه وبيديه معاً ، فهو يستعمل عينيه بغاية اليقظة ليرى أين يسقط الشىء حين يسقط ، وفى هذا تدريب له أهميته فى إدراك المسافات وفى التكيف البصرى وفى تلاقى مرمى العينين فى نقطة ، وهو يحتاج إلى سرعة التآزر بين مختلف عضلات العين .

والطفل فى الشهر الخامس عشر ليس مجرد ضجيج وأزيز ، فمن العجيب حقاً أنه يستطيع أن يوازن مكعباً فوق آخر ويخلى سبيله من أصابعه بدقة وأناقة ليبتنى برجا من مكعبين ، وقد كان هذا فى قديم تاريخ الجنس البشرى براعة إنشائية لها أهميتها ، وهو فى تاريخ الفرد فتح عظيم الشأن .

والآن أصبح نمط الإطلاق من اليد من الدقة والصقل بحيث يستطيع الطفل أن يلتقط البلية ويسقطها فى فوّهة زجاجة صغيرة ، وهو يفعل ذلك بلا تعليم ولا إرشاد ، وكل ما نعمله أن نضع البلية إلى جوار الزجاجة فيستجيب الطفل بتلقائيته على الفور ، وكثيراً ما يكشف السلوك التلقائى عن الاستعداد النمائى .

٨ — سن ١٨ شهراً

كان طفل الشهر الخامس عشر المتعثر فى مشيته يكثر من مجاذبة رسنه ، أما ذلك العدّاء الجوال ابن الشهر الثامن عشر فهو طليق السراح يصطدم عند كل لفتة يلتفتها بمشكلات مادية وثقافية جديدة . وابن السنة الواحدة محمى بسبب عدم نضجه فى التنقل الحركى وسهولة انقياده نسبياً ، محمى من فرط صدمات الثقافة . ولكن ابن

---

(١) ما قبض عليه باليد .

الشهر الثامن عشر لم يعد بعدُ « مجرد » وليد حدث ، كما أن الحياه ليست ميسرة سهلة أمامه ، فالحنجرة والسيقان والأيدى والأقدام وعواصر المثانة والأمعاء بدأت تقع كلها معاً تحت الضبط السحائى ، وليس بعجيب فى الطفل الذى لا بد له من تنسيق مثل هذا التنوع الخارق فى أنماط السلوك أن يكون وظفه فى انتباهات قصيرة المدى أو على صورة نبضات .

وانتباهه متقطع سريع التحول يعمل فى دقات سريعة وجيزة ، فهو يسحب ويشد ويرمى ويدفع ويجر ويدق ويسحق ويزج بنفسه فى الزوايا والأركان والممرات الجانبية ويصعد السلم وينزله ويجرّ بطريقة أو بأخرى لعبة ذات عجلات من مكان إلى مكان ثم يتخلى عنها — ثم يستأنف جهوده مع التنويع بما فى ذلك المشى إلى الوراء .

وهو يلقى انتباهه إلى الـ « هنا والآن » أى إلى ما حوله فى اللحظة الحاضرة . وإدراكه للأشياء البعيدة ضئيل فهو يندفع نحوها بتهور وبقليل جدا من حاسة الاتجاه ، وإداكه للأحداث البعيده طفيف ، ولا حاجة بنا طبعاً إلى التحدث معه عن المستقبل ، ومع ذلك فإنه قد يفهم بل وينفذ مأمورية بسيطة مما يدخل فى مجال خبرته الحركية ، مثل : « اذهب وأحضر قبعتك » ، وله عبارات قليلة أثيرة مثل : « ذهب الجميع » ، « باى باى » ، « يا سلام ! » .

ومع أن مدركاته السابقة ضئيلة فإن له حاسة لها دلالتها هدفها « الوصول إلى نتائج » ، فهو يحب أن يصل بأحد المواقف إلى غايته ، ويضع الكرة فى الصندوق فى عزم وتصميم ثم يتوج فعلته بعبارة استحسان وسرور مثل « يا سلام ! ! » وهو يقفل الباب ، ويقدم إليك طبقه عندما يأكل ما فيه ، ويمسح ما على الأرض من طين — كل ذلك فى هيئة حاسمة ، كأنما يريد أن يقول لك ها قد انتهى الأمر .

وهذه ظاهرة نمو شائقة إلى أقصى حد ، فهى تفسر سلوكه الذى يجىء فى وقته ، وتكشف عن كيفية أداء العمليات ، الداخلة فى تكوين الجسم وهيئته ، وظيفتها حتى فى حالة السلوك الذى يبدو تافها ، ذلك أننا نعمى تماما عن أهمية أمثال هذه الأمور الدقيقة فى صوغ أنماط سلوك الطفل الذى فى سن المدرسة .

٩ — سن السنتين

أخذ الصغير ابن السنتين يشب عن طور الحضانة ، وقد زاد طوله بوصتين مذ كان فى سن ثمانية عشر شهرا ، وزاد وزنه ثلاثة أرطال وزادت أسنانه أربعاً ، ويمكنه الآن أن يجرى دون أن يقع وأن يقلب صفحات الكتاب بمفرده وأن يرتدى ثوبه وأن يمسك بملعقته إمساكا صحيحا وهو يضعها فى فمه وأن يصوغ « شبه جملة » من كلمتين أو جملة من ثلاث ، بل يستطيع أن يستعمل كلمات للتعبير عن حاجته لقضاء الضرورة (التواليت) أو عن ضبطه لها وربما تعجلنا الأمور أحيانا فعددناه بناء على هذه الدلالات كلها أهلا للانتقال من البيت إلى مدرسة الحضانة .

وينبغى أن يلقى عدم نضجه النمائى المزيد من السماح والقبول لأنه لا يزال طفلا حضينا ، فى مشيته بقية من الترنح ولجريه طابع الاندفاع وعدم المهارة ، فهو لا يستطيع أن يخفف من سرعته أو يدور حول الأركان الحادة (فالقدرات الحركية يندر أن يداخلها تعديل وهى فى جدتها) وهو يبتهج بأشكال النشاط العضلى الكبرى كالتلابط واللعب الخشن والتمرغ ، وينزع إلى التعبير عن انفعالاته تعبيراً ماديا بالرقص والتصفيق بالأيدى والدق بالأرجل والضحك ، ضحك المتلمس للأخطاء .

ومع ذلك فعضلات التعبير فى الوجه ألين حركة مما كانت وعضلات الفك أدنى إلى الضبط ، ولم يعد المضغ عملية مجهدة كما كان فى سن ثمانية عشر شهرا ، ولوك اللقمة فى الفم صار دورانيا .

والتناسق الحركى الدقيق فى طفل الثانية شىء يحدده بداهة ما فى جهازه العصبى من عدم نضج فى نواحى معينة يمكن تمييزها ، فإنه يستطيع أن يشيد برجا من خمسة أو ستة مكعبات لكنه لا يستطيع أن يعيد تنظيمها فى صف أفقى ليكوّن منها حائطا وكذلك يجد صعوبة فى عمل خط أفقى بالقلم الملون ، وإن كان يقلد خطا رأسيا بأعظم يسر ، ولا يقوم إيثاره للرأسى على الأفقى على محض الصدفة بل على هندسة للنمو شاءها القدر ، فإذا ما تقدم فى السن قليلا أظهر إيثارا للأفقى يضاهى ما أبداه نحو

الرأسى ، فإذا زادت سنه تمت له السيطرة على البعدين معا فيبنى فى سن الثالثة قنطرة تجمع بين المركّبتين الرأسية والأفقية .

ويتبدى فى دائرة السلوك الاجتماعى الشخصى تحديد نمائى شبيه بهذا ، فلدى الطفل إحساس قوى جدا بـ« ملكى » يقابله إحساس ضعيف جدا بـ« ملكك » ، فهو يستطيع الاكتناز ولكنه لا يستطيع المشاطرة . ومع هذا فعلينا ألا نقطع حبل الرجاء لأنه يستطيع أن يبتسم للمديح وأن يطأطىء الرأس لما يشين .

١٠ — سن ٢½ سنة

ولطفل السنتين والنصف أيضا مصاعب فى مسألتى « ملكك » و « ملكى » ، مصاعب نشير عرَضا إلى أن أحداً من أبناء الجنس البشرى ، حتى الكبار منهم ، لم يتغلب عليها تغلبا تاما ، ومع هذا فإن الطفل فى سن السنتين ونصف يكون قد اكتسب زيادة فى التنبه إلى أشخاص غير شخصه ، فهو يأخذ معه إلى مدرسة الحضانة إحدى لعبه المحبوبة ليعرضها هناك فى زهو لكنه يجد أن نفسه لا تطاوعه فى أن يُسلمها تماما لرفاقه فى اللعب ، كما سيتملكه أيضا دافع شديد للحصول على لعبة يحرص عليها ولكنه ما يكاد يتملكها حتى ينزل عنها فى غير اكتراث . فمن الواضح أن حاسة التملك تمر فى دور تطور انتقالى لم ينسق بعد .

وطفل السنتين والنصف لا يسيطر على نفسه تماما ، وهو مشهور بصفات مختلفة : مندفع ومستبد ومتناقض ومتردد ومتخبط ومتحدى وملتزم لما درج عليه ، غير معقول وغير مفهوم ، وتعوزه بالفعل ألوان السكينة التى تلازم الاحتواء الذاتى المعهود والذى يتميز به نضجه فى سن الثمانية والعشرين أسبوعا .

وهذه الصعوبات مردها إلى أنه أخذ يكتشف من فوره دنيا جديدة من الأضداد ، فالحياة لم تعد طريقا ذا اتجاه واحد كما كانت فى سن الثمانية عشر شهراً بل هى مثقلة بالبدائل المزدوجة ، فكل ممر فى شعاب الثقافة قد أصبح شارعا ذا اتجاهين ، وصار على الطفل أن يقوم بقدر عظيم من التوفيق بين دافعين متضادين ، ومع ذلك فلا

مندوحة له أن يتعرف إلى كل من الضدين ، ونظراً لقلة خبرته وعدم نضجه فإنه كثيراً ما يختار أمرين حيث ينبغى أن يختار أمراً واحداً أو لعله يختار الأمر الخاطىء أو لا يختار شيئا على الإطلاق ، ومن هنا جاءت شهرته ! ! ومن ثم نجم نفاد صبر مؤدّبيه .

ويكون جهازه الحركى فى الوقت الحاضر فى حالة توازن غير مستقر نسبيا ولا يزال لزاما عليه أن يكتسب المهارة فى الموازنة بين الشىء وبديله ، وفى التفكير فى أحدهما تفكيراً يستبعد الثانى ، وهو هنا يذكرنا بكل من مرحلة التمايل فى اتجاهين (أماما وخلفا) ومرحلة الحبو والزحف اللتين مر بهما إبان تكوينه لأنماط التنقل الحركى الانبطاحى ، ومع ذلك فإنا نعلم أنه يتقدم إلى الأمام تقدما نمائيا ونستطيع أن نتنبأ أنه متى بلغ الثالثة أصبحت نفسه طوع يمينه .

١١ — سن ٣ سنوات

طفل السنوات الثلاث يملك زمام نفسه لأنه خرج منصوراً من معركة كفاحه مع البديلين المتضادين على خط مستقيم ، فلم يعد عجيبا محيراً ولا خفيا يستعصى على التنبؤ مثلما كان فى سن سنتين ونصف ، وقد ملك زمام القدرة على التمييز والمفاضلة بين بديلين متنافسين ، وهو فى الواقع يحب أن يكون اختياره فى حدود مجال خبرته وتملؤه الثقة بنفسه ، وهو من الناحية الانفعالية أقل انطواء على نفسه وينظر إلى أعماله الرتيبة بتعقل أكثر من قبل ، ولا يستمسك بما درج عليه من العادات ليحمى نفسه ، وقد غدت علاقاته بالناس أكثر مرونة وأصبحت نزعتاه إلى الاعتماد على نفسه وإلى الاندماج فى المجتمع متوازنتين توازناً جيداً ، ولهذا يبدو أن انسجامه مع الثقافة أسلس وأيسر . ويكون « جهازه الحركى » كله عندئذ يعمل فى توازن جيد ، ومن هنا جاءت شهرته الطيبة ، ومن هنا أيضا جاء استحسان الكبار له .

والثالثة سن سكون وقرار ، فهى ضرب من بلوغ سن الإدراك . والنضال بين الأضداد الذى كان يتبدى منذ نصف سنة فى صورة السلبية والعناد والمناقضة يحل

محله إدراك جديد لضرورات المجتمع ومطالبه ، فلم يعد يلتزم خطة المعارضة والعناد بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيحاول أن يتفهم هذه المطالب وأن ينفذها حتى لتراه يتساءل : « هل أفعلها هكذا ؟ » .

ويقوم الكثير من هذا الانقياد الاجتماعى على محض النضج الحركى النفسى ، فالطفل أكثر تثبتاً وأسرع حركة على قدميه ، ولم يعد يسير بذراعيه ممدودتين (بل يهزها كما يفعل الرجل) وهو يستطيع أن يروغ وأن يرمى وأن يقف فجأة وأن يتخلص من المآزق ، فقد وصل إلى مرحلة « قاعدة الثلاثة » فى النمو : بمعنى أنه يستطيع أن يعد حتى ٣ وأن يقارن بين شيئين وهو أمر يحتاج إلى منطق ذى ثلاث درجات وأن يركب ثلاث مكعبات لينشئ منها قنطرة وأن يرسم بالقلم خطين أحدهما أفقى والآخر رأسى بحيث يكوّن منهما صليبا وأن يقايض على السلعة (ا) بالسلعة (ب) ، مما يحتاج أيضا إلى منطق ذى ثلاث خطوات ، ويستطيع فى اللعب والألعاب انتظار دوره .

فلكل هذه الأسباب يمكنك أن تتساوم مع طفل الثالثة وأن تتساوم عليه ! ومن حيث دورة النمو للطفولة نرى فيه علامة على أمرين فى وقت واحد : بلوغ ذروة وتنبؤ .

١٢ — سن ٤ سنوات

طفل الثالثة يجارى ويمتثل أما طفل الرابعة فمعتد بنفسه يفرضها نزاع إلى الانسياح والتوسع والثرثرة[١] وهو يتفجر بالنشاط الحركى : فتراه يسابق ويحجل ويقفز وينط ويتسلق ، وهو يغلى بالنشاط العقلى الذى يتجلى فى عـدم ضبطه لاستعمال الكلمات وفى تحليقه فى أجواء الخرافة والخيال . وابن الرابعة ينزع إلى تخطى الحدود وبخاصة فى حديثه وفى ألاعيبه التخيلية ، وهو فرح ملئ بالحيوية ، غير أنه أرسخ تكوينا مما يبدو فى ظاهره . ومن الناحية العاطفية والفكرية يلجأ إلى البيت ويعتمد عليه ، فلا يكاد ينفصل عن مراسيه وقواعده المنزلية . وإن الرسوخ والتمكن العقلى الذى تم للطفل فى سن الثالثة كفيل بتحقيق الاتزان .

---

(١) expansive يريد الامتداد والتغلغل والإنصاح عن كل ما فى نفسه بصراحة وطلاقة .

ومفتاح نفسانية طفل الرابعة هو دوافعه الشديدة المرتبطة بنظام عقلى يمتاز بالمرونة عند حواشيه . وتخيلاته العقلية كالزئبق لا تكاد تستقر فهى تنتقل من صورة إلى أخرى بنشاط وخفة عظيمتين ، وهو فى لعبه التمثيلى «يلبس» أدواره و «يخلعها» بأعظم سهولة . وكثيرا ما يكون فى رسمه مرتجلا فى قوة واستقامة ، وهو يعنون رسومه أثناء قيامه بها أو بعد إتمامها لا قبل البدء فيها ، ورسمه للإنسان لا يكاد يميز فيه أحد صورة الإنسان وما أسرع ما يمسخ إلى شىء آخر مع تعليقات منه وفيرة .

وابن الرابعة طلق اللسان لأن ما أنشأه الله فيه من شبكة الأعصاب (أو النيورونات) التى تقوم عليها اللغة يصبح فى حالة تبرعم (بالمعنى الحرفى) ترمى بفروع وأغصان تتخذ صورة حروف عطف جديدة وظروف وصفات جديدة وألفاظ لغو وحشو وتركيبات جديدة من الكلام مثل : " قد يكون ، أظن : ولا هذا ، هائل ، افرض أن ، حقا ، أراهنك أنك لا تقدر أن تفعل كذا ، وأتعشم ! " ثم تتمخض هذه الإفاضة الكلامية آخر الأمر عن نظام وترتيب ، لكن يجب أن نتوقع عند سن الرابعة شيئا من الاضطراب والشطط النمائى فمع أنه لا يكاد يستطيع أن يعد إلى ٤ فطفل الرابعة يتحدث فرحا عن سبعة وسبعين .

إنها مرحلة حافلة بالنمو ، فهو يفيض فى ذكر معايب الآخرين ويفاخر ويرغى ويثرثر ويهدد ويتوعد وهو يتنصل ويسب ويشتم ، على أن هذا التظاهر بالقوة (الفتونة) يجب ألا يؤخذ مأخذ الجد أكثر مما ينبغى فإن سماته الجذابة تعوضه عنه وتزيد ، فجوهر الأمر أنه إنما يحاول جاهدا عن طريق تلك الاندفاعات أن يتفهم ويتقمص الثقافة حوله وأن ينفذ إلى مجاهلها . وأحياناً يبدو أنه يكاد يشعر بسير عملية تقدمه فى السن . فهو عظيم الاهتمام بأن يبلغ الخامسة ويتحدث عنها كثيراً .

* * *

الآن بينا لك فى تسلسل سريع الخصائص المميزة لأحد عشر مستوى للنضج متصاعدة أثناء سنوات الحياة الأربع الأولى . وسنصف فى الفصول التالية بشىء من الإضافة ستة مستويات أخرى للنضج تشمل السنوات من الخامسة إلى العاشرة ،

وسنلتقى فى هذه الأعمار التالية بكثير من أنماط السلوك الجديدة المشوّقة ، غير أننا لانتوقع أن نعثر على مكنيات جديدة للنمو فإن المكنيات الأساسية قد تكشفت لنا من قبل من خلال ما فى الحضانة وطفولة ما قبل المدرسة من بساطة وسذاجة شفافة تنم عما وراءها .

وإن نظرة إجمالية شاملة فى مراحل النضج الإحدى عشرة البكرة لتجعلنا نقدر تقديراً عميقا أن تطور الطفل ونموه أمر محقق مقنن مشروع ، فمع أن بالبيئة صدفا واحتمالات لا يحصيها عدّ فإنا نرى أن مركب النمو يسير إلى الأمام بخطى أكيدة نحو غايات معينة ، فكل طفل فريد فى بابه ولكن كل طفل يكون أيضا عضوا فى جنس بشرى واحد ، وطوعاً للخصائص التى يتميز بها هذا الجنس تجرى عمليات نمو متسلسلة يندر أو يستحيل اعتراضها أو منعها ، فالضبط الحركى للأعين يسبق الذى للأصابع ، واتزان الرأس يسبق اتزان الجسم ، والقبض براحة الكف يسبق القبض بالإصبع ، والإمساك الإرادى يسبق الإطلاق الإرادى ، والدق يجىء قبل النبش ، وحركات الأيدى الرأسية والأفقية تسبق الدائرية والمائلة ، ويجىء الزحف قبل الحبو والحبو قبل المشى المنتصب ، والإيماءات قبل الكلمات والرطانة قبل الكلام والأسماء قبل حروف الجر واللعب الانفرادى قبل اللعب مع الجماعة ، والإدراكات الحسية قبل التجريدات ، والأحكام العملية قبل الأحكام التصورية . وما هذه إلا بضع أمثلة بسيطة على الترتيب التسلسلى الذى فطرت عليه عملية تكوّن سلوك الطفل من أدنى مظاهره إلى أسماها .

تكوّن السلوك ونشأته (أى بناء صرحه) : هذه مدركة لها أهميتها ، ومعناها أن من واجبنا تصور الجهاز الحركى للطفل على أنه منشأة حية تُبنى بإحكام ومهارة طبقاً لهندسة البناء الخاصة بالنمو . ومصورات السلوك التى خططناها لك هنا هى التى أوحت بخطوط هذا البناء ومعالمه .

وواضح من هذه المصورات التخطيطية أن العقل لا ينمو كالبصلة ولا كالخرشوفة بإضافة طبقات متعاقبة بعضها فوق بعض بل ينمو بنسج أنماط معقدة تعقيداً لا يتصوره عقل تقابل ما فى عالم الأشياء وعالم الأشخاص من وفرة عدد وكثرة أنواع ، وهذه الأنماط جميعاً تندمج مكونة الفردية أو الشخصية المفردة .

وعملية الإدماج هذه تخلب لب كل من أراد فهم حركيات النمو النفسانى . والجهاز الحركى (وهو جماع السلوك ومقومه) يتطور بوصفه كلا موحداً ويسير تنظيمه بوجه عام فى اتجاه من الرأس نحو القدم ومن المحور المركزى نحو الخارج ، فالجذع يُمَد بالقوة أو الطاقة العصبية قبل الكتفين والكتفان قبل الذراعين والذراعان قبل اليدين . ولابد من إيجاد التوازن بين الأعضاء المتقابلة وبين الوظائف المتعادلة : كالعضلات القابضة (التى تثنى) وما يقابلها من العضلات الباسطة ، ونهاية الأطراف (اليدين والقدمين) اليمنى واليسرى ، والعيون والأيدى ، والحركات نحو الأمام وإلى الخلف ، والحركات الرأسية والأفقية ، والقبض والإطلاق ، وما (لى) وما (لك) ، والنشاط الذاتى (الانفرادى) والاندماج فى المجتمع ، والخير والشر ، الخ .

وتجد الجهاز الحركى أثناء نضجه يوفق بين عدد كبير من الأضداد ويوازن بينها ، لكن هذه العملية من التعقيد بحيث تعوق النمو عن أن يتخذ لنفسه طريقا مستقيما فهو يتأرجح فيبرز وظيفة من الوظائف آونة وأخرى مضادة لها آونة أخرى ، على أنه ينتهى آخر الأمر إلى تنسيقها وتنظيمها . فالتراوح المنظم لنفسه بنفسه والتناسج التبادل هما من الأساليب البارزة للنمو عند الأطفال .

وكما سبق أن رأينا فى مصورات النضج السلوكية الإحدى عشرة فى هذا الفصل يكون الجهاز الحركى أثناء نموه فى حالة عدم اتزان تكوينى تخالطها حركة مطردة التقدم نحو الاستقرار ، وفى فترات من الاستقرار النسبى يقوى ويشتد كل ما أحرزه النمو من كسب فكأنما هناك اتجاها تعاقبيا نحو تكرر حدوث الاتزان ، وليتضح لك هذا تأمل ذلك الاتزان الثابت نسبيا فى سن الستة عشر أسبوعا وسن الثمانية والعشرين أسبوعا وسن الثلاث سنوات ، وقارنه بالاتزان غير الثابت نسبيا فى سن السنتين ونصف سنة .

وتجنح اتجاهات النمو إلى تكرار نفسها فى مختلف الدرجات التصاعدية للتنظيم ، فكأنما اتخذت دورة النمو طريقا لولبيا يتجه لولبه قُدما إلى الأمام ، ولكن الطفل قد تبدو عليه فى مرحلة معينة مشابهة قوية لما كان عليه فى مرحلة سالفة .

وهذه المشابهات فى اللولب أو الحلزون النمائى تعلمنا الكثير وهى تهدى إلى منطق التغيرات النمائية . ومع أن الطفل يظل دائما على سجيته أى مطابقا لطبيعته فلا بد لنا من أن نتوقع له أن يمر فى أطوار متغيرة ، ومما يعيننا على تفهم سلوكه أن نسلم بأن هناك فترات سكون وقرار يكون فيها الطفل فى دور تركز وفترات أخرى يكون فيها فى دور انتقال ، ومع أننا لن نطبق معايير الأعمار فى تعسف ، فإن مما يعيننا على اكتساب القدرة على الحكم فى بعد نظر وعمق معرفتنا بأن فى التكوين الديناميكى للطفل أمورا جوهرية تتفق وتتطابق عند الأعمار : ١٦ و ٢٨ أسبوعا — ٣ و ٥ سنوات — ½ ٢ و ٦ سنوات . وخصائص النضج فى الحضين وفى طفل ما قبل المدرسة يمكن جداً أن تتخذ محكا نستعين به على الاستبصار بالنفسانية الداخلية للأطفال الذين هم فى سن المدرسة استبصاراً قوامه العطف .

٥

الطفل فى الخامسة من عمره

كيف نستطيع أن نورد خير تصوير للتحولات النمائية المليئة المتنوعة التى تحدث فى السنوات الحافلة بالنمو من الخامسة إلى العاشرة ؟ إن معظم هذه التحولات تجىء خلسة إلى حد يجعلنا لا نكاد نحس بها حين تحدث ، ومع هذا فهى تجىء فى يقين لا يفتر ولا يتزعزع بحيث أن كل عيد ميلاد يكون موسوماً بتقدم هام له دلالته ، وكل سنة تصحبها تغيرات فى الصورة التى يكون عليها النضج .

أعمار ومراحل

سنحاول فى الفصول التالية أن نجمل أنماط هذه التغيرات المتوالية ، وقد لخصنا لك من فورنا ما فعلته السنوات الأربع الأولى ، ومهمتنا بعد ذلك هى أن نعين خصائص السنوات التالية بدلالة ماهيتها النمائية ، ونعنى بهذا رسم سلسلة من التخطيطات التى تحدد اتجاهات النمو وغاياته ، وإذا أجرينا فى هذه التخطيطات موازنات عابرة بين مراحل النضج المتجاورة حصلنا على قدر أكبر من الاستبصار بالنمو بوصفه عملية .

وفكرة النضج عند ما تطبق على الأطفال تكون بطبيعة الحال نسبية ، فطفل

الثالثة يكون فى العادة أنضج من طفل السنتين . وطفل السنة الواحدة مفرط فى نضجه إذا قورن برضيع فى أسبوعه السادس عشر ، والحق أن فارق النضج بينهما أكبر بكثير جداً من الفارق بين طفلى السادسة والسابعة ، وذلك لأن سرعة النمو تكون قد أخذت تقل بالفعل منذ بلوغ الخامسة .

من أجل ذلك لا تبلغ التغيرات النمائية التى تحدث فيما بين الخامسة والعاشرة من الروعة ما تبلغه تلك التى تحدث أثناء دور الحضانة ، ولما كانت هذه التغيرات أقل لفتاً للأنظار كان من السهل عدم التنبه لها فى كل من البيت والمدرسة ، ولكى نكون أكثر تنبها إلى القوى النمائية التى تسبب حدوث هذه التغيرات لا بد لنا من مرجع نقيس عليه ، كذلك لا بد لنا أن نعرف قبل كل شىء أن هذه القوى تعمل على الدوام يوما بعد يوم وسنة بعد أخرى ، فالنمو عملية مستمرة .

ومهمتنا هى أن نبين أثر السن فى نمو السلوك ، وهناك أمران يحددان نفسانية الطفل : نضجه وخبرته ، وخبراته بدورها يحددها أمران : نضجه والثقافة التى يعيش فى ظلها ، والاختلافات بين الأطفال وبين الثقافات جسيمة بطبيعة الحال فالطفل قد يُنَشَّأ فى مجاهل بتاغونيا أو يُنشأ فى « بارك أفنيو » وهذا لا بد أن يحدث شيئا من الفارق ، وقد يكون الطفل من البيض أو السود أو من السمر ، ومن ناحية المواهب قد يكون معتوها أو نابغة ، ومن ناحية بنية جسمه إما أن يكون منبعج البطن أو عريض العظام بارز العضلات أو رفيع العظام طويلها ، ومن الناحية المزاجية إما حشوى التكوين مترفا مرحا أو عضلى التكوين نشطا أو مخى التكوين نحيلا ، ومن ناحية سيرة حياته إما أن يكون ممن حظوا بما فى البيت السعيد من وارف الأمننة والمحبة أو لعله أحد أولئك المحرومين نعمة الميراث الثقافى من أبناء الخامسة من الأوربيين الذين اكتوت بلادهم بنار الحرب حتى أصبحوا يبدون وهم فى ميعة الصبا كأبناء السبعين «لأنهم شهدوا أموراً ما كان ينبغى أن يراها طفل من الأطفال» .

ومن العبث إزاء مثل هذا التعدد الكبير فى المتغيرات أن نبحث عن متوسطات رياضية ، ومع ذلك ففى استطاعتنا بمقارنة مجموعة سن بمجموعة سن أخرى أن نصل إلى إفراد خصائص السلوك المميزة واتجاهات النمو ، وسنرتب لك على أساس هذه

المقارنات المنظمة صلسلة من المصورات السلوكية مفردين لـكل مستوى سنٍّ فصلا خاصا .

وستعرض علينا هذه المصورات خصائص السلوك التى يمتاز بها أذكياء الأطفال الذين يحظون بحياة اجتماعية اقتصادية رغدة فى محيط ثقافتنا الأمريكية ، والمصوِّر لا يحاول أن يصور طفلا بالذات ولا طفلا إحصائيا بل ان كل مصور منها عبارة عن رسم تخطيطى للخُلق مخلّط يضم دراسات شخصية فى قطاعات عرضية وطولية لعدد كبير المدى من الأطفال ، وبهذا الوصف يمكن استخدام مصورات السلوك للتعرف على حالة النمو المتغيرة لأطفال حقيقيين أثناء نضجهم فيا بين سن الخامسة والعاشرة وتفسير هذه الحالة . ويلخص أول مصور أوردناه جوهر النمو للطفل فى سن الخامسة ، فالخامسة سن سكون وقرار يحدد نهاية دور نمائى وبداية دور آخر ، وابن الخامسة بالذات يبدو كأنما يشعر أنه قد بلغ القمة لإحدى المراحل ، وذلك لأنه يعلن فى شىء من الاعتداد : « عمرى خمس سنوات ».

مصوّر السلوك

سار ابن الخامسة شوطاً بعيدا فى طريق النمو المتعرجة المتصاعدة ، ويتحتم عليه بعد هذا أن يواصل السفر خمسة عشر عاما أخرى ليبلغ الرشد ويصير من الـكبار ، على أنه قد تخطى أصعب مرتقى وأشده انحداراً وبلغ هضبة هينة الإنحدار ، ومع أنه ليس على الإطلاق نتاجا نهائيا فإنه قد أخذ بالفعل يبدى أمارات الرجل (أو المرأة) الذى سيصير إليه أمره (أو أمرها) وأفصحت قدراته ومواهبه وصفاته المزاجية وطرائقه الخاصة فى الوفاء بمطالب النمو وحاجاته ، أفصحت كلها عن نفسها إلى درجة لها دلالتها ، فهو قد اتسم بالفعل بميسم « الفردية » .

ولـكن قد تشكلت أيضاً فى شخصه الصغير اتجاهات السلوك وسماته العامة التى تتميز بها إحدى مراحل النمو كما تتميز بها الثقافة التى إليها ينتمى ، وهذه السمات الأساسية الشاملة هى مقومات سن الخامسة وهى سمات النضج التى تجعله مخالفا بعض المخالفة لطفل الرابعة ولطفل السادسة .

فالخامسة سن سكون وقرار كما أنها كذلك نوع من العصر الذهبي لكل من الطفل ووالديه ، ولأمد وجيز يتدفق تيار النمو فى سلاسة ويسر حيث يقنع الطفل بتنظيم الخبرات التى جمعها شيئاً فشيئاً إلى حد ما فى سنته الرابعة التى يكون فيها أقل تمعنا وتعمدا ، وقد كان بحكم نزوعه إلى الانسياح والتوسع فى سن الرابعة منطلقا على الدوام لملاقاة البيئة فى هجمات تكاد تنطبع بالطيش والرعونة ، وعلى العكس من ذلك يكون ابن الخامسة على احتواء ذاتى وعلى اتصال أليف ودود بالبيئة ، قد تعلم الكثير ونضج ، لكنه يحتاج لشىء من الوقت لتدعيم ما اكتسب وتقويته قبل أن يقوم بهجمات وغارات أقوى وأعمق فى العالم المجهول . وفى سن تقارب الخامسة والنصف يتبدى عنده نوع جديد من التململ والتبرم النمائى .

وفى عضون ذلك تغمره فترة ترويح يشعر فيها بالاطمئنان وعدم الكلفة فى عالمه ولكن . . . ما هو عالمه هذا ؟ إنه عالم محيطه وزمانه ، « هنا والآن » ، عالم أبيه وأمه وبخاصة أمه ، ومقعده على مائدة الطعام وثيابه ولا سيما قلنسوته التى يزهى بها كثيراً ، ودراجته ثلاثية العجلات والحوش الخلفى والمطبخ وسريره والصيدلية ودكان البدال عند ناصية الشارع (أو الجرن ومخزن الغلال إن كان من الذين أسعدهم الحظ بالعيش فى الريف) ، والشارع ، وربما غرفة روضة الأطفال الكبيرة مع أطفال آخرين ومع سيدة أخرى ظريفة ، ولكن إن كان لعالمه مركز فإن أمه تكون هى ذلك المركز .

وقد لا يسيغ روضة الأطفال نفسها إساغة تامة إذا هى ألحت عليه بطلبات ارتيادية[1] فإنه لا يكون فى هذه الآونة فى طور نمو ارتيادى . ويضيق صدره ضيقا لا غبار عليه بأعمال السحر وبالقصص الخرافية إذا زادت عن الحد ، فهو على أبواب اكتشاف عالمه الحقيقى ، وهذا على علاته فيه الكفاية من الطرافة ومن الواقع ، بل يصل به الأمر لأن يكون قطعة من البيت وليس ذلك لاعتماده على غيره اعتمادا خارقا للعادة بل لأن المنزل مؤسسة معقدة تستدعى تأمله وإمعانه وتجزيه عليه .

---

(١) pioneering. الارتياد هو السبق للاستكشاف والتمهيد .

فهو يسعد إذ يمثل فى لعبه المنزل بكل شئونه وأحواله[1] ساعة كاملة دون أن يغض ذلك من قيمة نموه ، من أجل ذلك لا يمكن أن ندهش إذا رأيناه فى روضة الأطفال يستمتع بصفة خاصة بتمثيل المواقف المنزلية إذ لا بد له من أن يزيد نفسه إلفاً بالمألوف له ، فالعالم المألوف لا يزال جديدا عليه .

حتى دور حضانته نفسه حديث عليه قريب العهد نسبياً ولذا يميل لأن تبتعث له أمه خبرات طفولته الباكرة . وهو يتحدث بلهجة الصغار إلى أخته الحضينة ، وهذا كله يساعده على التخلص من طفولته وعلى أن يصير أتم تعرفا لبيئته الراهنة المباشرة وتقمصاً لها .

وصلته بالبيئة شخصية جداً ، ولم يبلغ بعد درجة النضج التى تؤهله للانفصال فكريا ولإدراك المعانى المجردة التى تتطلع إليها مبادىء الأخلاق عند الكبار . ولديه إحساس بتملك الأشياء قوى إلى حد ما ، فإن كانت هذه الأشياء مما يحب خالط إحساسه شىء من الزهو ، لكنه زهو يعود إلى « ملكيته » ، وليس لديه فكرة عامة عن الملكية بل هو يميل إلى أن يكون واقعياً نزاعا إلى المحسوسات مستخدماً ضمير التكلم دون أن يكون مع ذلك معتديا ولا محاربا . سئل طفل فى الخامسة « هل تجرى الكلاب ؟ » فكان جوابه المؤدب ، « ليس عندى كلب ! ! » .

على أنه فى حدود المألوف وهامش ضيق من المجهول سيسأل أسئلة خاصة به هو : ما فائدة هذا ؟ مم يصنع هذا ؟ كيف يشتغل هذا ؟ لماذا يأتى الأومنيبوس من هذا الطريق ؟ فهذه أسئلته المفضلة .

ويترك طفل الخامسة فى النفوس فكرة حسنة من ناحية الكفاية والاتزان لأنه لا ينطلق باندفاع من شىء إلى آخر كما أنه ليس باللحوح المفرط فى طلباته ، وهو يحب أن يجيد العمل داخل مجال قدراته ، ومع أن لعبه التلقائى ليس على وتيرة واحدة فإنه يقصر التغييرات فيه على قدر صغير تغلب عليه المحافظة ، لكن هذه التغييرات كثيرة العدد كما أنها تثمر مع الزمن مغانم نمائية جوهرية .

---

(١) سنطلق على هذه فيما يلى : « لعبة المنزل » .

ويكاد تقييد النفس وحصرها يفوق عنـده الاعتداد بالنفس وفرضها ومن ثم يطلب مساعدة الـكبار عند الحاجة . وهو يحب المسئوليات والامتيازات الصغيرة التى يستطيع أن يضطلع بها على أكمل وجه ، وخير الطرق لسياسته تقوم على هذا الأساس لا على استثارته لبذل جهود ما تزال فوق طاقته ، فإذا أُثقل بالأعباء فقـد يستجيب بومضات صغيرة من المقاومة أو من الحساسية ، ولـكن سرعان ما يعاوده توازنه المعتاد . وتغلب عليه مسحة من الجد . وهو أكثر تعمناً وتعمداً من طفل الرابعة ، يفـكر قبل أن يتكلم .

ومع هذا فطفل الخامسة قد يكون فيه من الفكاهة عِرق ؛ فهو يحب أن يفـكر فى « مداعبة يفاجئ بها » حتى فى مجال السلوك الأخلاقى ، فإذا سأله أبوه « هل تناولت غداءك ؟ » قال « كلا » ويظهر على وجهه ما أكنه مقدما من مسرة بخدعته ثم يضيف إلى ذلك قوله « كلا لن أتناوله » وسرعان ما يثبت البحث أنه قد أكل غداءه كله ولم يترك منه ذرة واحدة ، الأمر الذى يُسر له الجميع سروراً عظيما .

وأطفال الخامسة يحبون أن يتواءموا مع محيط الثقافة الذى فيه يعيشون ، وينزع نشاطهم التلقائى إلى أن يكون خاضعاً تماماً لضبط النفس ، وهم يتلمسون تعضيد الـكبار وإرشادهم ويتقبلون مساعدة الـكبار فى القيام بتحولات غير مألوفة ، ويتوقون إلى معرفة كيفية عمل الأشياء التى فى طوقهم . وهم يحبون أن يعلّموا لا حرصاً على إرضاء أكبريهم فحسب بل حرصاً أكثر على استشعار الرضا والمسرة لقيامهم بالأعمال ولحسن تقبل المجتمع لها . وهم يحبون أن يمارسوا التقليد الاجتماعى الذى يقضى بالتماس الإذن وبالانتظار للحصول عليه بكيفية رسمية . فسن الخامسة سن المجاراة التى تتمثل فى السؤال الآتى « كيف تفعل هذا ؟ » .

ومع ذلك فليس معنى هذا الانقياد أن طفل الخامسة ، بكل ما أوتى من سمات جذابة ، يكون فرداً عالى التشبع بالروح الاجتماعيـة ، فهو من عميق الانغماس فى عالمه بحيث لا يتسنى له الحصول على إدراك مستبين يميز به نفسه بين لداته وأكبريه ويكون لعبه التعاونى فى العادة مقصوراً على جماعة من ثلاثة وموجهاً باهتمام خاص نحو غاياته هو وأهدافه دون الغايات والأهداف الجماعية . ويتقبل الأولاد والبنات بعضهم

بعضاً فى يسر بغض النظر عن الجنس ، وإن لم يخل ذلك اللعب من تنافس على المرتبة ، أيهم يقوم بدور الأم وأيهم يقوم بدور الرضيع فى لعبة المنزل . ولما كان طفل الخامسة لا يستشعر ميلا إلى العدوان والتملك أكثر مما ينبغى فإنه ينزع إلى حسن مسايرة رفقته فى سكون ومسالمة أثناء اللعب الجماعى البسيط .

وارتباطه الانفعالى بأمه قوى فهو يطيعها عن طيب خاطر ويميل للمعاونة فى شئون المنزل ويجد لذة فى أن تقرأ له . فإذا سارت الأمور على غير ما يهوى فلربما حمّلها التبعة ولامها بقوله « ماما وحشة » ، ومن الناحية الأخرى يتقبل منها كذلك ما توقعه به من عقاب مع تغيير مؤقت فى مسلكه .

وبديهى أن هذه الأنماط الانفعالية عرضة لتغيرات فردية كبيرة ، بيد أنها تشير بوضوح إلى قوة مركز الأم ، فالأم على كل حال شخصية لها أهميتها فى العالم الصغير لطفل الخامسة ، فمن الجلى أنها فى محيط المنزل هى « العامل التنفيذى الأكبر » الذى تصدر عنه كل البركات وجميع الأوامر والنواهى . وابن الخامسة فى سبيل اكتشاف معالم النظام الاجتماعى ، تلك المعالم التى تنبثق فى المنزل ، وإنه ليعلن استبصاره الاجتماعى الجديد على صورة التماسه من أمه أن تتزوجه ! ! .

وهذا الالتماس يكشف لنا ما عليه طفل الخامسة النموذجى من القصور الفكرى وما أودع فيه من أنماط انفعالية . وهو يمثل تركيبا مشوقا من الواقعية العلمية والسذاجة البدائية . ولديه شىء من التقدير للأمس واليوم ، على أنه يفهم كلمات : أنا والآن وهنا خيرا مما يفهم كلمات : أنت وبعد ذلك وهناك . وهو من تمام الانغماس فى الكون المحيط به بحيث لا يتنبه إلى أن تفكيره عملية ذاتية منفصلة عن العالم الموضوعى . وهو واقعى وحرفى أكثر منه خيالى . ويمكنه أن يميز يمناه من يسراه فى بدنه هو ، ولكن يعوزه ذلك القدر البسيط من القدرة على الإسقاط[1] الذى يمكنه من أن يميز اليسار من اليمين فى شخص آخر . ومع أنه قد أخذ فى استعمال الكلمات بسهولة كبيرة إلا أن فرط اندماج نفسه فى عالمها يتسلط عليه إلى حد

(١) Projectiveness تفسير المواقف والحوادث فى ضوء خبرتنا ومشاعرنا فكأننا نسقط الأخيرة على الأولين لتساعدنا على قراءتهما .

لا يستطيع معه أن ينحّى جانبا وجهة نظره كما ينبغى حتى يدرك على سبيل التبادل (الأخذ والعطاء) وجهة نظر الآخرين ، ومع ذلك فإن لديه حاسة بدائية بالخجل والعار ، وهو يتلمس المحبة والثناء ويحب أن يخبره الناس كم يحسن القيام بعمله كما يحب أن يحضر معه إلى المنزل شيئا يكون قد صنعه بنفسه فى المدرسة .

وطفل الخامسة نفعى عملى أكثر منه شاعرى خيالى فهو يعرّف الأشياء بدلالة فائدتها : « فالحصان عنده للركوب ، والشوكة للأكل » والحكايات الخرافية التى تفرط فى البعد عن الواقع تغيظه وتربكه . وهو جاد اختبارى[1] قصود[2] . اعطه قلما يرسم لك صورة رجل برأسه وجذعه وأطرافه وعينيه وأنفه ، بل ربما أضاف خمسة أصابع لأنه يستطيع العد إلى أربعة أو خمسة ، ويمكنه كذلك أن ينقل شكلا مربعا . وإذا نسخ بضع حروف كبيرة فلربما طابق بينها وبين أشخاص أو أشياء مطابقة وثيقة جداً ، فهو يكاد يخلق شخصيات لكلمات معينة . والميكانيكا والفلك كما يتصورهما بهما كذلك مسحة من الحياة . وهو ساذج برىء إلى أقصى حد فى مجال العلاقات السببية والمنطقية ، فالسحاب يتحرك لأن الله يدفعه ، والهواء يعصف لأن الله ينفخ فيه .

ومع هذا فطفل الخامسة متحدث عظيم ، فثرثرة السنة الرابعة أمدته بزيادة فى عدد المفردات قد تصل إلى ألفين من الكلمات ، وقد تغلّب إلى حد كبير على أسلوب نطق الطفولة ، ويستعمل حروف العطف فى يسر أكثر حينما يروى إحدى خبراته ، وهو يستطيع أن يقص حكاية وربما بالغ وأسرف غير أنه لا يميل للاختراع المغرق فى التخيل . ولعبه التمثيلى ملىء بالحوار العملى وبنوع من الإلقاء لمحفوظات جامعة وهو يستعمل الكلمات للتعبير بوضوح عن العالم الحافل المحتشد الذى فيه يعيش . وربما أظهر فى اللغة أكثر منه فى أى ميدان آخر من ميادين السلوك ميلا طفيفا لتجاوز الحدود المشروعة ، وهذه نزعة نمو سليمة صحيحة ، لأن الكلمات من شأنها أن تساعد على فصله عن أمه وعن البيئة التى تقبض عليه بيد من حديد .

---

(١) empirical يعتمد على خبرته هو الضئيلة .

(٢) direct (دغرى)

وعلى وجه العموم تدل الحياة الانفعالية لطفل الخامسة على توازم طيب فى داخل نفسه وعلى ثقة عنده بالآخرين . وهو لايخلو من مصادر قلق ومخاوف ، غير أنها تكون عادة مؤقتة محسوسة . فالرعد والصفارات المزعجة تولد الرعب ، والظلمة والوحدة تسببان التهيب والوجل ، وكثير من أطفال الخامسة تنتابه نوبات من الخوف بسبب خشيته من أن تتركه أمه أو أن تكون قد خرجت قبل استيقاظه . وقد تكون أحلامه لطيفة سارة ولكن يغلب أن يكون أكثر تعرضا للأحلام المزعجة أو الكوابيس التى تظهر له فيها الحيوانات المرعبة وتبرز أكثر من الآدميين .

ورغم ذلك فإن طفل الخامسة على كل حال يكون فى حالة اتزان فائقة فى أوقات صحوه أو يقظته ، فهو من الناحية الجثمانية موفور الصحة ومن الناحية النفسية مسرور مرتاح يألف عالمه لأنه مطمئن إلى نفسه ، وربما أخرجته أمور عن توازنه ولكنه ينزع إلى العودة إلى التوازن . وليس من عادته أن يندفع فى ثورات من الغضب بل يكتفى بدقة قدم بسيطة على الأرض وبقوله « كلا لن أفعل ذلك » . ومع غرامه بالتسلق والنشاط الحركى الكبير فإنه يبدى الرصانة فى وضعه وقوفه وجلوسه ولا يتزحزح أو يتحرك متململا وهو جالس على كرسيه ، وإذا وقف وقف مشدود القامة منتصباً . وكثيراً ما نلمح الرشاقة والمهارة اللاشعورية فى كل من التنسيقات الحركية الدقيقة والكبيرة ، ويتجلى فى حركاته الاكتمال المصقول والاقتصاد وهو أمر يوحى مرة أخرى بأن الخامسة مرحلة سكون وقرار تتجه إليها خيوط النمو حيث تتجمع وتنتظم توطئة لتقدم جديد .

ولعمرى إن الفطرة النفسانية لسن الخامسة لتغدو أشد ماتكون وضوحا حين نقف عند هذه الصوة من السكون والقرار ونرجع البصر من خلفنا إلى الطريق النمائى الذى سلكه الطفل حتى وصل إلى حياته الراهنة وهو طريق متعرج لولبى ، وقد كانت هناك صوى مماثلة لهذه فى الماضى وسوف نلتقى بصوى أخرى فى المستقبل ، فسن الخامسة يشبه سن الثالثة وسنّ الثمانية والعشرين أسبوعاً فى هيئتهما أو تشكلهما العام وفى نوعهما ، ولسوف يماثل سن العاشرة سن الخامسة فهذه فترات وجيزة تكون فيها قوى النمو التمثلية المنظّمة فى أوجها . أما فى أثناء السنوات التى تتخلل ذلك

أى عند سن الرابعة والسادسة والثامنة فإن هجمات النمو واندفاعاته للانسياح والامتداد والتوسع فى اهتياج شديد تكون أشد ظهوراً وبروزاً .

ولا حاجة بنا إلى القول إن هذه البدائل من قوى النمو التى تتناوبه ليست محددة تحديداً دقيقاً فإن تيار النمو أشبه الأشياء بألوان الطيف ، فكل طور وكل لون ينتقل فى تدرج غير محسوس نحو تاليه ، ومع هذا فإن ألوان قوس قزح السبعة يمكن تمييزها ، وعلى نفس هذه الشاكلة تجد أن فى الإمكان تمييز سمات النضج فى سن الخامسة عن زميلاتها سمات السادسة .

ولننبهك مقدماً أيها القارىء الوديع إلى أنك لن تستطيع لطفلك ابن السادسة فهماً إلا بهذا التمييز .

سمات النضج

يهدف كل مصور للسلوك إلى إعطائنا صورة فنية شاملة للطفل فى مجموعه ، ولا سبيل لتصوير نفسانيته على حقيقتها إلا إذا تصورناه كوحدة كاملة أى كفرد متميز عن غيره ، فلو حاولنا أن نتناوله موزعاً لتبدد واختفى إذ لم يعد إنساناً .

ومع هذا فإنه من تعدد الجوانب بحيث لا نستطيع بنظرة واحدة أن ننتبه إلى كل ناحية من نواحى خبرته أو عتاده السلوكى المعقد ، فلا بد لنا من النظر إليه من زوايا مختلفة وأن نستخرج ما فيه من خصائص لها دلالة وأهمية خاصة . ونظراً لأنه شخصية موحدة فسنجد أن جميع سماته يتوقف بعضها على بعض قليلا أو كثيراً .

ومع هذا ففى وسعنا من الناحية العملية أن نُجمّع هذه السمات فى عشرة أبواب مبينة فى الجدول المرفق نسميها **سمات النضج** لأن بيت القصيد فيها جميعاً ليس قدرات الطفل بل مراحل النمو ومكنياته عنده .

وقائمة السمات شاملة إلى حد كبير وترتاد أهم مناطق السلوك التى تخص البيت والمدرسة . وسنسرد عليك تحت العناوين المختلفة أمثلة محسوسة لأنواع السلوك التى صادفناها عند مستويات العمر السنوية ، وهذه الأمثلة ليست على الدوام نموذجية

ولكنها توضح بالفعل أنواع السلوك ودرجات النضج التي يتحتم على الآباء والمعلمين أن يعولوا عليها في الأطفال السويين نسبيا .

« وستجد سمات النضج موضحة بعبارات موجزة غير متزمتة تنعكس فيها أحداث كل يوم في الحياة المنزلية والمدرسية ، ولسنا نقيم هذه السمات كمعايير بل بالأحرى كدلالات على خبرات الطفل أو عتاده السلوكي في كل مستوى معين للنضج » .

وقد يكون هذا السلوك أحيانا غير مرغوب فيه ومن المستطاع منعه ، فلو أن القارىء فهم المغزى النمائي للسلوك لأمكنه في العادة أن يستنبط طريقة يسوس بها الطفل تكون ملائمة لما بلغه من نضج ، فتوجيه الطفل يجب أن يعدل على الدوام وفقاً لمطالب النمو وحاجاته ، وقد يشار أحيانا باتباع وسائل معينة للتوجيه ولكن التوجيه غالبا ما يكون متضمنا فيما سنورده من عرض تفصيلي شامل للسمات من غير أن يستدعى الأمر وضع قواعد تفصيلية . وتيسيراً على القارىء ستستعمل في عرض سمات النضج التوضيحية عند كل سن مجموعة قياسية من عشرة بنود رئيسية .

ولنبدأ « بالمهارات الحركية » ، فالطفل في أساسه مجموعة من العضلات بها يؤدى حركات في الزمان والفضاء ، ومسارات هذه الحركات وصورها وتماثلها واتجاهاتها هي موضع اهتمامنا ، كيف تتغير تبعاً لتقدمه في السن تنسيقات حركاته كما تتبدى في وضعة الجسم وفي اليدوية (أي تغليب استعمال إحدى اليدين) وفي الرسم وفي كيفية استخدام العينين واليدين ؟

والطفل كذلك كائن عضوى لا بد له من أن يموّن نفسه ويقيمها كما أنه عرضة للمرض ولعوامل الإجهاد الخارجية والتوترات الداخلية . وقد جمعنا تحت البند الخاص « بالصحة الشخصية » ألوان السلوك والتواؤمات المتصلة بالأكل والنوم وقضاء الضرورة وسلامة البدن .

فأما عواطف الكائن العضوى (اتجاهاته الوجدانية) وما يهدده من أخطار ، فتتجلى في أشكال متنوعة من « السلوك التعبيرى » وفي « المخاوف والأحلام » .

ومع هذا فإن القوى التي يحافظ بها على نفسه عظيمة ، فالطفل يبتنى لنفسه إحساسا بالذات ويفرق بين نفسه وبين الجنس المقابل ، ويزداد كل يوم سيطرة على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تبويب

سمات النضج وسلالم النمو

١ — الخصائص الحركية :

النشاط البدنى .
العينان واليدان .

٢ — الصحة الشخصية :

الأكل .
النوم .
الإخراج (قضاء الضرورة) .
الحمام واللبس .
الصحة والعلل الجسدية
متنفسات التوتر .

٣ — التعبير الانفعالى :

الاتجاهات الوجدانية .
الصراخ والبكاء ومايتصل به من سلوك .
الاعتداد بالنفس أو فرضها والغضب .

٤ — المخاوف والأحلام :

المخاوف .
الأحلام .

٥ — الذات والجنس :

الذات .
الجنس .

٦ — العلاقات بالناس :

علاقة الطفل بالأم .
علاقة الطفل بالأب .
الإخوة الصغار .
الأسرة .
آداب السلوك .
علاقة الطفل بالمدرس .
« الطفل بالطفل .
التجمعات فى اللعب .

٧ — اللعب والتسلية :

المهتمات العامة .
القراءة .
الموسيقى ، الراديو ، السينما .

٨ — الحياة المدرسية :

التواؤم مع المدرسة .
المسلك فى الفصل .
القراءة .
الكتابة .
الحساب .

٩ — الحاسة الخلقية :

اللوم والتنصل .
الاستجابة للتوجيه ، والعقاب والثناء .
تلبية دواعى العقل .
حاسة الخير والشر .
الصدق والتصرفات اللائقة .

١٠ — النظرة الفلسفية البعيدة :

الزمان .
الفضاء .
اللغة والفكر .
الحرب .
الموت .
الإله .

ميادين السلوك السالفة الذكر فى عشر قطاعات عظمى لنمو الطفل ستعالج بالأعمار فى الفصول من ٥ إلى ١٠ وبالسلالم فى الفصول من ١١ إلى ٢٠ (بالقسم الثالث الذى سيظهر قريباً)

العوامل الجنسية التى تتصل بحياته هو وبعلاقاته بالآخرين ، وتحدث له فى ميدان الذات والجنس تغيرات نمائية ذات بال .

والواقع أنه يُعد بإمعان ودقة الهندسة التفصيلية لبناء حاسة شعوره بالذات عن طريق ضروب النشاط الاجتماعى لا الانفرادى ، عن طريق نسيج واسع المدى من اتصالاته بأكبريه ووالديه ومدرسيه وأنداده — نسيج علاقاته الشخصية بالناس .

وكثيرٌ من نشاطه الشخصى والاجتماعى يكون على صورة اللعب والتجريب والمراح والترويح . وتكشف لعبه وتسلياته عن طاقاته التلقائية ومهماته .

ولكن الثقافة العصرية قد شاءت للطفل من الخامسة إلى العاشرة وجوب الذهاب إلى المدرسة أيضاً ، إذ لابد له من الإحاطة بالشيء الكثير عن العلوم والفنون ومباهج ومسرات الحضارة . وتكشف أنماط حياته المدرسية عن الكيفية التى يستجيب بها لمطالب الثقافة .

فالضرورة تحتم عليه باستمرار فى أثناء وجوده بالمدرسة وخارج المدرسة أن يوائم نفسه مع الأشخاص الآخرين أصدقاء وغرباء ، صغار وكبار ، قساة ورحماء . وبذلك ينسج نسيجاً من العلاقات الشخصية الاجتماعية التى تعبر عن نفسها بشق العناوين ومختلف القيم مثل « ملكك وملكى » ، « الخير والشر » ، « افعل ولا تفعل » ، « الصواب والخطأ » ، « أنت الملوم » ، « أنا الملوم » ، « كن ولداً طيباً » ، « كونى بنتاً لطيفة » . وهذا هو القالب النمائى الذى تصب فيه « الحاسة الخلقية » .

ويحيط بالطفل عالمان متشابكان عالم الأشياء وعالم الأشخاص . ولم يكن بد من أن تصبح البيئة منهكة ومربكة إلى أقصى حد لو لم يكن عند الطفل ميل قوى لا يرد ولا يقهر لأن يؤسس ويثبّت لنفسه اتجاهاته الخاصة وهى اتجاهات للفكر وللوجهة ، اتجاهات تحيط بالأسرار العظمى التى تكتنف الحياة والموت والفطرة والبشرية والقوى الخارقة للطبيعة . وقد عرّفت الفلسفة بأنها المعرفة بالأشياء الإلهية والإنسانية والأسباب لمنطوية تحتها ، حتى الطفل ذاته يكوّن لنفسه مجموعة من الآراء الخاصة فى هذا المجال الفسيح من المعرفة ، وهذه تنالها مع تقدم السن تغيرات شائقة سنصفها بدلالة « نظرة الطفل الفلسفية » هذه .

[لا يجوز أن تعد سمات النضج التالية معايير جامدة ولا نماذج تحتذى فهى إنما توضح أنواع السلوك (المرغوب فيه وغير المرغوب) التى تنزع إلى الحدوث فى هذه السن ، فلكل طفل نمط للنمو فريد خاص به . وسمات السلوك الملخصة هنا يمكن استخدامها لتفسير فرديته ، ولتكوين فكرة عن مستوى النضج الذى يقف فيه] .

١ — الخصائص الحركية

النشاط البدنى

ابن الخامسة فيه اتزان وضبط ، متبين تماما لموقفه . وهو من ناحية الوضعة الجسمية أقل تطرفا وأقل تبسطاً لبدنه منه فى الرابعة . وهو متضام الأعضاء ، ذراعاه مثبتتان قرب جسمه والحيز الذى يشغله فى وقفته ضيق ، وفى رفسه الكرة قد يجمع بين الرمى والرفس فى وقت واحد وتكاد العينان والرأس تتحرك كلها معاً حين يوجه ناظريه إلى شىء ما . وهو قصود مباشر فى مقاربته الأشياء إذ يواجهها رأساً فيذهب مباشرة إلى أحد الكراسى ويجلس عليه . وهو يبدو حسن التوجه نحو الجهات الأربع الأصلية إذ يلف ربع لفة كاملة إلى اليسار أو اليمين أو حتى إلى الخلف بينما هو جالس على أحد الكراسى .

ويبلغ النشاط الحركى الكبير عند ابن الخامسة قدراً جيداً ومع أنه قد يطأ الأرض بمقدم باطن القدم دائماً فإنه يستطيع السير فى خط مستقيم وينزل السلم مبدلا بين قدميه ويثب على التبادل .

ومكنية التبديل عنده تستخدم فى كثير من ألوان سلوكه ، فهو يحب دراجته ثلاثية العجلات ، وهو حاذق فى ركوبها . ويتسلق الأشياء فى ثبات وينتقل من جسم إلى آخر . وهو يبدى اهتماما ملحوظاً بالطوالات(١) والقباقيب ذات العجل وإن لم يستطع أن يداوم اللعب بها طويلا .

واقتصاد طفل الخامسة فى الحركة مباين لتوسع ابن الرابعة فهو يبدو أكثر تحفظاً وأقل نشاطاً لأنه يحافظ على وضع واحد مدداً أطول ، ولكنه يتحول من الجلوس إلى الوقوف إلى القرفصاء فى تسلسل ، وعلى الرغم من ذلك فإنه نشيط . ومع أنه يطيل اللعب فى مكان واحد محدود فإنه معوان عظيم يسره أن يصعد إلى الطابق العلوى ليحضر شيئاً لأمه ، وأن يذهب من المطبخ إلى غرفة الطعام مرات ليضع بعض الأشياء على المائدة .

العينان واليدان

يجلس طفل الخامسة وجذعة تام تماما وشغله أمامه مباشرة ، وقد يتحرك قليلا نحو اليمين أو اليسار ليعدل جسمه وقد يقف ويستمر فى عمله . ومقدرته على تأدية العمل بالعين واليد معاً تبدو كقدرة الكبار وإن كان الدقيق من أنماط هذا العمل لا يزال فى الواقع بحاجة إلى النمو والتهذيب . واقترابه من الأشياء وقبضه عليها وإطلاقه لها يكون فى أنواع الأداء الحركى البسيط بكيفية مباشرة دقيقة مضبوطة . وهو يستعمل ما كان له من لعب قبل المدرسة بكيفية تظهر فيها المهارة والقصد ، كما يحل اللغز المألوف بسرعة البرق .

---

(١) الطوالة : عمودان بكل سلمة يقف عليها الرعاة بأمريكا ويتخذها الأطفال لعبة .

الطفل

ومهارته فى استعمال يديه أخذت الآن تزداد ، وأصبح يحب ربط حذائه بنفسه ، وتزرير الأزرار التى يستطيع رؤيتها ، وتخييط الصوف بواسطة تمريره فى ثقوب لوحة من الورق يقلبها على الوجهين ، كما يحب أن يضع أصابعه على مفاتيح البيانو ويلعب بعض الأنغام . وهو الآن يبدى ميلا إلى الكتل الصغيرة والكبيرة ذات الحجوم والألوان المختلفة يبنى بها منشآت بسيطة ، ويحب كذلك أن ينقل عن نموذج أمامه .

وطفل الخامسة يميل أيضاً إلى الملاحظة ، فيرقب أمه تعمل عملا ثم يحاول أن يقلدها فيه . وهو يريد نماذج كثيرة ويحب أن ينقل الرسوم والحروف والأرقام ، وأن يعطى صوراً تخطيطية ليلونها محاولا أن لا يتجاوز خطوطها ، وينبغى أن يزود ابن الخامسة جيداً بمثل هذه المواد لكى يكون أقدر على حسن استعمالها فى سن السادسة .

وفى الرسم التلقائى تراه يرسم إطاراً واحداً قليل التفاصيل ، فقد يضيف البابين الخلفى والأمامى إلى جوانب « منزل » أو ربما رسم مربعاً يمثل به بيتاً وجعل فى أعلاه وأسفله فجوتين تمثلان البابين وهو يدرك أن ما انتهى إليه مضحك .

وتتحدد اليدوية (أى تغليب استعمال إحدى اليدين) وتستقر جيداً عند سن الخامسة ، إذ يستطيع طفل الخامسة أن يعين اليد التى يستعملها فى الكتابة . وتكون بدايته باليد المتغلبة وهو لا ينقل القلم إلى اليد الأخرى الخالية . أما فى حالة البناء بالكتل فإنه يستخدم اليدين بالتبادل ، وإن كانت اليد المتغلبة تستعمل أكثر من الأخرى ، ويصدق هذا أيضاً حينما يشير بيده إلى الصور .

وإذا طال مكثه وهو ملازم الجلوس صار قلقاً متململا فيرفع إليتيه عن الكرسى أو يدور إلى أحد الجوانب أو يقف على قدميه ، ولكنه يظل ملتزما الحيز الذى بين المنضدة والكرسى . أما التنفيس عن التوترات فوجيز ، فلربما استخدم يده الخالية فى الهرش أو التمليس أو النبش أو فى لمس أى جزء من أجزاء جسمه (يقع فى ناحية تلك اليد) كأجزاء وجهه أو ذراعه أو ساقه أو ملابسه على السواء ، وربما عطس أو اضطر لأن يمخط .

٢ — الصحة الشخصية

الأكل

الشهية : يصبح الانتقال إلى شهية أحسن (وهو الملحوظ عند سن ٤،٥) مستقراً بدرجة لا بأس بها عند سن الخامسة ، على أن ذلك لا يعنى أن جميع الواجبات قد تحسنت بانتظام فإن وجبتين فى اليوم تكونان جيدتين على حين تكون الثالثة (وهى وجبة الإفطار عادة) ضعيفة نسبياً . والمرض أو الجراحة لا تذهب بهذه الشهية المستقرة كما كان يحدث للطفل فى سن أبكر من هذه ، ونقص الشهية أثناء المرض أو الجراحة كثيراً ما يعقبه بالفعل زيادة أكيدة أثناء فترة النقاهة .

وطفل الخامسة يهتم باستكمال الأمور إلى حد يصل به إلى الحرص على تنظيف طبقه ، وهو بطىء فى القيام بهذه المهمة ولكنه دءوب مصر . وشهيته أحسن من قدرته على إطعام نفسه أو اهتمامه بذلك ، ومن ثم لا يكتفى بقبول المساعدة وقت الأكل بل كثيراً ما يطلبها .

الرفض والتفضيل : يحب طفل الخامسة الطبخ العادى البسيط . وهو يفضل فى وجبته الرئيسية اللحم والبطاطس والخضروات

النيئة واللبن والفاكهة ، أما صلصة اللحم والطواجن بل حتى البودنج فقد تبدو له معقدة واصطناعية أكثر مما يطيق ، والخضروات المطبوخة ولا سيما الجذور منها غير مستحبة عنده بوجه خاص ، وأما الحبوب فإنه يواصل تناولها غالباً استجابة لرغبة والديه ولا تكون مقبولة عنده إلا إذا أطعمه إياها أحدهما . ومع ذلك فالطفل فى رفضه وتفضيله للأطعمة يتأثر بالمثال الذى يضربه له الآخرون ، كما يتأثر أيضاً ببرامج الإذاعة حتى لقد يتقبل أوراق اللفت الخضراء لما تحتوى من ڤيتامينات .

وهو يقبل الأطعمة الجديدة على مائدة العائلة إذا كان لا يحضرها إلا مرات قليلة فى الأسبوع ، أو فى أحد المطاعم أو فى إحدى الرحلات أو عند ما يكون أحد الضيوف حاضراً .

إطعام الطفل نفسه : يُتوقع من طفل الخامسة أن يطعم نفسه بنفسه وهو يستطيع على وجه العموم أن يبدى فى ذلك مهارة لا بأس بها وإن كانت فى بطء ، ومع هذا فكثير من أبناء الخامسة لا يزالون بحاجة إلى العون وخاصة قرب نهاية الوجبة ومع أطعمة كالحبوب التى لا يميلون إليها كثيراً ، على أن أكلهم يكون أحسن وأسرع إذا تناولوا معظم وجبتهم بمعزل عن مائدة العائلة. وقد أخذ ابن الخامسة يستعمل السكين فى بسط الطعام على الخبز ، ولكنه لم يصر بعد على استعداد لقطع اللحم بها ولن يصل إلى ذلك قبل عدة سنوات أخرى .

آداب المائدة : لا يكون لآداب السلوك أهمية كبيرة إلى أن تكون للطفل شهية جيدة ويصبح قادراً على إطعام نفسه بنفسه تماماً ، ومن ثم لا تزال أمام ابن الخامسة مهلة قصيرة قبل أن يتلقى سيول النقد ، هذا إلى أنه كثيراً ما يتناول وجبته الرئيسية فى المساء بالمطبخ بعيداً عن أفراد العائلة ؛ وهناك يجيد تناول الطعام إلى حد كبير لأن أمه تتنقل فى المكان دون أن تعيره اهتماما كثيراً مباشراً .

وتناوله الطعام مع أخ صغير قد يشجعه على الأكل أو يعوقه عنه ، فإذا كان يتناول الطعام فى غرفته عادة فإن إكرامه بالأكل فى المطبخ يكون حافزا مشجعا ، وكذلك يكون فى تناوله وجبات قليلة فى الأسبوع مع العائلة دافعاً جديداً ، بيد أن ذلك ليس معناه أنه يستطيع الثبات على مستوى رفيع فى جميع الوجبات .

فإذا هو حضر جميع الوجبات بما فى ذلك وجبة العشاء الرئيسية ليلا عند ما يكون الوالد بالمنزل فإنه عادة يتلوى فى كرسيه عابثاً . صحيح أنه لا ينهض ويجرى دائراً فى المنزل أو يطلب أن يذهب إلى الحمام كما كان يفعل فى سن الرابعة ، ولكنه يستجمع عادة وهو جالس على المائدة كل ما أوتى من قدرة على التحدث ويهدف إلى الاستئثار بالحديث كله ، فتكون عاقبة ذلك تعطيله عن الطعام وجعله يبطئ بطأً جسيما ، فلو استطعنا أن نجعله يتناول أهم ما فى الوجبة من أصناف قبل جلوس العائلة إلى المائدة لتحسن أكله واستطاع أن يتناول الحلو مع العائلة بمهارة .

وطفل الخامسة يحب الامتثال لمن حوله وإذا وجه إليه اللوم بذل الجهد لتحسين سلوكه ، وإن كان الأمر قد يتطلب تذكيره مراراً عديدة . وربما ظل حتى الآن يلبس المريلة ، وإن كان كثير منهم يرتدون فى الوقت الحاضر فوطة محشورة عند العنق .

النــــوم

الإغفاءة : إن قسما لا بأس به من أبناء الخامسة لا يزالون يأخذون إغفاءة من آن

لآن . ويلوح أن فى النعاس إصلاحا للجسم بعد التعب . وإذا كان ابن الخامسة يذهب إلى روضة الأطفال قبل الظهر ، أو إلى روضة الأطفال بعد الظهر فلا يصح أن يسمح له بالإغفاء إلا يومى السبت والأحد فقط ، ويصح أن يغفى فى الأيام المطرة ، وعلى كل حال فإنه لا يغفى فى العادة أكثر من مرة أو مرتين فى الأسبوع . والأولاد أكثر ميلا إلى الإغفاء من البنات ، وقليل منهم من يغفى خمس مرات فى الأسبوع ولمدة ساعة إلى ساعتين .

ومن عادة معظم أبناء الخامسة الذين لا يغفون أن لا يأخذوا فترة راحة من تلقاء أنفسهم ، على أنهم قد يطلبون الذهاب إلى الفراش مبكراً فى المساء ، وهم لا يقاومون « إغفاءة لعب » مدبرة لمدة نصف ساعة إلى ساعة إن هم زودوا بشىء مشوق يعملونه كالتلوين وعمل أشكال من الصلصال أو بناء منشآت بالعلب المعدنية أو بالكتل الخشبية . ويرتاح الطفل راحة أفضل إذا كانت أمه ترتاح فى غرفتها فى نفس الوقت ، وهو يسر بصفة خاصة بالمنبه الذى يضبط ليدق مؤذنا بانتهاء إغفاءته .

وقت النوم : يواظب الكثيرون على السابعة موعداً لنومهم ، وقد يتأخر بعضهم إلى السابعة والنصف ، ومنهم من يتأخر حتى الثامنة . وقد جرت العادة أن تقرأ الأم لابنها قبل أن يذهب إلى فراشه ، وكثيراً ما يفضل أن تتقدمه أمه لتضىء له الأنوار . والعادة أن تهيؤه للفراش يتم فى سكون ويسر . وبعضهم لا يزال يأخذ معه إلى الفراش لعبة على شكل حيوان أو عروسة ، ولكن الكثيرين منهم قد أقلعوا عن هذه العادة ، ومع ذلك فليس معنى هذا أن الطفل لن يعود إلى لعباته الحيوانية المحبوبة فى سن أكبر عند ما تزداد حاجته إليها .

وقد يطلب بعض من لا ينامون سريعا أن يقرأوا أو يلونوا فترة قليلة ، على حين ينام آخرون فوراً دون إبداء أية رغبة فى مناشط ما قبل النوم ، وهناك إلى ذلك آخرون يميلون إلى الرقاد بهدوء فى الظلام وهم يغنون أو يرددون لأنفسهم محادثة خيالية مع طفل آخر ، وكثيراً ما تدور هذه المحادثات حول أعمال الجرأة والبطش كضرب طفل آخر ضربا مبرحا أو اصطياد حيوان مفترس بالرصاص .

وقليل منهم لا يزالون كثيراً ما يقومون من نومهم مطالبين بالماء أو بشىء من الطعام أو بالذهاب إلى الحمام ، ولكن معظمهم يستطيعون رعاية حاجاتهم بأنفسهم دون أن يضايقوا والديهم وإن كانوا يبلغونهم ما يفعلون . والعادة أن طفل الخامسة يستغرق فى النوم بعد دخوله الفراش بنصف ساعة ، وقليل منهم من يظل مستيقظاً حتى الساعة التاسعة مساء ، وقد يكون سبب تأخر النوم قضاء يوم حافل بالمثيرات أو حضور بعض الزوار أو توقع خروج الوالدين للسهرة ليلا ، فإذا عز على الطفل أن يظفر بالنوم فقد يساعد على نومه وضعه فى سرير أحد والديه ثم نقله بعد ذلك إلى فراشه .

الليل : ينام بعض الأطفال الليل كله ولكن ضرورات قضاء الحاجة أو الأحلام تقطع على الكثيرين نومهم ، وهذا هو السن الذى كثيراً ما يتردد فيه الوالدون : هل يحمل الطفل أثناء الليل باطراد لقضاء الضرورة ، أم هو على استعداد للنوم طول الليل ؟ وتجربة لعدم إيقاظه تبين إما أنه لم تعد به حاجة إلى الذهاب إلى الحمام ليلا ، أو أنه يستيقظ من تلقاء نفسه (وذلك بعد منتصف الليل فى العادة) وينادى على أمه ، وبعضهم يقوم فعلا بقضاء الضرورة بنفسه ولكنهم يعتزون

بوجوب إعلان ذلك لأمهاتهم قبل العودة إلى الفراش ، ولا توجد عادة صعوبة كبيرة فى العودة إلى الفراش وإلى النوم ثانية .

والأحلام والكوابيس تجتاح لاشك نوم كثيرين من أبناء الخامسة ، والحلم بالحيوانات المخيفة هو الغالب عليها . وكثير من الأطفال من يستيقظون صارخين ويصعب عليهم التخلص من حلمهم حتى ولو كانت أمهاتهم إلى جوارهم ، وبالاستعانة بنقلهم إلى غرفة أخرى أو أخذهم إلى الحمام لقضاء الضرورة يستيقظون أخيراً ويدركون أين هم ثم يعودون إلى ما كانوا عليه من نوم . والعادة أنه يعسر على الطفل أن يخبرك بالكثير عن هذا الطراز من الكابوس ، ويدهش الإنسان أن يلحظ السرعة التى يعود بها إلى الطفل هدوءه بمجرد لمس أحد والديه له أو سماعة لصوته . وابن الخامسة يأخذ فى التكلم بصوت مرتفع أثناء نومه ويذكر فى العادة اسم أمه أو اسم أخ صغير له .

الصباح : معظم من فى سن الخامسة يستيقظون فيما بين السابعة والثامنة صباحا بعد نوم يستغرق إحدى عشرة ساعة ، وكثيراً ما يجاملون فيؤخرون استيقاظهم فى أيام الآحاد ، أما من يستيقظون قبل السابعة فهم فى الغالب الذين يداومون الإغفاءة أو الذين يوضعون فى أسرتهم مبكراً جداً .

وفى هذه السن يتوقع من الطفل أن يعنى بشئون نفسه عندما يستيقظ فيقفل نافذته ويلبس برنس الحمام والشبشب ويذهب إلى الحمام لقضاء الضرورة ، ثم يشغل نفسه فى الفراش بالتلوين أو بالكتب حتى يحين موعد مغادرة الفراش . ويستطيع ابن الخامسة فى غالب الأحيان أن يبذل مساعدة كبيرة لأخ أصغر منه قد تصل إلى تغيير البيجاما المبتلة ، وهو لم يعد يطلب أن يذهب إلى فراش والديه فى الصباح لأنه قد صار مشغولا تماما بمناشطه الخاصة .

الإخراج (قضاء الضرورة)

الأمعاء : من عادة ابن الخامسة أن تكون له حركة واحدة[1] فى اليوم تحدث فى العادة بعد وجبة من الوجبات ويكون ذلك فى بعض الأحيان بعد الغداء ، فإن لم يحدث عند ذلك حدث بعد العشاء أكثر منه بعد الإفطار . فأما عادة طفل الرابعة فى مغادرة الطعام للقيام بحركة فليست من خصائص ابن الخامسة ، ولكن الطفل قد يشكو ألماً فظيعاً فى نهاية إحدى الوجبات يرجع سببه فى العادة إلى الحاجة إلى إحداث حركة من الأمعاء . أما الأطفال الذين يقال عنهم إنهم يظفون[2] فى أى وقت كان فكثيراً ما يبدو فيهم إمساك متزايد وميل إلى تفويت يوم أو يومين دون وظف ، وهذا أكثر انطباقا على البنات ومن ثم يحتجن إلى تفقد أحوالهن من هذه الناحية بعناية أعظم ، ومما يساعد على تغلبهن على الإمساك أن يشار عليهن بضرورة البقاء فى الحمام المدة الكافية للوظف ، وقد يحتاج الأمر إلى شراب القراصيا أو إلى مُليّن خفيف . وأطفال الخامسة يبدون من الاهتمام فى التبليغ عن حركة أمعائهم أقل مما كانوا يبدون فى سن الرابعة ، ولا يزال بعضهم بحاجة إلى المعاونة فى التنظيف (المسح) .

---

(١) حركة واحدة هنا يكنى بها عن قضاء الضرورة مرة واحدة .

(٢) يظفون بمعنى يؤدون الوظيفة الفسيولوجية (وهى هنا التبرز) .

الثالثة : إن طفل الخامسة وإن كان يضطلع بمسئولية قضاء الضرورة إلى حد لا بأس به لا يتبول مراراً كما ينبغي ويحتمل أن يؤجل الذهاب إلى الحمام حين يكون بالفعل فى حاجة إليه ، والتلوى والوثب على قدم واحدة تنم عن ذلك بوضوح للكبار . وبعض الأطفال معرضون للتبول فى فترات كثيرة إلى حد ما ومن ثم يحتاجون إلى من يقتحم عليهم فترة لعبهم صباحا أو بعد الظهر ويذكرهم بالحمام فى الوقت المناسب قبل فوات الأوان ، وقد يقاومون من يقطع عليهم حبل لعبهم ولكنهم يكونون أطوع قيادا إذا لوحنالهم بشىء يلتهمونه بسرعة أو دققنا لهم جرسا

ومن البنات من تجب ملاحظتهن خشية أن تصاب أعضاء تناسلهن بالاحتقان والاحمرار ، وفى الإمكان معالجة ذلك بسهولة بواسطة مرهم مبرد ، ومن المحتمل أن تكون هذه الحالة ذات صلة بحركات الاستمناء ولكنها قد تكون أيضاً من الخصائص النمائية أو الخصائص الفردية .

وحوادث الليل[1] ليست كثيرة ولكن قضاء الضرورة ليلا كما هو مشروح فى بند (النوم) لا يزال كثيراً نسبيا ، فإما أن يوقظ الطفل للذهاب إلى الحمام باطراد وإما أن يستيقظ من تلقاء نفسه وينادى أبويه ، أو لعله يستطيع أن يذهب بنفسه إلى الحمام ويبلغ والديه أنه قد ذهب .

الحمام واللبس

الحمام : يتم الاستحمام الآن بقدر متوسط من السرعة وبقدر من الاشتراك الفعلى من جانب الطفل ، نعم إنه لا يستطيع حتى الآن أن يغترف الماء اللازم ولكن هذا يرجع بعضه إلى خوفه من حنفية الماء الساخن . ومن المقطوع به أنه يرغب فى المعاونة فى غسل نفسه ولا سيما يديه وركبتيه ، وهو عرضة لأن يظل ملتزما ركبة واحدة فيغسلها المرة تلو المرة وعندئذ يحتاج إلى من يحوله إلى الركبة الأخرى أو إلى جزء آخر من جسمه . وكثير من الأمهات يفضلن أن يحمّين الطفل بأنفسهن ويفرغن من الأمر كلية ، ومنهن من يشغلن أنفسهن بالقراءة ويشرفن فى نفس الوقت على اغتسال الطفل عضواً بعد عضو طيلة حمامه . وهناك قلة من الأطفال لا تزال تتعلق بلعبة القوارب أثناء الحمام .

اللبس والعناية بالثياب : كثيراً ما يقرر الوالدان أن الطفل يمكنه أن يلبس نفسه ولكنه لا يفعل ، ولا يزال خلع الثياب أسهل من لبسها . وابن الخامسة يكون أحسن حالا فى ارتدائه الثياب إذا وضعت له كل قطعة بمفردها على الأرض ، وإلا فإنه لا يزال عرضة لأن يرتديها مقلوبة . وهو يستطيع الآن أن يزر بيديه كل أزراره إلا الخلفية منها . وربط أربطة الأحذية فوق طاقته ، ومن استطاع منهم ذلك كانت أنشوطته مفككة جداً .

وبين أبناء الخامسة عدد متوسط يستطيعون أن يقوموا بعملية ارتداء الثياب دون كثير حض ، وثمة آخرون لا يحسون دافعا ذاتيا إلا عندما يتطلعون شوقا للاستعداد لحدث سيحدث بعد ذلك ، أو لرغبتهم فى إدهاش والديهم . ومنهم من يقدر على اختيار يومين أو ثلاثة فى الأسبوع يكون فى أثنائها مسئولا عن إلباس نفسه ، أما الأيام الأخرى فتلك أيام الأم تكون فيها مسئولة تماما ، ويصح التأشير بعلامة فى التقويم (أو النتيجة) أمام أيام

---

[1] (١) أى تبول الطفل على نفسه .

الطفل إذ هو قد أخذ يشعر بالاهتمام بالتقويم كدليل وسجل .

ولا يتحمل الأطفال فى هذه السن إلا مسئولية ضئيلة عن ثيابهم سواء أكان ذلك من حيث اختيارها أو إخراجها أو جمعها بعد خلعها أو حفظها فى حالة طيبة ، ولا يستثنى من ذلك حتى أولئك البنات اللواتى على وعى قوى بالثياب وافتخار بمظهرهن فتراهن لايعنين بثيابهن العناية الواجبة .

الصحة والشكايات الجسدية

تكون صحة ابن الخامسة على وجه الإجمال حسنة نسبياً اللهم إلا من حيث الأمراض المعدية التى تزداد عدداً من سنته الرابعة فصاعدا ، ويجىء فى رأس القائمة السعال الديكى والحصبة والجديرى ، ولا يصاب بعضهم بالبرد أو الزكام إلا مرة أو مرتين أثناء شهور الشتاء وهذا مناقض مناقضة مدهشة للزكام المتكرر الذى كان يصيب ابن الرابعة .

وآلام المعدة منتشرة نوعا ما وترتبط بما يتناوله الطفل من طعام وبحاجته إلى التبرز على السواء . وربما ألم المغص المعدى بالطفل بعد إرغامه على ابتلاع طعام لايحبه أو بسبب تناوله الطعام بسرعة كبيرة جدا ، فإذا أرغم الطفل على الفراغ من طعامه بعجلة عظيمة جداً فإنه ربما قاء .

متنفسات التوتر

تتصل معظم ألوان التنفيس عن التوترات بمناشط ماقبل النوم ، وربما استمر مص الإبهام لدى قليل من الأطفال ولكن ذلك لايحدث إلا قبيل النوم ، وقد لايحدث مع البعض إلا مرة فى الأسبوع أو مرة فى الشهر . وثمة آخرون يستعملون فى المص أدوات الفراش كالملاءات والبطانين والمخدات واللعب الحيوانية لتعينهم على النوم بسرعة . وتدل التقارير على أن كثيراً منهم قد أقلع عن هذه العادات أو أنه فى سبيل الإقلاع عنها .

والخامسة سن ملائمة لتدبير خطة للقضاء على مص الإبهام ، وعلى الوالدين أن يفرقوا بين الطفل الذى سيمكنه أن يقلع عنها بنفسه والذى يحتاج إلى المعاونة ، فلربما كان الإقلاع الإرادى عن الشىء المتصل بمص الأصابع مما يحطم النمط السلوكى لتلك العادة ، وفى هذه الحالة ربما احتاج الطفل للمساعدة حتى ينام وذلك كأن تجلس الأم إلى جواره أو أن تعيد الشىء الذى يبعث على النوم إذا لم يستطع الطفل الاستغناء عنه . وربما كان مما يزوده بالدافع الضرورى ربط الإبهام أو وضع خطة لاستحضار شىء مرغوب فيه كثيرا (كقطة صغيرة مثلا) ، وعلى كل حال يجب ألا تفرض الخطة على الطفل ، بل يجب أن تدرس وتناقش معه بالتفصيل حتى تصبح خطته هو .

والاستجابة لنزعة رفع اليد إلى الوجه وهى المتجلية فى حفر الأنف[1] وقضم الأظافر أو أية حركة من اليد للفم شائعة إلى حد كبير فى سن الخامسة . والشن بالأنف[2] قد يكون من كثرة التكرار كالدقة المنتظمة أو اللزمة . فأما أولئك الذين لايفصحون عن متنفسات التوتر عندهم بهذه الطرق المحدودة فيعبرون عنها فى علاقاتهم مع الناس وخاصة أمهاتهم ، وهم بين عنيد مقاوم وبين عواء

---

(١) العبث فيها بالإصبع لإخراج محتوياتها .

(٢) استنشاق المخاط نحو الداخل لمنع نزوله من الأنف .

سيء الخلق فى حين أن بعضهم لايزال يبدى ماعليه أبناء السنوات الأربع من نزعة إلى تجاوز الحدود ، فيستمرون فيما كانوا عليه من نشاط زائد عن الحد وضجيج مقلق ، وقد يتخذون من شرخ بسيط فى لعبتهم إيحاء بتدميرها تدميرا كليا . وتؤثر عوامل الشخصية فى الوسائل التى تتبع لإزالة التوتر والتخلص منه .

٣ — التعبير الانفعالى

قد تغلب ابن الخامسة إلى حد كبير على ما كان له فى الرابعة من ميل إلى الخروج عن الحدود وإلى الفرار وإلى زيارة الجيرة ، والبيت عنده فى الغالب معناه أن يكون داخل الجدران ولا سيما بمسمع من أمه ، ويقال عنه أنه خدوم معوان . وهو وإن كان متكلما مسهبا فإنه يتمعن قبل أن يتكلم ولا ينساق فى الحديث انثيالاً كما كان يفعل فى سن الرابعة وكثيراً مايكون متلمسا الإجابة حريصا عليها ، ولا يقتصر الأمر على أنه معوان بل غالبا مايكون متعاوناً حتى التعاون ، وهو لايتصرف قبل أن يستأذن ، ومع أنه ربما كان يوما ما فى غيرة من أخ أصغر منه فإنه يتعشق الآن ذلك الأخ نفسه ويظهر فى العناية به مزيد الحماية والعون .

وطفل الخامسة متزن ، فقد اكتسب ضوابط جديدة رادعة كما أنه يجيد توقع ماسيحدث فى القريب العاجل ، ومع ذلك فربما أثارته حادثة متوقعة استثارة شديدة إذا لم يكن قد استعد لها قبل حدوثها بزمن كاف ، وربما اضطرب فى طعامه ونومه ، واستبد به الخجل أو اعتراه نشاط خارق للعادة [illegible]

[illegible]

فى الرابعة من اندفاع وتهور ، ولم يعد يجنح إلى التباهى أمام الناس . وربما جذبه جرس التليفون على الرد عليه وكانت أمه هى التى ترد حين كان أصغر سنا بينما كان هو ينتهز الفرصة فيهرع إلى بطرمان الكعك .

وهـــذا الاتزان الردعى يجعل ابن الخامسة قادرا على نوع جديد من التصميم ونوع من الإيجابية القاطعة يستعملها لفرض إرادته ومتابعة تنفيذ آرائه حتى النهاية ، ويجعله كذلك مستبداً برأيه إلى درجة ما ومن ثم لايكون لديه إلا طريقة واحدة للقيام بعمل ما ، وإلا جواب واحد للرد على سؤال ما . ومن المهم أن نعرف ذلك فيه كسمة نمو وقتية ربما كانت نافعة ، فإذا أنت ناقضته أو حاولت أن تجعله أوسع أفقا فى التفكير ناقضك بدوره واستمر فى مجادلتك مادمت تسمح له بالجدل . والعادة بك أن تخسر تلك المعركة أو لعل الأوفق على الأقل أن تخسرها ، فإذا تجاوزت المدى فى دفعه غضب ثم أخذه البكاء أو شرع يسب ، فهو يدعو أمه مثلا « بالبنت الشقية » أو « الفأر القذر » فإذا كلمناه بحدة أو وبخناه فإنه فى العادة يبكى ، ولـكنه فى معظم الأمر يحاول التشبث بموقفه ويكون أقل جنوحا من قبل لأن يندفع مولياً ويلتمس التسرية عن نفسه باحدى لعبه الخاصة المروحة . وقد تستطيع أمه أن تساعده فى كبح فعل جامح بتدخلها وتفوهها بكلمة سحرية كلفظة (خيمة) مثلا (هذه الـكلمة قد تفعل فعل السحر إذا كان الطفل فى ذلك الوقت يشعر بشغف شديد بأن يحصل على خيمة) .

وبعض أبناء الخامسة لايجيدون التصرف ما لم يبدأوا يومهم بداية حسنة ، وكثيراً ماتستطيع أن تجعل الطفل يتلاءم مع ماتطلبه

منه إذا ساعدته على تنفيذ فكرتك على طريقته هو ، وهى الطريقة التى تختلط فيها طريقته بطريقتك . فأما هو فإنه لا يستطيع أن يتحول عن موقفه وهو فى منتصف الشوط بل يجب أن يبدأ من جديد ثانية ، فقد شوهد أن أحد أبناء الخامسة وقد بدأ يومه بداية سيئة ، واستمر سادرا فى طريقه السيء انتهى به الأمر بعد أن انتصف النهار إلى البكاء قائلا « ليتنى أستطيع أن أبدأ يوم الأحد هذا من جديد » .

٤ — المخاوف والأحلام

المخاوف

ليس سن الخامسة سن خوف ولا هو سن تنبه مفرط ، ومع أن الطفل قد يكون الخوف أدخل فى قلبه فيما سلف بحكايات الساحرات والأشباح والبعبع فلعله لا يخافها الآن إذ ليس لها عنده إلا ظل ضئيل من الحقيقة . وخوف الطفل اليوم من الكلاب أقل قليلا منه قبلا ، وربما دأب على الجهر بأنه خائف من الأشياء وإن كانت حدة مخاوفه قد أخذت تتناقص فعلا ، ومع ذلك فإن طفل الخامسة قد بدأت تلم به مخاوف ربما استفحل أمرها عند سن ٥،٥ أو ٦ كالخوف من عناصر طبيعية معينة كالرعد والمطر الشديد والظلام .

وأبرز خوف يساوره خشيته من الحرمان من أمه بأن تخرج ثم لا تعود إليه ثانية ، أو أن لا تكون موجودة بالمنزل عند عودته من المدرسة ، أو أن تكون قد خرجت عندما يستيقظ فى بهمة الليل ، وربما تكون هذه فترة صعبة على الأم لأنها تضطرها إلى ملازمة المنزل حتى بينما يكون الطفل نائماً ، ومع كل فلا مناص من أن نصل مع الطفل بكيفية ما إلى نوع من المواءمة يرتضيه الجميع ويكون من شأنه أن يظل الطفل مسيطراً على مخاوفه ، فمن ذلك حمله على قبول حماية أى فرد آخر أثناء غياب أمه ، وربما كان كل ما يحتاج إليه ليحس الطمأنينة هو رقم التليفون الذى يوصله بأمه الغائبة .

ويزيد الليل مخاوفه شدة ، والرعد أو الصفارات المزعجة أشد إخافة له ليلا منها نهاراً . ومع أنه أقل خوفا من الظلام فهو لا يزال يحب أن تسبقه أمه إلى الطابق العلوى ساعة النوم ، وكثيراً ما يرغب فى أن يظل النور متقداً فى الصالة أو الحمام وأن يظل باب غرفته مفتوحا قليلا ، وإذا حاولت أمه تلهيته بالحديث فكثيراً ما يقول « ولكن الظلام يجيء على وجهى » .

الأحلام

كثيراً ما تقطع الأحلام نوم طفل الخامسة وهى فى العادة كريهة ، وموضوعها فى معظم الأمر الذئاب والدببة التى تقتحم عليه الفراش ، وربما عضته أو طاردته غير أن هذا العدوان الفعال أكثر انتيابا للطفل فى سن ٥،٥ و ٦ وكثيراً ما يستيقظ ابن الخامسة صارخا بسبب ما يلقاه فى أحلامه من عناصر التخويف ، والعادة أن يهدأ بسهولة نوعا ما وإن احتاج إلى بعض الزمن قبل أن يصحو من الكابوس وقبل أن يعود إلى النوم ثانية بعد إيقاظه .

وقد يقص الطفل رؤياه فوراً أو عند الصباح ، وبعض الأحلام الأخرى لا تقص إلا عندما تساعد بعض خبرات النهار على استرجاع الطفل لها ، مثال ذلك أن طفلة كانت تقرأ مع أمها قصة ضفدعة خضراء فتوقفت فجأة وصاحت « خضراء ، خضراء

مثل المرأة ، أنت تعرفين أنى لا أظن أنها ستخرج فجأة من تحت الأرض وتخيفنى » . والذين تلم بهم الكوابيس لا يستطيعون أن يقصوا من هذه الأحلام شيئاً ، وآخرون تدل الدقة التى يقصون بها على أنهم ربما كانوا يفتعلون هذه الأحلام التى يقصونها .

والحيوانات الضارّية والأشخاص الغرباء أو الأشرار الذين يخيفون الطفل أبرز ما يكوّنون فى أحلام الخامسة . وهناك أيضاً طائفة من الأحلام قوامها بعض أوجه النشاط المتصل بالعناصر الأولى للطبيعة كالطيران فى الهواء أو الوثب فى الماء أو الاقتراب من النيران ، وهذه تحدث عادة بمناسبات كريهة إلى حد ما أو مخيفة . وقد أخذت أحداث كل يوم والأشخاص المألوفة (كالأمهات والزملاء) فى الظهور فى الأحلام ولكنها لا تلعب حتى الآن دوراً بارزاً .

٥ — الذات والجنس

الذات

قد غدا ابن الخامسة أكثر احتواء ذاتياً مما كان فى سن الرابعة فهو أقرب إلى الإنسان ، وهو جاد فيما يتصل بنفسه ، تبهره مقدرته على تحمل المسئوليات وتقليد سلوك الكبار ، وفيه يقول الناس بحق إنه أكثر نضجاً . وربما لا يبدو مستقلا كما كان ولكنه أكثر تنبها إلى علاقة أعماله بالناس وبالعالم المحيط به . وهو خجول فى اتصاله بالناس ولكنه يشيد بينه وبينهم على مهل علاقات وطيدة تجعل سن الخامسة من أحب أعمار الأطفال لدى الكبار ، وابن الخامسة يحب فى علاقته بالأشياء وبالناس أن يمهد السبيل ويدبر الخطط لأحداث المستقبل القريب أكثر مما يميل إلى أن يفاجأ بها على غرة .

وهو آمن مطمئن فى علاقته مع أمه حتى لكأنها هى هو ، ومن ألزم الأمور له أن يحتفظ بعلاقة متوازنة من الأخذ والعطاء مع أمه . وهو طيع بطبعه راغب فى إدخال السرور وبذل المساعدة كما أنه يطلب الإذن ولو لم يكن ذلك ضرورياً .

وتتبدى فى طفل الخامسة ذاكرة عجيبة للحوادث الماضية ، فيستطيع أن يختزن الأفكار بنفس الطريقة التى يختزن بها الأشياء . وهو يجمع ، بواسطة مايطرح من الأسئلة ، رصيداً من المعلومات مثيراً أخاذاً . ويحيط بابن الخامسة (شأنه فى الأشياء جميعاً) ضرب من روح النظام فيما يفكر فيه وفيما يفعله على السواء .

والخامس (أى ابن الخامسة) يعيش فى عالم قوامه « هنا والآن » كما أن أكبر اهتمام له فى العالم مقصور على خبراته المباشرة الخاصة ، فهو يحب المكث بالقرب من قاعدته المنزلية .

الجنس

لا يتعمق ابن الخامسة عادة فى مسألة الجنس كما كان يفعل فى الرابعة ، واهتمامه بالجنس ينحصر بوجه خاص فى الطفل أعنى فى ميلاد طفل ، ويتجلى فيه هذا الاهتمام حتى فى العطف الأموى الذى يبديه نحو أخ أصغر منه . ومع أنه ربما قد سأل فى سنة سابقة « من أين يأتى الأطفال ؟ » فإنه يعيد توجيه هذا السؤال عند سن الخامسة ، وكل ما يريد أن يعرفه هو أن الطفل ينمو فى بطن أمه ، وقلما اهتم بأن يعرف كيف ابتدأ الطفل . واستعمال كلمات من أمثال (البذور) أو (البيضة) لا يفيد إلا فى تذكيره بالنباتات والكتاكيت ، وقد يترتب عليها إرباكه أكثر من مساعدته . وهو يتقبل بلا تردد أى رواية كما تروى له ثم يعود فيرددها بقليل من تفهم لمعناها . وقد حدث ذات مرة أن قدم

أحد أطفال الخامسة أخاه الأصغر منه إلى بعض الأصدقاء قائلا « هذا أخى الوليد وقد جاء من بذرة » .

وبعض أبناء الخامسة لايزالون يتشبثون بالفكرة القائلة بأنك تشترى الوليد من المستشفى ، بل قد يحلون مشكلة جنس الطفل بإعلان أن المستشفى تقدم الصبيان فى أيام معينة والبنات فى أيام أخر . وقليل جداً من الخوامس من يلحظون نمو بطن الحامل ، وهم لايفقهون أى معنى لفكرة نمو الطفل داخل الأم . وثم قلة من البنات تهتم بكيفية خروج الطفل وقد تظن من تلقاء نفسها بأنه قد خرج من موضع عملية الزائدة الدودية إن كان قد تهيأ لها أن رأت أثر تلك العملية فى يوم من الأيام .

والذى يهم حقيقة أبناء الخامسة هو كما ذكرنا آنفا الوليد نفسه لا ما سبقه من أحداث . ويرغب البنون والبنات على السواء فى أن يكون لهم طفل خاص بهم . وبعض الخوامس يربطون بين أنفسهم وبين عهد قديم كانوا فيه فى بطون أمهاتهم ، ويحبون أن يتحدثوا عن ذلك وأن يسألوا أمهاتهم إن كن يتذكرن كل شىء عنه ، أو لعلهم يحبون أن يصلوا أنفسهم بالمستقبل الذى سيكون لهم فيه طفل خاص بهم ، أو لعلهم يستنتجون ، حين يجدون عند معدتهم انبعاجا طفيفا ، أنهم سيحصلون على طفل أو ربما على عروسة (دمية) . وقد يمثل الطفل عملية الميلاد بإبرازه فجأة عروسة كان يضم عليها فخذيه ! ! وربما كان لطفل آخر من نفس السن إحساس بالحقائق أكثر تمحيصاً ، فإن طفلا فى الخامسة سُمع يسأل آخر فى سنه « هل بلغت السن التى تستطيع فيها أن تأتى بطفل ؟ » وكان الجواب « لا والله ... إنى لاأستطيع إلى الآن حتى قراءة الساعة نفسها » .

وقلما لعب ابن الخامسة لعبة كشف أعضاء التناسل أو الإليتين . والواقع أن الخامس قد أصبح حيياً نوعا ما وخاصة فى ناحية كشف بدنه للغرباء ، بل لقد يبدو عليه الحياء أمام الخادمة أو أمام أخ أصغر سنا . وهو متنبه إلى أعضاء التناسل فى الآخرين عندما تكشف لناظريه كما أنه عليم بالخصائص الجنسية الإضافية كشعر العانة والأثداء ، ومع أنه يعرف أن أعضاء التناسل تدل على الفارق فى الجنس فانه لايزال عرضة لأن يميز الصبيان من البنات بقصة الشعر أو الأسماء ليس غير . ولا يزال شىء من الحيرة فى أذهان بعض أبناء الخامسة ، حول السبب فى أن أختهم ليس لها ذكر أو أن أباءهم ليس لهم أثداء ، وقد يعبر بعض الخوامس عن رغبتهم فى أن يصيروا من الجنس المقابل على حين يؤكد بعضهم تمسكه بجنسه بنبذ أى لعبة يملكها تمت إلى الجنس المقابل بسبب ، فالأولاد مثلا قد يرفضون رفضا باتا أن يلعبوا بلعبات أنثوية كالعرائس أو لوحات الكى .

٦ — العلاقات بالناس

الخامسة هى تلك المرحلة البهيجة التى يأخذ فيها المرء الحياة على علاتها فهو على وجه الإجمال لايطلب من الحياة شيئاً كثيراً ولا يعطيها كثيراً ، ومشاكل حياته محدودة المدى كما أنها عليه سهلة المتناول . وتجد أمه فيه فرحة لها إذ يملأ البيت عليها . وهو معوان إلى حد كبير ويضع نفسه عن كثب دائما ليجيب النداء ، ويجعل أمه على علم بمناشطه بإدامة الاستئذان . ولديه طرائق تزيد فى معزته يُظهر بها كم هو كلف بأمه ، فهناك بنت فى الخامسة أحست بعض الضيق بسبب خروج أمها فعبرت عنه بقولها « إن معدتى توجعنى فأم

بالبكاء، وعندما تعودين: أوه .. ما أسعدنى.»
وثمة بنت خمسة أخرى كانت تحاول أن تكون أكثر طاعة فهمست فى أذن أمها قائلة « عندى مفاجأة لك — سأقول لك O.K. كلما كلمتينى » .

وكذلك الآباء لهم نصيبهم من محبة أطفال الخامسة ، على أنه يندر مع ذلك أن يكون الأب هو الأثير دون الأم . وطفل الخامسة مغرم بأبيه فخور به ولعله أطوع له منه لأمه ، ولكنه ربما لا يتقبل من أبيه العقوبة بنفس القبول الحسن الذى يتلقاها به من أمه ، وإنه ليطلب أمه قبل كل شىء إثر ما يلقى فى ظلام الليل من عدم اطمئنان . أما إذا اعترى الأم شىء من المرض فإن بعض الخوامس الذين أبطأوا فى إنشاء العلاقات بآبائهم يتقبلون عندئذ آباءهم بدلا من أمهاتهم وقد لا يتلقى الآباء من أطفالهم حباً يعادل ما يتلقاه الأمهات ولكنهم مقابل ذلك لا يتلقون مثل الذى تتلقاه الأمهات من الإهانات ! فالأم هى التى تتلقى صدمة ثورات الطفل ، والأم هى التى تنعت « بالوحشة والخنزيرة » وهى التى يهددها بأنه لن يلعب معها بعد ذلك لأنها (نحة) .

وقد أخذ الخامس يبدى مقدرة أكبر على اللعب مع الآخرين . وربما يلعب جيداً جداً مع أخ أصغر منه أو أكبر ، ذلك أنه أصبح أقل ميلا إلى التسيطر وأنه قد غدا اليوم معوانا بل حتى مبديا التعلق بأخ أصغر منه متخذا موقف الحماية والأبومة . وكثيراً ما يقال إنّ طفلا فى الخامسة يهيم بأخته الصغرى حباً ، ولن يهيجه شىء حتى يخرجه إلى القتال الجنونى أكثر من أن يهدد بأخذ أخته الصغرى منه ، ولكن الحياة ليست على الدوام سهلة ميسرة بين الإخوة . واللعب داخل البيت أقل شأناً منه خارجه ويحتاج إلى الإشراف ووضع الخطط . وقد تمر بطفل الخامسة لحظات من الغيرة إذا تلقى أخ أصغر منه كل الرعاية والالتفات ، كما أنه عرضة لأن يُلصق عيوب بعض تصرفاته بأخ أصغر منه ، وقد يفوت بعض الوالدين — لما يرونه فى الخامس من جيد التواؤم مع أخ أصغر منه — أن يتذكروا أحياناً أن الأخ الأصغر قد يكون عبئاً شديد الإرهاق على طفل طيع فى الخامسة .

وأحب من يميل ابن الخامسة إلى ملاعبتهم هم أبناء سنه ولداته ، ويؤثر بعض الخوامس ذوى جنسه ويحب بعضهم الجنس الآخر على حين أن بعضهم يتقبلون كلا الجنسين بلا تردد . ولما كان طفل الخامسة على ما نعلم من تعلق بالبيت ، فإنه يعتمد نوعا ما على أطفال الجيرة . ومعظم الخوامس يلعبون خير ما يلعبون خارج المنزل وبعضهم فى أفنية منزلهم وبعضهم يكون أحسن لعبه على مبعدة من البيت أو فى مكان محايد كحديقة عامة مثلا ، ومجموعة قوامها اثنان خير المجموعات ، فقد جرت العادة كلما اجتمع ثلاثة فى مجموعة لا يشرف عليها أحد أن يكوّن اثنان منهم عصبة ضد الثالث ، فمن الحكمة أن يتمسك الوالد بالقاعدة البسيطة ألا يسمح للطفل بأن يدعو أكثر من طفل واحد كل مرة إلى أن يصير قادراً على التعامل مع أكثر من طفل وذلك حين يبلغ السابعة أو حين يبلغ الثامنة فى الأعم الأغلب . وأحياناً يستجيب الخامس أحسن ما يستجيب لطفل أسن منه إلى حد أنه قد يأخذ دوراً صغيراً فى لعب الجماعة مع أطفال الجيرة متقبلا دور الوليد فى « لعبة المنزل » ومتنحيا إذا لم تكن له رغبة فى المباراة . ومن عادة الخامس الميال إلى التزعم أن يكون فى أوجه مع طفل أصغر منه يقبل تزعمه عليه ، على أن نفس ذلك الخامس المتزعم يقبل أن يتناوب اللعب على طريقة أطفال آخرين إذا

رضوا هم ان يلعبوا شطراً من الوقت على طريقته هو .

وهناك أزواج معينة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والثامنة يثبت عدم توافقهم فى اللعب ، فكأنهما لايجدان أساساً مشتركا بينهما سوى الجدل والقتال ، وربما صارت بين هذه الأزواج نفسها صداقة حميمة فى سن الثامنة أو التاسعة ، فدفعهم للعب معاً قبل أن يتكون فيهم التهيؤ الاجتماعى لا يفيدهم أكثر مما يفيدهم إعطاؤهم كتب قراءة معقدة قبل أن تتهيأ لهم القدرة على مطالعتها . ومن الخوامس ذوى العريكة اللينة من تجب حمايتهم من الاحتباس زمناً طويلا فى موقف اجتماعى لأنهم قد ينفجرون بطريقة وحشية كان من السهل تلافيها لو أن الوالد أدرك قابلية طفل الخامسة للتعب الانفعالى .

٧ — اللعب والتسلية
بصفة عامة

عند ما يُسأل الخامس : « ما أحب شىء تريد أن تفعله ؟ » فمن المحتمل أن يجيب بكلمة بسيطة واحدة هى « اللعب » والحق إنه لاعب مجيد ، فجسمه قد أصبح تحت ضوابط أسلس وأمهر ومن ثم أصبح هو قادراً على اللعب بغير كثير مساعدة من الكبار . ومع تقدم السن ستصبح الفوارق فى الشخصية والجنس أكثر تجلياً فيما يختاره الطفل مع أنواع الألعاب .

ويبدى الخامس تشوقا إلى المواد الملونة فى رياض الأطفال فهو يصور ويرسم ويلون ويقطع ويلصق ، ويلذ له بصفة خاصة قص الأشياء ، ويسعده أن يُعطى دفتراً قديما لعينات ورق الجدران يقص منه ما يشاء . وهو أحياناً يقطع الورق قصاصات لمجرد التقطيع ، وقد ينتقل إذا سنحت له الفرصة من الورق إلى القماش ويقوّر قطعاً من ثيابه هو ، ومن ثم لا يزال بحاجة لأن يراقب أثناء استعماله للمقص .

وما برحت الكتل مادة لعب تلقى الحظوة العظمى لدى كل من الأولاد والبنات ، ويبتنى البنات لعرائسهن بيوتا ويمثلن المواقف الشخصية ، بينما يبتنى الصبيان الطرق والسكك الحديدية والكبارى والأنفاق ويستخدمون ما ينشئون من بيوت لإيواء الدبابات والطيارات وسيارات النقل العسكرية ، وآلات المطافىء . وتلعب البيوت دوراً هاماً فى « سلوك اللعب » عند أطفال الخامسة ، فالخامس يحب أن يقيم بيوتا كبيرة بكتل كبيرة ، أو بيوت خيام من الكراسى تغطيها البطاطين ، ويريد أن يدخل فيها ولكنه لا يلعب فيها بالفعل بعد أن يدخلها .

والأطفال الصغار محل اهتمام بارز آخر لدى أطفال الخامسة وتستعمل العرائس بمثابة الأطفال الصغار ، وليس هذا الاهتمام قاصراً على البنات بأى حال . فالأولاد أيضا يريدون أن يلعبوا بالعرائس فيلبسونها ثيابها ويدخلونها فراشها وفوق ذلك كله يأخذونها معهم فى عرباتهم للنزهة ، وما أتعس طفل الخامسة الولد الذى يتشوق فى العيد إلى عروسة فلا يجد مكانها إلا حيوناً محشواً ، فالمثقفون يجهلون طرائق النمو وإلا لما تصرفوا بمثل ذلك التعسف . فالاهتمام بالعرائس من القوة بحيث يبدو لفترة وجيزة فى هذه السن ، حتى لدى البنات اللواتى يبدين فيما بعد زراية بالعرائس .

ويُعرب الخامس أيضاً عن اهتمامه بالبيوت بإعادته تمثيل الأحداث المنزلية من مخيلته ويشترك الأولاد والبنات فى هذه اللعبة

سواء ، غير أن كثيراً من الأطفال يفضلون ألعاب الحروب على أنواع لعب المنزل الوادعة . وليست لعبة المستشفى من القوة على ما كانت عليه فى الرابعة ، كما أن لعبة المدرسة ليست على ما ستكون عليه من قوة فى السادسة .

والنشاط الحركى الكبير أثير عند الخامس ، فإنه يركب دراجته ذات العجلات الثلاث فى سرعة وإحكام ، وتسير دراجته الآن بطلاقة إذ لم يعد يعوقها ذلك العناد المفطور الذى كان يبهجه فى سن الرابعة أن يربطه فيها . والخامس يتأرجح ويصعد وينط . ويجرى بالقبقاب ذى العجل ، ويثب من عَـلٍ ، وربما مال إلى تسلق الأشجار أو نط الحبل وحاول ممارسة الألعاب البهلوانية وألاعيب العقلة والسير على القوائم الخشبية (المطوالات) نفسها .

ومن المحتمل أن يفضل البنات الخياطة والأولاد النجارة ، وربما بدا على الأولاد بالفعل اهتمام واضح بالعِدد(١) ذلك أن نزوعهم فيما سلف إلى التدمير واهتمامهم بتفكيك الأشياء قد يعبر عنه الآن باللعب بالعِدد .

القراءة والأعداد

ليس أحب إلى طفل الخامسة من أن يُتلى عليه ما فى الكتب ، وإن أمضى وقتاً طويلا فى النظر إلى الكتب بل حتى تظاهر بالقراءة ، وهو يفضل الحكايات التى تدور حول الحيوانات التى تتصرف تصرف الإنسان ويبدى شغفاً ملحوظا بكتب المطالعة الخاصة بالسنة الأولى والتى تروى له قصص الحوادث التى تحدث فى حياة الأطفال ، وربما مال قليل من الخوامس للإصغاء إلى مطالعة فى بعض القصاصات الهزلية بصرف النظر عن فهمهم لها .

وقد أخذ الخامس يصير أكثر تنبهاً إلى مبادئ الكتابة والحساب ، وهو يهتم بنسخ الحروف والأرقام وينعم بملاعبة والديه ألعاباً بسيطة بالحروف والأعداد ، وكثيراً ما يُحجم الوالدون عن إشباع هذا الضرب التلقائى من الاهتمام مخافة التدخل فى شئون أساليب التعليم المدرسية ، وربما أحسنت المدرسة صنعاً إن هى أدركت أنه ليس هناك بالضرورة أى تعارض بين أساليبها وأساليب البيت ، وأنه يمكن استخدامها جميعاً بصورة نافعة ، فكل طفل يبدو منه فى البيت هذا الطراز التلقائى من الاهتمام يجب أن يلقى ما يشبعه .

الموسيقى والراديو والسينما

يحب الخامس أسطوانات الجراموفون ويفضلها على الراديو ويحب أن يديرها مرة تلو أخرى ، كما يحب مزيجا بين الموسيقى والكلمات يروى له إحدى القصص . وقد يُصغى إلى الراديو قليلا ، ويظهر تفضيله للإعلانات ، وقد يكون ذلك لمجرد أن الكبار يكرهونها . وهو يحب الأغانى السهلة الحفظ كما يحب التكرار .

وبعض الخوامس يستطيعون أن يخرجوا على البيانو أنغاماً ، ويحبون أن يعلَّموا كيف يلعبون ألحانا قليلة مألوفة كما أنهم عرضة لأن يكرروا عزف نفس الأغنية مراراً عديدة ، وقد يغنون مع أسطواناتهم ، أو لعلهم يترجمون الموسيقى إلى رقص بهيج . وينعم طفل الخامسة بالرقص لاسيما ساعة النوم .

---

(١) Tools أى الآلات .

٨ — الحياة المدرسية

لما كان ابن الخامسة كما ترى شديد الارتباط بالبيت فإنه يكون جيد التواؤم فى المنزل ، كما أنه على استعداد لاكتساب الخبرة بالاندماج مع الأطفال من سنه وخاصة فى مجموعة يشرف عليها الكبار ، والعادة أن يتواءم بسهولة نسبية وإن لم يسبق له أية خبرة مدرسية ، وربما رغب أن ترافقه أمه إلى عتبة حجرة الدراسة فى اليوم الأول ولكن قد لا يرغب فى أن تدخلها معه . وتواؤمه مع الكبار واحدا فواحدا أسهل عليه . وربما كانت البنات أشد حاجة إلى مثل هذه المعاونة المستمرة من الأم أياما عديدة أو بضع أسابيع ، وقد يقوم طفل آخر أكبر سنا مقام الأم حتى يصبح الطفل مستعدا للاعتماد على نفسه ، على أن ركوب سيارة المدرسة قد يحل هذا المشكل أحياناً .

والبنات أقرب إلى حب المدرسة من الأولاد فهؤلاء يشكون إذا لم يحصلوا على القدر الكافى من مناشط العراء أو إذا لم يعطوا « كتلا كبيرة » ، وقد يشكو الطفل المتوقد حيوية فيقول « إن المدرس يكلفنى أعمالا » أو « إن المدرس يكلفنى بالبقاء فى الصف » أو « إنى أريد أن أرسم ما يحلولى » .

والصحة فى روضة الأطفال تكون بوجه عام جيدة بدرجة ملحوظة ، وقد تبدو على البعض أمارات التعب بعد كل عشرة أيام أو أربعة عشر يوماً ، ويكون قضاء يوم بالمنزل مع الأم موضع الترحاب والسرور ، وقد يكون من الأنسب فى حالة بعض الأطفال عمل ترتيب لحضورهم إلى المدرسة أربعة أيام فقط فى الأسبوع مع التخلف بالمنزل يوم الأربعاء ليفصل بين أيام العمل فلا تزيد على يومين متتاليين ، أو التخلف بالمنزل يوم الاثنين أو يوم الجمعة حسب الظروف .

ويحدث بالمدرسة أحياناً تغير يشبه المعجزات فيصبح نفس الطفل « الردىء » فى المنزل « جيداً » بالمدرسة ، وقد يكون العكس صحيحاً وهذا يدل فى العادة على أن الطفل لم يصر بعد مستعداً للتواؤم مع المواقف الجماعية إلا إذا سمح له بألا يشارك الجماعة إلا على الهامش وسوعد على ذلك .

ويبدى الخامس من الميل إلى نقل الأشياء من المنزل إلى المدرسة ومن المدرسة إلى المنزل قدراً أقل مما كان يبديه فى سن الرابعة وأكثر مما سيبديه فى السادسة ، ومن ثم يحمل الخامس إلى المدرسة عدداً قليلا من الأشياء وإن كان لا يزال ميالا إلى المحافظة على سلامة لعبة محبوبة فيحتضنها فى الطريق ثم يختزنها فى دُرجه ، وقليل منهم يحضرون كتباً لكى يقرأها المدرس للتلاميذ . ويأخذ الخامس شغله اليدوى إلى البيت من وقت إلى آخر ، ولكن اهتمامه بأن يظفر باستحسان معلمته لعمله بمجرد إنجازه يفوق اهتمامه بأخذ الأشياء إلى البيت من أجل استحسان والدته .

والعادة أن لا يكون الخامس ميالا إلى الكلام عن حياته المدرسية ، وقد يبلغ أن طفلا آخر ضربه أو قرصه أو أن المدرس كلفه بعمل شىء . ويستفيد الوالدون والمعلمون من الاتصال التليفونى حين يقتضى الأمر بمناسبة حادثة قد تكون حدثت بالمدرسة أو بالمنزل .

وما أن يصل الخامس إلى المدرسة حتى يذهب رأساً إلى فصله ومعلمته ، وهو يحتاج إلى شىء من المساعدة فى خلع ثيابه ويطلب العون من معلمته إذا احتاج إليه . وعلى كل فاللبس استعداداً لألعاب العراء أو للعودة إلى المنزل له شأن آخر تماماً ، فإن كثيراً من الأطفال ليسوا على استعداد لتحمل تلك

المسئولية كما أن بعضهم فى حاجة إلى من يلبسه الثياب من أولها إلى آخرها ، وقد يتولى ذلك طفل أكبر منه يحضر فى طلبه .

والخامس تلذه الأعمال الرتيبة[1] ، كما أنه يجيد التواؤم وبرنامج النشاط الذى يتيح له قسطاً من حرية الحركة مع المحافظة فى نفس الوقت على ضبط تسلسل المناشط المتباينة .

وقد يبدأ الطفل الصباح بفترة من اللعب الحر يختار فيها الكتل أو النجارة أو الألغاز أو التصوير أو التلوين أو اللعب بالصلصال أو لعبة المنزل وينتقل من أحد أوجه النشاط إلى غيره . وهو يتم فى العادة ما كلف بأدائه وإن جاز أن ينتقل انتباهه إلى ملاحظة طفل آخر يعمل إلى جواره أو لعله يذهب إلى المعلمة ليخبرها بخبرة شخصية مرت به أو ليريها ما أنتج . ولا يقل إقبال الأولاد على لعبة المنزل عن البنات ، وهم يستطيعون أن يقوموا بتمثيل الأعمال اليومية الرتيبة كالاغتسال ودق التليفون والشراء من الدكاكين مع الاستطراد بين حين وآخر إلى التطبيب ، ويفضل الصبيان اللعب بالكتل مثلما يفضل البنات لعبة البيت .

والانتقال من أمر إلى آخر سهل نوعا ما على الخامس ، فبكلمة تحذير من المعلمة يتم واجبه وبمساعدة بسيطة منها يعيد الأدوات إلى أماكنها ، وعندئذ يكون مستعداً للنشاط التالى الذى لعله يكون مناقشة وفترة موسيقية تعقبها وجبة خفيفة . وكثيراً ما تلقى الراحة مقاومة إذا هى فرضت فى سن الخامسة وربما كره بعض الأطفال الذهاب إلى المدرسة بسببها ، على أن بعضهم ربما استجاب فيحذو الآخرون حذوهم . ولذا يكون من المستحسن أن تصحب أغنية بسيطة أو قصة فترة التراخى القصيرة .

ومما يلذ للجماعة فترة نشاط موجّه تدوم عشرين دقيقة تقريباً يمكن أن يتم فى أثنائها عمل بسيط ، وربما أمكن أيضاً استخدام هذا الزمن الموجّه فى نسخ الحروف أو تمييزها أو تعلم الطفل كتابة اسمه على ورقة أو عدّ ما فى الحجرة من أشياء .

وكثير من جهود طفل الخامسة فى القراءة والأعداد وثيق الارتباط بلعبه فى المنزل والمدرسة : فهو يستطيع أن يستخرج الحروف الكبيرة أولا فى يمين الصفحة أو يسارها ثم فى أوائل الجمل فى متن الكتاب ، ثم يعود فيما بعد فيقرأ الحروف مجمّعة كقراءته كلمة ز — ر — ع والسؤال عن كيفية تهجيتها . وللعلامات عنده اهتمام خاص وربما أحب أن يضيف علامة إلى ما يبنيه من الكتل من منشآت ، وربما أضاف إلى ذلك أيضاً تخصيص حروف خشبية للدلالة على الأفراد كوضعه حرف (أ) للدلالة على أحمد أو حرف (ف) للدلالة على فاطمة ، ويحب أن يتعرف الكلمات المتكررة فى كتاب مألوف من أمثال الأصوات التى تصدر عن الحيوانات أو ألفاظ التعجب وأسماء الأفعال . وفى سن الخامسة والنصف يتظاهر بعض الأطفال بالمطالعة فى كتاب قد حفظوه عن ظهر قلب ، وبعضهم يحبون أن يخطوا خطا تحت الكلمات التى يعرفونها .

والخامس يسره أن يعد الأشياء فيذكر كم يملك من اللعب ، ويستطيع أن ينقل الأعداد وأن يكتب بعضها بالإملاء . وهو يتعلم فى بحر السنة كيف يميز القرش والنكلة . ومحاولة القيام بالجمع والطرح فيما لا يتجاوز الخمسة تتم مع استعمال الأصابع أو الأشياء أو مع عدم استعمالها . وكونه فى الخامسة ذو أهمية هائلة عنده فهو أقرب إلى أن يخبرك أنه يبلغ الخامسة من العمر من أن يخبرك باسمه .

---

[1] routine

ويجوز أن تعقب فترة النشاط الموجه فترة قصص و (حواديت) وهى فى الواقع أعظم وأبهى فترة عند ابن الخامسة وخاصة إذا مثلت القصة بعد القراءة . والحكايات ذات الأفعال والعبارات المتكررة محبوبة جدا وخاصة مادار من القصص حول الحيوانات أو القطارات أو آلات المطافىء .

ولعب العراء يجىء فى العادة فى نهاية الصباح لكنه يتغير تبعاً للفصل والجو ، ولما كان الخامس شديد التنبه إليها جميعاً فإن من المفيد له أن يكون للمنزل مدخل مسقوف كبير يمكنه من القيام بمعظم مناشطه عندما يكون الجو صحوا . ومن أحب الأشياء لديه صندوق الرمل والأرجوحة والكتل الكبيرة ولعبة الغابة(١) ، وقد ترتب له فى بعض الأحيان رحلة إلى مزرعة قريبة .

وفترة الصباح بالمدرسة تكون على وجه العموم هينة سلسة لطفل الخامسة . وانحصار هم الخامس فى المكان والزمان الحاليين ، الـ (هنا والآن) يتطلب التفاتا دقيقا ، ولذلك تتجول المعلمة فى الفصل وهى على استعداد لبذل العون للأطفال والإصغاء إليهم أو لمعالجة الطوارىء كدلق الألوان . والمعلمة هى المصدر الذى يمد الطفل بالوضع والجو والمواد الضرورية لتكوين الخبرات والذى إليه يلجأ التماساً للاستحسان والمحبة .

وقوام عمل الخامس تفجرات قصيرة من الطاقة ، ويبدو هذا فيه عندما يدفع ما أمامه فجأة أو يشطب ما كتب أو يرمى الكتل أو الأحجار ، وقد يتعلم ردع ماينتابه من نوبات ناعية عن طريق تبصيره بأنها تضر وتؤذى .

ولا يزال الطابع الغالب على لعبه هو الانفراد على الرغم من أنه يحب الاندماج فى جماعة . وهو ينتقل من وجه نشاط إلى آخر ويتم كلا منها فى العادة ، وعلى نفس الشاكلة تراه يُغير وضعة جسمه فيجلس فى أحد الكراسى ليقوم بأحد المناشط ثم يقف ليتم آخر ثم يجلس على البلاط أو على المنضدة فى سبيل ثالث . وهو يستنكر كل تدخل فى أدواته ولكنه قد يكون مجاملا إلى حد أن يجود بشىء منها لمن يلتمسه . وربما اقتضى الأمر فصل بعض الأطفال عن الجماعة إلا أن نقلهم إلى أطراف المكان فى هذه السن قد يكون أولى من عزلهم فعلا عن رفقائهم .

وصوت المعلمة يكون فى العادة قويا مسموعا إذ يطغى على (رغى) الأطفال عندما يخبر بعضهم بعضاً بما يفعلون أو يعيد بعضهم ما سمعه تواً من تلميذ مجاور ، ومن أمثلة تلك الملحوظات :

« تصور أنى قد أتممت هذا الجنب »

« إنى سأتمم عملى »

« هل ستعملين عملك يا سوزى »

« لا أقدر »

« تومى ، هل قلت لا أقدر ؟ »

« انظر إلى منزلى »

« انظر إلى منزلها »

« الآن اعملى الحشيش »

« دا — دا — دا — ، دم — دم — دم »

« أريد أن أنفذ (بتاعتى) » .

وتعلن رغبة فى قضاء الضرورة ويتوقع من المعلمة الاستجابة لتلك الرغبة ، وربما انتظر الخامس إلى آخر دقيقة ولكنه يستطيع أن يتولى أمره بنفسه ، وقد يمسك الأولاد بأعضاء تناسلهم وقد يتلوى البنات ويضعن أيديهن على أفخاذهن . وإذا حبس ابن الخامسة بوله زمناً أطول مما ينبغى ، وخاصة عندما يكون خارج منزله ، تعرض « لحدث » . وقد

(١) Jungle Gym.

يتبول الصبي إذا لزم الأمر خارج المنزل ، وعلى كل حال فالخامس يقبل أن يُقترح عليه قضاء الضرورة قبل الخروج للعب بالعراء .

ولا تتسم مناشط الروضة بطابع اجتماعي قوي ، وكذا الشأن في اللعب الحر ، فقد يجلس طفلان أو ثلاثة أو أربعة على مائدة واحدة يرسمون بالقلم أو يصوغون من الصلصال أشكالا ولكنهم يشتغلون مستقلين أحدهم عن الآخر وسرعان ما يغادرون أماكنهم ليلعبوا في مكان آخر من الحجرة ، ويتجلى نفس هذا الطراز من التجمع عند صندوق الرمل . وقد تضم لعبة التدبير المنزلي عدداً أكبر إلى أمد قصير . فإذا قاربت السنة نهايتها فقد يُرى طفلان اثنان وهما يعملان متعاونين في إقامة بناء واحد من الكتل .

٩ — الحاسة الخلقية

يستمر توازن طفل الخامسة محفوظاً لأن حاجاته هو ومتطلبات بيئته تكاد تكون بالمثل متزنة . فالخامس جزء من بيئته ، كما أن بيئته جزء منه ، فإذا نحن فكرنا فيه على هذا الأساس سهل علينا أن نميز نوع حاسته الخلقية وإن كان لا يجدر بنا أن نسميها كذلك لأنها لا تزال جديدة وفي مرحلة التجريب .

ويسعد الخامس بتقديم المساعدة لأمه وبالجري لتبليغ الرسائل ، ويحب أن يسر الغير وأن يفعل الأشياء بالطريقة الصحيحة المقبولة ، وليس من عادته أن يقاوم الطلبات بقوله « لن أفعل » كما كان يقول وهو في الرابعة ، على أنه قد يتردد بين القبول والرفض ، وقد يرفض أن يفعل شيئاً لأنه لا يستطيع عمله أو لأنه مشغول جداً . وقد تدفعه إلى النشاط أحياناً مكافأة بسيطة ، ومع أنه يحب المدح فليست حاجته إليه كبيرة بقدر ما ستكون في سن السادسة . وطلبه الإذن وإعلانه لما ينوي أن يعمله أكبر دليل على مدى مطابقته بين نفسه وبيئته وتقمصه لها ، ويلوح غالباً أن الردع على ملتمسه ضروري لبدء نشاطه .

وليس التصميم عنده من الأمور العسيرة لأنه ليس أمامه بديلات كثيرة يختار من بينها ، كما أنه عرضة لأن يجعل اختياره مطابقا لرغباتنا ، بيد أنه يستطيع تغيير اختياره لأنه قابل للتأثر بالمنطق أو بالشرح . ولما كان عاملا فإنه قد ينضم في الرأي إلى والديه . وقليل من الخوامس أكثر صلابة ولكن إعادتهم إلى الصف ممكنة بالحيل البسيطة

وكثيراً ما يتحدث الناس عن الخامس بأنه طيب طيبة ملحوظة « كالملاك » ، وإحساسه بالخير والشر — إن كان لديه منه نصيب — لا يفرق بين الصواب والخطأ . فهو إما أن يعتبر سلوكه أمراً مسلماً به وإما أن يفكر متأثراً فقط بصلاته العملية بغيره من الناس . والخامس طيب لأنه يحب أمه ويرغب في إدخال السرور عليها . ولا يريد الخامس أن يفعل الشر لأن مثل ذلك المسلك يزعج الآخرين ويضايقهم . ومن الخوامس قلة تهولها في العادة أن تنعت بالرداءة فهذا لديهم أنكى من الصفع حتى لقد يبدو عليهم الخجل منه ، ولكنهم في الوقت نفسه قد يرغمون قهراً على معالجة خوفهم من أن ينعتوا بالرداءة بلعب لعبة « المدرسة الرديئة » فهم في هذه اللعبة يثبون على المناضد ويجرون في أرجاء الغرفة صارخين — وهو سلوك يعتقدون أنه مما لا تقبله المدرسة

وإذا فعل الخامس شيئاً لا يحسن به أن يعمله أو لم يكن يرغب أو يقصد أن يعمله فمن المحتمل أن يلقي اللوم على أقرب شخص إليه ، فإذا كانت أمه على مقربة منه فربما اتهمها بقوله : « انظري ماذا حملتني على فعله » . وقد يتلقى الأخ أو الكلب أو طفل آخر

نصيبه من اللوم إذا هو حضر المشهد ، وربما كان فى هذا الاتهام نصيب من الصحة أكبر مما يدركه المرء لأول وهلة . فلو فرض أن طفلا كان يجرى منحدراً على سفح تل والتق بطفل آخر فلا شك أنه قد تبدو عليه بعض دلائل عدم الاتزان فى الجرى وينتهى به الأمر إلى الوقوع ، نعم إن الطفل الآخر لم يدفعه ولكن وجود الطفل الآخر صرف بالفعل انتباهه عن جريه ولم يكن ليستطيع أن يفعل الأمرين فى وقت معاً — أى يجمع بين الجرى والنظر إلى الطفل . ومما له دلالته القوية أنه قبل دخول الطفل المدرسة تحدث له حوادث خطرة وهو إلى جوار أمه دون أن تعيره التفاتا كاملا ، بينما يكون معتمداً على وجودها ، على حين أنه لو كان بمفرده فلربما مارس حيطته المعتادة ووُقى شر الحزن .

وينعم طفل الخامسة بما يملك من ممتلكات ، وليس به شوق طفل الرابعة إلى الهدايا ولا هو يعتز مفاخراً بما يملك كما كان يفعل فيما سلف ، وليس معنى ذلك أنه حريص على العناية بهذه الممتلكات .

وهناك قليل من الأطفال يأخذون الأشياء من المدرسة إلى البيت كاللّعب أو الكتب ، على أنهم يرجعونها فوراً وبمنتهى الرضا ، كما نرى فى المنزل أن ابن الخامسة قد يأخذ بعض الأشياء من المطبخ ، أو أن بنت الخامسة قد ترغب فى شىء من (بودرة) أمها أو عطرها وتأخذه .

والخامس بوجه عام صادق نسبياً ، ولقد كان يُصدق ما يمليه عليه خياله من حكايات فى الرابعة ولكنه وقد بلغ الخامسة يعرف أنه يخادع وأنه يهزأ (ويدل على ذلك حركة لسانه من وراء خده) . وتكون حكاياته فى بعض الأحايين من باب حماية النفس وإن كان فى ذلك شذوذ وغرابة ، فإن طفلا فى الخامسة تأخر عن الغداء أخبر والديه « أن ولداً كبيراً قال له إنه سيقتله ولذا لم يستطع المجىء . » وهناك بعض حكايات خيالية ربما دلت على رغبة لم تتحقق بعد ، فطفلة الخامسة التى أبلغت أمها أن معلمتها أخبرتها أنها تقرأ بجودة تؤهلها للمطالعة مع تلاميذ السنة الأولى كانت كما هو واضح تعبر عن أمنية لم تتحقق ، وقد تكون مثل هذه البنت مستعدة بالفعل للقراءة المبكرة .

١٠ — النظرة الفلسفية

١ الموت والإله

كثيراً مايدرك ذهن طفل الرابعة إدراكا جيداً إلى حد ما تلك القوة الخالقة الضخمة التى لاسبيل إلى إدراكها بالحواس ، والمسماة بالإله ، ولكن الخامس لا يحلق إلى مثل هذا الارتفاع بل إن فيه نزعة إلى إقحام الإله فى محيط عالمه اليومى ، فهو يسأل أسئلة فى غاية التحديد عن شبه الإله : أهو رجل ؟ وماذا يصنع ؟ وأين يعيش ؟ وهو يتصور أيضاً أن عالم الإله فيه معدات عصرية ومن ثم فهو يسأل هل يمكن الاتصال به تليفونياً ؟ وهل هو يصنع السيارات ؟

وبعضهم أشد تنبها لوجود الإله حتى لقد يخافون أن يرى كل ما يأتون من أفعال . وكان أحد أبناء الخامسة يظن كلما وقع أن الإله هو الذى دفعه ، وقد ينتقد بعضهم الإله وما ينسب إليه من أفعال ، لأنهم يشعرون أنه (جلت قدرته) « قد أخطأ حين خلق البعوض »

ويُتقبل الموت بالمثل كأنه أمر طبيعى لا غرابة فيه ، فالخامس يبدو عليه أنه يدرك بصفة غامضة أن الموت خاتمة المطاف وقد يتحدث عنه بأنه النهاية . والميت عنده شخص فقد خواص الحياة « فإنه لا يستطيع أن يمشى ولا يستطيع أن يرى ولا يستطيع أن يحس » .

وهو يهتم بوضعة جسم الجندى الذى يسقط صريعاً — « فهل وقع على ظهره أو أكب على وجهه ؟ » فإذا أخبروه أن الموتى يذهبون إلى السماء بعد أن يموتوا يجب لأنهم لا يسقطون من السماء .

وقد ربط بين حقيقة موت الإنسان وكبر سنه . وهو لا يتوجس خيفة فى العادة من أن يصيبه الموت ولا من احتمال موت الذين يحيطون به ، ولكنه مع ذلك يدرك الاحتمال الأخير وهو أن الآخرين يموتون ويقرر أنه : « عندما أكبر ستكونون أيها الناس جميعاً فى عداد الموتى » . ولم يدر بخلده بعدُ خاطر موته هو ولكنه لا يتردد فى القيام بدور الميت عندما يطلق عليه الرصاص .

الزمان والفضاء

الخامس فى إحساسه بالزمان يُعنى أكثر ما يعنى بالوقت الحاضر أى « الآن » ، ومن العسير عليه أن يتصور أنه لم يوجد يوماً ما وأنه سيموت ، والزمن فى نظره إنما هو إلى حد كبير زمنه هو الشخصى .

أما كلمات الزمن العادية الشائعة بين الكبار فقد أصبحت الآن جزءاً من حصيلته اللغوية ويستعملها بطلاقة . وهو يعرف متى تحدث أحداث النهار بعضها بالنسبة إلى بعض ويستطيع أن يجيب إجابة صحيحة عن أسئلة عن الزمان كالتالية :

كم سيكون عمرك فى عيد مولدك التالى ؟

ما اسم هذا اليوم ؟

فى أى يوم يمكث (بابا) فى المنزل طول النهار ؟

ما هو اليوم الذى يعقب الأحد ؟

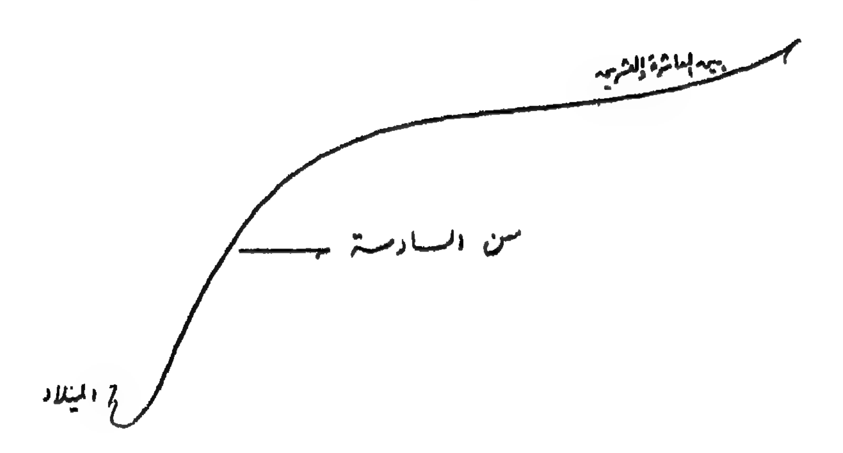
ما أحب الأيام إليك ؟

وكثير من الخوامس يظهرون اهتماماً كبيراً بالتقويم وبالساعة ، وقد ينقل قليل منهم الأرقام التى على وجه الساعة وقد يقرءونها . ويشتد بهم الزهو بوجه خاص لامتلاكهم منبهاً خاصاً بهم ، ويتقبلون رنين جرسه إيذاناً بموعد الاستيقاظ أو موعد الانتهاء من إغفاءة اللعب .

وينحصر بصفة خاصة اهتمام الخوامس بالفضاء فى المكان الحاضر أى فى ال « هنا » . فالطفل شديد التركيز ، يهتم بالفضاء الذى يشغله مباشرة . واستبصاره بدخائل العلاقات الجغرافية ضئيل على أنه يميز بالفعل بعض علامات معينة على الأرض . ويحب أن يرسم الطرق على خرائط بسيطة جداً تمثل المنطقة المحيطة به مباشرة ، ويستطيع الآن أن يعبر وحده الشوارع فى منطقته المباشرة ، ويرحب بإرساله فى مهمة إلى الدكان القريب ، على أن اهتمامه بالأمكنة الأبعد من ذلك متوقف على ارتباطاته الشخصية بها .

٦

الطفل فى السادسة



مصور السلوك

« إنه طفل آخر ! » كم من أمهات قلن ذلك فى أسى لما بدأ طفلهن الذى كان فى سن الخامسة يتخطى هذا السن الملائكى ، « لقد تغير طفلى ولست أدرى ما الذى داخله ! » .

إن هذا التغير يحيط به شيء من الغموض ، فقد كان الطفل فى الخامسة مثالا فى حسن التنظيم يألف نفسه ويألف العالم ، ولكنه ما كاد يبلغ الخامسة والنصف حتى أخذ التهور وحب العراك يتسرب إلى بعض نواحى سلوكه كأنما هو فى حرب مع نفسه ومع العالم ، وفى أوقات أخرى يكون متردداً متلكئاً لا يستقر على رأى ، ثم تراه بعد ذلك مغالياً فى طلباته مندفعاً فى هياج مع تفجرات عجيبة فى تناقضها من حنان ومحبة إلى خصومة وعداء ، وفى أحيان أخرى يكون مبتهجاً تماماً يصاحب ويعاشر ، « لكننى لا أستطيع فهمه ، ما هذا الذى داخله ؟ ! » .

ربما لم يكن ذلك إلا بلوغه السادسة لا أكثر ولا أقل .

فالسنة السادسة (أو ما يقاربها) تجلب معها تغيرات جوهرية جسدية ونفسية ، فهى سن انتقال . فأسنان اللبن أخذت تتساقط والأضراس الدائمة الأولى تنبت ، بل إن كيمياء جسم الطفل نفسها تمر بتغيرات دقيقة غير محسوسة تنم عنها زيادة قابليته للإصابة بالأمراض العدية ، فالتهاب الأذن الوسطى يبلغ ذروته ، ويزداد عدد إصابات الأنف والحنجرة ولا يبلغ طفل السادسة من القوة والبأس ما كان عليه فى سن الخامسة . وثمة تغيرات نمائية هامة أخرى تؤثر فى تكيفات البصر ، بل تؤثر حتماً فى الجهاز العصبى الحركى بأجمعه .

وهذه التغيرات تفصح عن نفسها فى سمات نفسية جديدة تكون فى بعض الأحيان مذهلة — سمات تأخذ فى الظهور فى سن الخامسة والنصف كما سيتبين من قائمة سمات النضج . وسيثبت طفل السادسة أنه ليس ابن خامسة أكبر وأحسن بل هو طفل مختلف ، لأنه طفل متغير ، فهو يمر فى مرحلة انتقال تشبه مرحلة السنتين والنصف العجيبة المحيرة . ثم إن لديه كذلك الكثير من طلاقة طفل الرابعة وصراحته ، فلو أنك جمعت بين صفات ابن الثانية والنصف وابن الرابعة العجيبة المحيرة والمتقلبة لحصلت على أمارات تنم عن سمات النضج عند طفل السادسة .

وعندما نصف هذه السمات سنبرز منها تلك الصفات التى بها نميز بين طفل السادسة وطفل الخامسة ، وغنى عن البيان أن السمات لا تحل بالطفل فى اندفاع مباغت وإنما تنساب ألوان الطيف النمائى بعضها إلى بعض فى تغير متدرج لا يحس ، ولكننا إذا أردنا أن نرسم بالألوان صورة للنضج واضحة ناصعة يمكن الاستفادة منها وجب علينا أن نغوص بفرشتنا إلى حيث تكون الصبغة قوية مركزة . وسنكتفى بهذا القدر من الاعتذار لطفل السادسة ثم نحاول الآن أن نوفيه حقه من الإنصاف النمائى واضعين نصب أعيننا أن مثل هذا الانصاف من شأنه أن يجتاز الهوة التى تفصل الملائكة عن الشياطين .

وتلم الآن بالجهاز الحركى للطفل تغيرات نمائية تشبه فى كيفيتها بدء ظهور أضراس سن السادسة ، فهناك ميول جديدة أخذت تنبثق كما أخذت تطفو إلى السطح وتظهر

حقاً اندفاعات وإحساسات وأفعال جديدة مردها إلى تطورات عميقة فى الجهاز العصبي الكامن تحتها . ولعل هذه التغيرات المتعددة النواحى ترجع إلى ما داخل الإنسان ببطء من نمو نفسى إبان تطور البشرية خلال دهور طويلة ترجع إلى ما قبل التاريخ بزمن بعيد ، وخلاصة هذا النمو المتتابع للجنس البشرى تزدحم فى هذا الفرد الصغير الذى يقاس عمره بالشهور والأعوام . وطفل الخامسة قد ناله بالفعل نصيب جوهرى مما ورثه الجنس ، وها هو ابن السادسة يفوز بنصيب جديد وهذا « هو الذى داخله » .

على أن الميراث النفسى لايأتى معبأ فى ربطات أنيقة بل يأتى على صورة اتجاهات سلوكية وقوى ديناميكية لابد من توافقها واندماجها بنظام فى الجهاز الحركى الشامل . وصوغ الاتجاهات السلوكية المتضاربة ، صوغها أنماطاً فى اتزان ، أثناء انبثاقها فى السنة السادسة من حياة الفرد ، عملية تستغرق وقتاً ، ولما كان بعض هذا التضارب مما يصحب التقدم النمائى مصاحبة طبيعية فيجدر بنا أن ننظر إلى المصاعب النمائية التى يصادفها ابن السادسة نظرة متفائلة تستشف ناحيتها الإنشائية .

فهو مثلا ينزع إلى التطرف ، بشىء من الإجهاد الطفيف ، كلما حاول أن يستعمل القوى التى اكتسبها حديثاً جداً ، فقد شرع يقتحم مجالات جديدة للعمل بوصفه كائناً حياً له نموه النشيط الفعال . ويبدو أن الاحتمالات السلوكية الجديدة تأتى أزواجاً أزواجا ، وكثيراً ما يصدر عنه بدافع قهرى سلوك فيه تطرف هو أحد سلوكين بديلين ثم لا يلبث بعد ذلك بقليل أن يسلك السلوك الثانى المناقض للأول ، والضدان المتناقضان على خط مستقيم سلطانهما عليه واحد تقريباً ، وذلك لأن كلا الميلين لم يظهرا على المسرح إلا حديثاً جداً ، وهو غير خبير بتدبير أمرها وإدراك معناها ومن العسير عليه أن يختار بين متنافسين متضادين متكافئين كهذين ، فلعله حين يكون بعيداً عن بيته يشعر بالحرج والحيرة إذا ووجه بعرض بسيط مثل «أيهما تفضل مثلجة بالشكولاته أو بالفانليا ؟ » وهو اختيار عسير ، اختيار لن يكون حاسماً حتى بعد أن يتم ، لأن طفلا غير ناضج لايستطيع بمهارة أن يستبعد بديلا منافساً كهذا استبعاداً تاماً ، فهو لن ينزل عن الفانليا نهائياً حتى بعد أن يقع اختياره على

الشكولاته ، فالبت فى الأمور ، الذى كان فى سن الخامسة أمراً سهلا أو مشروعاً ، قد أدخلت عليه التعقيدَ عواملُ انفعالية جديدة ، ناشئة عن أن الطفل فى نمو ، والتعقيد علامة على ازدياد النضج ، كما أن التردد وعدم البت علامة على عدم النضج إن نحن أبحنا لأنفسنا أن نفرق بين النضج وعدم النضج وهو تفريق يحار فيه الفهم .

ولنستشهد بشىء من شعر إدنا سان ڤنسان ميلاى على الازدواج فى مواقف الحياة فى سن السادسة :

عجّلى بالدخول إذن أيتها الصغيرة ! !
وإلا فامكثى فى الخارج ! !
ولكنها تقف فى الباب المفتوح
وتعض شفتيها وتعقص يديها ،
وتحملق فى وجهى بعين مضطربة ،
وتقول « أماه — ما أستطيع البت ،
لا أستطيع أن أقطع برأى » .

ويبدى طفل الثانية والنصف مثل هذا العناء فى معالجته للأضداد — فى البت بين لا ونعم ، وبين المجىء والذهاب ، وبين السرعة والبطء وكثير غيرها من (افعل ولا تفعل) ، فالطفل يتذبذب بين بديلين ويختار الخاطىء منهما أو يختار فى تعاقب سريع الخطأ فالصواب فالخطأ فالصواب ، ثم يتلكأ أو يجد نفسه فى مأزق حائرا بين الاحتمالين ، فهو يكاد يكون كمن يرى صورتين وقد هاله عجزه عن استبعاد إحداهما حتى يستطيع رؤية صورة واحدة واضحة ، فطفلنا ابن السادسة يعانى ازدواجا ثانيا يشبه هذا (ومؤقتا مثله أيضاً) ، وازدواج القطب هذا يضنيه لما فيه من تنبه متأرجح بين طرفى المعضلة على التناوب .

ويفصح ابن السادسة عن ازدواج القطب عنده بطرائق كثيرة مختلفة ، فإنه يطير مسرعا من نقيض إلى نقيض ، فهو يبكى ولكن ما أيسر ما يحوّل بكاؤه إلى ضحك وضحكه إلى بكاء ، وهو يتسلل إلى أمه ويقول « إنى أحبك » ولكن قد يقول فى نفس آخر « إنى أكرهك وسأضربك » وقد يدمدم بمثل ذلك لغريب عنه تماما .

والواقع أننا لو أمعنا النظر فى سطحية المعنى النفسى للألفاظ أو العبارات الجامحة التى يرمى بها فى نعوته النابية وشتائمه النجسة لاستطعنا أن نقر فى ابتسامة تفكّه عطوف بأن جنونه ينطوى على شىء من السذاجة ، نعم يجب علينا أن نكبح ما فيه من استهتار وألا نشجع استهاناته بالمسئولية ، ومع ذلك يجب أن ندرك أن أعمال الحدة والعنف والاندفاع هذه المشوبة بروح القتال كلها بالنسبة له تجارب وخبرات جديدة ، وهو أحيانا يبدو مصراً على أن يعرّف ما لا ينبغى عمله بأن يعمله .

ومن المحقق أنه من عدم الخبرة فى معالجة العلاقات الإنسانية المعقدة كما كان يوما بالنسبة لوضع الملعقة فى فمه ، فإنه كثيراً ما يخطىء الهدف . راقبه وهو يؤسس علاقة اجتماعية بأخته الوليدة تجده قد يتلطف معها كثيراً وكذلك يسىء إليها كثيراً وهذا كله بعد ظهر يوم واحد أو فى نصف ساعة واحدة . وقد يكون من الخطأ أن ننسب إساءته إلى مجرد العند أو حتى إلى الغيرة ، ونحن بصدد دافع عام قوى للسلوك فى اتجاه التردد وعدم الاستكمال . وإن ما فى خُلق ابن السادسة من تقلب ، ومن ميل إلى الاندفاع إلى الداخل وإلى الخارج وإلى قفل الأبواب بعنف ومن اعتداءات باللفظ ومن تركز حاد ومن اقتضاب فى إنهائه للمسائل ومن هجمات مندفعة قوية على مراكز الغير — كل ذلك مقتطع من نفس الثوب . ومن الخصائص البارزة فى طفل السادسة ضعف مقدرته على التواؤم ، ولكن لا شىء يدعونا إلى اليأس فإن الثقافة والزمن سيعينانه على تحسين مقدرته هذه .

والصعوبة التى يلقاها فى المفاضلة بسرعة بين الطريقين المحتملين ليست مقصورة على المواقف ذات الطابع الانفعالى أو الأخلاقى ، ففى محاولاته الأولى لكتابة الحروف تجده ميالا إلى أن يعكسها فحرف (د) عنده يتجه إلى الخلف ، ويصح أن يكون ميله إلى قلب الأشياء مرتبطاً بما يروقه فى المرايا من تماثل . وهو مغرم بالأزواج : فاثنان واثنان أربعة أسهل لديه من اثنين وواحد ثلاثة . وهو أقدر على اللعب بنجاح مع زميل واحد منه مع زميلين ، وفى لعبه قدر عظيم من « دقة بدقة » فأنا أعطيك هدية وأنت تعطينى هدية ، وأنت تدفعنى وأنا أدفعك .

والحياة حافلة لنا جميعاً بالبديلات المزدوجة ، حتى بعد أن نشب عن الطوق .

وتشاء الصدف أن يكون طفل السادسة فى ثقافتنا المعقدة فى طور نمو يشتد فيه تزاحم هذه البدائل عليه إلى حد كبير ، فهو يقف بين مفترق طرق لا بد له عنده من التوسط بين الأضداد ، فإذا هو أخطأ نُعت بالسوء ، ولكن لا جدوى من سؤاله لماذا أساء : فإنه لم يصل بعد إلى التميز بوضوح لأنه لم يتبين موضعه واتجاهاته كما ينبغى فى الأرض الجديدة ، وليس له سلطان على اندفاعاته الحركية ولا على علاقاته بالناس . وقد كان تنبهه وقدراته عند سن الخامسة أحسن اتزاناً ، أما فى سن السادسة فيكون متنبهاً إلى أمور تفوق ما يستطيع أن يجيد فيه التصرف ، وكثيراً ما يكون تميزه أكثر مما ينبغى (وهو التطرف بعينه) أو أقل يبغى ، وهو إما مفرط فى تأكيداته أو متردد متلكئ أو محاول أشياء فوق طاقته . وهو يبغى أن يكون الأول ، ويريد دائماً أن يكون الفائز ، وهذا يجعله فى اللعب ميالا إلى الشجار وكيل النهم ، ومع ذلك فهو حريص على أن يكون أحب الأطفال . وفى الأعياد يريد عدداً كبيراً من الهدايا لكنه لا يدرى بالضبط ماذا يجب أن تكون . ويبلغ من فرط نشاطه وحدبه على كسب الخبرات الجديدة أن سلوكه قد يتسم بالتسرع والنقص ، فيعاجل بقوله « ادخل » أو «شكراً لك» ولكنه حين يصافح باليد لايبدى احتراما كثيرا ولا يحفل بالرسميات !! فهو كما تعبر الكلمات العميقة الدلالة الصادرة عن شاعرة هى الأخرى فى السادسة :

مستر هالا بالو ، مستر هالا بالو

كان ينسى على الدوام أن يقول : « كيف حالك ؟ » .

رفع المستر باهتوت قبعته

قائلاً : « كيف حالك ؟ يا مستر هالا بالو ! ! » .

ومن هذا يتبين أن حفلة عيد ميلاد مقصورة على أطفال فى السادسة لن تكون مثلاً أعلى فى آداب السلوك ، حتى ولو كان مثل هذا الحفل تحت إشراف الكبار ووضعت له خطة محكمة فإنه لا شك يجنح إلى أن يصير خليطاً متقلباً من أوجه النشاط العنيفة — فترة قصيرة من البهجة والمسرة عند وصول الضيوف ، وتواثب للإمساك بالهدايا وتبادل انفعالى للمجاملات ، وكل فرد ينتظر الجائزة الأولى ، وثم غليان وتفجرات لمظاهر الشجاعة ، وعراك وتصايح فى غير نظام ، وتخاطف وهرج تتخلله

فترات سكون يفرضها تناول المثلجات . وليس هناك سن يكون فيه اهتمام الأطفال الملح بالحفلات أكثر من هـذا السن . وليس هناك سن مثل هذه السن يكون الأطفال فيه أقل مقدرة على إخراج حفلة تتناسب والمثل العليا للسلوك عند الكبار . ومن الخصائص الشاهدة الملحوظة أن تلهف ابن السادسة لا يتناسب وكفاياته ولا سيما فى المـآزق الاجتماعية ، والمراقب ذو النزعة الفلسفية يستبين فى سلوكه دلالات على النزعة الإنشائية التـكيفية يلمسها حتى فيما يسود حفـلة جمة النشاط والحيوية من فوضى وارتباك وتغلغل فى أرجاء المـكان ، والوالد الحصيف يضع من أول الأمر حدوداً لتعقيدات الحفلة .

وستجد معلمة المدارس الابتدائية فى مثل هذه الحفلة معرضاً لنفس النشاط الفياض الذى تصادفه كل يوم وهى ترعى مجموعتها من أطفال الفرقة الأولى ، وغرفة الدراسة تمثل العدة والوسيلة الفنية اللتين تحاول بهما ثقافتنا أن تصوغ هذه الطاقات الوفيرة أنماطا ، وما أسعد الأطفال الذين يوكل أمرهم إلى معلم يكون أهلا لتفسير جيشانهم بأنه من علامات عملية نمو تحتاج إلى توجيه ماهر ، فمثل هذا المعلم يخلق فى فصله جواً مرحاً من التسامح والطمأنينة تأنس له صفة تمثيلية معينة لطفل الخامسة وتترعرع فيه .

فماذا نعنى بهذه الصفة التمثيلية ؟ لسنا نعنى بها تصنعاً مفتعلا كالذى على المسرح ، بل ميلا طبيعياً للتعبير عن الخبرة الجديدة وتنظيمها عن طريق ردود أفعال أو استجابات عضلية طبيعية صريحة . إن الجسم الصغير لطفل صحيح البنية فى السادسة مرن حساس مترقب متحفز ، يستجيب بكامل جهازه الحركى ، لا يكتفى بالابتسام بل يكاد يرقص طربا ، ويبكى بكاءاً مستفيضاً إذا كان مغموماً ، ويرفس ويهتز من الحزن بل إنه فى نومه يقذف بكيانه الحى كله فى أحلامه ، ومن هنا تجىء استيقاظاته العنيفة من الـكوابيس التى تبلغ ذروتها فى سن السادسة . فأما أثناء يقظته نهارا فإنه يجرب أنواعاً من التقلبات المزاجية ويعدل عنها بسهولة . وهو يستخدم وضعات الجسم والحركات والايماءات والـكلام ليعبر عن الانفعالات والفـكرات التى تتشكل فى دخيلة نفسه .

وينبغى أن لا يغيب عن بالنا أن طفل السادسة لا يقصر همه على محاولة إتقان

قدرات كانت لديه فى سن الخامسة فإن الفطرة تضيف صاعا جديداً إلى كيانه النفسى ، وهو يتوغل فى ميادين للخبرة غريبة عليه كل الغرابة ويستعمل عضلاته صغيرها وكبيرها فى ارتياد مسالك جديدة .

والتنشيط الذاتى التمثيلى وسيلة للنمو والتعلم معاً وهو بمثابة مكنية طبيعية ينظم بها الطفل وجدانه وتفكيره ، ولكن العبء أكبر من أن يحتمله بمفرده فالمدرسة هى الأداة الثقافية التى لا بد أن تساعده على توسيع وتهذيب المساقط التمثيلية التى يعبر بها عما فى نفسه[1] . وهو يبدى بغريزته اهتماماً بكل ما يقع حوله ، حتى بالصور وبالحروف التى فى كتابه ، وبالأرقام التى على السبورة . وكما أنه لا بد له أن يلتقط كتلة ما ويقلبها بيده إذا شاء معرفة خواصها فكذلك يجب أن يسقط اتجاهاته الحركية والعقلية على صورة مواقف فى الحياة ، فالانفعالات ليست قوى غير متشكلة وإنما هى خبرات سُبكت أنماطا ، ووظيفة المدرسة هى أن تقدم للطفل الخبرات الشخصية والثقافية التى تقوم فى نفس الوقت بتنظيم الانفعالات النامية والصور العقلية التى تصحبها .

وبطبيعة الحال لا يمكن أن يتم هذا بصورة فعالة إلا عن طريق برامج للنشاط ومشروعات تدفع نشاط الطفل الذاتى إلى العمل ، فهو يتعلم لا بالاستظهار (أو الصم) ولكن بالمشاركة فى العمل وبنوع من التنيشط الذاتى الذى يؤدى إلى الخلق فتأخذه معلمته مثلا مع رفاقه فى رحلة إلى معمل ألبان ، ثم يتحدث الأطفال عن كل ما رأوا بعد ذلك بمدة ، أعنى بعد فترة تمثّل للمعلومات . وطفل السادسة ، بوصفه فرداً وعضواً بسيطاً فى جماعة ، يعبر عن خبرته بابتناء مسقط أفقى (للجرن) بكتل البناء ، ثم يضع بالاشتراك مع الجماعة خطة لإعادة تمثيل جزء من خبرته تمثيلا مسرحيا ، وبجميع وسائل التعبير هذه تتاح له الفرصة لإيضاح المعانى والعلاقات . وهناك فرص لا حصر لها لتمثّل شبيه بهذا للمعانى عن طريق التمثيل — كالتمثيل البنتوميمى البسيط :

---

(١) (Selfprojection) الأصل فى الإسقاط هو رسم صورة تخطيطية طبقاً لقواعد رياضية خاصة فكأن الإسقاط هنا يقصد به رسم صورة للنفس وما يداخلها عن طريق التمثيل .

«إنى أقطع خشباً» وتصوير التقلبات المزاجية (كطفل تائه أو غلام تعب) ومناظر تصويرية (تابلوهات) ودعابات تمثيلية مبتكرة (الحياة المدرسيـــة والمنزلية) وبتمثيل قصص ذات فكرة بسيطة (أم الأوز وروايات الأراجوز البسيطة جداً) . وعقل طفل السادسة العادى ليس على استعداد للتلقين الرسمى البحت فى القراءة والكتابة والحساب ، فهذه المواد لا يمكن أن تُبث فيها الحياة إلا إذا اقترنت بنشاط مبدع وبصورة حركية لتجارب الحياة ، ومثل هذا التعبير التمثيلى يجب أن يفرق بينه وبين المسرحيات المعدة أو التمثيل الجدى لروايات رياض الأطفال ، فهو صورة نمائية للتعبير عما فى النفس يجب أن تستثار فى الطفل دون سابق إعداد وبكيفية بارعة غير مباشرة ، فإذا وعت معلمة الإبتدائى هذه القاعدة الأساسية استطاعت أن تنشئ بينها وبين تلاميذها صلة متبادلة بهيجة .

والمدرسة إذا حسنت قيادتها كانت ملاذاً للطفل الذى له معوّقات ، والمعلمة البصيرة بمهمتها تصير بالنسبة للمبتدئ الصغير العادى بمثابة أم ثانية يركز فيها محبته ، نعم إنها لا تحل منه محل أمه ولا هى تتطلع لأن تكون عن الأم بديلا ولكنها تقوى إحساسه بالطمأنينة فى عالمه الغريب البعيد عن البيت ، فهو يستمد ثقة جديدة فى هذا العالم من ترحابها به وتطميناتها له كل يوم ، ومن مجرد رضاه عن اتساع مدى خبراته ، ومما تسبغه عليه من حماية بيئة ثابتة المعايير إلى حد ما .

وهو لا يرغب أن تنحرف هذه البيئة كثيراً عن نمط مألوف ثابت ، وهو يحب بعض الشئون الاجتماعية الرتيبة . ولما كان عليه أن يتمثل من الخبرات الجديدة عدداً جماً فإنه يفضل منها الصوى النفسية التى تظل ثابتة . وهو مغرم بما درج عليه من عرف وقواعد وتقاليد يضمن تكررها كل يوم ويفضل أن يرى معلمته فى مكانها المعتاد ساعة يبدأ برنامج اليوم (بل لعله يشعر بأسف عابر إذا غيرت شريط شعرها أو طريقة تصفيفه !) ونظراً لأنه يعثر باستمرار على اكتشافات جديدة فربما حمله ذلك على التلهف على قليل من النقط الثابتة فى عالمه العقلى .

وما أيسر ما ننسى أن هذا المستكشف الصغير لا بد له أن يتواءم مع عالمين : عالم البيت وعالم مدرسته ، ففى المدرسة يجد ما يُعوز المنزل من تبسيطات ومن رقابات جماعية

معينة ، على أن زمامه الانفعالى الذى يطمئن إليه يظل فى البيت ، ولكن لا بد له من اكتساب نوع جديد من الزمام لكبح الانفعالات بالمدرسة . وهذان الوضعان للطفل لا يحل أحدهما محل الآخر ولا يختلطان معا . ولما كان الطفل المبتدىء بالمدارس غير خبير بتعديل الانفعالات فإنه لا يستطيع دائما أن يتنقل بسهولة داخل هذين العالمين (البيت والمدرسة) ، فزيارة من أمه للمدرسة فى موعد أسىء اختياره أو حديث غامض بين أمه ومعلمته الجديدة المهيبة ، قد تحدث عنده بعض الخيالات والاتجاهات المشوشة ، وكثيراً ما تكون مرحلة الانتقال هذه من الصعوبة بمكان إذا كان بين العالمين فاصل طبيعى ، فالطفل قد يجد فى الصباح بعض العناء فى مفارقة أمه الحقيقية وقد يلقى معاكسة فى طريقه إلى المدرسة ، لأن التلميذ الجديد فى سن السادسة يقع فريسة سهلة لتلاميذ الفصول العليا أبناء الثامنة والتاسعة والعاشرة يخيفونه ويعاكسونه (بنتش غطاء الرأس وبالتهزىء) وقد تكون العادات الجديدة بالمدرسة من الغرابة الفظة بحيث تربكه وتضله .

وقد يكون الوالدان والمدرسون ومديرو المدارس على غير تنبه إلى المركب المختلط من العوامل المنبعثة من المدرسة أو من البيئة والمقوضة للروح المعنوية للمبتدىء بالمدارس ، وأحياناً تكون مرحلة الانتقال إلى المدرسة مليئة بالتخبط بحيث تحدث أعراضا مرضية فى الجهاز الهضمى واستجابات انفعالية عنيفة وهنا تكون للفوارق الفردية أهمية ، فالحساسون وغير الناضجين من الأطفال يقاسون أكثر من غيرهم . وتزداد صعوبات التواؤم حدة إذا كانت للمعلمة شخصية خالية من المرح متمسكة بالنظام أو كانت أساليب التعليم مفرطة فى الصلابة تعلق على الكفاية العلمية وروح المنافسة والدرجات المدرسية أهمية أكثر مما ينبغى ، وقد يحدث فى بعض هذه الحالات أن التوترات التى تصحب دخول المدرسة تشتد وطأتها على الطفل حتى تهبط صحته العقلية ، فالدخول إلى المدرسة ليس بالانتقال الهين ولا بد من تخفيف وقعه بترتيبات مرنة بالنسبة للمواظبة والمنهج .

ومع ذلك فكثير من التوترات عادى يدخل فى صميم عملية نمو الطفل دائما ، ومن العجائب المحيرة أن ازدواج القطب الانتقالى لسن السادسة يجعل هذه السن

وقتا مناسبا لإحداث انتقالات نفسية ، وقد أقر المجتمع ملاءمة سن السادسة والسابعة للزج الخطير بالطفل إلى طبقات أعلى من الثقافة ولا يصح إرجاء هذا الزج إلى أجل غير مسمى لأن الطفل يجب أن يتخطى حدود البيت وقيوده ويتخطى أيضا الطبقات البدائية فى تكوينه النفسى ، فالجنس يرقى ويتطور والطفل ينمو .

وقد سلفت الإشارة إلى معالم بدائية معينة فى سمات النضج لطفل السادسة ، ووصفت هذه السمات وصفاً مبهماً بنعوت من أمثال : «اندفاعية» و «غير متمايزة» و«متبخرة» و «اعتقادية جازمة» و «قسرية» و «قابلة للتهييج» . ورسومه التلقائية فطيرة ولكنها واقعية تذكرنا فى بعض الأحيان بالتعبيرات الإيضاحية للإنسان الأول فى تصويره للحركات أو الأفعال وللسماء والأرض وللتصميم الزخرفى ، فهو يميل لرسم بيت إلى جواره شجرة . ثم إن الحيوانات الضارية والظلام والنار والرعد والبرق تتراءى فى مخاوف طفل السادسة وأحلامه . والبنات والأولاد على السواء يفخرون فى سذاجة بخلع الأسنان ويعتقدون عن طيب خاطر فى الشخصيات الخرافية المتصلة بالأسنان وفى العفاريت وغيرها من العوامل الخارقة للطبيعة .

ومع أن عملياته الفكرية تقوم على المحسوسات بل على إضفاء الروح على غير الحى فإن ابن السادسة يتأثر برموز شبه مجردة وبالأشياء ذات القوى الخارقة للطبيعة وبالشعوذة ، وهو شديد الاعتماد على سلطان الكبار فى إرشادهم وتوجيههم . انظر إلى الصورة العصرية للعملية السحرية البدائية التى فيها يَعـدّ الوالد بنغمة غنائية تتفق مع دور السحر الذى يلعبه ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ — مع التفاهم مقدما على أنه عندما يترنم بالرقم السحرى ٧ يقوم الطفل المطيع بالعمل المطلوب منه ، ويحدث السحر أثره وهو ليس قائما على مجرد سهولة الانخداع فقد كان السحر حتى فى العصور البدائية وثيق الارتباط بالعلم . فالعد المتعمد فى أناة والذى يمكن تقصيره أو إطالته وفقا للغرض المطلوب يتيح للطفل نقطة يرتكز عليها وفرصة ينتهزها لحشد « قوى المواءمة » وهو ما لا يستطيعه بمحض إرادته وبغير معاونة ، وهذه الوسيلة كغيرها من وسائل التوجيه ينبغى أن تستخدم بحكمة ، ولكنها تنقلب إلى حيلة بارعة للتغلب على العرقلة الناجمة عن ازدواج القطبية عند الطفل .

وسيعتمد كل من البيت والمدرسة بمضي الوقت لا على السحر ولكن على الاستفادة من القوى والإمكانيات التمثيلية لطفل السادسة فى الأخذ بيده إلى طرق جديدة من ضبط النفس . وقدرته على إسقاط النفس التمثيلى من أهم سمات نضجه وهو على الدوام فى متناول يده وعن طريقه يُقوى اتصالاته التلقائية الخاصة بالثقافة ، وعن طريقه أيضاً تضع الثقافة يدها عليه وتوجهه إلى مشاركات وتوقعات جديدة . وكثير من أثر البيئة أو نفوذها يأتى عن طريق التقليد الأتماتيكى والإيحاء العرضى ، وكلاهما متصل بصفاته التمثيلية ، وتسمى عملية التمثل الكاملة ، الموجه منها وغير الموجه ، التى بها يكتسب الطفل طرائق حياته تسمى بالتثقيف .

ولما كان الطفل قد اختص بنصيب فى العملية فلا يصح اعتباره من صنع الثقافة ليس إلا ، ذلك لأنه فى ثنايا إسقاطاته ، سواء منها ما يمثل أو يؤول ، لا يقتصر على إعادة تمثيل أجزاء من الثقافة طبق الأصل بل إنه يعيد كذلك تقويم نفسه وتحديد موضعه بالنسبة للثقافة ، ومن ثم يفطن لرؤية نفسه ورؤية الضدين الماثلين فى قطبيته الثنائية وذلك فى الملابسات الاجتماعية ، وبذلك يضع الأساس لتقديراته لنفسه ولتقويماته التى يكتمل ازدهارها عندما يبلغ السابعة والثامنة . والوضع الاجتماعى لغرفة الدراسة لا غنى عنه لهذه العملية — عملية تنظيم موضع النفس من مجموعة . فمناشطه الفردية التى تبدع ، ومشاركته فيما تقوم به الجماعة من مشروعات ، ومساهمته فى وضع الجماعة للخطط الجماعية ، كل ذلك يمده بمقياس للقيم ، ويكتشف أنه لا يستطيع أن يتمادى فى التعبير النفسى المحض فى غرفة دراسة تسودها الدمقراطية ، فلا بد له من مراعاة الآخرين ، فمن المسلى أن نضحك الآخرين أو أن نقتادهم فى هذا السبيل ؟ ولكن من المسلى أيضا أن نرقبهم لنعرف ما يستطيعون عمله . وكل إنسان يقع فى الأخطاء بما فى ذلك الطفل نفسه ، وعلى هذا المنوال يبتنى لنفسه ذلك الإدراك الاجتماعى للتناسب وعدم التناسب الذى هو لباب حسن التصرف والذى هو كذلك جزء من حاسة الفكاهة التى تُنتجى .

وإنا نعرف معلمة[1] تستعمل طريقة فنية جذابة ، وإن تكن مستترة ، لتربية هذه

(١) تعرفنا اليها عن طريق إحدى النشرات النافعة التى اطلعنا عليها فى (Portfolio for Primary Teachers) التى تصدرها جمعية تربية الطفولة عنوانها : « يوم عظيم بمدرسة لأطفال السادسة » بقلم اليزابث ثرتون هوبارد . واشنطون D. C.

الحاسة الثمينة جداً التى يجب أن تنمى فى أطفال السنة الأولى جميعاً ، ذلك أنه عندما تنتهى وجبة الضحى يتمدد هؤلاء الأطفال على سجاجيدهم ابتغاء راحة قصيرة ، بعد إنزال الستاير . عندئذ تفتح المعلمة وهى تغمز بعينها كراسة مذكرات تقرأ فيها تقريراً طبق الأصل عما قاله الأطفال وفعلوه فى بدء تعاونهم فى وضع خطة مشروع من أوجه نشاطهم (كزيارتهم لمعمل اللبن) ، والأطفال يستمعون إليها مبتسمين وهم مستلقون فى تراخ على سجاجيدهم ويضحكون عند سماع الملحوظات التى أبدوها ، فكأن المعلمة ، التى يجب أن تكون ممثلة قديرة ، تمسك بيدها مرآة يرى الأطفال فيها أنفسهم ، فهذه تربية تعلم الفكاهة والتسامح ، وهى درس فى الصحة العقلية وتوجيه نمائى كذلك ، ففى مثل هذا الجو المرح تزدهر الشخصية ويكسب العقل مرونة وقوة .

وهذه العمليات الداخلية عمليات التمثل والبناء من جديد ترتفع مستوياتها كلما نضج الطفل . وسنرى فى السنة السابعة بعض التحولات النمائية الشائقة ، لكن السنة السادسة الانتقالية لا بد أن تكون فى المقدمة .

سمات النضج

[لا يجوز أن تعد سمات النضج التالية معايير جامدة ولا نماذج تحتذى فهى إنما توضح أنواع السلوك (المرغوب فيه وغير المرغوب) التى تنزع إلى الحدوث فى هذه السن ، فلكل طفل نمط للنمو فريد خاص به . وسمات السلوك الملخصة هنا يمكن استخدامها لتفسير فرديته ، ولتكوين فكرة عن مستوى النضج الذى يظفر فيه] .

١ — الخصائص الحركية

النشاط البدنى

لم يعد هدوء الخامسة من خصائص طفل الخامسة والنصف الذى ينعت بأنه لا يستقر ولا يهدأ فى البيت ، فهو يلعب داخله أو خارجه دون أن يبدو عليه أنه يعرف فى أى مكان يريد أن يكون ، ويشغل نفسه بالحفر والرقص والتسلق ويركب دراجته الثلاثية وينزل بها من على التل ، ويحمل الأشياء معه على عربة أينما ذهب ، ويشغل اللعب بالرمل والماء والطين كل وقته ، ويعده ما يكلف به فى المنزل بكثير من المناشط الحركية ، فهو يحب إعداد المائدة ومساعدة أمه بإحضار الأشياء لها ، فإذا سئل ماذا يلعب ، قال « ألعب فى شىء بعد آخر » .

والسادسة سن نشاط فالطفل يكاد يكون فى نشاط مستديم سواء أكان واقفاً

ام جالساً ، وكأنى به يوازن جسمه فى الفراغ عن قصد ووعى . وهو فى كل مكان يتسلق الأشجار ، ويزحف فوق وتحت وحول منشـآته الـكتلية الـكبيرة أو غيره من الأطفال . ويلوح كمن قُدّ من أرجل وأذرع وهو يرقص فى أرجاء الغرفة .

ويتناول أوجه نشاطه جامعاً بين قدر كبير من عدم الاكتراث وقدر كبير من التعقل ، وقد يعثر فيقع أثناء بذله الجهـد للتمكن والإتقان . وربما أحب مهمة « التنظيف » بالمدرسة ، فينظف البلاط بالفرشة ويحرك الأثاث من مكان إلى آخر على الرغم مما فيه من بعد عن المهارة وعن الإتقان . وهو يستمتع بالنشاط ويكره تدخل الغير .

وهناك قدر كبير من لعب صاخب فيه تنقل وتدافع ، وهو يحب أن يصارع أباه أو أخا أصغر منه ، على أن هذا قد يؤدى إلى كارثة لأن الطفل لا يعرف متى يكف . وفى داخل المنزل قد يصير لعبه بالـكرة منذراً بالخطر حين يثب ويقذف ويحاول الإمساك ، وتشوقه كذلك الألعاب البارعة على قضيب العقلة ، وهو يميل إلى أن يرفع نفسه على حبل ويتأرجح ، فالأراجيح أثيرة لديه يجلس عليها بقدر كبير من الحرية والتوازن ويتعشق التأرجح إلى أعلى ما يستطيع .

وابن السادســة يفرط فى امتداداته وتوسعاته فى كثير من سلوكه الحركى ، ويميل إلى بناء كتل أعلى من كتفه ، ويحاول أن يقوم بوثبة جرى واسعة المدى دون أن يبالى بالوقوع ، وقد لا يكون فناء منزله جذابا كفناء منزل الجار .

العينان واليدان

وهناك كذلك تغيرات ملحوظة فى سلوك « العين واليد » لطفل الخامسة والنصف ، والظاهر أنه أكثر تنبهاً إلى يده بوصفها آلة ويستخدمها فى تجاربه بهذا الوصف .

وتقول التقارير إنه يرتبك عند ما يقوم بمهمة تتطلب حركات دقيقة ومع ذلك فهو فى حاجة جديدة لمثل تلك المناشط . واللعب والأدوات المعدنية تشوقه بصفة خاصة ، وقد يكون أقل اهتماما بما يتمه من عمل بتلك الآلات وأكثر اهتماما بتناولها بيديه . وهو يحب تفـكيك الأشياء حبه لتركيبها . والبنات بصفة خاصة يحببن فى هذا السن أن يلبسن عرائسهن ويخلعن عنها الثياب .

والطفل يمسك الآن بقلمه الرصاص بارتباك أشد من ذى قبل ويغير من قبضته عليه . وهو يحب الرسم والـكتابة والتلوين شأنه فى الخامسة ، ولـكنه أقل تقيداً بالنماذج . وقد يشغله ملء الرسوم بالألوان مدة طويلة جداً ، وتراه يلوّن بارتباك ويغير موضع جسمه كما يغير قبضته على قلم التلوين ويميل برأسه ، وربما وقف وانحنى فوق المنضدة وواصل الرسم أو خفض رأسه وأسندها فوق ذراعه ، وقد يقول « إن يده تعبت » ويمد إليها يده الخالية فجأة . وحين يحاول القيام بأعمال يدوية دقيقة نجده كثيراً ما يقف بل ويمشى أثناء العمل .

والسادس نشيط فى جلوسه نشاطه وهو واقف . فإنه يتلوى على الـكرسى ويجلس على الحافة بل قد يقع على الأرض . ولفمه نشاط كبير كمد اللسان وتلعيب الفم والنفخ أو الصفير بالشفاه والعض عليها ، وهو يعض قلمه ويعضغه أو يدق به . وإمساكه للقلم تحسن عما كان فى الخامسة والنصف ، ولـكن استعماله له يتعبه .

وتظف العين واليد الآن بسرعـة أقل وبصلة وثيقة أدنى ممـا كانتا عليه فى الخامسة . والسادس فى ابتنائه برجا من كتل صغيرة يقبـل على عمله بكثير من الالتفات والتنقل ويحاول وضع الـكتل

وضعاً صحيحاً ، على أنها قد لا تكون مصفوفة فى استقامة دقيقة كما كانت فى سن الخامسة . وربما كان وهو يبنى مرة أخرى من الإهمال وعدم الاكتراث بحيث تسقط الكتل مرات متكررة

وهو يلمس كل المواد ويتناولها بيديه ويستكشفها متسائلا « ماذا تفعل بهذه ؟ » إنه يريد أن يفعل كل شيء وغالبا ما يفوق نشاطه واقع إنتاجه ولكنه يقطع ويلصق ويصنع كتباً وصناديق ويشكل من الطين مختلف الأشياء .

والسادس يستطيع أن ينقل عينيه بسهولة أكثر ، كما أنه كثيراً ما يحوّل التفاته عما بين يديه من عمل ، فمن السهل أن يلهيه ما حوله وقد تستمر يداه فى العمل بينما هو يراقب بنشاط شخصاً آخر .

وهو يحتاج فى أشغال النجارة إلى قدر عظيم من المساعدة فالمنشار يلتوى فى يده ويجمد عن الحركة . وهو يضرب ويضرب بشدة أثناء دق المسامير وغالبا ما يفشل فى دقها على الرأس بل ربما كسر اللوحة ، وقد يُمسك بالمطرقة بالقرب من رأسها ، ومع ذلك ففى وسعه أن يصنع منشآت غير متقنة .

٢ — الصحة الشخصية

الأكل

الشهية : تستمر شهية الخامس على جودتها حتى السادسة وقد تصير هائلة حتى ليقال عن بعض الأطفال إنهم يأكلون طول النهار ، كما يشتهرون بأنهم يأكلون بين الوجبات أحسن مما يأكلون فى الوجبات . ويظل الإفطار أضعف الوجبات وقد يصحبه بعض المغص ، والغثيان[1] ، كما يصحبه قيء فى حالات أقل . والطفل يفضل قطعا الغذاء السائل المكون من اللبن وعصير الفواكه .

وعلى العكس من وجبته الصباحية الضعيفة ، فإن طفل السادسة كثيراً ما يحس الجوع قبل الذهاب إلى الفراش مباشرة وقد يأكل وجبة خفيفة كبيرة نوعا ما باستمتاع حقيقى ، بل لقد يستيقظ فى منتصف الليل ويطلب الطعام .

وعيون ابن السادسة تكون فى الغالب أجشع من معدته فلا يستبعد أن يطلب من الطعام مقادير فوق طاقته، وينبغى أن لا يجاب إلى طلبه هذا بدقة ، فإذا هو لم يوافق على أن يعطى نصيبه على دفعتين ، مع احتمال رفض النصيب الثانى الذى اعتزمه ، فيصح أن يعطى نصيبه كله مع السماح له بتقسيمه فى طبقه إلى قسمين . ووسائل الإنقاذ من الورطات ، بالنسبة إلى الوالد والطفل على السواء ، يجب المبادرة بوضعها تحت تصرف أيهما عند الحاجة إليها ، ومثل هذه الوسائل تكتسب تبريراً ومعنًى إذا نحن أدركنا أن طفل السادسة من خصائصه الإجادة عند بدء الأشياء والإخفاق قطعاً عند الانتهاء منها .

وقد تحصل فى الغالب على زيادة فى الشهية عن طريق بعض الخبرات الجديدة ، أو بعض التغيير فى الرتوب ، ولذا فزيارة للجدة أو وجبة بأحد المطاعم مع العائلة كثيراً ما تحدث تحسينا وإن كان وقتيا فقط .

الرفض والتفضيل : يظل ابن السادسة على تفضيله لبسيط الطبخ ، ومع أنه قد يكون أمامه من ألوان الأطعمة المفضلة المختلفة الكثير نسبيا ، ومع رغبته فى تجربة أطعمة جديدة ، فإن تفضيله ورفضه يكون فى العادة قاطعاً جداً ، وقد يرفض اللحم لأنه أعطى فى مرة قطعة لها حافة صغيرة دهنية ، أو لعله

---

(١) الرغبة فى القيء .

يرفضه لأنه لا يجب أن يمضغ . وقد يرفض الأطعمة فى نوبات ، فما يتقبله يتقبله بقوة وما يستبعده يستبعده تماما . وهذه هى السن التى تأخذ فيها محبة الطفل لزبدة الفول السودانى فى بلوغ ذروتها التى تبلغها بالفعل عند قرابة سن ٧ إلى ٨ . ولعل كثيراً من الحلو المطبوخ وخاصة بودنج الأرز والكسترد ترفض لذاتها وحدها ، ولكن ابن السادسة غالباً ما ينصرف عن الحلو ، ولو جاء الحلو فى أول الوجبة فلعله كان يأكله بتلذذ . وهو يفضل فى العادة الخضروات النيئة على المطبوخة ، وللتكوين والمظهر أهمية قصوى فالأطعمة الكتلية أو الخيطية (ذات الألياف) ترفض على وجه العموم .

إطعام الطفل نفسه : يعود كثير من الأطفال إلى الأكل بالأصابع فى سن السادسة ، فأدوات الطعام تبدو لهم كدخيل لا لزوم له بينهم وبين الطعام ، كما أن استعمالهم لها لا يروق حتى أطعمة كالبطاطس المهروس يأكلونها بالأصابع ، ومثل هؤلاء الأطفال يجب أن يعطوا من الطعام الصحيح المتماسك حتى يستطيعوا أن يطعموا أنفسهم بأصابعهم . وتفضل الشوكة غالباً على الملعقة وتستخدم إن كان الطعام مما يتقبل غرزها فيه ، وعلى النقيض من هؤلاء يقف الأطفال المتأنقون المدققون الذين لا يخطر ببالهم أبداً أن يلمسوا طعامهم بأصابعهم أو يسكبوا قطرة واحدة ، فهؤلاء يأكلون بعناية ودقة ويستعملون أدواتهم بمهارة .

آداب المائدة : إن إجلاس طفل السادسة على المائدة لاسيما فى الوجبة المسائية الرئيسية ليس من الخبرات التى تعلمه وتهذبه ، فهذا فى الواقع ليس مكانه وهو يفضل كثيراً أن تقدم إليه صينية بجوار الراديو بينما يكون مصغيا إلى الموسيقى أو إلى برنامجه الخاص .

وضبطه الحركى مضطرب جداً فى كل من الجلوس والوقوف ، ففى اللحظة التى يجلس فيها قد تأخذ رجلاه فى التأرجح فإذا كانا يصلان إلى ساقك أو إلى رجل المنضدة ظهرت عليها آثار قوة دفعه . فإذا كان لا بد من مجيئه إلى المائدة جاز أن يسمح له بالمجىء وهو يلبس الجوارب فقط . وبعد هجمته الأولى على طعامه يأخذ فى التلكؤ والتلوّى ويمد يده ليأخذ جزرة فيقلب لبنه ، وتتحرك ذراعاه بغتة فيسكب طعامه ، وسرعان ما يترجح على رجلى كرسيه الخلفيتين بل ربما على رجل واحدة فقط ، ويأخذ صبر الأب ينفد على مهل ولعله قد أكثر من القول فى محاولته استبقاء الطفل معتدلا .

وعندما يأكل ابن السادسة فعلا فإنه يحشو فمه أكثر من اللازم وربما تكلم وفمه ممتلىء . وإذا لم يكن جسمه يأكله ناشطاً ، فإن لسانه على الأقل عرضة لأن يتكلم كثيراً جداً ، فإذا انتقد سلوكه هذا فإنه قد يعيب على إخوته الصغار أو على والديه ما يُلام عليه هو .

وتركه وحده على المائدة يكاد ينتج عكس الأثر المرغوب ، فإن تلكأه يزداد قليلا عما كان . وأخذ الطعام منه إما أن يغضبه أو يسيل دموعه ، وإعادة الطعام ربما أعادت الأمور إلى نصابها ، ولكن قد يكون خير حافز له إن كان جالساً إلى مائدة الأسرة هو مسابقته ، مع إعطائه الفرصة لفوز أكيد .

ولا حاجة بنا إلى القول أن أبناء السادسة ليسوا جميعاً مركبين على هذه الصورة ولكن معظمهم يبدون على الأقل بعض هذه الخصائص . وقليل من الأطفال يأكلون بالفعل مع مجموعة الأسرة خيراً مما يأكلون وحدهم ، ولكن عدداً تدهشنا كثرته يلتمسون بالفعل تناول العشاء فى فراشهم أو على صينية بجانب الراديو كأنهم يشعرون بما هو أفضل لهم ، لأنه عندما

يسمح لهم بالحضور إلى المائدة فى المناسبات يكون تصرفهم فى هذا الموقف أحسن بكثير ويظهرون زهوهم بمهارتهم . ومن الأمور المؤسفة حقاً تنحية الطفل عن المائدة عقوبة له على إخفاقه ، فإذا هو أصر على الجلوس مع الأسرة بانتظام ، فإنه فى العادة يقنع تماماً بالجلوس إلى مائدته الصغيرة الخاصة ، وحبذا لو شاركه فيها أخ صغير.

ولا تزال الفوطة أداة تهذيبية لاتطاق ، فالطفل يرفض الآن المريلة وقد يرفض كذلك حشر الفوطة تحت ذقنه ، فإذا كانت الفوطة إلى جوار طبقه نسى أن يستعملها وإذا كانت على حجره فسرعان ماتقع على الأرض . وقد يكون شاعراً بالطعام حول فمه وقد يبعده بمهارة بمسحه بظهر يده ، وآخرون يستعملون الفوطة إذ ذكّروا بها ، ولكن الأيدى النظيفة والوجوه النظيفة لايزال المسئول عنها بوجه العموم الكبار لا الأطفال .

النوم

الإغفاءة : قليل جداً بين أطفال الخامسة والنصف من يتشبث بالنوم نصف ساعة فى المناسبات ، فإذا بقيت فى الطفل عند بلوغه السادسة أية رغبة فى الإغفاء فإنه يعترض سبيلها ذهابه إلى المدرسة بعد الظهر . على أن الاغتباط العظيم الذى يبديه طفل السادسة عندما يأخذ ساعة « إغفاءة اللعب » المقررة فى الخطة يجعلنا نتساءل بحق عما إذا كان من الحكمة ذهابه إلى المدرسة فى ذلك الوقت .

وقت النوم : يبدى طفل الخامسة والنصف فى أنماط سلوكه قبل النوم مايدل على تحول نمائى حقيقى فى سلوكه ، فهو يشعر بالتعب قطعاً ويندر أن يقاوم الذهاب إلى فراشه فى ساعة نومه المعتادة (من ٧ إلى ٨) أو حتى قبلها ، ويحب بعض الأطفال الاستعداد للنوم قبل العشاء وصينية أكل فى الفراش ، وإن لم يدخلوا الفراش للنوم فعلا قبل أوان نومهم المعتاد . وهم أكثر تخوفا فى هذه السن ويطلبون الائتناس بأمهاتهم حتى بعد إطفاء الأنوار ، وقد يطلبون أن يبقى أحد الكبار معهم فى نفس الطابق أو أن يناموا مع أخ صغير فى غرفة واحدة أو أن تظل أنوار الصالة مضاءة . ويعاود الأطفال الاهتمام بالحيوانات المحشوة وبالعرائس وبأخذها معهم إلى الفراش حتى ولو بلغ عددها اثنين أو ثلاثة ، ويعاملون هذه اللعب كما لو كانت أشخاصاً حقيقية ترافقهم للائتناس . وللصلاة أثر غير عادى فى تهدئة بعض الأطفال ولذا يجب أن ينظر فى أمرها نظرة جدية وخاصة بالنسبة للطفل الخوّاف .

وسلوك ساعة النوم عند أبناء السادسة ليس فيه من التخوف مافيه بالنسبة لطفل الخامسة والنصف ، فهو يذهب إلى فراشه بتمام السهولة ويستمتع ببعض النشاط الهادىء أو بالموسيقى بعد أن يحتويه الفراش ، ويحب بوجه خاص أن يُقرأ له شىء أو أن ينظر فى الكتب لمدة نصف ساعة ، وهذا من أنسب الأوقات لاستثارة اهتمام الطفل بالقراءة فإنه يسر بانتقاء بعض الحروف المفردة ولا سيما الكبير منها ، بل قد ينتقى بعض الكلمات من الحكاية التى يقرؤها له الوالد . وهو مغرم بعد إطفاء الأنوار بالتحدث عن كل ماجرى فى النهار وعن الأشياء التى تشغل باله . وهو تلقائى جداً فى هذه السن بحيث أن كل ماتحتاجه الأم هو أن تصغى له ، ثم تسير بأفكاره وتهديها فى الطريق الذى يسلكه .

وبعض الأطفال يسره أن يضعه أبوه فى الفراش ويستجيب له بيسر أعظم ، ومع

ذلك فهناك آخرون يحسمهم وجود الأب أكثر مما ينبغى . وبعض البنات لايأتيهن النعاس حتى يقبلهن الأب قبلة مساء الخير ، ولكن العادة أن الأم لاتزال هى المفضلة وبخاصة فى أحاديث تحية المساء .

الليـل : هناك عدد متزايد من أبناء السادسة ينعتون بأنهم «نوامون مدهشون» ، ولكن لايزال هناك عدد قليل ، وإن كان أقل ممن هم فى الخامسة ، يقلق نومهم قضاء الحاجة أو الأحلام المزعجة التى أخذ يظهر فيها رجال ونساء غير مألوفين ، وكذلك حيوانات الأحلام التى لاتزال كثيرة الظهور قد أخذت تبدى نشاطاً ولا سيما فى العض .

فإذا حدث للطفل كابوس مرعب فإنه قد لايستطيع استعادة هدوئه إلا إذا نامت أمه معه فى فراشه ، أما الذين يستطيعون أن يستيقظوا من تلقاء أنفسهم فإنهم يتسللون إلى مضاجع والديهم وبخاصة أمهاتهم ، ومنهم من يعود إلى فراشه بعد سرد الحلم ومنهم من يعود إليه بعد أن يستكن قليلا مع أمه حتى يطمئن ، ومنهم عدا ذلك من يحتاج إلى قضاء بقية الليل فى سرير أمه حتى ولو كانت قد انسلت من فراشها وذهبت لتنام فى سريره .

وقليل جداً من الأطفال فى هذه السن تُقضى حاجاتهم فى رتوب ، وبعض الذين لايزالون بحاجة إلى النهوض لابد أن يُبلغوا أحد الوالدين بعد قضاء الضرورة ، ولكن عددا متزايداً منهم يتولون أمرهم بأنفسهم ثم يعودون وحدهم إلى فراشهم .

الصباح : الاستيقاظ فى الصباح عند سن الخامسة والنصف له طرفان متناقضان : المبكرون فى الاستيقاظ (من ٥½ إلى ٦ صباحا) ، والمتأخرون فيه (الساعة ٨ صباحا) ، بل قد يحتاج الأخيرون إلى من يوقظهم . وأما فى السادسة فتضيق شقة التباعد بين الطرفين ، وموعد النهوض العادى هو بين السابعة والسابعة والنصف ، ولا يعود الطفل بحاجة إلى من يوقظه . وطفل الخامسة والنصف ينام حوالى ١١½ ساعة كما ينام ابن السادسة ١١ ساعة .

وطفل السادسة حين يستيقظ يقضى حاجته بنفسه ويصبح فى العادة أكثر اهتماماً بمناشط لعبه الصباحى منه بالملبس ، ومع ذلك إذا كانت ثيابه موضوعة أمامه مفردة على السرير ، فربما أخذ فى ارتدائها بعد أن يُذكَّر بذلك .

الإخراج (قضاء الضرورة)

الأمعاء : لايزال النمط السلوكى العام لابن الخامسة قائم — حركة واحدة فى اليوم بعد الغداء ، وهناك ميل إلى زحزحة هذا الحدث إلى الشطر الأول من النهار لا إلى شطره الثانى ، وقليل من يغيرون الموعد إلى ما قبل الإفطار أو ما بعد ساعة النوم . وقد تحدث حركتان فى اليوم الواحد ولكنهما تكونان غالبا دفعتين من حركة واحدة فقط نظرا لأن الطفل قد لا يجلس مدة تكفى لإتمام الوظف ، والوالد بحاجة إلى معاونة الطفل بقليل من الإشراف للتحقق من أنه قد بقى المدة الكافية لإتمام العملية .

وقد جرت العادة أن يكون الوظف أميل إلى السرعة ، والواقع أن الطفل لو انتظر إلى الشطر الثانى من بعد الظهر فقد تبلغ المسألة من السرعة أن يهرع فى جنون إلى الحمام ثم لعله لايبلغه إلا بعد فوات الأوان . ويلوح أن الحركة تكاد تحدث عند بعض الأطفال بغير إرادتهم قبل أن يملكوا لها دفعا ، وحوادث الإخراج اللاإرادى هذه تكاد تؤثر فى الوالدين أكثر مما تؤثر فى الطفل ، فقد يخجل الطفل ويتسلل إلى منعكف يتوارى فيه ، وإن حاول فى غالب الأحيان أن يصلح

الأمور بتغيير سراويله وتنظيف بدنه ، ويخجل الوالد (أو الأم) كذلك ولا يخطر بباله أبداً أن يذكر الموضوع لطبيب العائلة .

والقدرة على الوظف بسهولة فى مراحيض المدرسة لا تجىء فى العادة قبل حوالى سن الثامنة ولذلك كثيراً ما تنزل النازلة بطفل السادسة وهو يتلكأ فى طريق عودته إلى المنزل على أثر انتهاء الدراسة بعد الظهر ما لم يقابله أحد الوالدين ويسرع به إلى المنزل ، أو يُتفادى ذلك بوظف الطفل ساعة الظهيرة . والصفع والتعيير أكثر من اللازم وسيلتان ضعيفتان لضبط هذا الحدث .

ومعظم الأطفال يتولون حاجاتهم بأنفسهم دون أن يبلّغوا لا قبل الوظف ولا بعده ، وبعضهم أشد تنبها للوظف فهم إما أن يبلغوا كما كانوا فى الماضى عن حجم وشكل وعدد الحركات أو يعمدوا إلى عكس ذلك فينسحبون انسحابا تاما بإقفال باب الحمام عليهم .

والسباب والشتائم لها صلة بالوظف المعوى قطعا فى هذه السن . فلفظ « المنتن » شائع الاستعمال ولعل له أصلا من خبرة واقعية ، وكذلك كثيراً مايصيح طفل وهو بين الخامسة والنصف والسادسة غاضباً فى وجه طفل آخر « يا أبو كخ فى اللباس ! » .

المثانة : يندر الآن تبول الطفل على نفسه فى الليل أو النهار ، وكما فى الخامسة قد يؤخر الطفل نفسه طويلا حتى يضطر إلى الاندفاع كالمجنون ، وكثيراً ما يستطاع تفادى هذه الحوادث بتذكير الطفل بالذهاب إلى الحمام فى وقت مناسب ، كأن ينبه قبل خروجه للعب مثلا أو قبل خروجه فى رحلة . وهناك قليل من الأطفال يبللون أو يرطبون سراويلهم فجأة شأن أولئك الآخرين الذين تفلت منهم فجأة حركة اندفاعية وهم يتألمون أشد الألم وكثيراً ما يقولون « لست أعرف متى أفعلها » وربما أمكن حسم هذه الفلتات بزيادة إحكام خطتنا لتذكير الطفل .

والتبول أثناء النوم أمر غير شائع ولكنه قد يعود عند الإصابة بالبرد أو إذا كانت حرارة الطفل أثناء النوم عالية أو منخفضة أكثر مما ينبغى . وهناك عدد لا بأس به منهم لا يزالون بحاجة إلى النهوض لقضاء الضرورة ويتولونها بأنفسهم ثم يعودون إلى فراشهم دون أن يبلّغوا والديهم .

وقد يثير الوظف البولى وبخاصة صوت هذه العملية الضحك والمعاكسة بين طفلين فى هذه السن ، ومن ثم فهناك قاعدة بسيطة من السهل التمسك بها وهى ألاّ يدخل الحمام إلا طفل واحد فى كل مرة ، وبذلك يحل الضبط السطحى أو الوقائى الخارجى محل الرقابة المباشرة . وقد يلجأ طفل السادسة الذكر إلى استعمال ألفاظ الوظف البولى فى مهاجاته الصادرة عن تفكه أو غضب كأن يقول « سأبول فى عينيك ! ! » .

الحمام واللبس

الحمام : يلقى حمام كل ليلة فى هذا السن مقاومة من بعض الأطفال وخاصة الأولاد ، فقد يقول الطفل إنه متعب جداً فلا يستطيع أن يستحم وهو قول صادق إلى حد ما ، وذلك لأنه ربما كان يستحم دون أية مقاومة فى الساعة الخامسة بفكرة تناول عشائه فى الفراش ، وقد يتقبل الحمام ، ليلة وليلة لا ، قبولا حسنا إلى حد ما . ولا يزال بعض الأطفال لا يبدون أى اهتمام بغسل أنفسهم ، وبعضهم يحاول الاستحمام كله بنفسه ، وآخرون يقصرون جهودهم على

السيقان والأقدام ، وكلهم تقريباً يحتاجون إلى عون عند أخذ الماء وفى اللمسات الأخيرة عند الرأس وفى مناطق الرقبة .

وكثيراً ما يكون الاستحمام مع الأب أيسر منه مع الأم . والتلكؤ والتراخى فى حوض الحمام هو القاعدة ومن العسير إخراج الطفل منه ، ومن الممكن استعجاله بوسائل بسيطة كالمسابقة والعد أو توقع نشاط مشوّق قبل النوم .

ومعظم أطفال هـذه السن يغسلون وجوههم وأيديهم غسلا جيداً معقولا وإن لم يكن من تلقاء أنفسهم ، وبعضهم يعتبر « الوجه هو الأنف ليس غير » . ومع أن أطفال السادسة آخذون فى التنبه إلى القذارة فى غيرهم ، فكثير منهم لا يعيرون القذارة التى تعلوهم أهمية كبيرة . وربما قاوموا غسل أنفسهم وإن قبلوا المساعدة فى ذلك ، فلو جعل الاغتسال أمراً عارضاً أكثر مما هو الآن لساعد ذلك كثيراً أن تصير الحياة المنزلية أهون وأيسر . ولوم الأم نفسها (بعد الطعام) بقولها « آه ، لقد نسيت أن أذكرك بغسل يديك » له أثر عجيب فى تشجيع الطفل تشجيعاً له ما يبرره وهو الذى يستشعره المرء حين يعرف أن غيره من الناس يخطىء أيضاً .

اللبس والعناية بالثياب : الرغبة فى اللبس هى نصف المعركة ، ولكن كثيراً من أطفال السادسة لم يحرزوا بعد هذه الرغبة ، وذلك هو السبب فى أن طفل السادسة لا يزال بحاجة إلى أن يعامل فى بعض النواحى كطفل الخامسة ، ومع أنه فى الغالب لا يسمح لأمه أن تساعده بالفعل فإن مجرد وجودها يساعد فيما يبدو . ووقت اللبس مناسب لألعاب الهجاء والحساب أو ألعاب « إنى ألمح شيئاً » . والطفل يحب أيضاً أن يسابق أحد والديه ، وإذا هو ربط حذاءه جاء رباطه مفككا جداً . وربما يحتاج الطفل إلى معونة أقل فى صباح الأيام الأكثر فراغا التى لا يذهب فيها إلى المدرسة . ويتم خلع الثياب بسرعة كبيرة جداً .

والسادسة سن وعى للملابس ، فالأولاد يهتمون ويزهون بسراويلهم وأربطة رقابهم ، كما ترغب البنات فى الثياب الجميلة وملحقاتها التى تزينها والجوارب التى تماشيها . وكثيراً ما يرفضن ارتداء معطف العمل و « ترلك »(١) الشتاء . وهناك إقبال على أزياء وألوان خاصة يغلب فيها الأحمر . ويبدأ الأولاد يتحدثون عن الأحذية عالية الرقاب . وكثيراً ما يحتاج أطفال السادسة إلى المعونة فى ارتدائهم « الترلك » وكُم الجاكتة الثانى . ونظراً لما يجده أبناء السادسة من صعوبات فى اللبس ترى والديهم يتشككون بحق فى حكمة مطالبتهم بتغيير ثيابهم بثياب اللعب بعد انتهاء الدراسة ، فلماذا لا تكون هناك ثياب وسط تجمع إلى الجودة الكافية للمدرسة ألاّ تكون هذه الجودة أكثر من اللازم للعب ؟

ومع أن طفل السادسة يهتم بثيابه فإنها لا تلق منه عناية كبيرة ، فعلى حد تعبير إحدى الأمهات « إنها تحب أن يكون كل شىء على ما يرام ، ولكنها لا تبذل فى سبيل ذلك أى جهد » . وفى سن الخامسة والنصف عندما ينضو الطفل عنه ثيابه كثيراً ما يلقيها إلى أمه (أو فى وجهها) ، وفى السادسة يقذفها فى جميع أرجاء الغرفة ، وكثيراً ما يكون ذلك للتفكه أو لتجريب عدد

---

(١) غطاء للساق من الجلد .

الأمكنة والاتجاهات التي يستطيع أن يقذف فيها ، وهذا يمكن تحويله بسهولة إلى لعبة نافعة هي تجميع ثيابه ، لعبة يستمتع بها كل من الأم والطفل ، أو تخصيص ركن يمكن أن تلقى فيه الثياب الوسخة ، فإن إلقاء الثياب في أحد الأركان أجلب للسرور من إلقائها في سلة الغسيل .

« ومتاعب الأحذية » متاعب حقيقية جداً في سن السادسة ، فإن طفل السادسة الذكر بوجه خاص يرغب في خلع حذائيه ما دام بالمنزل ولكنه قد يترك إحداها في غرفة والثانية في أخرى ، وفي الغالب الكثير ينطلق كل أفراد الأسرة في صبيحة اليوم التالي بحثا وراء الحذائين حتى يستطيع أن يذهب إلى المدرسة بهما ، والواقع أن والديه يفضلان له خلع حذائه وهو على المائدة لأنه يرفس . وهذه أسباب كثيرة تحملنا على اتخاذ خطط وقائية ، لماذا لا نحذو حذو الهولنديين ونجعل طفل السادسة أو السابعة يخلع نعليه عند دخوله إلى المنزل ، ونسمح له بالذهاب والغدو بالجوارب ؟ .

ويأخذ بعض الأولاد في الاهتمام بتمشيط شعورهم . وقد تأسف البنات على اليوم الذي طالبن فيه بالضفائر ولكنهن لا يردن أن يقلعن عنها على الرغم من كل المتاعب التي يسببها التمشيط ، فإن جلد الرأس يكون حساساً جداً حول هذه السن ، ولكن ألم التمشيط يمكن أن يخف كثيراً إذا استطاعت الطفلة أن تشغل نفسها أثناء العملية بكتاب أو بالتلوين أو بالعزف على البيانو .

الصحة والشكايات الجسدية

ليس سلوك ابن السادسة العام هو وحده الذي ينحرف بل تنحرف معه أيضاً الكيفية التي تعمل بها بنية بدنه الطبيعية . والطفل فيما بين الخامسة والنصف والسادسة كله شكايات ، شكايات لها ما يبررها ولذا يجب أن يستمع لها بجد وعناية ، ففي الخامسة والنصف تؤلمه قدماه وقد يمشي كأنما به عرج ، فإذا بلغ السادسة آلمته ساقاه وأحيانا ذراعاه وصاراً مؤخر رقبته ، ويقول إن برقبته تصلباً . « والدعك » والتدليك يريحه ويخفف آلامه

وهو يشكو من أنه حران ، حران لدرجة تجعله يتمنى لو غادر المنزل بغير ثياب البتة ، وهو يعرق بسرعة والواقع أن أغشيته المخاطية تلتهب بسهولة على ما يبدو ، وقد يصبح غشاء عينيه المخاطي محمراً ، وقد يتطور إلى دمامل في الجفون . ولا يقتصر حلقه على « الألم » بل يحمر ويمرض ، وكثيراً ما تمتد العدوى إلى أذنيه ورئتيه ، ويصل التهاب الأذن الوسطى إلى الذروة التي بلغتها في سن الثانية والنصف ، وعلاوة على الأمراض المعدية الأكثر شيوعا في الخامسة — أمثال الجديري والحصبة والسعال الديكي — تبدى الحصبة الألمانية والتهاب الغدة النكفية هي الأخرى تزايداً ، وتصل الدفتريا والحمى القرمزية إلى ذروة تماثل ما تبلغه فيما قبل المراهقة

واستجابات الرهافة[1] شديدة ، وقد يكون ذلك على صورة معاودة استجابات رهافية قديمة ، أو تطور جديد لحمى الخريف . والغشاء المخاطي للأنف يكون حساساً سريع الاحتقان . ويشكو عدد من البنات من أن بولهن يلسع ، وينتج عن ذلك بداهة احمرار في عضو

(١) Allergy شدة حساسية (تصحبها الكراهية أحيانا) إزاء شيء ما (كطعام أو إنسان أو دواء الخ) وربما نجم عنها كذلك اضطرابات في الجسم .

التناسل يحتاج إلى علاج بالدهان الخفيف يعرهم من آن لآخر . وقد يكون الجلد حساساً جدا فى منطقتى الرأس والعنق . وتمشيط الشعر عملية مؤلمة لبعض البنات فى هذه السن . والأولاد إذا غسل لهم الكبار قد يستجيبون بضحك تشنجى نصف مؤلم وذلك من فرط حساسية الوجه والرقبة ، أما إذا غسل الطفل بنفسه فإن حساسيته تقل كثيراً . وقد تظهر فى الوجه والعنق والأذرع دمامل .

والطفل فى هذه السن يتعب بسهولة بل الواقع أنه يذبل ، ومع ذلك فهو قد يكره أن يستسلم للراحة . والسماح للطفل بأن يأوى إلى فراشه بحرية معقولة يمنع التعب أكثر من اللازم بل يمنع المرض نفسه ، ويجب أن يثبت فى ذهن الطفل نفسانيا أن الفراش مأواه عند التماس الراحة والاسترخاء بعد النشاط .

والسادس لا يتحول بسهولة . وكثيراً ما يتجسم له المستقبل القريب فوق ما يستطيع مواجهته ، وقد يرغب عن النهوض من النوم أيام الدراسة ويقول « لا أشعر بالصحة » ولكن ما تكاد سيارة المدرسة تتخطى بيته حتى تلبسه العافية بشكل يستلفت النظر . وربما شكا وهو على مائدة إفطاره من مغص معدى ، بل لقد يقىء . ومما له دلالة كافية أن هذه الأعراض لا تحدث فى العطلة الأسبوعية ، وقد يتسنى للطفل التحكم الجيد فى هذه الأعراض بمساعدة صغيرة له كأن لا تطالبه بالإكثار من الطعام فى الإفطار ، وبإضافة عامل اهتمام جديد عن طريق تكليف طفل أكبر منه ومحل إعجابه بالمناداة عليه بصفة خاصة ، وقد يكون للمغص كما كان له فى سن الخامسة صلة بحركة تبرز وشيكة .

واندفاع طفل السادسة فى الجرى بلا حساب يعرضه للوقوع ، ولا خوف عليه يذكر من الأشجار ، ولكنه لا يجيد الاتزان على السياجات والحواجز التى يصر على تسلقها ، وقد يحاول بذراعه تخفيف وطأة وقوعه وبذلك يتعرض لكسر ذراعه عند الوقوع .

وهذا هو العمر الذى تتجسم فيه لأذهان كثير من الآباء كلمة دلوعة أو بنوتة كأنما هى حقيقة محتملة بالنسبة لأبنائهم . فرؤية الدم قد تسبب لطفل السادسة اضطرابا . وقد يصاب بنوبة عصبية عند استخراج أمه لشظية من يده . ويجب ألا يسارع الآباء إلى تأويل ذلك السلوك بأنه دلع أو تخنث ، وأن يدركوا أنه جزء من رابطة الطفل الانفعالية بأمه . وإذا أحس الوالد أن الشظية ينبغى أن تستخرج على الفور فلعل مما يعين الطفل على تملك أعصابه وضبطها أن يسمح له بأن يقرص أمه بقدر توجعه ، ولكن ما الداعى لاستخراج الشظية على الفور ؟ إن لصق لزقة صحية يضمن انفصالها ببطء عن الأنسجة وشفاء ما حولها وخروجها فى أغلب الأحوال مع الشريط اللزاق عندما ينفصل عن الجسم فى الحمام . فالطفل أدنى إلى التبليغ عن خدوشه وجروحه وبثوره إذا كان يطيق العلاج . وتطور الإصابات الخطير ينتج عادة عن التأخر فى التبليغ والحرمان من العناية المبكرة .

متنفسات التوتر

تبلغ مظاهر التوترات الانفعالية ذروتها بين الخامسة والنصف والسادسة وهى تشمل الانفجار فى الصراخ ونوبات الغضب العنيفة ومهاجمة الوالدين ، وقد يفقد الطفل السيطرة على نفسه إلى حد يضطر أمه إلى التدخل وحمله حملا إلى غرفته بحيث تتركه إلى أمد وجيز ثم تعود إليه لتساعده على التغلب على مصاعبه ، فإنه لو ترك وشأنه فربما استمر إلى ما لا نهاية حتى تخور قواه ، والتلهية الماهرة تنفع فى هذه الحالة .

فإذا انقضت الزوبعة حللت الأم الأسباب

التي أدت إلى الانفجار وكيف كانت تستطيع تجنبه ، وربما أمكنها أن تبحث الأمر مع الطفل عند ما يكون في حالة تقبُّل . فإذا بلغ السادسة جاز أن يُجتذب من انفجاراته بلفتة فكهة مفاجئة لا تتصل بشخصه وقد تحوِّل بكاءه وصراخه إلى ضحك ، ولكن استعمال الفكاهة قبل هذه السن يحتمل جداً أن يزيد الأمر سوءاً .

والأم بحاجة لأن تدرك أن الطفل وهو في مرحلة النضج الوقتية هذه يرغب في تنفيذ إرادته لمجرد النجاح في تنفيذها ، وأنه سوف يكون أكثر تقبلا للمقترحات عند سن السادسة أو السادسة والنصف ، وعليها أن تدرك أيضاً أن الطفل في هذه السن بحاجة إلى حمايته من نفسه ، شأنه بالضبط عند ما كان في سن السنتين والنصف . وقد يحتاج الأمر إلى الحرمان المؤقت من الحلوى (البونبون) مما يستلزم أيضاً إقفال الأدراج والمخابئ ، وربما وجب عمل جدول دقيق يبين كم قطعة من الحلوى يسمح له بها وشروط منحها له .

وعلاوة على وسائل التنفيس العنيف يوجد أيضاً تسرب الطاقة التوترية في مسارب متنوعة : كهز الأرجل والتلوى وقضم أو تمزيق أظافر اليدين أو القدمين والهرش وتعويج الوجه والقرض على الأسنان ومضغ رباطات الرقبة وأطراف الشرائط والضفائر أو أقلام الرصاص ، هذا إلى حفر الأنوف بل حتى أكل المتجمدات الأنفية ، فهذه الألوان المتنوعة من السلوك محتملة الحدوث إذا طلب شيء من الطفل أو طلب هو من نفسه شيئاً لم يصر بعد في مقدوره ، أو عند ما يكون في انتظار حدوث شيء أو حتى في فترة محاولته النوم . وإذا كان السلوك التوترى ملحوظاً جداً دل على وجوب تخفيف ما كلف به الطفل ، وأما تلك الظاهرة التي تشمئز منها النفس وهي الحفر في الأنف فني الإمكان تخفيفها على الأقل بالتأكد من أن الطفل ينظف أنفه تماماً قبل خروجه إلى المدرسة .

وقد لا يقاوم الطفل النوم في الليل بشدة إذا قرئ له شيء أو سمح له بالإصغاء إلى الموسيقى أو إذا تحدث مع أمه بعد إطفاء الأنوار ، وربما رغب في التحدث عن أشياء تشغل عقله ، أشياء لا يمكنه أن يواصل تفكيره فيها دون مساعدة أمه ، وهو يحب أن يسمع عن الإله ، وأن يراجع بعض آى الكتاب المقدس ، وأخيراً يسمح لأمه بالذهاب بعد أداء الصلاة وبعد أن يفوز منها بقبلة طويلة كتحية المساء .

والمتنفسات عن التوتر تكون في بعض الأطفال أقل استلفاتا للنظر ، كتأوه الطفل أو إدناء الأصابع إلى الفم ، أو الشعر إلى الفم ، أو الأيدى إلى الشعر . والمتنفس للتوتر عند البعض يكون بالكلام أو باللغو من القول النابي مثل « جهنم » و « اللعنة » و « إخ » و « إحم » و « جهنم الحمراء » و « نتن » ، وآخرون غيرهم تبدو منهم تنفيسات عضلية متكررة تشبه اللزمات في طبيعتها : مثل الطرف (الرمش بالعينين) والتنحنح أو شد وتحريك جانب من الوجه أو هز الرأس ، فإذا كانت هذه الاستجابات تحدث في الغالب على العشاء عند ما يكون الوالد بالمنزل فلعل الأصوب إرغام الطفل على تناول طعامه على صينية في حجرته ، وليس معنى هذا أن الوالد هو السبب الأساسي لهذه الاستجابات بل قد يكون كل معناه أن الطفل من عدم النضج بحيث يشعر في الوقت الحاضر بأن اجتماع اثنين فيه اثنتاس بينما اجتماع ثلاثة يزحم ويضايق .

وقليل من الأطفال ، ولا سيما الأولاد التمتامون ، يبدو فيهم في السادسة شدة تهيج ملحوظة تصحبها صعوبة حقيقية في أن يبدأوا

فى الكلام ، وهؤلاء الأطفال أنفسهم حين يبلغون السادسة أو السادسة والنصف يصيرون متنبهين إلى أن بلسانهم تمتمة ، فكما عبر أحد الأطفال « لا فائدة من مخادعتى فإنى أعلم أنى أتمتم » ، وخير معالجة للأمر هى التخفيف ، فمعرفة طريقة التصرف وما ينبغى أن يقال فى المواقف الاجتماعية الجديدة يقلل عندهم الحساسية والميل إلى الانسحاب .

٣ — التعبير الانفعالى

يكون الطفل فى إبان الفترة من الخامسة والنصف إلى السادسة فى حالة شبه مستديمة من التوتر الانفعالى بل التهيج الشديد ، وتعكس استجاباته الانفعالية كلا من حالة جهازه العضوى وحساسية هذا الجهاز للتأثر بما يحيط به . وربما أمكن تشبيه تعبيراته الانفعالية بالإبرة المغنطيسية للبوصلة التى تنبىء بالموضع بالضبط . والوالدان فى حاجة إلى أن يدركا أن الطفل فى هذه السن دقيق جداً فى التعبير عن الموضع والاتجاه المضبوطين للطريق الذى يسلكه ، ومن العسير جداً تغيير هذا الطريق بالضغط الخارجى ومن أجل ذلك تكون المعالجة الوقائية أو الإذعان بكيفية عملية هما فى الغالب الطريقتان الوحيدتان للتعامل المثمر مع الطفل . ومن حسن الحظ أن الطفل يأخذ سلوكه يفقد ما فيه من صلابة حين يبلغ السادسة ، ويزداد ذلك حين يبلغ السادسة والنصف فيصير ذلك السلوك أكثر تعرضاً لتحولات فى الاتجاه بدوافع حركية من الداخل وكذلك بحوافز من الخارج .

ومع أن الاتجاهات الانفعالية لطفل الخامسة والنصف إلى السادسة يمكن أن تُعد جامدة سائرة فى اتجاه واحد ففى إمكان الطفل أن يغير اتجاهه إلى الاتجاه المضاد ويجمد على هذا الاتجاه الجديد ، وذلك هو السبب فى أنه كثيراً ما ينعت « بضياء الشمس وظلها » و « بهذا أو ذاك » و « بمفرط فى حلاوته أو بمفرط فى بشاعته » وبأنه « شغوف بكلبه ولكنه يقسو عليه » ، و « كليف بأخته الطفلة ولكنه يهدد بقتلها » وقد يستقبل خبرة جديدة بالخجل وبعد ذلك بعدم الاكتراث المحض . وقد يرفض أن يجيب على سؤاله لقلة ما لديه من معرفة ومع ذلك يعلن « إن لدىّ علماً بكل شىء » . والمقول عنه أنه « مدهش » فى المدرسة و « فظيع » فى البيت أو العكس بالعكس .

وتنشأ كثير من صعوبات طفل الخامسة والنصف عن عدم قدرته على تحوير سلوكه أو تعديله ، وليس ما به تشبث وإصرار قدر ما هو عدم مقدرة على التوقف ، ولذا فإنه مايكاد يشرع فى البكاء حتى يمضى فيه باستمرار وهو يلازم الأشياء مدة تطول إلى حد يجعله مجهداً وغير قادر فى كثير من الأحيان على تركها من تلقاء نفسه بغير انفجار انفعالى . والأطفال الضعاف فى الأداء الحركى الدقيق ، والذين هم أكثر اهتماما بالناس وبالمناشط الحركية الكبيرة ، سرعان ما تلم بهم اضطرابات مزاجية ويتملكهم السأم والقلق بسبب احتباسهم داخل الجدران ، فهم يتجولون على غير هدى ، لا يدرون ماذا يصنعون . ثم إن التسكع والتخبط الذى يبلغ الذروة فى هذه السن يمكن اعتباره استمرارا لانعدام الهدف ، وعندما يحاول الطفل أن يختار اختياراً عسيراً « يختلط الأمر عليه تماماً » ، لكنه إذا انتهى إلى القطع فى الأمر برأى أصر عليه وأصبح كالحجر الصلد ، فهو عاجز تماماً عن التفكير فى حل وسط ، ولن تثمر معه الرشاوى ولا العقوبات ثمارها المعتادة . ومع ذلك فله أيامه الميمونة وأيامه المنحوسة، ومن المهم أن تختار لابتناء السلوك الأيام الأولى التى ينزع فيها الطفل للاستجابة .

ويستجيب الطفل بين الخامسة والنصف

والسادسة للتصرف الذى لايتصل بالأشخاص كطريقة العد التى يمكن أن يُدرب على الاستجابة لها بكيفيّة أتماتيكية ، وهناك أيضا عبارات ممهدة ربما تلينه وتقطع الطريق على ما اعتاده من مقاومة مثل: «هذا شيء يحسن عمله » أو « افعله أولا على طريقتك ثم أفعله على طريقتى » ، كل هذا ربما حال دون ما اعتاده الطفل من مقاومة . وهو يتبرم بالنقد ولـكنه ينتعش بالثناء والاستحسان . وهو يحب أن يعمل الأشياء على أساس من اللعب ، وقد عبرت طفلة عن هذا الأسلوب من التعاون تعبيراً ظريفاً بقولها : « أمى ليست غاضبة ، إننا نعمل الأشياء معاً ! » .

فأما فى الأيام النحسات فن الحكمة أن يدع الوالدان الأمور تجرى فى أعنتها ويتظاهران بأنهما « فى عالم آخر » ، وفى هذه الأيام لا تثقل على الطفل بالطلبات ، واستغل بقدر استطاعتك الانطلاقات الأتماتيكية التى استقرت عنده فى الأيام الميمونة .

وإذا جاءت الانفجارات الانفعالية بالفعل فإن مجيئها يكون سريعاً جداً ، وهى تجىء بطرق مختلفة : فبعض الأطفال يقتصرون على البكاء ، وبعضهم يهاجون بالـكلام وكذلك بالأيدى والأرجل ، ويُلم بالبعض نوبات من الغضب شاملة كأن أجسامهم تطلق ناراً من كل جزء فيها ، ولعل الذين ينفجرون فى البكاء من الأطفال هم أشدهم حساسية ، فهم يبكون لأن الأمور لا تسير كما ينبغى أو لأن إحساساتهم جرحت أو لأن أمهم احتدت فى الـكلام معهم أو مع خادمة أو مع أخيهم الصغير . والأطفال الذين يعتدون باللسان أو باليد أكثر استعداداً للتهيج والاندفاع ، فهم يشعرون بأن عقبات اعترضتهم فجأة وهم سائرون فى عملهم ، وتـكون قذائفهم الكلامية مقتضبة شديدة : « لن أفعل » — « سأصرخ » — « سأضربك » — « أخرج من هنا » — « أسكت » — « سأطلق النار عليك » — « سأحضر بندقيتى » . ومثل هذا التحدى الـكلامى يغنى على الأقل هجوماً جثمانياً .

ويلوح أنه فى أثناء الاستجابة التى بين نوبات الغضب تـكون المراكز الدنيا هى المتسلطة تماماً ، أو على حد تعبير الوالدين « يشتد غضب الطفل حتى يكاد يجن » أو « إنه يصير فى سورة غضب أكيدة ! » والطفل فى هذه السورة قد يكسر زهرية أو يشق ثقباً فى مقعد من الخيزران ، ورجوع البندول إلى ناحية الاتزان يتم فى صور تختلف باختلاف الأطفال ، فبعضهم يستطيع الاستجابة للمساعدة وخاصـة إذا جاءت من أحد الوالدين وكان الانفجار قد حدث بسبب سوء فهم للأمور أو افتقار إلى المعلومات ، وتستجيب الغالبية فى النهاية للتلهية ، غير أن قليلا منهم يبدو كالمرغم على الاستمرار فى هياجة حتى تخور قواه .

وإذا شعر الطفل بالأسف بعد حادث عنيف وحاول أن يصلح خطأه فالراجح أنه يكون فى سبيل التخلص من التفجرات والانتقال إلى مستوى عال من التنظيم أو من المواءمة والتكيف ، ولـكن أضمن وسيلة لتشجيع هذا التنظيم ونجاحه هى أن يعالج الوالد الطفل معالجة وقائية . وأمور الحياة الصغرى تـكون فى العادة مصدر اشتعال النار فى كل هذه التفجرات ، كأن يخطىء الطفل فى كلمة بالمدرسة ، أو ألاّ تتمكن الأم من ربط حذاء الطفل فى اللحظة التى طلب منها ذلك ، أو يصدم أصبع قدمه بشدة . أما أمور الحياة الـكبرى كمطالبها الحقة فإنها تعالج بسهولة نسبية . وهناك نقص ملحوظ فى هـذه التفجرات عند السادسة ونقص أكبر فى السادسة والنصف ، فعندها يكون الطفل

أكثر تقبلا للتعليم ويستطيع على الأقل أن يطلب العون .

إن ما يبدو فى صوت طفل السادسة وهيئته من مظاهر الوقاحة والفظاظة والاستعداد للمنازلة يثير فى كثير من الوالدين استهجاناً فى غير محله مع أن هذا الاتجاه من جانب الطفل يدل بالفعل على خطوة إلى الأمام معناها أن الكائن العضوى يحاول الآن أن يعمل بوحى من نفسه ولو أن ذلك ربما اتخذ طريق التحدى ، فالطفل يكسب قوة جديدة بالإفلات من سلطة والده ، فطفلة السادسة تتحدى أمها ويداها على خاصرتيها وعيناها تشعان وقاحة بقولها « لن أفعل » ، أو لعلها إذ تجلس إلى المائدة تربع ذراعيها وتنظر فى كبرياء إلى أمها صامتة ، ولكن نظرتها إلى جوار طبقها حيث نسيت أمها أن تضع ملعقة تنم لحسن الحظ عن قصدها.

وإذا سئل طفل السادسة عن شىء فقد يجيب بقوله : « لماذا تريد أن تعرف ؟ » . أو لعله إذا وضح له السبب نطق بالعبارة التى يكررها : « ثم ماذا ؟ » فهو يتجبر ويحاج ، وإنه ليحاج بوجه خاص عندما يتصدى لأن يُرى أمه مواضع خطئها . وقد يصير كثير الضوضاء صخابا سرعان ما يتهيج ، وفى مثل هذه الظروف قد يهدأ إذا قرأت له أو أسمعته بعض الاسطوانات .

والبنات بوجه خاص كلهن مجون وتهريج فإنهن يقهقهن ويلعّبن وجوههن ويفتعلن البلاهة بقصد إضحاك الآخرين غالباً . وإنهن ليمعنّ فى ذلك إلى ما لا نهاية ما لم يصرفن إلى شىء جديد يهمهن ، وإذا حضر الضيوف صار كبح جماح الجنسين عسيراً إلى أقصى حد فهم يريدون أن يكونوا روح الحفلة وحياتها ، فيحتكرون المحادثة ويقومون بالألعاب الجمبازية ويتساخفون ويضربون بأعقاب أحذيتهم ويضحكون ويقطعون حديث الآخرين كما لو كانوا لا يشعرون بأن أحداً غيرهم يتكلم ، وقد يكون من الأصوب أن يوجه إليهم شىء من الالتفات ويسمح لهم بالقيام بألاعيبهم أمام نظارة مستجيبة ، وعندما يكون فى المستطاع إبعادهم سريعاً عن المكان ، وربما كانت الأم قد دبرت لهم مقدماً شيئاً يعملونه أو مكاناً يشغلونه أو لعل أحد الضيوف ينصرف مع الطفل إلى غرفته ليعاين أشياءه وليلعب معه .

وما تثيره الحفلات فى طفل السادسة من تهيج كثيراً ما يكون فوق ما يحتمل ، فإما أن يزحف متسللا إلى أحد الأركان أو ينسحب من المشهد أو يصير بغير ضابط لأعماله وكلامه ، فقد يقول فى عنف : « سآكل المدفأة » أو سآكل الحمّام » . والحفلة المثالية فى سن السادسة قد تكون قاصرة على تبادل للهدايا — بحيث يتلقى الضيوف الهدايا مثلما يقدمونها — مع ترتيب لتبادلها ، أو تكون حفلة مقايضة للكعك والمثلجات .

وأول رد لطفل السادسة على أى طلب شخصى يطلب منه يكون عادة « لا » ولكنه إذا أمهل بعض الوقت وسمح له ببعض اللف والدوران فسيصل بلفة إلى الفكرة كأنما هى فكرته هو تقريباً . وقد يجمد عن الحركة إذا طلب منه «أن يسرع» ، وأحياناً يكون ميالا لذلك — وخاصة إذا طلب منه بنغمة الصوت المناسبة — ولكنه لا ينفّذ ، وعندئذ يحتاج الأمر إلى إعطائه ثلاث فرص أو أربعاً حسب الظروف ، فإذا فشلت هذه الوسيلة فغالباً ما يستطيع الإنسان أن يحمله على البدء فى المطلوب بواسطة العد — وهى وسيلة لها فى العادة مفعول السحر . وهو يستنكر السلطة التى تفرض عليه بتعسف ويثور عليها وكذلك على العقاب أو التأنيب أمام الجماعة — وهو محق فى ذلك . وإذا تمرد على المدرسة كما قد يحدث ، فمن الحكمة

أن نبحث فى الأسباب المحتملة ، فربما مرت به خبرة مشئومة لا يستطيع إبعادها عن ذهنه ولكنها مما يمكن إصلاحه بسهولة .

والثناء بمثابة إكسير الحياة لطفل السادسة ، ولكن التقويم سم زعاف ، على أنه يستطيع تقبل التقويم إذا أرجىء زمناً كافياً بعد حدوث الحادثة ، والإرجاء اللازم قد لا يتجاوز بالنسبة لبعض الأطفال بضع ساعات أو أقل من ذلك . وبعض البيوت تربط هذه المناقشة بوقت معين من النهار كوقت الظهيرة بعد الغداء أو وقت الراحة أو ساعة النوم ، ولكن فى حالة بعض الأطفال يجب أن تنقضى أيام عديدة قبل أن تكون هذه المناقشة ممكنة . وإن كثرة كبيرة جداً من الأحداث فى حياة الطفل تترك معلقة غير محلولة فى هذه السن . وتقرر والدة أنها كانت تحتفظ بسجل مؤرخ للحوادث المزعجة تستخدمه لمساعدة الطفل على تذكر متاعبه ثم حلها فى النهاية ، وما أشبه طريقة المعالجة هذه باختزان اللعب التى لها صوت والتى كان الطفل يخشى صريرها للرجوع إليها فى المستقبل ، حتى إذا تهيأ لها الطفل فى النهاية أخرجت له اللعب مرة ثانية ، فمن المدهش له عندئذ أن يكتشف أنه يستطيع الآن أن يتناول هذه اللعب ذاتها ويستمتع بها .

وكأنى بتغير الانفعالات بين الخامسة والنصف والسادسة والنصف يكاد يكون أشبه الأشياء بمرور الطفل فى طيف انفعالى ينتقل به من الظلام إلى النور ، فالإحساس الجديد بالذات الذى أخـــذ يبزغ فى سن الخامسة والنصف يعمل فى الخفاء إلى حد كبير ، ثم تحدث بالتدريج مع ازدياد التنظيم نقـــلة حقيقية من الانفعالات الأكثر سلبية إلى منطقة إيجابية . فالطفل عند السادسة يصبح أكثر سعادة ، فهو يضحك ويصرخ ، وإن عينيه لتلتمعان كلما هم بقص حكاية ، ووجهه ليتلألأ بالرضا بعد أن يتكلم فى التليفون ، وهو يبدو كأنما يحس جمال الغروب وعظمة السحاب وغموض أصوات الحشرات فى أصيل أيام الصيف . ويقال إنه ملائكى أحيانا وإنه أكثر سخاء وإنه لطيف المعشر عطوف . ومع أنه قد ينطوى على حب للأشياء وبغض شديدين ، فإن تفضيلاته قد تنم عن ذوق حقيقى .

ولكن هذه القوى الانفعالية الإيجابية الجديدة لا تزال تحت ضبط قطير ، فهو يرتعش لكل إهاجة ويفاخر بأنه أحسن الجميع ويمتدح نفسه حين يقول : « رسمت فى المدرسة صورة فى منتهى الحسن » . وهو محب للاستطلاع إلى حد التدمير . وأعظم ما فيه أنه يبدى التفاخر بأعماله وبراعاته وثيابه وممتلكات أسرته وإخوته الصغار ، غير أنه كذلك قد يغار إلى أقصى حد من نفس هذا الأخ الذى يفاخر به أعظم فخار .

فإذا وصل إلى السادسة والنصف أخذ السرور يبدو بصورة أقوى فى حياته الانفعالية ، ويقرر الوالدون ظهور نوع جديد من الحماسة عنده فهو « شغوف » بعمل الأشياء ، و « يستمتع بالكتب » و « ينعم بجهد يبذله فى شىء » وأعظم من ذلك كله أنه « يسعد بمفاجأة والديه » وبالرغم من الاتجاهات الإيجابية السارة فهناك أحداث تتكرر وليس فيها مسرة تذكرنا بمرحلة عدم النضج بين الخامسة والنصف والسادسة ، ومع هذا فإن الاتجاه العام نحو التوازن يكون من القوة بحيث أن الطفل بعد أن يصدر منه حادث هام يستطيع أن يدبر ويصمم فى نفسه أن يكون « طيباً » بقية النهار ! وهناك أيضاً بوادر من علامات السابعة عندما يتعمق الطفل فى النظر إلى دخيلة نفسه ويداخله القلق والضجر .

٤ — المخاوف والأحلام

المخاوف

إن ما فى أنماط السلوك بين الخامسة والنصف والسادسة من جدة وعدم اكتمال رهيبين يثبت وجوده حقاً بزيادة ملحوظة فى استجابات الخوف . وقد تبدو زيادة مؤقتة فى بعض المخاوف السابقة لعهد المدرسة كالخوف من الكلاب ، ولكن الطفل ربما قصر خوفه الآن على الكلاب الكبيرة وقد يكون فى طوقه أن يلمس صغار الكلاب وربما شخص بفكره إلى الوقت الذى يُسمح فيه بأن يكون له كلب خاص به . وقد تظل الحيوانات الضارية حقيقة ترهبه ويصبح الطابق العلوى مسكونا بالأسود والنمور ، ومن عجب أن لا تجتاح هذه الكائنات حجرة أمه ، وهذا هو السبب فى آن طفل الخامسة والنصف قد يأتيه النعاس بسرعة كبيرة فى فراش أمه ، على أن إخلاء غرفته وخدعه من الحيوانات الضارية بإتقان تمثيل ضربها بالعصى ولا سيما على يد الأب من شأنه أن يعيد الأمان إلى غرفة الطفل . والحيوانات الضارية أيضاً وبخاصة الدببة ، تسكن الغابات ومن ثم يخاف الطفل الغابة ، وكذلك يخاف من صغار الحشرات لما تحدثه من طنين وأيضاً لعضها أو لسعها . ومطالعته فى المدرسة لقصة « كالثعلب الذى يأكلك » أو لحكاية عن النحل الذى يلسع قد تكون لسبب فى رفض الطفل العودة إلى المدرسة .

وعناصر الطبيعه كالرعد والمطر ، والريح والنار على وجه الخصوص ، جميعها مخيفة ، كلٌ على طريقته ، ولكنها تخيف بصفة خاصة لما تحدثه من أصوات . أما الأصوات التى من صنع الإنسان كالصفارات الشديدة والتليفونات ، والموجات الطفيلية المزعجة فى الراديو ، وضجة خرير الماء من سيفون الحمام والأصوات الغاضبة فى الراديو ، كلها قد تبعث المخاوف حتى يُعْلم مصدرها وكنهها ، وقد يحمى الطفل نفسه منها بوضع يديه على أذنيه . ومساعدة أى إنسان فى التسلط على مخاوفه هى أضمن طريقة لتبديد المخاوف ، والقطة الصغيرة نفسها يمكن حمايتها من احتمال خوفها من صوت الرعد بكلمات طفل فيها مواساة مثل « لا تخاف ما هذا إلا الرعد » . وهذه المواساة تساعد كلا من الطفل والقط . والكائنات الخيالية دون مرتبة البشر كالسود من الساحرات والأشباح التى تنشق عنها الجدران يخاف منها أيضاً طفل السادسة ، وهو يصارع هذه الكائنات كرهاً أثناء لعبه التمثيلى مع الساحرات والأشباح فى الظلام ، ولكن نغمات التهيب التى تبدو فى صوته وهو يلعب تنبئ بأنه لم يتغلب بعد على رُعبه . وقليل من أطفال السادسة — وخاصة الذين بولغ فى بثهم بالمبادئ والتعاليم الدينية ، يخافون الله ويظنون أنه يرقب كل شيء يعملونه .

ثم إن البشر أيضاً يكونون موضع الخشية ، فالرجل الذى تحت السرير والرجل الذى فى الغابة ، يتخذان خصائص البشر ومَن دون البشر . ويوجد خوف شبيه بهذا من العاهات فالساق المكسورة فى الجبس والطفل المتشنج تسيء إلى فكرة ابن السادسة عن بنى البشر الطبيعيين بشكل صريح . ومن أبناء السادسة من يخاف أن يعتدى عليه أطفال آخرون ، وهذا الطفل من السهل أن يعرفه ويكيد له نفس الأطفال الذين يخشاهم . والخوف من أن تصاب الأم بسوء (وهو الذى بدأ فى الخامسة) يستمر إلى السادسة ، ويشمل عندئذ الخوف من أن تموت .

وثمة خوف يعسر فهمه ، خوف يؤدى بالطفل إلى المرض فى كثير من الأحيان ،

وهو خوفه من أية إصابة لجسمه مهما كانت طفيفة ، فإن قطعاً أو خدشاً أو وخزة حقنة تحت الجلد أو منظر دم قد تحدث جميعاً استجابة لا تتناسب البتة مع سببها . وضبط الطفل لنفسه يجيء فيما بعد عندما يصبح قادراً على العناية بإصاباته الصغيرة .

ولما يستشعره طفل الخامسة والنصف إلى السادسة من تعديل أكيد لفهمه للأبعاد والاتجاهات ، فإنه يصبح أكثر تنبهاً للمناطق العليا والسفلى ، وغالباً ما يخاف الأولاد بوجه خاص من القبو أو البدروم وفى بعض الأحايين من الفجوات العليا فوق الغرف(١) . والظلام يُخشى لأنه يتحرك فى الفراغ أو الفضاء ويأتى على جميع الصلات الفراغية . ومن ثم فإضاءة شمعة فى حالة التعتيم (إطفاء الأنوار فى الحروب) شىء يُطرب له لأنه يعيد الصلات الفراغية إلى أصلها على الرغم من أنه قد يحدث ظلالا لها أشكال مخيفة . والطفل فى مرحلة الخامسة والنصف يحتاج بوجه خاص إلى وجود إنسان آخر معه أو حيوان عندما تثير القبوات أو البدروم أو الفجوات العلوية أو انفراده فى الطابق الثانى مخاوف لا بد من التغلب عليها . وربما كان وجود الضوء كافياً لتسكين الخوف ولكن ذلك لا يتم قبل سن السادسة بأية حال . وإن بطارية نور تحت الوسادة أو ضوءاً ليلياً يبعث فى الغرفة نوراً منتشراً لا يلقى ظلالا ، أو نوراً فى الصالة ، — كلها تساعد على تبديد هذه المخاوف التى هى إلى حد كبير جزء من عدم اكتمال الطفل ، وتعبير طبيعى عن عدم نضجه نسبياً .

وهناك « مخاوف زمنية » بالإضافة إلى « المخاوف الفضائية » . فالخوف من التأخر عن المدرسة قد يظهر فى قليل من الأطفال الذين استجابوا أكثر مما ينبغى لخبرة تأخر مرت بهم . والخوف الناشىء عن تجربة مفردة فى مناسبة ما شائع نوعا فى السادسة ، ولكنه ما كان ليعترى الطفل لو لم يكن سريع التأثر بذلك المثير بالذات . وكثيراً ما تكون المناسبة الأولى مجهولة لأنه ربما مضت فترة قد تمتد إلى الشهرين أو الثلاثة قبل أن يعبّر الطفل عن خوفه بكلمات أو بحلم من الأحلام ، من أجل هذا كان من الخير للوالدين أن يكونا على علم بما يمر بطفلهما من خبرات فى كل من البيت والمدرسة .

ويتحتم على والد طفل السادسة أن يفهم مكنيات المخاوف ، فالمخاوف على وجه العموم يمكن اعتبارها « على الأبواب » عندما يصير الطفل متنبهاً إلى شىء لا يستطيع فهمه أو معالجته . وأول استجابة له تكون فى صورة الانسحاب ، ومرحلة الانسحاب هذه قد يكون مداها جزءاً من ثانية وقد تدوم شهوراً . وهذه وسيلة الطفل لحماية نفسه ، أى الانتظار حتى يصبح من حسن التنظيم بحيث يقدر على معالجة الموقف الذى انسحب منه . وعندما يصبح فيما بعد أكثر استعداداً لمعالجة الموقف فستمر به فترة يشعر فيها بدافع قسرى لمواجهة الموقف .

والخبرات فى الأغلب الأعم تلم بالطفل الذى ينضج قبل الأوان فإذا كانت البيئة متيقظة وعلى علم ومعرفة وفهم فإنها تحميه من الخبرات حتى يصبح قادراً نسبياً على إحسان التصرف فيها ، وليس معنى هذا أنه يجب أن يعيش عيشة عزلة عقيمة بل معناه فعلا أن طفل السادسة يجب ألا يشاهد أفلاماً تتحطم فيها الطائرات ، وألا تُقرأ له حكايات عن أطفال أكلتهم الدببة أو أميرات حُولن إلى

---

(١) attic هى الفجوة التى بين السقف المستوى للحجرات والسقف المائل للمنزل الأوربى .

حجارة ، وأن البنت الصغيرة ينبغى أن لا يترك لها العنان حتى تتخادن مع شخص غريب ، وأن الولد الصغير يجب أن لا يُزحم عقله بقراءة الفقرات الطويلة فى حين أنه لا يتسع لأكثر من حرفين .

ومثل هذه الحماية لا تمنع أن الطفل قد يلتمس فى سن تالية نفس الخبرات التى ينسحب منها الآن ، فإذا بلغ الثامنة فلن يكون فى الإمكان إشباع رغبته فى العنف والطعن والنطح ، وبذا تنحل عقدة انسحابه السابق وذلك بإقباله القسرى على نفس الميادين التى انسحب منها آنفاً ، وربما ضارع طول المرحلة القسرية طول مرحلة الانسحاب التى سبقتها ؛ لذلك يجب على البيئة أن تختصر مرحلة الانسحاب إن استطاعت باختيار أنسب وقت للخبرات الأولى ، وإذا كانت الخبرة التى يمر بها الطفل سابقة لنضجه بقدر بعيد فإنه أحياناً يجمد فى مرحلة الانسحاب إلى درجة تحتم على البيئة أن تعاونه معاونة فعالة فى التحلل[١] منها ، فالطفل لا يقوى على معالجتها بنفسه ، وتبعاً للمواقف ولشخصية الفرد الذى نحن بصدده يتحتم على البيئة إما أن تبنى على مراحل صغيرة استجابات إيجابية ، أو أن تدفع بالطفل إلى مرحلة من المواجهة القسرية للأمر قد تؤدى إذا لقيت نجاحا إلى التحلل المنشود .

الأحلام

أحلام السادس تنزع كسلوكه فى يقظته إلى الطرفين المتناقضين : مضحك أو مرعب ، حسن أو ردىء ، مهرج مرح أو أسد غاضب . والحيوانات الضارية كالثعالب والدببة والنمور والثعابين لا تقتصر على الظهور فى فراشه ، وإنما تعضه وتطارده أيضاً ، ومع ذلك فأحلام الحيوانات الضارية أقل مما كانت عليه فى الخامسة ، والحيوانات المنزلية كالكلب والقط والحصان أخذت الآن تعيش فى أحلامه ، وربما طارده الكلب — لكن هذه الحيوانات الأليفة تخيفه أقل بكثير كما أنها تظهر عادة فى أحلامه « اللطيفة » .

وأكثر العناصر ظهوراً فى أحلام الطفل هى النار ، فالسادس يحلم بأن النار تلتهم بيتاً وبالأخص بيته هو ، وقد يحلم أيضاً بالرعد والبرق أو بالحرب .

وشبيهات الإنسان المتمثلة فى الأشباح والهياكل العظمية تسبب للطفل رعب الأحلام لكن ملائكة الأحلام أيضاً تغنى لتسرّى عنه . ويحلم البنات بوجه خاص برجال أشرار تتراءى لهن فى نوافذهن أو يهددونهن بالدخول إلى غرفهن ، أو ربما كانوا بالفعل داخل غرفهن مختبئين تحت قطعة من الأثاث .

وتتخذ المخلوقات البشرية الآن حيزاً أكبر فى أحلام الطفل ، فهو يحلم بأمه وبأخوته الصغار وبقرنائه فى اللعب وبنفسه فى علاقاته بغيره من الناس ، وقد تحلم البنات بأن أمهن قد أصابها مكروه أو قتلت ، وقد يحلم السادس بأن والديه تخليا عنه وأنه وحيد بالمنزل مع كلبه ، ولكنه عندما يحلم بزملائه تطيف به أحلام أسعد عن حفلات الشاى واللعب على شاطىء البحر .

وكثيراً ما يضحك السادس فى نومه أو يتكلم بصوت عال فينادى أمه وإخوته وقرناءه بالاسم كما أنه قد يصدر الأوامر أثناء نومه مثل : « لا تفعل ذلك » أو « ضعه » .

والكوابيس أقل شيوعا مما كانت عليه فى الخامسة وإن استمر بعض الأطفال ولا سيما الأولاد فى رؤيه الكوابيس دون أن يستطيعوا معرفة ما يجرى فيها ، وإذا استيقظ

---

(١) resolution والقصد منه الانتقال من حالة فسيلوجية إلى أخرى .

السادس ففى وسعه عادة أن يذهب إلى فراش أمه يلتمس السكينة والراحة .

وقد يحتفظ بعض الأطفال فى نطاق سلسلة من الأحلام بنمط معين منها ، وبعضهم ينتقل من حلم إلى مايليه . ويتحقق التحلل من الأحلام بسرعة أكثر عندما يظهر فيها تنقل فى الأنماط فقد يحلم السادس بأن المنزل فى آخر الشارع يحترق ، ثم بأن المنزل الذى فى منتصف العمارة يحترق ، وأخيراً بأن منزله هو تأكله النار . وقد تحلم طفلة أخرى فى السادسة بأن أمها قتلت ، ثم بأنها وأمها قتلتا معاً ، وأخيراً بأنها هى وحدها قتلت . ومع أنه من الصعب معرفة ما تدور حوله كثير من الأحلام ، فربما كان فيها تكرار للأنماط على وتيرة واحدة ويحتاج الأمر لدفعها إلى التغير لكى يتم التحلل منها .

٥ — الذات والجنس

الذات

السادس هو مركز عالمه الخاص ، فهو يريد ، ويحتاج ، أن يكون الأول المقدم فيحب أكثر من غيره ، ويمتدح وينتصر ، وقاعدته كما تقول أمه هى « كل شىء لأجل توتو » . وهو يعتقد بأن طريقته فى عمل الأشياء هى المثلى ، ويريد من الآخرين اتباعها أيضاً . وهو لا يستطيع أن يتلقى الهزيمة فى رشاقة ، ولا تقبل النقد . ثم أنه لا يهتم اهتماما خاصا بإرضاء الآخرين ولكنه ربما أرضاهم ليرضى نفسه .

والسادس صورة لنفسه التى يعتد بها والتى تنحاز لجانب واحد هو نفسه التى يتركز حولها تصرفه . وهو مترعم يريد أن ينفذ إرادته ويتحكم فى الموقف ، والنصيحة دائماً على طرف لسانه . وقليل من السوادس يشعرون بأنفسهم إلى حدما كذاتيات منفصلة تشبه الآخرين ولكنها فريدة فى حد ذاتها .

وقد استطاع أحد السوادس المفصحين أن يعبر عن ذلك بالكلمتين : « إنى أنا » . وثمة سادس آخر فكر فى كلمة « شخص » على النحو التالى : « ماما شخص . وبابا شخص . وأنا شخص : ثلاثة أشخاص » . وقد أخذ السادس أيضاً يهتم بتكوينه التشريحى .

ومع أن السادس قد تتراءى له صورة غير واضحة لنفسه كشخص فإنه لا يسلك سلوك الشخص المكتمل ، فهو مفرط فى تملكه لما لديه ، ويبدى عودة ملحوظة إلى استعمال ألفاظ التملك مثل « لى » و « ملكى » ، وهذه السمة فيه تعود بنا إلى ذاته يوم كان فى الثانية والنصف . وهو أشد ما يكون اطمئنانا حين يكون سيد الموقف وعند ذاك يسترعى الأنظار ، ويتصرف فى استقلال ويفاخر ويحول كل غلطة إلى نجاح بما يسبغه عليها من ملاحظات تفسيرية ، ويميل إلى الاستعانة بأبيه ضد أمه إن استطاع ، وكثيراً ما يلعب دور الحاكم المستبد فى ممارسته لقواه الجديدة .

وحين يصدمه العالم الخارجى بالاعتداء على ذاته فإنه يصير حرونا عنيداً متشبثاً غير معقول ، على أبواب الجنون ، فهو يتخبط ويمرض ويضعف انتباهه وتشتد ثورته ولا سيما حين يصل بين نفسه وبين أحداث خاصة ، ولا يستسيغ أى شىء وهو على هذه الحال إلا الثناء .

وكما أن الملك بحاجة إلى مضحكه من أجل قليل من الترويح فكذلك يبدو أن السادس يحتاج أحيانا إلى العودة لمرحلة الرضاعة ، فبعض السوادس يواصلون حديثاً مع أنفسهم كما لو كانوا رضعاً . وبعضهم لا يتحدث حديث الرضيع إلا مع طفل أصغر أو مع أخ صغير . وآخرون غيرهم يلتزمون

فى فترة من الزمن التكلم كالرضيع فى كل وقت ومع كل إنسان ، وذلك مما يغتاظ له والدوهم كثيراً ، وقليل منهم يريد أن يكون كالرضيع فيما هو أكبر من مجرد الكلام وربما قلدوا ، بطريقة تمثيلية ، مقتطفات بارزة من حياة الرضيع . وثمة أطفال أخر ربما تساورهم الرغبة فى أن يكونوا رضّعاً ولكنهم قد لا يجرءون على أن لا يبوحوا بها لأى إنسان حتى يستجمعوا شجاعتهم آخر الأمر ويهمسوا بذلك فى آذان أمهاتهم مردفين بالسبب : « حتى لا أضطر الى عمل الأشياء » .

والانتقال من الذات الحاضرة إلى ذات سابقة أصغر سنا ، أى إلى ذات رضيعة ، لا يصعب على طفل السادسة لأن له فيما يظهر مقدرة على الإدعاء بأنه أى شىء تقريبا ، فنى إمكانه أن يكون حيوانا أو ملا كا أو أميرة أو رجل مطافىء أو والداً . ويكون على أعظم انسجام عندما ينسى نفسه فى أحد أدوار الإدعاء والخداع . وممارسة الطفل ادعاءه بأنه شخص أو شىء آخر ربما كانت خطوة هامة فى سبيل التحقيق الكامل لإحساسه بذاته .

ولعل إحساس الطفل بذاته يتقوى أيضاً بكيفية ما عن طريق اهتمامه بمسلك أصدقائه ، فنى هذه السن يوجد فى الطفل اهتمام عظيم بمسلك الأصدقاء وبما إذا كانوا يجيدون عمل الأشياء أم لا يجيدون ؟ ، وكيف يكون سلوكهم ؟ فقد قال أحد السوادس عن زميلة له بالفصل : « إنها أخبث بنت فى الغرفة ، ومع ذلك فعماها يموتان من أجلها فى الجيش » . وكثيراً ما يسقط السادس وجداناته الخاصة فى الآخرين ، ثم يعود فينتقدهم بسببها . ويشعر الكبار بأن طفل السادسة صفيق ، ولكن السادس يشكو نفس الشكوى من أصدقائه : « إنه شديد الصفاقة » ، « هى تظن أنها كل شىء » أو بتفصيل أدق « إنها تظن نفسها أميرة بخصلات شعرها التى تهتز إلى أعلى وأسفل ، ولكنها ليست أميرة فياليتك رأيت رسمها ! » .

والسادس يبتنى أيضاً إحساسه بالذات بخلافاته مع أمه وانفصاله المتزايد عنها ، وهذا ما يعبر عنه بمقاوماته الكثيرة لأمه وكذلك باستجاباته المتناقضة نوعا ما : حب عنيف يعقبه فى الدقيقة التالية عداء مستحكم .

ويشرع السادس يخبر عالما خارجيا يوم يذهب إلى المدرسة ، وقد تكون لهذا العالم الذى لا تحده جدران معايير وقواعد تختلف قليلا عما صادفه فى بيته ، وبقدر ما تتنازع سلطات المنزل والمدرسة تكون خبرته هو بالصراع ، وحتى لو لم يكن هناك تنازع ملحوظ بين السلطتين فإن كثيراً من السوادس يعسر عليهم توجيه أنفسهم وفق عالمين متباينين : عالم الأم بالمنزل وعالم المعلمة بالمدرسة .

والسادس يحب الخبرات الجديدة . ويلتمسها ، ولكن يبدو أنه لم يظهر بعد أى تمايز أو مقدرة على التفريق بين الأمور ، فكل شىء فى نظره يكون فى كل مكان ، وتقديره للمقاييس والمراتب محدود ، فربما أغضبه أن يكون لأمه أشياء أكثر مما له هو .

الجنس

يختفى الهدوء النسبي لطفل الخامسة عند سن السادسة ، وتمتد مهتماته الجنسية وتتغلغل فى مجالات كثيرة جديدة ومنوعة ، فالسادس يهتم بالزواج وبمصدر المواليد وبالحمل وبالولادة وبالجنس الآخر وبدور كل من الجنسين وبأى طفل جديد فى العائلة ، أما وقائع الاختلاط الجنسى فلا تزال فوق إدراكه . وقليل من الأطفال فى هذه السن إذا حدثهم فى هذا الشأن أطفال أسن منهم يلجأون عادة إلى أمهم

لتؤيد لهم ماسمعوه أو تنفيه ثم يقفل الموضوع بعد ذلك عادة ، ويبدو الطفل قليل الاهتمام به حتى يبلغ الثامنة أو أكثر . وقد يكون السادس لا يزال يرجع بذاكرته إلى الزمن الذى كان فيه رضيعاً ، وربما حاول أن يستعيد هذه الحالة بالتمثيل بالقيام ببعض أدوار الرضع ، واستذكار أساليب الرضع يكون أيسر على الطفل إن كان بالمنزل رضيع . ولقد يبلغ الأمر بالسادس أن يرتدى (الكوافيل) وسراويل المطاط ثم يبللها ، وهو يحاكى أخا أصغر منه ويستمتع بصفة خاصة بالتحدث حديث الرضيع كما يتمثله .

وقد يقهقه السادس أحيانا قهقهة لا يملك لها دفعاً ، على أثر مايقال فى الحمام من عبارات مثل « وى وى أو بى وى » ، ويقهقه لرؤية لباس صغير ، وكذلك من أوضاع الاستحمام ومن كشف السرة . ويستمد الأولاد فكاهة فيها مرح عظيم من التظاهر بالتبول فى حجر أمهم أو على بعضهم بعضا ؛ ويستمدها البنات من الظهور بمظهر الأولاد بمحاولتهن التبول وهن واقفات والأولاد بوجه خاص عرضة لكشف عوراتهم أمام البنات ، كما أن البنات عرضة لأن يخلعن سراويل الأطفال الأصغر منهن وإذا كان طفل أسن ، وبخاصة ابن ثامنة ، يلعب مع طفل فى السادسة فقد يتحول اللعب إلى لعبة الطبيب وأخذ الحرارة فى المستقيم ، وقد يستعمل لهذا الغرض قلم فحم أو طباشير أو الطرف ذا المحاة من قلم الرصاص أو نهاية أنبوبة الحقنة أو حتى نفس الترمومتر الخشبى الموجود فى لعبة الطبيب عند الطفل . ولما كان مثل هذا اللعب كثيراً ماينجم عن أن حرارة الطفل تؤخذ من المستقيم أثناء مرضه فإن من الخير أن تؤخذ الحرارة من الفم فإن أخذ الحرارة عن طريق الفم لا خطر منه بعد سن الرابعة ويمكن أن يتم بسهولة إذا سمح للطفل بأخذ حرارة (دُبته) فى نفس الوقت . ومثل هذا الضرب من اللعب الجنسى يمكن أيضا أن يضبط ضبطاً لا بأس به إذا سنت قاعدة بأن لا يدخل الأطفال الحمام إلا واحدا واحدا على حدة .

ومع أن الأدوار المميزة التى يلعبها الجنسان والأعضاء المميزة لهما محددة تحديداً لا بأس به فى ذهن الولد فى السادسة فلعله لا يزال يعجب لماذا لم يكن لأمه ذكر ، وهو يعرف أن الإناث وحدهن يلدن الأطفال ، ولكن قد يقلقه بصفته ولداً أنه لن يستطيع أن يلد طفلا ، بل لعله يخشى أن يكون طفل قد أخذ ينمو فى باطنه . وقليل من السوادس لا يزالون يتمنون لو كانوا من الجنس الآخر ، فإن بنتاً فى السادسة ارتدت ثياب غلام بما فى ذلك ربطة الرقبة و بنطلون وحذاء له رباط ، ثم حشرت شعرها تحت القلنسوة ، وطلبت أن تدعى (جونى) وأخذت تلعب بعربة نقل .

واهتمام السادس بالزواج لاشك فيه ، وهناك شيء لم يكن واضحاً فى سنوات ماقبل المدرسة قد غدا الطفل الآن على يقين منه وهو أن الإنسان يتزوج فردا من الجنس المقابل ، بيد أن هذا الفرد من الجنس المقابل قد يكون أمه أو خالتـه أو أختا له أو بنتا فى سنه (كما أنه فى حالة البنت قد يكون الأب أو العم أو الأخ) . وكثيراً ما يرتب الأطفال زيجات عديدة ، وهناك فكرة مبهمة بأن الزواج يعقبه وليد ولكن ربما كان هناك أيضا شيء من الشك فيما إذا كان فى وسع المرأة أن تلد طفلا من غير أن تتزوج .

والسادس أكثر اهتماما بكيفية خروج الطفل منه بكيفية بدئه ، وقد يظن من تلقاء نفسه أن الطفل يولد من السرة ، ولكنه يتقبل عن طيب خاطر ماتؤكده له من أن هناك موضعا خاصا بين ساقى الأم يخرج منه الوليد عندما يحين الوقت . وبعض الأطفال يشفقون

على الأم من أن تعلم متى يحين الوقت لذهابها إلى المستشفى ، وما إذا كانت ولادة الطفل تؤلم . ويبدو أن حضور الطبيب « للمعاونة » يخفف من وقع أى مبالغة فى تصوير الألم .
ومن العسير على بعضهم أن يتصور احتمال وجود فتحة يخرج الوليد منها . وإذا شهد الطفل مولد صغار الكلاب فربما يسأل « ومن الذى سيخيط الفتق ؟ » .

ومدة الحمل ليست موضع اهتمام كبير عند السادس ، فهو يكاد يكون غير متنبه لتزايد حجم البطن حتى ولو كانت بطن أمه هو ، ويكون من المؤسف حقاً أن يبلغ السادس عن طفل قادم قبل الموعد المنتظر بزمن أطول مما ينبغى فإن انتظار شهر أو شهرين بالنسبة له مدة كافية فى طولها .

والسادس بدأ يهتم بمعرفة كيفية بدء الطفل ، فإذا كانت قد رويت له قصة مؤداها أن الإله هو الذى يصنع الاطفال جميعا من البشر ومن الحيوان فإنه سيجد من العسير عليه أن يوفق بين هذه الحقيقة وبين مايعرفه من أن الكلاب تلد الجراء ، والقطط تلد القطيطات وربةالبيت المجاور قدولدت رضيعاً .
وهو الآن يبدو كأنما يدرك فكرة بدء الطفل من بذرة ولم يعد يربكه ويحيره ربط البذرة بالأرض بل إن أحد السوادس ظن أنه هو نفسه قد جاء من الأرض حتى بغير أن يتنبه إلى ذلك عن طريق البذرة كالمعتاد ، فإنه عدّ إلى الوراء ابتداء من عمره الحالى إلى أن وصل إلى سن سنة واحدة ، ثم أخذه العجب أين كان قبل ذلك وتساءل « هل جئت من الأرض ياترى؟ » ولكنه تقبل عن طيب خاطر قولهم إنه جاء من « بطن » أمه ، وأما فضوله فيما يختص بدور الأب فلايظهر له أثر فى العادة قبل السابعة أو الثامنة .

ويريد السادس أن يكون لأمه وليد آخر حتى ولو كان عند الأسرة رضيع بالفعل ، وهو يتكلم عادة عن الرضيع كأخ أو أخت . وبعض السوادس يقررون أنهم يريدون على وجه التخصيص طفلا من نفس جنسهم أو من الجنس الآخر على حين يقنع البعض بأى جنس . وقد تستنكر البنت احتمال أن يكون لها إخوة من الصبيان لأنهم « يتشاجرون » .

٦ — العلاقات بالناس

السادسة سن مجهدة لكثير من الوالدين ، وتقرر إحدى الوالدات أنها كانت ترهب القيام فى الصباح لأن ذلك كان يعنى نشوب نزاع مستمر بينها وبين طفلها الذى فى السادسة ، سلسلة طويلة من « عراك وعراك وعراك » . وقررت والدة أخرى بالمثل أنها لم تكن تستطيع أن تغفل عنه ثانية واحدة لأنه « لو أتيح له جزء من ألف من فرصة للعبث لانتهزها » :

وقدتبدوهذهالتعليقاتمتطرفة ولكنها تصدق على ما يشوب علاقة الطفل بالناس من توترات تنفرد بها بشكل عجيب الفترة من الخامسة والنصف إلى السادسة ، فلا توجد فترة أشد من هذه تطلباً لحاسة النظرة البعيدة الشاملة التى تدرك الأهمية النسبية للحوادث ، ولحاسة إدراك الجانب الفكاهى للأشياء ، فإن الوالد لو أدرك أن هذا السلوك الحاد إنما هو دور انتقال لأصبح طفل السادسة أسلس قياداً وأقل مضايقة فى مجموعه ، كما أن الحياة تغدو أكثر تعقيداً بالنسبة له إذا قوبلت تفجراته بحساسية وتأثر ، فلعل من الحكمة أن توفر الأم على نفسها إحساسها وتأثرها .
والأصوب لها أن تعدّ عشرة قبل أن تسلم نفسها للغضب الشديد على أثر قوله : « لا أحبك ، أنت حقيرة شريرة — أريد أن أرفسك ! » وهى تشعر بأن لالوم عليها فإن كل ذنبها الذى سبب هذا الانفجار هو

أنها غيرت اتجاه الوسادة التي على فراشه ! !
بيد أن طفل السادسة له نفسانية رقيقة لها نابض(١) كالزناد قبولها أيسر من فهمها .

والصفع نفعه ضئيل فإن الطفل يستجيب له بأسف أو غضب وقتى ولكن دون أى تحسن طويل الأجل فى سلوكه ، ولعله يكون أقرب إلى رأى أمه إذا هى قصت عليه قصة عن سادس غيره شديد العفرتة ، وقد يكون هذا الطفل الآخر هدد أمه بأنه سيحضر بلطة يقطّعها بها ، أو تمنى لو قتلت النيران أباه وأمه ، وعلى أى حال ينبغى أن تكون قصة هذا السادس الخيالى محاكية لأعمال الطفل نفسه وخبراته ، فإن ما قالته وفعلته أم ذلك الطفل الخيالى لطفلها يصبح ذا أهمية عظيمة عندطفل السادسة الذى يصغى للحديث بكل جوارحه . وربما استطاع أيضاً أن يأخذ فكرة ما ، لا عن كيفية تصرف الأطفال فى هذه السن فحسب ، بل كذلك عن أنواع الخبرات التى تتراكم لديهم فتجعلهم يتصرفون تصرفاتهم تلك .

وخير وسيلة لعلاج السلوك الصعب المتفجر فى صلابة والذى يلقاه الوالد من طفل الخامسة والنصف هى الوسائل الوقائية إما بالإذعان وإما باقتراح عكس السلوك المرغوب ، أما التصادم المباشر بين إرادتى الأم والطفل فينبغى تجنبه بقدر الإمكان . وكثيراً ما يتخذ الوالدون للعلاج وسائل مباشرة مجهدة سرعان ما تنهك قواهم ، فهم يقررون « إنك مضطر للتميز من الغيظ أو لأن تكون حازماً معه » أو « إنك مجبر على أن تذكها فيه دكا باستمرار » أو « إنه لا ينصت إلا إذا أظهرت غضبك عليه » ، لكن الوسائل غير المباشرة أو إعطاء الطفل فرصاً عديدة أدنى كثيراً لحفزه إلى تغيير مسلكه . والاشتراك معه فى العمل المطلوب قد يدفع إلى إظهار ما فى خبيئته من رغبة فى التعاون كامنة ، فهو لا يحب أن يفعل شيئاً كواجب يكلف به ، ولكنه يجد لذة فى عمله بمشاركة شخص آخر ولا سيما أمه .

والسادس حساس لأمزجة والديه وانفعالاتهما وتوتراتهما ، وإن ظن الوالدان أنهما أخفيا مشاعرهما عنه . والسادس أيضاً يلحظ بسرعة أى تغير يطرأ على تعبيرات الوجوه ، ويستجيب لرفع الصوت استجابة سيئة ، وهو لا يحتمل رؤية أمه تبكى ، ويصير شديد العطف عليها إذا مرضت ، وقد يُبدى القلق على سلامتها . ومع أن السادس كثيراً ما يوصف بأنه فى شقاق مع أمه فإنه فى الواقع مفرط فى تناقضه الوجدانى بالنسبة إليها ، فإنه قد يقول لها فى لحظة « إنى أحبك » وفى التالية « إنى أكرهك وأتمنى لو تموتين » . وهو محب جداً لأمه ومع ذلك فإن معظم انفجارات غضبه منصبة عليها ، وهو يتلهف على مساعدتها وخاصة فى الشئون المنزلية الرتيبة ، ومع هذا فإنه كثيراً ما يرفض قبول هذه المساعده .

ومما يتضارب تضارباً حاداً مع تنبهه الحساس لمشاعر غيره من الناس ذلك النوع من السلوك الذى كثيراً ما ينعت صاحبه بأنه صفيق وخسيس ومُهين لغيره ، ووقح وقليل الحياء ومزعج وفظ ومجادل ، فإذا أظهر الطفل هذه الناحية من طبيعته حيال جدته مثلا فقد تترتب على ذلك نتائج مؤسفة ، ذلك أن الجدات والأقارب عامة غالباً ما يخولون لأنفسهم حقوقا كانوا يرون من الحكمة ألا ينتحلوها لو أنهم أدركوا مقدماً ما قد يترتب عليها من نتائج . وأم السادس على الرغم من كثرة شقاقه معها هى بالفعل الشخص الوحيد الذى

(١) يقال نبض نابضه أى هاج غضبه .

عليه يعتمد وإليه يحتاج حقاً ، ومع ذلك فهي نفسها قد تضطر إلى حمله على القيام ببعض الأعمال ، ومن ثم يحق لمن كان مجرد قريب أن يتوقع إجابة مثل « لن أفعل ، وما أنت إلا عمتي ولا تستطيعين إجباري » .

وكثيراً ما يتخذ السادس موقف « العارف بكل شيء » ، موقفاً يصوره متجبراً ، وإن استجابة صغيرة من الوالد في رعاية واعتبار خليقة بأن تلين عتوه . والوالدان بحاجة إلى أن يكونا على حذر إذا ما وجها إليه تصحيحاً أو نقداً لما يحتمل من مهاجمته لهما بكيفية ما ، وقليل من الأطفال تكون استجاباتهم في تأذ وضيق مستتر ، وقليل آخرون يستطيعون تغيير موضوع الحديث ، كما أن آخرين ربما هاجوا بالكلمات أو باللكمات .

وعلى الرغم من كل هذا السلوك الاعتدادي المهتاج من السادس ، فإنه يكون مع ذلك تواقاً إلى المحبة ، ويريد أن تطمئنه أمه بالإعراب له عن كلفها به ، وقد يلين جانبه إلى حد أن يجلس على حجر أبيه حين يقرأ له . وقد يخلق أحياناً جواً من الصداقة الحميمة حوله هو وأحد والديه عن طريق الإفضاء إليه بسر ولو بلغة أجنبية ، والمفروض أن الوالد الآخر لا يعرف أي شيء عن هذا السر ، كما يحب أن يقتحم أحد والديه في صلة وجدانية وثيقة عن طريق بعض المفاجئات السارة : (كشربه اللبن المقرر له بغير ممانعة) .

وفي وسع الآباء ، بل ينبغي عليهم ، أن يلعبوا دوراً هاماً في حياة طفل الست السنوات ، فالمعروف عن البنات أنهن « يهمن » بآبائهن وربما طلبن منهم قبلة مساء الخير ، وأما الأولاد فيشيدون علاقة « والد بولد » قوامها المحبة والإعجاب . وربما رغبوا في الاستئثار بكل دقيقة من وقت الأب ، ويستجيبون لأحاديثه المثيرة للحماسة ، وإذا هو صحبهم إلى عيادة الطبيب قل احتمال بكائهم ، فهناك نوع من الابتهاج والنشوة في مشاركتك لأبيك في عمل شيء : كالشغل في الحديقة وتلوين الستاير ، والذهاب في رحلة بالقطار ولعب الألعاب أو مجرد الإفضاء إليه بكل متاعبك .

وربما تحسنت الأمور من حيث السهولة واليسر وقت النوم تحسناً مذهلا إذا تولى الأب وضع الطفل في فراشه وخاصة في غياب الأم . فالحمام نفسه قد يأخذه الطفل تحت إشراف قليل بينما ينفذ الوالد الوصية فيقرأ صحيفته أثناء تولى الطفل حمامه بنفسه . وقد يتأخر وقت الذهاب للنوم نصف ساعة حين يتولى الأب الإشراف ، وحتى ارتداء الثياب في الصباح يصطبغ بلون جديد من الاستقلال وروح الزمالة حين يكون الوالد عن كثب .

ولما كانت الاستجابة للأب على هذه الصورة الممتازة فقد يكون هناك خطر أن يتوقع من الوالد أن يقوم بنصيب الأسد في الإشراف ، بيد أن ذلك يكون خطأ ذريعاً ، وذلك لأن الطفل يبدأ عند ذاك في الاستجابة للأب كما لو كان هو الأم ، بكل ما يصحب ذلك من شد وجذب ولف ودوران وانفجارات . ومع هذا فالأم تستفيد إذا تولى الوالد شئون ساعة النوم مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع ، وبمثل هذا التفريج عن الأم تزداد مقدرتها هي والطفل على إحسان المواءمة كل إلى الآخر ، وذلك لأنه على الرغم من أن الطفل قد لا يستطيع أن يساير أمه فإنه لا يستطيع كذلك أن يسير بدونها . والنمو نفسه يهيء فترات للتفريج خاصة به ، فإنه يحدث فجأة في وسط سلوك متعب أن تهبط على الطفل فترة هدوء ملائكي قد تستمر أسبوعين ولا يدري

أحـد من أين جاءت : ويدخل الوالد المنزل ليلا على أطراف أصابعـه ويهمس فى تساؤل غير المصدق «ألا يزال كما هو؟» . ويُحسن الوالدان صنعـا أن ينعما كثيراً بهذه الهدأة لأنها لا تلبث أن تزول بكل يقين .

والسادس لا يجيـد القيام بشئون أخ صغير له دون تدبير محكم وإشراف كبير من جانب الوالد . وهناك قلة ضئيلة ممن تجـد صعوبة فى اللعب مع أترابها تجيد اللعب مع الإخوة الأصـغر منها . وقد يُغرم هؤلاء بالإخوة الأصغر منهم ويفخرون بهم ويتوقون إلى مشاطرتهم إحدى الغرف ليلا وخاصة فى سن الخامسة والنصف . ولـكنهم فى العادة لا يحسنون اللعب معاً إلا فى بعض الأحايين . ومع أنهم قد يتحدثون حديث الصغار إلى أخ أصـغر منهم وهم فى الخامسة والنصف فإنهم يغدون أكثر اهتماما بتعليمه عند ما يبلغون السادسة ، وهم يحبون أيضاً أن يستثيروا فيه بعض الاستجابات بإحداث أصوات سخيفة أو بوسائل أخرى ، وقد يحاولون أن يستحثوا الأخ الأصغر إلى الإساءة على أمل أن يوبخ .

ويصر السادس على أن يكون الأول فى كل شىء ، وقد يفسد يومه بأكمله إذا نزل أخوه الأصغر قبله فى الصباح وهو يغار من أى التفات أو هدية تمنح لأخيـه الأصغر ، وإذا أهمله ضيف من غير قصـد أمكن استرضاؤه عاجلا بهدية بسيطة من أمه تهدئه ، وربمـا احتاج الإنسان إلى تَمدِ مدخر من هذه الهدايا تحت يده إذا كان فى البيت طفل أصغر ، ومن السوادس قليلون قد يتغالون فيطالبون بمثيلات كثير من لعب الأخ الأصغر .

وقد يتزعم السادس على أخيه الصـغير فيجادله ويعاكسه ويضطهده بقسوة ويخوفه ويعذبه ويبكيه ويضربه ويغاضبه ، وقد يتعارك معه أحياناً فيرعبه . وفى بعض الأحيان يكون الأخ الأصغر هو الذى يستثير طفل السادسة .

والسادس يساير الأخ الأسن منه إلى حـد لا بأس به ، ولـكن من المحتمل أن تغلبه الحماسة أكثر مما ينبغى .

ومع أن بعض السوادس يُحسنون اللعب بمفردهم فإن السادس على العموم يريد أطفالا أُخر ليلعب معهم . وهناك نسبة لا بأس بهـا منهم يلعبون جيداً سواء مع أطفال من سنهم أو مع من يكبرونهم قليلا ، ونصف ساعة من اللعب داخل المنزل هى فى العادة النهاية العظمى أما اللعب فى العراء فيطاق لمدة أطول . وليست الحدود الفاصلة بين الجنسين شديدة البروز فى هـذه السن ، ومن ثم فاختيار الرفاق يتوقف فى الغالب على من هم فى متناول اليد من الجيران .

والقاعـدة أن يلعب الأطفال أزواجاً ولـكن الجماعات الصغيرة تتكون ، على أن تكوينها كثير التقلب ، كما أن النشاط الجماعى ربما سار على صورة من عدم الانتظام بحيث يستطيع أى طفل فرد أن يغادر الجماعة دون أن يفسد اللعبة . وكثيراً مايحدث أن يستبعد طفلان ثالثا ، كما يحدث اهتمام كبير بمن منهم يلعب الأصدقاء معه «أتلعب مع فلان ؟ طيب، أنا لا ألعب معك ! » . ولا يحسن السادس مسايرة أصدقائه كثيراً فى اللعب وإن أظهر الاهتمام الجسيم بأصدقاء المدرسة والزملاء فى اللعب وأكثر من الحديث عنهم . ويحمل الأطفال هماً كثيراً من جراء غش أصدقائهم ، أو خطئهم فى عمل الأشياء . وتكثر الثرثرة والقيل والقال بينهم .

وأما صغار الأطفال فالسادس عرضـة لمعاملتهم نفس معاملته لأخيه الصغير ، فهو يتزعم على الطفل الأصغر ويعاكسه ، وإذا

لم يكن أحد يرقبه فربما حبس الصغير فى حيز ضيق مغلق .

والعادة بالسادس أن يكون إما عزيزاً عند الأطفال الآخرين يحرصون على وجوده معهم ، أو مكروهاً منهم ينبذونه من اللعب . وبعض أبناء السادسة يطنون ويدورون كالنحلة حول بنت فى سن مقارب كأنما هى الملكة ، وهى بدورها قد تصرفهم عنها واحداً بعد آخر كما تفعل الملكات ، وقد تثير سادسة أخرى ، ذات سلطان ، البكاء فى مجموعة بأسرها من الأطفال تمردوا على اللعب طبقاً لإرادتها ، وبعض السوادس يهاجمون أو يروّعون أو يطرحون أرضاً . وربما ترصد لابن السادسة أولاد أكبر منه سناً وأوسعوه ضرباً . وكذلك يغيظ الأولاد الكبار أطفال السادسة ليتخلصوا منهم ، أو لعلهم يكتفون بردهم إلى البيت . ويفقد بعض السوادس شهيتهم وتثور ثائرة بعضهم الآخر نتيجة لمثل هذه الإغاظة .

وتغلب الخشونة على السادس فى لعبه فهو يهدد بالذهاب إلى المنزل ويتشاجر ويشتم ويدفع . وهو (أو هى) يشد الشعر ويرفس أو يقاتل إذا لم تسر الأمور وفق هواه . وبعض السوادس لا يعرفون كيف يلعبون بخشونة ، كما أن العراك يروعهم ، ولذا يجب أن يحميهم المعلمون والآباء على السواء حتى يقاربوا سن الثامنة ويصبحوا قادرين على مواجهة الخبرات العنيفة بنجاح .

وإذا راعينا الصعوبات العديدة التى يلقاها السادس فى علاقته بالناس فلا يصح لنا أن نتوقع منه ارتياحا عظيما إلى الناس ولا إقبالا على ملاقاتهم ، فالنظرة الجوفاء والعجز عن الترحيب وقلة الأدب الناجة عن الجهل إنما هى جميعا جزء من طبيعته الغرّيرة ، وسيصبح بعد عام آخر أقدر وأفضل — فلماذا تثقل عليه بالمطالب قبل أوانها بسنة ؟

٧ — اللعب والتسلية

بوجه عام

يبسط ابن السادسة نفسه فى مناشط اللعب كما يبسطها فى كل شىء آخر ، وكانت الألعاب فى سن الخامسة ضيقة محدودة غير أن لها الآن مجالا وحركة دائبا الاتساع ، فتقول أم السادس : « ما من شىء يعمله إلا يشغل به المكان كله » .

ويواصل السادس كثيراً من مهمات الخامسة لكن مع المزيد من حدة الإحساس ، فتقرر أمه « إنه يحب التصوير والتلوين » كما أنه يقطع ويلصق كلما دعت الحاجة ، وهو يرسم بنشاط أكثر مما كان يبدى من قبل ، ويفضل الأولاد رسم الطائرات والقطارات والسكك الحديدية والزوارق مع رسم الأشخاص من آن لآن ، على أن البنات يؤثرن رسم الناس والبيوت .

وهناك عودة حقيقية جدا إلى الاهتمام القديم بالطين والماء ، ويطرب أطفال السادسة (ويبهصون) بما لديهم من منتجات الطين ويستمتعون بعمل طرق وبيوت منه . ويميل الأولاد بوجه خاص إلى الحفر ، ويجعلون من حفرهم أنفاقاً أو جحور ثعالب عليها ألواح كسقوف ، ويجوز أن يتطور الحفر إلى أشغال الحدائق وزرع البذور . ولكن السادس لا يكاد يبدأ حتى يحس فى العادة أن مواصلة العناية بحديقته فوق طاقته .

والدراجة من آكد المطالب الجديدة لطفل الخامسة والنصف إلى السادسة ، وكثيراً ما يطلب الأولاد قطاراً كهربائياً ، ويلوح أن الإلحاح فى طلب الدراجة فى هذه السن ليس لمجرد الرغبة فى التملك بل لإشباع الحاجة إلى التنقل الحركى والرغبة فى تدريب الساقين والمران على اتزان الجسم ، فكثير من الأطفال

تطيب نفوسهم إن استطاعوا استعارة دراجة صغيرة يستخدمونها حتى يتعلموا ويصيبوا شيئاً من الخبرة فى تقدم ونجاح . فإذا أشبعت رغبتهم الملحة المبكرة هذه فربما أمكن إرجاء تملك الدراجة حتى يصير الطفل أكثر تهيؤاً لتحمل المسئولية .

وقد أخذ أثر اختلاف الجنس فى اختيار اللعب يظهر بصورة أوضح ، ومع ذلك فكلا الجنسين يجدان فى اللعب الحركى الكبير واللعب التخيلى مجالا يلتقيان فيه ، فكل منهما يحب من اللعب الجرى فى كل اتجاه (كالكيكا والاستغماية) ، وكلاهما يحب الجرى بالقبقاب ذى العجل والتأرجح والسباحة والألعاب البهلوانية على قضبان المتوازيين ، وكلاهما يستمرىء اللعب بالكرة ، ولكن البنات يملن لتنطيط الكرة باليد بينما يحاول الأولاد التدرب على أوليات لعبة كرة القاعدة ، ويبتهج البنات بنط الحبل .

وقدرة السادس الحادة على سرعة التصنع والتمثيل تضاعف ذخيرته فى اللعب إلى حد كبير ، فسرعان ما يتحول السرير إلى حصن ، ومجموعة من الكراسى إلى زورق . والبنات أقرب إلى تمثيل المدرسة والمنزل والمكتبة فى لعبهن ، ولكن من الأولاد من يغلب عليهم الاستعداد لمشاركتهن . ويحب البنات أيضاً أن يلبسن كالممثلات الأزياء والملابس الخاصة بما فى ذلك القبعات والشباشب واستعمال أصبع الأحمر والأرواب المنزلية ، وربما قلبن لعبهن أحياناً إلى تمثيليات . وفى سن الخامسة والنصف يزداد كثيراً اللعب بالعرائس الذى يشمل إلباسها وخلع الملابس عنها أكثر من أى شىء آخر ، فالعرائس العارية تتناثر بغير نظام فى أرجاء المنزل وغرفة اللعب . فإذا بلغ الطفل السادسة بلغ لعب العرائس ذروته . وثمة اهتمام كبير بشوار العرائس : كثيابها وصناديق الملابس وأسبتة الغسيل والأراجيح (الأشياء المعلقة) والمواقد وما إليها . ولعبة البيت التى تشمل أيضاً استعمال العرائس ، من أحب الألعاب إليهن . ودور الأم هو الأثير المحبب قطعاً ، كما أن هناك كراهية ملحوظة لاتخاذ دور الرضيع . فإذا كان مع الأطفال طفل أصغر سنا أجبروه فى العادة على تمثيل هذا الدور الثانوى .

وقد يقوم الأولاد بدور فى لعبة المدرسة والمنزل ، على أنهم أحرص على ألعاب الحرب ، ورعاة البقر و (عسكر وحرامية) . ومن أخص أنواع هذه اللعب إطلاق النار على الأعداء والتوارى وراء ستر واق .

ويبدى الأولاد اهتماما ملحوظاً بالنقل والابتناء . وعلاوة على اهتمامهم الأصيل جداً بالقطارات الكهربائية ، فهم يهتمون بالطائرات وبالزوارق بصفة خاصة ، وربما شاركهم بعض البنات الاهتمام بالكتل ، وبكتل البنائين وبمناشط منضدة الشغل (البنك) ، وفى هذه السن يبدأ كثير من الأطفال « جمع المجموعات » ، ذلك النشاط الذى سيستغرق منهم فيما بعد قدراً عظيما من الوقت والطاقة والحير ، وتكون هذه المجموعات فى الوقت الحاضر خليطاً متبايناً إلى حد كبير كما أنها غير متمايزة ، وتتألف من اللعب والورق المزخرف وبطاقات عيد الميلاد ، أو مجرد أشتات متناثرة .

فإذا سئل ابن الخامسة والنصف أى شىء يفضل عمله أجاب « ألعب بعروستى أو دراجتى أو كتلى أو قطارى أو عربتى أو سيارة النقل (اللورى) » ، وأما السادس فيجيب « ألعب بالجنود » أو « ألعب بالعرائس » .

القراءة والأعداد

يقوم السادس فى القراءة بدور أكثر

نشاطاً ، فبتكرار سماعه للكتب المحببة قد « يقرأ » الحكايات من الذاكرة كما لو كان يقرأ بحق فى صحيفة مطبوعة بصوت عال ، وهو يهتم أيضاً بالتعرف على كلمات مفردة فى كتب مألوفة وفى المجلات كذلك ، ويلذ له رسم الحروف لكى يتهجى كلمات حقيقية ، كما ينعم أيضاً بالهجاء الشفوى البسيط كلعبة يلعبها . والأولاد خاصة يجدون لذة فى التفكير فى الأعداد ، ويحبون أن يقرأوا أى عدد يبصرونه . وكثير من ألعاب المنضدة التى يلعبها طفل السادسة تتمشى تماما مع مهماته الفكرية ، وأحبها إليه تركيب كلمات من حروف أخرى ، ولعبة الدمنو والضامة الصينية وألعاب الورق (الكتشينة) البسيطة التى تحتاج لأكثر من المطابقة .

ويظل السادس على حبه لقصص الحيوانات ، ولكنه يوسع أيضاً دائرة اهتمامه فتشمل الطبيعة والطيور . ويطرب كثير من السوادس للشعر ، والكتاب الذى يفضله السادس حقيقة هو يوميات عن حياته . وقد أخذت الصحف اليومية الهزلية والكتب الهزلية التى تروى قصص الحيوانات تتخذ طريقها إلى حياته بقوة واطراد .

الموسيقى والراديو والسنما

ومع أن بعض الأطفال لا يزالون يفضلون ما يملكون من أسطوانات الجراموفون فإن معظم السوادس يستمعون فى الراديو إلى بضع برامج على الأقل فى كل أسبوع ، وقليل منهم يؤثرون الأجزاء الموسيقية من برامج الإذاعة ، بيد أن الغالبية تصغى إلى منوعات من برامج الأحاديث (تتوقف الغالب على ما حدثهم عنه أصدقاؤهم كبار) ، ويجوز أن يستمع عدد معين ن الأولاد الأقل حساسية إلى ساعة من برامج المغرب التى تتحدث عن المعارك والصيد . وإذا احتاج الأمر لتخييره بين الراديو واللعب خارج البيت فإنه يختار الأخير عادة ؟

وقل من السوادس من تهيأ ونضج لدور السنما فهم يحبون الأشرطة القصيرة التى تعرض فى المنزل عن الطبيعة ، وأحب شىء لديهم الأشرطة التى تسجل سنى حياتهم الأولى . وإذا سمح لهم أن يذهبوا إلى دور السنما فن المحتمل أن يتملكهم القلق والضجر فيقفلوا أعينهم ويضعوا أصابعهم فى آذانهم ليستبعدوا كل مناظر القتال وأصواته ، وقد تبكيهم المناظر المحزنة ويضطرون فى النهاية إلى مغادرة دار السنما . والأشرطة الموسيقية والأفلام الحيوانية تلقى منهم أحسن قبول .

٨ — الحياة المدرسية

يبدو على السادس توقع أكيد للالتحاق بالفرقة الأولى ، وتصحبه أمه عادة إلى المدرسة فى اليوم الأول ، ولكن هذا التوائم يكون أضمن لو أن الطفل كان قد زار المعلمة وشاهد غرفة الدراسة وأدواتها قبل انضمامه إلى الجماعة . والغالبية تحب المدرسة وترغب فى العمل الجدى وفى التعلم ، فهم يحبون أن يعملوا كل شىء بل يعملون أكثر مما ينبغى . ولا ينشأ كره المدرسة فى العادة إلا فى آخر السنة عندما يعجز الطفل لسبب أو لآخر عن الاحتفاظ بمركزه فى المجموعة ، ومع هذا فليس من النادر أن تكون تجربة كريهة سبباً فى رفضه الذهاب إلى المدرسة يوما أو أياماً عدة ، فلعل قصة أخافته أو لعله طلب إليه أن يلبس حذاءه الكاوتش بنفسه أو أن يَعُد القراقيش ويمررها أو يقدمها لجاره ! وربما قصر رفضه على يوم معين يعرف أنه سيجرى فيه نوع من النشاط لا يحبه ، وربما بلغ به الأمر أن يرغب فى

الانتقال إلى مدرسة أخرى ربما كان قد التحق بها قبل ذلك .

ولعل طفل السادسة يتعب من صعوبة المواءمة ويقاسى من أمراض البرد حتى ولو كان يلقى أحسن معاملة ورعاية . فتى انقضى على ابتداء السنة أسبوعان صار الغياب أمراً عادياً طول العام تقريباً ، على أن فى الإمكان اتخاذ بعض وسائل الضبط للإقلال من هذا الغياب . وابن السادسة ليس مستعداً لمواصلة العمل كل يوم ولا تزال تنفعه فترة يستجم فيها من النشاط يقضيها بمفرده فى بيته ، وقد يستطيع حين يأتى عيد الميلاد أن يوائم نفسه مع دراسة متواصلة . وهناك مجموعات من الأطفال يكون فيها يوم الاثنين ثقيلا عليها بعد قضاء عطلة الأسبوع بالمنزل ، فى حين أن الجمعة يكون أثقل عند بعضهم الآخر بعد قضاء أسبوع بالمدرسة . فخير المواءمة إذن ما وضعت خطته لتناسب المجموعة .

والعلاقة المتبادلة بين المدرسة والبيت مهمة لطفل السنوات الست ، فإنه يحضر إلى المدرسة أشياء كثيرة كالحيوانات المحشوة والعرائس والأزهار والحشرات والأصداف والفواكه والكتب بوجه خاص ، وهذه تجلب لتعرض على الزملاء أو على المعلمة بوجه أخص ، وقد يحضر معه أيضاً هدية من الكعك الصغير احتفاء بالمجموعة كلها . وهو يأخذ إلى المنزل أيضاً أشياء كرسمه أو نجارته ، ولاستجابة والديه لها وترحيبهم بها أهمية قصوى لديه . وأروع فرحة للسنة تكون يوم يحمل إلى البيت الجزء الأول من كتاب المطالعة الذى أتقن قراءته ، وكل ما نرجوه من الوالدين ألا يشيرا إلى أى أخطاء له فى ساعة النصر هذه .

وكثيراً ما يؤسف الآباء قلة ما ينقله طفل السادسة إليهم عن خبراته على عكس ما أملوا ، فالسادس أميل إلى التحدث عما يأتيه الأطفال الآخرون من سيئات بالمدرسة أو التفاخر ببراعته أكثر من الحقيقة ، ولا شك فى أن التحدث عن الطفل البارز فى نشوزه يجرى على لسان معظم أطفال المجموعة ، وإن فترة الدردشة فى ساعة النوم تهيء فرصة عظيمة لتحدث طفل السادسة عن نفسه وعن خبراته المدرسية .

والأحاديث الخاصة بين الوالد والمعلمة بالتليفون أو فى مقابلة يتفقان عليها تتيح للطرفين وسيلة التبليغ عن أى سلوك له أهميته ودلالته فى البيت أو فى المدرسة ، ولا يقتصر الأمر على استفادة المعلمة من هذه الاتصالات بل إن فيها إشعاراً للأم بأنها أصبحت أكثر من ذى قبل جزءاً من أسرة المدرسة ، وأنها على استعداد للدخول إلى المدرسة والمعاونة كلما احتاج الأمر لمساعدتها .

والمعلمات فى تبيانهن لخصائص سلوك السنة الأولى يعقبن بما يلى : « التدريس للسنة الأولى يكون مثيراً جداً فى يوم ومقبضاً كئيباً فى آخر » ، « وتضطرك الحال أحياناً إلى الشغل الشاق وفى أوقات أخرى تجد أنه لا حاجة بك للشغل بتاتاً » . فهناك تأرجحات واسعة المدى للسلوك ، « فالأمور تأتى على أدوار ونوبات ، كنوبة الكلام طول الوقت بصوت جهير ، فتتناول بالعلاج هذا السلوك بالذات وتحاول جهد طاقتك أن تمنعه (والهمس هو الترياق الشافى) وإذا بهذا السلوك يختفى فجأة ويحل محله بسرعة البرق غيره » .

وعلى الرغم من هذه التقلبات وهذه المفارقات فإن السادس يريد أن يعمل ، ويظل فى سعادة دائمة إذا كانت حياته سلسلة طويلة من البدايات ، فهو يلهث فى

تهيج عندما يتلهف على مواجهة موقف جديد صعب . أما ما يربكه فهو أواسط الأعمال التى يتصدى لها ، وربما حدثته نفسه بالتخلى عن العمل ولكنه قد يستطيع بمساعدة معلمته أن يلمح النهاية . وعند ذلك تهتز مشاعره فيتصدى لتلك النهاية كأنما هى بداية جديدة ، وكل عون أو ثناء من المعلمة يحفزه إلى المضى ، فهو يحاول أن يجارى وأن يسر معلمته ونفسه ، ويحب أن تسنح له فرصة يعرض فيها إنتاجه الذى أتمه ويتحدث عنه .

وبرنامج النشاط فى السادسة يشمل أقلام الرسم والألوان والصلصال والنجارة والكتل الكبيرة المستعملة خارج المنزل ، وهى مواد مألوفة من أيام الروضة ، ومع ذلك فهو يعالج هذه المواد الآن بتلقائية وتجريب أكثر من قبل ، وتكشف منتجاته عن روح جديدة من الخلق والإبداع ، وإن كان الطفل ربما ظل أمداً قصيراً يعيد عمل نفس الصورة أو نفس النقش مراراً وتكراراً . وهو بحاجة إلى شىء من العون والتوجيه البسيط ليرسم ويتدبر ما سيعمله ، كما أنه بحاجة أيضاً إلى الإرشاد أثناء الطريق . ومع ذلك فأطفال السادسة لا يطيقون التدخل المباشر .

وتعلم استخدام الرموز فى القراءة والكتابة والحساب هو الشىء الجديد الذى يتحداه . والسادس يحب العمل الشفوى الجماعى بصفة خاصة لأنه ثرثار كبير لا يكف عن الكلام ، ولكنه أكثر مرونة مما كان فى الخامسة ، ويحب اتخاذ سبل متعددة للتعلم ، والتعرف على الكلمات التى تكتبها المعلمة على السبورة ، كما يحب الكتابة على دُرجه (وهو لا يستطيع حتى الآن أن ينقل من السبورة بسهولة) . ويشرع فى الكتابة بالحروف الصغيرة ، وإن كان يميل إلى قلبها وإلى العودة للحروف الكبيرة لأن تكوينها أسهل عليه كما أنها أقل قابلية لأن تعكس . وربما وجب استعمال الحروف الكبيرة مع بعض الأطفال طيلة السنة الأولى ، أو على الأقل إلى أن يبدى الطفل رغبة تلقائية فى الانتقال إلى الحروف الصغيرة . والقراءة والكتابة يثيران ذلك التوتر المعهود الذى يتجلى فى الإسراف فى مضغ الأقلام أو الشعر أو الأصابع . ويحب السادس أن يكتب شيئاً لأمه أو أبيه ، وربما أدرك أنه عكس حرفا ولكنه لا يتوقف دائماً ليصلحه .

وطفل السادسة أخذ يتعلم قراءة مجموعات من الكلمات ، وهو فى سبيل تعرف الكلمات خارج مواضعها المألوفة ، ويتعلم الكلمات الجديدة خارج النصوص قبل أن يواجهها داخل النص . ويقع فى مختلف الأخطاء فيضيف كلمات من عنده ليحدث بها التوازن ويقلب المعانى ويحل كلمات محل أخرى تشبهها فى صورتها العامة ، ويفضل إضافة الكلمات على حذفها ويميل أيضاً إلى أن يحمل كلمة وقعت عينه عليها فى سطر إلى السطر التالى ، وربما خلط بين الضمائر وأحل بعضها محل بعض .

ويستخدم كثير من الأطفال مؤشرات أو يشيرون بأصابعهم فى هذه السن ، وقد يقربون رءوسهم شيئاً فشيئاً إلى ما يقرأون أثناء مضيهم فى القراءة ، وكثيراً ما يشاهد تناولُ القلم واللسان والشعر والأصابع فى الفم بالتحريك ، هذا إلى التلوِّى بل إلى الوقوف نفسه .

ولا يزال السادس يحب أن يُقرأ له بكل من البيت والمدرسة ويصغى إلى أى شىء تقرأه ، وهو يأخذ كتاب مطالعته إلى البيت ليقرأ فيه ، لكن ربما حاول أيضاً

قراءة ما كان لديه من كتب وهو فى سن أصغر .

وطفل السادسة فى سبيل تعلم رموز الأعداد (الأرقام) وكذلك حروف أسمائها التى يعكسها بالمثل ، وقد يقول أثناء كتابة الأعداد « لا أجيد كتابة الإثنينات أبداً كما أحب » ، « بعض الناس يرسمون الثمانيات هكذا » ، « هل أرسم هذه بالمقلوب يا ترى » ، « إنى تعب . وحران أيضاً » . وعد الأشياء واحداً فواحداً لا يظهر لديه كما كان من قبل ! فإنه يأخذ فى تجميع الأشياء أربعة من هذا وخمسة من ذاك ، والأزواج المتماثلة مثل ٣ + ٣ أو ٥ + ٥ أفضل ما يحب .

والبنات فى هذه السن يتفوقن عادة فى القراءة والكتابة والرسم فى حين يتفوق الأولاد عليهن فى الحساب وفى الإصغاء للقصص .

ولا يدخل السادس فصله مباشرة كما يفعل الخامس ، بل إن البعض ربما تلكأ خارجه . والمعلمة على استعداد لتحية الطفل أو تفقد ما أحضره معه أو توجيه كلمة مطمئنة إذا استلزم الأمر ، وهو لا يزال بحاجة إلى شىء من المساعدة فى لبس حذائه الكاوتش والصعب من الملابس ، فينبغى أن تكون المعلمة على استعداد لتقديم المساعدة اللازمة . والأطفال الذين تم لهم قدر أكبر من التآزر العضلى يكونون فى الغالب تواقين إلى مساعدة الذين لا يستطيعون إحسان التصرف بأنفسهم ، وقليل منهم يتصرفون على أحسن وجه إذا كانوا بمعزل عن المجموعة .

وينتقل السادس من أحد أوجه النشاط إلى غيره بسهولة نسبية ، وهو ميال للتوقف حتى ولو كان يستمرئ ما يعمله ، وقادر على ترك ما عهد إليه بعمله ناقصاً ليتمه فى اليوم التالى . وإذا طالت الفترة بين أوجه النشاط أكثر مما ينبغى فإن الأولاد بوجه خاص يكونون غرضة لأن يصارع بعضهم بعضا .

ويكون قضاء الحاجة سهلا نسبيا ، إذا كانت المراحيض مجاورة لغرفة الدراسة ، وفى استطاعة السادس أن يذهب بنفسه وإن كان قد يعلن أنه ذاهب ، وهو يتقبل ماتقترحه المعلمة من الذهاب فى وقت معين إذا لم يكن قد ذهب بالفعل . ويستطيع البنات والأولاد استعمال نفس المرافق التى يُفضَّل ألا تكون لها أبواب إذ يبدو أن الأبواب تثير تنبهاً جديداً إلى ذلك الوظف ينم عنه الضحك ومخالسة النظر .

والسادس على علم وائتلاف لمكانه واتجاهه بالنسبة للحجرة بأكلها وللمجموعة بأسرها ، وهو على الدوام دائب الحركة أو تناول الأشياء بيديه ، ويفقد صبره لأى اعتراض لسير حركته إلا إذا كنت سائراً بالصدفة فى نفس اتجاهه . وهو يتحدث عن عمله وعمل الآخرين . ويحدث أحياناً أن تسترعى المناقشة بين طفلين انتباه طفل ثم آخر حتى يعم الانتباه الفصل كله ، ولكن هذا الانتباه يتبدد فى العادة إذا تدخل طفل آخر فى المحادثة أقل تدخل ولو بكلمة واحدة .

وأخص التعبيرات المميزة التى تصدر أثناء اللعب الحر يمثلها الآتى : —

« لن أكون معك إذا فعلت كذا »

« آه ! ! ! إنى أعرف ذلك الشخص »

« انظرى (يا روزالى) هذه هى الصفحة الأولى » .

« فلنتبادل المقاعد »

« إنى محتاج إلى أستيكة ، ولا أجدها وبى حاجة إلى واحدة »

« أنا ذاهب إلى الحمام (يا أبله) »
« أنت تريد أحمر وأنا أريد أزرق »
« إذا عملت فيها أكثر من ذلك ، فإنه سيفسدها » .
« هيه ، أنت البادئ » (ويخطف الكتاب) .
« ارجعه إلى فى الحال » (ويخطف الكتاب) .
« أنت تعرف ما ذا أصنع » .
« أهلا بالحصبة . وأهلا بالجديرى . أهلا بالسعال الديكى » .

وينعم السادس بإحساس الجماعة ، وكثيراً ما تكون التجمعات أزواجا وهى تتغير باطراد ويحدد نوع النشاط عدد الجماعة إلى حد ما ، ولكن الاستجابات الانفعالية تلعب الآن دوراً أقوى فى تكوينها . وهناك طائفة من الأطفال ديدنها إفساد الألعاب الجماعية ، وقد ينفع وجود المعلمة عن قرب ، ولكن كثيراً ما يحتاج الأمر إلى إبعاد هؤلاء الأطفال عن الجماعة وشغلهم بعمل يحبونه كالحفر أو البناء .

٩ — الحاسة الخلقية

يلوح أن ساعة النمو قد أُخرت فى تلك السن العظيمة الأهمية سن الخامسة والنصف إلى السادسة ، وهذا ينطبق على الواقع بمعنى أن الطفل يتصرف تصرفاً شديد المشابهة لتصرفه يوم كان فى الثانية والنصف ، ومع هذا فإن هذين العمرين كليهما يمكن اعتبارهما ارتداداً لعملية إعادة التنظيم تمهيداً لتنظيم جديد . والوالدون بحاجة إلى الإحساس بما يجرى داخل جهاز الطفل العضوى وتكييف مطالبهم طبقا له حتى يستطيع الطفل أن ينمو نمواً يجعله فى نفسه أقرب إلى « الذاتية » بالمعنى الصحيح ، ومن ثم يصبح أدنى ما يكون إلى « فرد » قادر على مزيد من التواؤم مع بيئته الدائبة الاتساع .

والعادة أن البنات يختلفن عن البنين بما ركب فى تكوينهن الذهنى من قدر أكبر من الطلاقة وبما لهن من اتصال مستمر بالبيئة أكثر مرونة ، ومن ثم لا يمر بهن ما يتبدى فى الأولاد من الأنماط المتطرفة لانعدام التنظيم . والبنات أقدر على المجاراة ، لكن الجنسين يميلان لأن تكون استجاباتهم للمطالب المباشرة أكثر بطئاً وسلبية ، على أنهم لو أمهلوا فلربما استجابوا على منوالهم الخاص حتى لكأنما الاستجابة قد صدرت بوحى من أنفسهم . ويحتاج كثير من الأطفال إلى تذكيرهم بالشىء مرتين أو ثلاثاً حتى ينشأ لديهم حافز من القوة بحيث يكفل حدوث الاستجابة ، وقد تتغير الاستجابات تبعاً لرغبات الطفل وتقلباته المزاجية .

فإذا حاولت الوالدة أن تدفعه إلى الإذعان لأوامرها بنغمة صوت فيها حزم فيصح أن تتوقع من جانب طفل الخامسة والنصف عكس الاستجابة المرجوة ، وأما طفل السادسة فإنه تحت مثل هذا الضغط يتحدى أمه بقوله « كلا لن أعمل » أو بقوله « كيف تنوين إجبارى ؟ » ، فإذا لجأت الوالدة بعد تلك التحديات إلى التهديد بالعقوبات البدنية أو إلى العقوبات البدنية نفسها كانت النتائج فى العادة ضئيلة ، فإن الطفل يهتاج ويحاكى أمه أثناء العقوبة ساخراً ، ولا يبدو منه فى المناسبات المقبلة إلا الإصرار على تكرار ما صدر منه ، ولهذا كانت الوسائل الوقائية أو استعمال الحيل السحرية كالعد أجدى بكثير . وفى السادسة يكون الطفل أكثر استجابة لنوع ما من العزل الانفرادى كتركه يلعب فى غرفته أو إجلاسه على « كرسى التفكير » وهو المعروف فيما سلف باسم « كرسى العفرتة » ، وما أشد

حبه للثناء !! فإنه ينتفش عند ذاك كالطاووس ويتحسن سلوكه تحسناً هائلا .

وليس من السهل على طفل الخامسة والنصف أن يقطع برأى ، فكأنما هو فريسة للقوتين المتضادتين فى منجلة وهذا يجعله يتردد ويتأرجح فى إبداء رأيه . وعندما يتردد السادس فى المفاضلة بين أمرين فإنه يكاد ينتهى دائماً إلى الاختيار الخطأ ، ومن أجل ذلك قد يحتاج الوالدان إلى أن يقطعا برأى وأن يبينا بوضوح ما سيحدث وماذا ينبغى للطفل أن يعمل . وعند ما يقطع السادس برأى فيندر أن يكون فى الاستطاعة حمله على تغييره حتى فى تلك المناسبات التى يقطع فيها بالرأى بسهولة نسبية ، وقليل جداً من أبناء السادسة من يستطيعون النظر إلى تغيير رأيهم بعين العقل والاعتدال ، ولكن هناك قلة أخرى تكاد تسرف فى الإذعان والمجاراة .

وليس السادس على تنبه فقط إلى ما فيه وما فى أعماله من إحسان وإساءة بل إنه يريد أن يكون طيباً ولا سيما إذا لم يكلفه ذلك جهداً بالغاً ، وهو يتساءل أهو طفل طيب ؟ ويريد أن تحول أمه دون عفرتته . و «الإساءة» تفصله عاطفياً عن أمه ، وهو يفصح عن رغبته فى أن ترضى عنه أمه إذ يسألها «أنت تحبينى رغم أنى أسأت ، أليس كذلك ؟ » أو يقول لها « لنكن أصدقاء يا أماه » ، وهو لا يريد أن يؤذى أحداً ، ويشعر بالأسف بل لعله يبكى بالفعل إذا فعل ذلك ، وهو متنبه بشكل غير عادى إلى ما يعتقد أنه « إساءة » ، من أخ أصغر منه بل ربما بلغ به الأمر أن يصنف الناس جميعاً إلى محسنين ومسيئين ، على أنه إن أجاب على سؤاله هو « لماذا كان الألمان مسيئين ؟ » لأجاب « لأن هتلر مسىء ! ! » . ويهديه تفكيره الخاص إلى أن الوالدين هما اللذان يعينان المسموح والمحظور من الأمور .

فالسادس يرى أن الأشياء التى يسمح بها والداه أشياء طيبة وأن ما يحظرانه عليه أشياء سيئة . وإليكم قائمة أملتها من تلقاء نفسها طفلة تحسن التعبير فى الخامسة والنصف وهى تتضمن ما ينبغى لها أن تعمله وما لا ينبغى وهذا يحدد بوضوح فكرتها عن الإحسان والإساءة .

ما ينبغى عمله :—

(١) أن يقول المرء « أظنك تأكل اليوم طيبات » .

(٢) الأشياء التى تسر عملها بديع وهى :

(ا) أن يأكل الإنسان بظرف .

(ب) أن يقول دائماً من فضلك وشكراً لك .

(ح) تذكر دائماً أن تقول « صباح الخير ومساء الخير » .

(٣) أن يركب الإنسان زورقا عندما تنتهى الحرب .

(٤) أن نتناول الغداء بأنفسنا من غير أن يذكرنا أحد .

(٥) التزام السكوت ؟ والرد على الناس عندما يكلمونك .

(٦) حافظ على نظافة ثيابك .

(٧) افتح الراديو وقت الغارة الجوية (المحطة المحلية)

(٨) حافظ على الساعات شغالة وذلك بملئها .

(٩) ادخل فراشك فى السابعة والنصف مساء .

(١٠) استيقظ فى السابعة والنصف صباحا .

(١١) إذا رأيت الناس يكسرون الأشياء فرهم أن يكفوا .

ما لا ينبغي عمله : —

(١) أن تقول : « لست أكلك » :
(٢) أن تقول : « اعطها لى »
(٣) أن تقول : « اعطنى أكبر قطعة من (أى شىء) » .
(٤) نثر الفتات على الأرض :
(أ) سكب اللبن أو الماء .
(ب) جعل الطعام يصل إلى يديك أو وجهك .
(٥) إضرام النار فى أى مكان .
(٦) التملص من شخص بينما هو يعمل لك عملا ظريفاً .
(٧) « رقع » الأبواب .
(٨) إضاءة الأنوار أثناء غارة جوية .
(٩) دق التليفون لأى أحد أثناء غارة جوية .
(١٠) تمزيق الكتب
(١١) ترك النوافذ مفتوحة أثناء سقوط المطر .
(١٢) تمزيق الثياب .
(١٣) كسر النوافذ .
(١٤) مناداة الناس وهم مشغولون .
(١٥) كسر الكراسى ذات المساند .
(١٦) قرص الناس .

وبعض السوادس أكفأ لتحمل المسئولية عن تصرفاتهم ومع ذلك فقد يقولون « لقد حدث ذلك صدفة » أو « انى لم أقصد أن أعمل ذلك » ، ولكن طفل السادسة وبوجه أخص طفل الخامسة والنصف يحتمل أن يوجه اللوم للإخوة الصغار أو لأطفال آخرين أو للأم أو لأحد الحيوانات أو حتى للجماد لاحياة فيه ، ومع هذا فإذا كان سوء السلوك خطيرا جدا ، كإلقاء كرة قدم من خلال شباك غرفة الجلوس ، فكثيراً ما يكون الطفل قادرا على تحمل المسئولية كاملة ، فكبريات الأمور فى الحياة سهلة أما صغيراتها فهى التى تسبب معظم المتاعب ، ولعله لم يكن من الصعوبة بمكان لدى چورج وشنجطن أن يعترف بأنه قطع شجرة الكرز !

وأبناء الخامسة والنصف والسادسة يكونون عند ما يكسبون أحسن كثيراً منهم عندما يخسرون ، وذلك يشبه حبهم للثناء وعدم إساغتهم للنقد ومن أجل ذلك لاينبغى أن يوضعوا فى المواضع التى يحتمل أن يخسروا فيها ، فإنهم إذا وضعوا فيها فقد يلجئون إلى الغش حتى يكسبوا . ويحب السادس أن ينشىء من تلقاء نفسه ألعابا تلقائية قواعدها تتغير فى منتصف اللعبة ، وهذه هى أنواع الألعاب التى يستطيع ممارستها ، فضبطها فى يده إذ يمكنه تغيير القواعد وفق مصلحته .

وأخذ الأشياء التى يملكها الآخرون والاسترسال فى القيل والقال أكثر شيوعا بين أطفال السادسة مما يميل الكبير منا لتصديقه فى الغالب . وتكاد صعوبة التمييز بين « ملكى » و « ملكك » تضارع عند طفل السادسة صعوبتها عليه وهو فى سن الثانية والنصف ، و « ملكى » تحتل فى ذهنه مركز الصدارة ، وهو يستولى بسهولة على الأشياء القريبة التى يرغب فيها ويستمسك بها ويضيفها إلى مجموعته من الأشياء ، وربما كان لبعض الأشياء التى يأخذها نفع حقيقى له . والبنات عرضة لأن يأخذن جواهر أمهاتهن أو شباشبهن أو معاطفهن البيتية ، وإذا سطون على أكياس أمهاتهن وفتشنها فيندر جدا أن يأخذن منها نقودا وإنما يفضلن المفاتيح وأقلام الشفاه الحمراء . ويؤثر الأولاد سلاكات الغليون والكبريت وغير ذلك من أشياء متناثرة فى أدراج مكاتب آبائهم .

وهم يأخذون من المدرسة أشياء تافهة بريئة مثل القلانس (البريهات) أو قطعة من الصلصال أو مشجب أو قطعة من الورق الأسود ، أو ممحاة . والأطفال الذين سبق

لهم أن أخذوا الأشياء هم أنفسهم أول من ينتقد الأطفال الآخرين ويتمتونهم بالفظاعة إذا أخذوا الأشياء . والعادة أن يُمسَك بالسادس متلبسا لأنه يأخذ الأشياء والناس يبصرونه ، ولكنه رغم قيام البينة أمام عينيه ينكر إنكاراً باتاً وجود أية علاقة بينه وبين الشيء المقصود أو يتنصل بعبارة مثل « قد أعطاها لى تومى » . والسادس أقل ما يكون إساغة للتقويم المباشر فيما يتعلق بسلوكه بل إنه لا يستطيع حتى أن يقبله فى مجالات القراءة والحساب الأقل مساسا بشخصه ، ولكنه يستجيب عن طيب خاطر إن أُخذ أخذا غير مباشر وسئل « كيف كسرت كل هذه الزجاجات ؟ » أو « أين وجدت ذلك الكبريت ؟ » .

فإذا ما باح بكل ما لديه ، وهو أمر ليس بالصعب إذا لم توجه إليه التهمة مباشرة ، استطاع أن يدبر مع الوالد كيفية تحسين سلوكه فى المرة التالية ، وربما احتاج الأمر إلى وضع الأشياء فى دواليب مقفلة لمساعدته على التذكر ، أو إلى ملاحظته أثناء خبرة بالنار ، أو لعل من واجب معلمته بالتعاون مع أمه أن تسمح له بأن يأخذ معه إلى البيت بعض أشياء من المدرسة ، وفى وسع الأم بعد ذلك أن تساعده على ردها عندما تجد منه استعداداً لذلك ، فإنه إذا أخذ الأشياء بلا استئذان فمن المحتمل أن يتلفها ، فإذا ألزم بردها فالأغلب أنه يستطيع ذلك على أحسن وجه وأمه إلى جانبه ، ومن المستحب من آن لآن ، أن تردها أمه بدلا منه بناء على طلبه

وقلة من الأطفال تستطيع أن تعالج رغبتها فى الأشياء الجديدة بالمقايضه ، وقد تكون الصفقة عادلة نسبيا — كشريط من المطاط مقابل بنسين ولكن جرت العادة أن يغبن أحد الطرفين فى الصفقة ما لم تُجعل المقايضة عادلة بأشياء متشابهة . وربما بالغ السادس أيضاً فى كرمه نتيجة لازدياد اهتمامه بالعطاء عن الأخذ ، فيجب حمايته من أن ينزل عن ممتلكاته الثمينة حقاً .

والسادس تواق إلى المزيد فالمزيد من الممتلكات ، وهو مقتصد عظيم . وهو يكاد يريد اللعب من أجل اللعب أكثر منه لاهتمامه باللعب بها . فإذا جاء إلى منزل السادس ضيف من غير هدية فلربما ناله بالنقد ، ومع أن السادس يحب أن يتملك الكثير من الممتلكات فإنه شديد الإهمال لها فيضعها فى غير محلها ويضيعها . وطفل السادسة هو الذى تصادفه فى المدينة حزينا مضطربا وأمه تسأله « قل لى أين تركتها ؟ » فكثيراً ما يكون السادس مدمراً لممتلكاته ، فإذا ألقيت عليه مسئولية المحافظة على غرفته وتنظيمها فإنه يتلكأ فوق لعباته أو يرفسها أثناء قيامه بجمعها ، وهو يعيش عادة فى فوضى و (نكشة) ، بيد أنه يستجيب متعاونا إذا ساعدته أمه ، ويحب بين الفينة والفينة أن يفاجئها بغرفة مُرتبة .

وقد أخذت النقود تصبح موضع اهتمام صحيح عند ابن السادسة سواء على صورة مصروف أسبوعى (يتراوح بين قرشين وخمسة) أو على صورة مكافأة ، فالمهام المنزلية الصغيرة كتفريغ سلال المهملات وإخراج زجاجات اللبن وتجفيف الصحون أو حتى إجادة تناول وجبة كلها تنفذ بإقبال ورغبة أكثر إذا توقع الطفل عليها مكافأة ، وبعض الأطفال لا يريدون إلا ادخار النقود ووضعها فى البنك وآخرون ينفقونها فى شراء الحلوى والكعك ، بينما بعضهم فى غاية الإهمال لشأنها ، لكن قلة منهم تريد حقاً أن تستفيد منها وتشترى بها شيئاً خاصاً ، وقد يقضى السادس ساعة كاملة فى الدكان محاولا أن يبت فى اختيار شيء يشتريه ثم يخرج أخيراً بلف من شريط لصاق .

١٠ — النظرة الفلسفية

الموت والإله

السادسة تكون فى الغالب ذروة هذه السنوات الوسطى التى يشتد فيها اهتمام الطفل بقوة خالقة يستطيع أن يصل بينها وبين نفسه ، ومع أنه كان يجد فى أول الأمر صعوبة فى فهم ذلك الإله الذى يراه دون أن يراه هو ، فإنه الآن يربط بعقله بين الإله وبين عالم الخليقة الأكبر . وهو يدرك معنى فكرة الإله كخالق لهذا العالم وللحيوان وللأشياء الجميلة ، ويتقبل هذه الفكر الكبرى وهو فى السادسة ، وإن كان سيعيد فيها التفكير قريباً ويداخله التشكك ويحتاج إلى من يزيده تفسيراً لها .

والسادس يطلب الذهاب إلى مدرسة الأحد ، وهو يحب أن يصغى إلى قصص الكتاب المقدس ، ويستطيع أن يستمع إلى قصة طفولة السيد المسيح مرة إثر أخرى ، ويحب بوجه خاص أن يساهم فى صلاة قصيرة مطابقة للعرف المألوف والشموع منتصبة فى اتزان على الهيكل . ويتجلى فى أفعاله أثناء محاولاته الصادقة حقاً ، التى يبذلها للمجاراة واتباع ما هو مطلوب منه ، وفى تعبيرات وجهه ، أنه يشعر برهبة هذه العبادة الجماعية القديمة ، فالآن تنمو فيه علاقة وجدانية تربطه بالإله وتصبح الصلاة ذات أهمية لديه ، وهو يشعر بالثقة فى أن دعواته ستجاب ، فإذا دعت أمه الإله أن يهبها غلاماً شعر بأنها ستحظى بالغلام فعلا ، وهو يؤمل أنه إذا دعا الإله قائلا « رب اجعلنى أخترق النور الأحمر دون أن أقتل » فإن ذلك أيضاً سيستجاب .

وللإله أيضاً ما يقابله فى العقل ذى القطبين لطفل السادسة ، فالسادس قد يكون حساساً إلى درجة غير عادية بما يتصل بالشيطان من تعاليم ، وإن كانت مثل تلك التعاليم غير شائعة فى حياة الطفل فى هذه الأيام . وقد استبانت إحدى طفلات السادسة قوتين تصطرعان داخلها وأقرت بأن القوة التى تتجمع فيها الأفكار السيئة كلها هى المتغلبة عادة ، فاخترعت لهذه القوة المضادة اسماً استقته من اسمها إذ نطقت به مقلوبا ، حتى إذا سمتها ازداد سلطانها عليها ، كذلك الإله ينقلب إلى ما يقابله إذا استعمل اسمه استعمالا نجساً(١) ، وهذا أمر شائع لحد ما فى السادسة .

ثم إن الموت أيضاً يصير أكثر اتصالا بنفس السادس الحساسة ، فهو يخشى أن تموت أمه ، وقد بدأ يتنبه إلى أية وفاة قد تحدث فى محيطه القريب أو تصيب بعض أقاربه ، ويحاول أن ينفذ إلى أسباب هذه الوفيات ، ويدرك أن الإنسان قد يُقتل فضلا عن أن يموت بالشيخوخة ، كما أنه يربط أيضاً رباطاً طفيفاً بين المرض والدواء والمستشفى وبين الموت . وربما انشغل باله بكل ما يتصل بالموت كالقبور والجنازات والدفن فى الأرض . والأطفال يبحثون هذه الأمور ، وقد يعبرون عن كراهيتهم لفكرة أن أقاربهم أو هم أنفسهم سيدفنون فى الأرض . وكثيراً ما يحتاج السادس إلى حمايته من خبرات الموت ، فقد ترتاد أحلامه صور الأطفال الموتى ، ورؤيته لحيوان ميت من الخبرات التى لا ينساها بسهولة ، وهو يسأل « كم من الزمن يستغرق الإنسان فى موته ؟ » .

---

(١) يشير المؤلف هنا إلى لفظة God الإنجليزية وإلى تلاعب الصغار بألفاظها ، بنطقها من اليمين إلى اليسار أى dog بمعنى كلب .

وربما ظن السادس أن هناك عملية عكسية لعملية الموت ، أى أنك تعود إلى الحياة بعد أن تموت وقد يعبر عن ذلك لصديق حتى أثناء تفكيره العادى بقوله «أعنى أن لم تكن عشت أبدا ، ثم إنى فى أوقات أخرى لا أستشعر مثل هذا مطلقاً » . وخير ما يُتقبل به الموت أن شخصاً آخر سيحل محل الميت ، وأن الجراء ستحل محل الكلاب ، والأطفال ستحل محل والديهم . وإذا شعر السادس باحتمال موت أمه فى الحال فإنه يكون عندئذ بحاجة لأن يفكر فى شخص آخر يصبح أن يكون بديلا عنها ، وربما كانت خالته . ولقد وقع أحد الأطفال فى قبضة عملية الموت هذه فقال : « ستموت أمى وعندئذ أعيش مع نانسى ، ثم تموت نانسى فأعيش مع هولدا ، وبعد ذلك لا أدرى مع من أعيش إذا ماتت هولدا ، إنى أفكر فى هذا فيخيفنى » .

الزمان والفضاء

لا يعيش السادس فى « الآن » الزمنى كما كان يعيش الخامس ، فهو يبغى أن يستعيد زمناً مضى ويبدى اهتماماً ملحوظاً بسماع أخبار طفولته وطفولة أمه ، وهو يخترق حجب المستقبل بتعاقب أهم الأجازات وأهم أعياد الميلاد فى الأسرة . والزمن الذى تدومه أية حادثة قليل المعنى والدلالة بالنسبة له . وهو قليل الاهتمام بتعلم كيفية معرفة الوقت فيما عدا الساعات ، ويجيب إجابة صحيحة عن أسئلة من أمثال :

متى تذهب إلى المدرسة ؟

متى تعود من المدرسة إلى المنزل ؟

ماذا تصنع فى الخريف ؟ وفى الربيع ؟

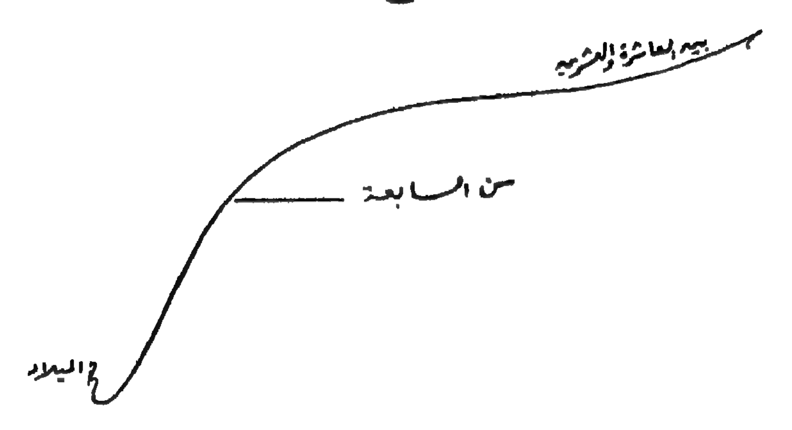
فى أى فرقة مدرسية أنت ؟

والفراغ عند طفل السادسة يمتد قطعاً امتداداً يتجاوز ما كان عليه أيام كان فى الخامسة ، فهو الآن يهتم لا بأماكن معينة فقط بل بالعلاقات بين المنزل والجيرة ومجتمع دائب الاتساع يشمل المدرسة ، وهو كما كان فى الرابعة يحب أن يعود إلى زيارة جيرته ويعرف أسماء بعض شوارعها ، ومواقع بعض المعالم الكبرى التى تثير الاهتمام ، بل لقد يكون من التنبه إلى تسلسل خاص للعلاقات الفضائية ، بحيث يخشى أن يضل الطريق إذا لم يلتزم طريقاً معيناً معروفاً .

والسادس ، فى سبيل تعلم التمييز بين يده اليمنى ويده اليسرى ، لا يستطيع تمييز اليمنى من اليسرى فى شخص آخر ، ومدركاته الفراغية ، شأن كثير غيرها ، غير متمايزة نسبياً .



سن السبع سنوات



مصور السلوك

يداخل الطفل فى السابعة نوع من الهدوء . فسن السادسة يميل بطبيعته إلى إحداث استجابات فيها تهور وتفجرات من النشاط ، أما ابن السابعة فيدخل فى دور استطالة فترات السكون وفترات الاستغراق الذاتى يقلّب أثناءها انطباعاته ويتأملها مرة تلو أخرى غافلا عن العالم الخارجى ، فهى سن التمثّل أى الوقت الذى يعالج فيه ما تراكم لديه من خبرة بكيفية تحفظها ، ويربط فيه الخبرات الجديدة بالقديمة .

وهذه علامة على أن ابن السابعة مستمع حسن . وهو يحب أن يُقرأ له ويحب أن يسمع الحكاية تقص عليه للمرة الثانية . تصورْه منكمشاً أو ممدداً أمام الراديو يصغى إلى ما لا نهاية ، وتصور رد الفعل عنده لأى تدخل جفائى ، إنه يستنكر ويثور على كل تدخل يقطع عليه حبل تأملاته ، ولا يهدأ له بال إلا إذا استطاع أن يصل بها إلى نهايتها ، ومعنى ذلك كله أنه بلغ بالفعل من النضج مستوى أعلى ، فازدواج القطبية المتفجر حل محله تماسك يتغلغل فى دخيلة نفسه ، ومن ثم يبدو أكثر انطواء على نفسه من السادس الغرّير قليل الخبرة . وكثيراً ما يقول الوالدون : « إنه الآن طفل

أحسن ! » وهو فى جوهره بطبيعة الحال نفس الطفل ولكن فى مرحلة للنمو جديدة .

والسابعة سن مسرة وبهجة إذا احترم الإنسان إحساسات الطفل ، فإنها تحتاج إلى التفات ورعاية جديدة بل بارعة لأنه عرضة لأن يستسلم إلى تغيرات مزاجية من تفكير عميق يرتب أثناءها انطباعاته الذاتية ، وهذه النزعة إلى التفكير العميق مكنية نفسانية يستوعب بها خبراته ويبعث فيها الحياة ويعيد تنظيمها .

ونحن الكبار لا نكاد نقدر الكثير الذى لايزال على طفل السابعة أن يتعلمه ، لا من حيث المعارف الواقعية بل من حيث تفهم معانى مواقف الحياة المتعددة الجوانب التى تصدمه فى كل من البيت والمدرسة . وهذه المعانى إحساسات فى جوهرها لاتنبثق فى أنماط محددة بل لا بد له من تقليبها وتأملها وممارستها عن طريق النشاط العقلى ، وكما أن طفل الأربعين أسبوعا يستغل المكعبين بتقليبهما وطرقهما بخفة ووضعهما معا فكذلك طفل السابعة يتناول مكتشفاته الجديدة من المواد النفسانية ويستغلها عن طريق ممارسة تخيلات فكرية عجيبة ، وهذه عملية نمو بها يتعلم كيف يعدّل معانى الأشياء ومعانى الأشخاص ، وبها يتغلب على الاندفاع البدائى لنضج سن السادسة ، كما أنه يزداد تغلغلا فى الثقافة المعقدة التى لاتفتأ تحاصره لتأسره وتضمه إليها ، ولا تنس أبداً إلى أى حد يتسع مدى هذه الثقافة وإلى أى حد يجهل عقل طفل السابعة بناءها وتركيبها ! فهو يحتاج إلى لحظات التأمل احتياجه إلى لحظات العمل ، وهو يجرى تواؤماته ويتمها عن طريق حياته التى يحياها داخل نفسه كما يحققها عن طريق مسلكه الخارجى الذى يبدو للناس .

وهذه الحياة الداخلية هى الناحية الخفية الغامضة التى تتطلب منا شيئاً من الاعتبار والرعاية ، ولن نستطيع إيفاء نفسانية طفل السابعة حقها إلا إذا أدركنا أهمية أوجه النشاط العقلى الذى يمارسه هو بنفسه ، فهى التى تفسر مايبدو عليه من آن لآن من التفكير العميق ، ومن الإهمال وعدم المبالاة ، ومن هين العناء الناجم عن الحزن وعن الشكوى ، ومن تجهماته ، ومن همساته ودمدماته ، ومن خجلاته ، ومن ضرب من التفكير لايخلو من حلاوة وفتنة .

ويكاد يُخفى ويعمّى أكثر مما يذيع ويعلن ، وسيصير بعد عام واحد أكثر صراحة نسبياً فى التعبير عن آرائه ومشاعره . ويُسقط ما فى نفسه على البيئة ليتفهمها ، وهو الآن يفكر فى الأشياء بدلالة أثرها أو صداها فى نفسه وشخصه بالذات . وعملية التفكير عنده أشد حدة ونشاطاً مما تبدو فى ظاهرها ، وبينا نراه مستغرقاً فى تفكير عميق إذا به يتوقد فجأة ببارقة من الاستبصار فيهرع لإعلان أو تنفيذ الفكرة التى هبط عليه وحيها . وهو يجيد التخمين ويتمسك بتخميناته ، ولما سئل أن يفسر تخميناته أجاب : « أنت ترى أننى إنما أكوّن لنفسى فى عقلى فكرة بكيفية ما » .

ومع أن ابن السابعة ميال إلى الاستغراق الذاتى فإنه ليس محباً للعزلة ، وهو فى سبيل التنبه لا إلى نفسه فقط بل إلى الآخرين أيضاً ، وقد أخذ يزداد حساسية لاتجاهات الآخرين ، ويتصور أمة متجسمة فى صورة جديدة ، ويحقق قدراً من الانفصال عنها بما يؤسس من صلات مع غيرها من الأشخاص . وكثيراً مايتوق (أو تتوق) إلى أخ رضيع أو أخت . وهو يكشف عن اهتمام جديد بأبيه وبزملائه فى اللعب الذين يكبرونه سناً ، ويصير عادة شديد الكلف بمعلمته ، وإنا لنلمح كيف تزداد استجاباته الشخصية للمجتمع عمقاً سواء فى المنزل ، أو فى الملعب أو فى غرفة الدراسة .

وقابليته هذه للانطباع بالطابع الاجتماعى تتجلى فى المدرسة إلى أقصى حد ، وتكون مسراته خالصة من كل شائبة إذا ابتسمت له معلمته ، وهو يحضر لها معه تفاحة حمراء ، ويحب أن يكون بالقرب منها وأن يلمسها ويتحدث إليها حديثاً يبغى من ورائه تأسيس صلة شخصية بها وتعبئة قدراته ، وعند ما يبدأ فى عمل ما كلفته به يسأل « هل أبدأ الآن ؟ » إشعاراً لها بأنه لا يستطيع البدء إلا إذا أذنت له بكلمة منها ، ويبدو أنه شديد الاعتماد على التذكير المتكرر ، أو الإرشاد بالكلام . ولكنه سيصير عند ما تكبر سنه أكثر احتواء على نفسه وأكثر اعتماداً عليها فى الواجبات المدرسية البسيطة على الأقل .

وفى فصول السنة الثانية المرحة يحتمل جداً أن يكون لكل طفل علاقة شخصية

عملته ، والمعلمة الحكيمة ترى فى هذه العلاقة إحدى مكنيات النمو ، فتدور بهدوء فى أرجاء الفصل لتتاح لها فرصة الاتصال الشخصى بأطفالها والتحدث إلى كل منهم على انفراد . فهى تعلم أنهم بحاجة إلى الكلام كوسيلة لاتصالاتهم الاجتماعية ولزيادة أفكارهم وضوحا ، وهى تتخذ من هذه المحادثة الفردية وسيلتها الفنية للاحتفاظ بالصلات ، ولخلق التحديات ، ولتشجيع الاعتماد على النفس ، فهى لا تحكم من فوق عرش وإنما تمارس نفوذها القوى على التكوين الانفعالى لتلاميذها عن طريق إنشاء علاقات من الود والعطف المتبادل ، فنمو الشخصية على جانب عظيم من الأهمية فى هذه السن ، فالسنة الثانية تحتاج بوجه خاص إلى معلمات مرهفات الحس واسعات الإدراك .

ويفصح السلوك الشخصى الاجتماعى للطفل بكل من المدرسة والبيت عن ازدياد فى تنبهه لنفسه ولغيره معا ، فهو أكثر تقبلا للصحبة منه فى السادسة وأقل تعرضا للاشتباكات الحادة مع أمه ، ويستعمل ضمير التعاون « نحن » فى إشاراته إلى نفسه وإلى أمه ، وهو يحب أن يؤدى لها ولأبيه بعض الأعمال إذا لم يحتجزانه بها مدة طويلة ولم يدققا معه كثيراً أثناء تأديته لواجباته الانفرادية ، فهو أليق للمهام القصيرة الأمد ويحتاج إلى التشجيع المتكرر بلغة تنم عن الصداقة والود ، فبمثل هذا التشجيع يسعد ببذل العون ، وبالجرى أثناء قيامه بمأمورياته فى فترة قضاء بعد الظهر فى الحديقة ، فهو حريص على أن يدخل السرور على من حوله .

ومع ذلك فإن فيه عرقاً من الاستقلال أخذ فى التعمق ، ولذا فإنه قد يقاوم أمه فى بعض المناسبات بقوله معترضا « ولكن يا أمى . . . . » وقد ينسحب أحيانا مدمدما بينه وبين نفسه وملمحا بأنه لا يريد أن يكون عضواً فى هذه الأسرة . وأن الأسرة لا تحبه ! وقد يتولاه غضب شديد من أمه وتغشاه كآبة وكد ، ويصح أن نفترض أن هذه « المضادّة » إن لم تجاوز الحدود هى جزء من عملية طبيعية من الانفصال التمائى أى فطام النفس ، وهى صورة للسلوك أنضج من العدوان الكلامى والهجوم الجثمانى المباشر الذى يصحب سن السادسة .

ومن الطبيعى تماما لطفل السابعة أن يكون بحكم النمو سهل الانقياد فى حين ومعتداً بنفسه فى حين آخر ، والحق أنه لم يبلغ من التنظيم حدا من الاستقرار يجعله

يظف فى مستوى واحد يُحسن التزامه باطراد ، بل إنه يتغير تغيراً جسيما من يوم إلى آخر بل فى غضون اليوم الواحد ، فهو ذو أحوال مزاجية متغيرة من الحلاوة والطيبة إلى الغضب والبكاء .

ومع ذلك فاعتماده على نفسه ليس من القوة بالقدر الضرورى للعب الذى يقتضى مستوى رفيعا من التعاون ، فلعبه الجماعى مفكك التنظيم ، ولا تزال الغايات الفردية أبرز ما يتجلى فيه ، ولعبة الثور فى الحلقة من اللعب المألوفة عنده والتى تعكس صورة لمستواه العام فى التعاون ، فهو لا يقبل الهزيمة بروح طيبة بل يطلق لسانه بالثرثرة . وإذا تعقد على السابع فى اللعب أحد المواقف تعقداً كبيراً وساءت الأمور فإنه يهرع إلى بيته معلنا ، بلهجة الخيِّر العادل إلى حد ما ، « أنا خارج » ثم يعقبها بالدمدمة باتهامات ظالمة مثل « غشاشون ! ! سفلة ! ! ظلمة ! ! » .

فلنحمد الله حمداً كثيراً على بدء ظهور هذه النزعة إلى الخير والعدل إذ من البديهى أن الحاسة الخلقية قد أخذت تنمو فى ابن السابعة فيميز بين الخير والشر فى غيره من الأطفال بل فى نفسه أيضاً ، وقد بدأ يشعر باتجاهات أقرانه السلوكية كما يشعر بأفعالهم : « لا أريد أن يهزأ العيال منى ! » . وهو يخجل من أن يُرى باكيا ، وبكاؤه أقل انطباعا بالطفولة مما كان فى السادسة لأنه أكثر انبعاثا من دخيلة نفسه ، ويصدر فى الغالب عن جرح إحساساته ، ومع ذلك فإنه شرع يتعلم كيف يستجمع قواه ويتوقف عن البكاء . وهو ينزع إلى أن يكون طفلا أكثر أدبا وأحسن خلقا عندما يكون خارج البيت ، وهذا أيضا ينم عن اهتمام بحسن رأى الناس واحترامهم له .

وقد أخذت انفجارات الغضب فى الاختفاء وحل محلها ابتعاد الطفل عن المشهد فى نوبات من التجهم الصامت ، أو فى انسحاب عاجل مع قفل الباب بقوة ، وحتى هذه التقلبات المزاجية نفسها قد تنطوى على صراع فى النفس ، صراع لا يخلو من معنى أخلاقى . والتنصل من التهم وإلقاء اللائمة على الغير من السمات الشائعة ، والعادة أن يكون اللوم على أساس واهٍ ، ولكن التنصل قد يحمل فى ثناياه قليلا من تنبه الضمير الذى يهز الشاعر كما فى قوله « كنت فقط على وشك أن أعمل ذلك » .

ويجوز لنا أن نتوقع أن يصحب هـذا القدر من خداع النفس بعض ما يسمى

بالكذب ، ولكن المشغولية والقلق لما فى الكذب من بعد عن الحق والعدل يتزايدان ، وهذه المشغولية والقلق يفوقان فى الواقع مقدرة الطفل العقلية على تحرى الصدق ، وما ينبغى لنا أن نفرضهما على الطفل بمناشدتنا لدواعى الشرف عنده فى قوة وعنف . وإحساسه بالملكية كذلك غير ناضج ، فهو يستولى على أقلام الرصاص والماحى وعلى صفارة معلمة الموسيقى كذلك لضبط آلاتها ببرود وعدم مبالاة قد تذهلنا إذا لم نكن ندرك ما فى خلق الأمانة من تعقد ، ولم يحن الوقت بعد لأن ندمغ معايبه ونقط الضعف فيه بالسرقة ، فلئن فاته أن يدرك أن الصفارة ملك لشخص آخر فذلك لأنه منهمك أشد الانهماك وأتمه فى إشباع رغبته فى امتلاكها ، وربما أمكنه فى مدى سنة أخرى أن يسقط شعور إشباع رغبته هذا على المالك الحقيقى فيدرك مشاعره ، وعند ذلك يميز التمييز الكافى من الناحية الثقافية بين ما هو لك وما هو لى ، ويقوى على تدبر وصية الكتاب المقدس « لاتسرق » .

ويستغرق نمو هذا الإحساس الخلقى بالمعانى بعض الوقت ، زد على ذلك أنه يجب علينا أن نتذكر ما عليه الثقافة العصرية وعملية التثقيف من تعقيد زائد . وبالإسقاط التمثيلى يتفهم طفل السادسة الثقافة ويتقمصها على صورة « أفعال » قبل كل شىء ، أما طفل السابعة فتكون إسقاطاته على صورة إحساسات ووجدانات بالإضافة إلى الأفعال ، فقد قارب أن يشعر بأهمية « الأفعال » بالنسبة لنفسه ولغيره ، ويعتريه نوع من الضجر والقلق الذى هو من علامات سنه ، فمهمته النمائية هى أن يكيف استجاباته الانفعالية وفق ما تقره الثقافة ومع ذلك يحتفظ بشخصيته ، وينبغى له أن يفهم الحياة انفعالياً وعقلياً كذلك . ويتجلى لنا كون ذكائه فى نمو على صورة استبصارات ، كما يتجلى كون حكمته فى نمو على صورة إحساسات بالمعانى .

وفى سن السابعة نلمح فيه آيات جديدة تدل على تعقله واعتداله ، وعلى قدرته الناقدة ، وطفل السابعة أكثر تأملا ، ويستغرق التفكير منه وقتاً ، كما أنه يهتم بالوصول إلى نتائج وبالنهايات المنطقية ، وفى إمكانك أن تتباحث معه وتحاجه قليلا حتى فى المواقف الأخلاقية الزاخرة بالانفعال ، أما هو نفسه فيستعمل اللغة بطلاقة أكثر وبتكييف أعظم لا لتأسيس صلات فحسب وإنما للتعقيب بتعليقات متلاحقة على مواضيع

الساعة ، وكثيراً ما تنطوى هـذه التعليقات على نقده لنفسه كقوله « لا يمكننى أن أفعل ذلك » أو « لا يمكننى أن أفكر فى الشىء التالى » أو « ربما انتهى الأمر على خير » أو « لم آخذ هـذا فى المدرسة » أو « أظننى أعرف » أو « لا أستطيع تصورها » أو « هل ينتظر منك أن تعمل ذلك ؟ » أو « انتظر دقيقة » أو « لقـد عجزت » أو « لابد أن أتأمل الأمر » أو « ماذا دهانى ! إنه معوج لا أستطيع عدْله » .

وعنـد ذلك يخرج المحاة ويمسح بها المرة تلو المرة الخطوط القوية التى خطها قلمه ، ويكاد سن السابعة ينعت بسن المحاة ، وفى بعض الأحيان يدمدم بكلمات تحط من قدره وهو يمحو شغله وينفخ ، ولـكنه رغم ذلك يكافح لتحسين نتائجه ، ومما يتفق وخلق سن السابعة أن يضفى على عباراته التى تحط من قدره مسحة من الأسى .

ومن أهم مايلازم هذا النضج هو المداومة والمعاودة[١]،وهو ميل الى الاستمرار فى سلوك يجلب الرضا وإلى تكراره ، فهو يصغى إلى المذياع باستمرار ويرسم صورة قادفة قنابل تستهويه ، يرسمها مرة بعـد مرة مع قليل من التغييرات . وهو يداوم الألعاب الناشطة والساكنة على السواء ، وما يشرع فى معركة صغيرة من المطاردة أو المصارعة حتى ينزع إلى المضى فيها من أعنف إلى أعنف إلى أن تفسد اللعبة . وهو أقدر على الامتلاء والتشبع منه على الانتقال والتحول ، فإذا لعب الورق أحب أن يواصل اللعب حتى يغـلب .

من هذه الاعتبارات جميعاً يتضح أن طفل السابعة تقـدم تقدماً طيباً فى تخطى ما يلازم نضج السادسـة من ميول نحو الاندفاع ونحو الأحداث العرَضية ، ومع أنه متركز حول ذاته فإنه ليس على تمام الاستغراق فيها ، فقد أخذ تفكيره يزداد اهتماماً إلى حد ما بصلته الشخصية بالمجتمع فصار هذا التفكير أطول أمداً وأكثر تسلسلا وأشد بتًّا وقطعاً ، وكذلك أكثر بحثاً وتقصياً حتى حين يختلى الطفل بنفسه ليقلب خبراته ويتأملها ويحيلها إلى إحساسات بالمعانى ، فقـد صار أقل ارتباطا وتقيداً بالـ « هنا والآن » أى بما هو فيه من مكان وزمان .

وقد أخذت حياته العقلية تشمل المجتمع بل والـكون أيضاً ، وأصبح لديه تنبه عن إدراك وفهم إلى الشمس والقمر والسحاب والحرارة والنار والقشرة الأرضية ،

---

(١) perseveration

فالسماء والأرض أخذتا ترتبطان فى ذهنه ، ففى السادسة كان يصور السماء برقعة زرقاء وأما الآن فإن رسومه تملأ الفراغ فتلتقى الأرض بالسماء ليتكون الأفق ، والناس الذين يسكنون الأرض يبدون عنده بما هو أقرب إلى المعانى الاجتماعية ، فهم رجل بوليس أو بقال أو رجل مطافئ الخ . ولابن السابعة اهتمام بالمجتمع يمتد ويتسع ، ويجب أن نقرر بصراحة تامة أنه لا يهتم كثيرا بثقافة الهنود الحمر البائدة حتى وإن استدعت خطته الدراسية دراسة مشروع[1] « الحياة عنـد الهنود » !

وقد أخذ طفل السابعة يصل إلى تعرف مكانه فى كل من الزمان والفضاء ، ففى استطاعته قراءة الساعة ومعرفة فصول السنة وأن يميز فى العادة شهره الجارى ، ومع أنه يستطيع أن يهبط بين زمن مخصص وعمل معين ، فلا يمكن الاعتماد عليه فى ملاحظة مرور الوقت فإن ما يتصف به من الاستغراق الذاتى يحول دون ذلك بغاية السهولة ، ولذا فهو بحاجة إلى التحذير مقدما ، وإن فاته ملاحظة الوقت أخذ يدافع عن نفسه بقوله « ولـكنك لم تُذكّرينى » ، فهو يحتاج إلى التذكير ويتوقعه منا .

ومع أنه يهتم بقصص الجن وخوارق الرجال وبحكايات السحر فقد أخذ يبدى اهتماما يكاد يكون علميا بالأسباب وبالأحوال ، وإنه ليضمر أو يصرح بما يساوره من تشكك فى صحة أسطورة سنتا كلوز (ولـكن بغير إفساد لما فى عيد الميلاد من مسرات وأوهام) . وهو يبـدى اهتماما بالإله وبالسماء فى تدبر ويسأل عنهما أسئلة محسوسة ، وقد أقلع عن فـكرة أن الإله يدفع السحاب فى كل اتجاه ، وأسرار الموت الغامضة لا تغلبه على أمره وإنما يظهر اهتماما ملحوظا بما يحتمل أن يكون سبب الموت .

ومع هـذا فلسنا نزعم أن طفل السابعة النموذجى دانيمركى مكتئب يتعمق فى التفـكير فى عجائب الحياة والموت المحيرة ، فهو يشعر بالحياة فى كل عضو من أعضائه ويأخذ أنفاسه بخفة كما يأخذها بشدة ، ويحب أن يتسلق الأشجار وأن يتدافع ويتعارك ويقع ويلعب لعبة العسكر واللصوص ولعبة الفدائيين ، ولا يُعنى بمنديله وفوطته ، وأربطة حذائه ، وله نوبات من النشاط ومن السخف ، وكذلك حالات من السهوم والتفـكير .

(١) يشير إلى طريقة الدراسة المعروفة بطريقة المشروعات .

ومع هذا فإن من الضرورى ونحن نرسم خطوط الصورة التركيبية لطفل السابعة أن نبرز من جديد التوترات الداخلية التى هى مفتاح نفسانيته . فهو فوق كل شىء فى مرحلة تمثّل ينشىء أثناءها توازناً صحيحاً بين ميوله الداخلية ومطالب الثقافة ، وهو يعىء لتلك المهمة رصيداً من الذكاء الفطرى ، ولكن العبء لا يقع عليه وحده فإن فى الثقافة كثيراً جداً من القيم المصطنعة والمتضاربة ، فهو بحاجة خاصة ماسة إلى هداية رشيدة مميزة تقدر حق التقدير ما فى حياته الداخلية التفكيرية من خفاء وغموض ، فما أسرع ما يُساء فهم طفل السابعة ، وما أسهل ما يُخدع .

ومع هـذا فهو يتمشى معنا إلى أكثر من نصف الطريق ، وهو سريع التأثر بالثناء ، حساس للاستهجان إلى حد ذرف الدموع ، والتعنيف والعقوبات البدنية بليغة الغلظة إزاء نسيج شخصيته الرقيق ، وما عدم نضج حاسته الخلقية إلا لأنها حديثة جداً ، على أنها ، كما تتجلى فى عملياتها بل حتى فى أنماطها الأولى المبكرة ، تشف عن حساسيات سيمارسها مرة ثانية فى سنى المراهقة .

سمات النضج

[لا يجوز أن تعد سمات النضج التالية معايير جامدة ولا نماذج تُحتذى ، فهى إنما توضح أنواع السلوك (المرغوب فيه وغير المرغوب) التى تنزع إلى الحدوث فى هذه السن ، فلكل طفل نمط للنمو فريد خاص به . وسمات السلوك الملخصة هنا يمكن استخدامها لتفسير فرديته ، ولتكوين فكرة عن مستوى النضج الذى يظلف فيه] .

١ — الخصائص الحركية.

النشاط البدنى

يبدو السابع أقل نشاطاً من السادس ، غير أن له انبجاسات فجائية من سلوك شديد النشاط ، وقليل من الأطفال يكونون أحدّ نشاطاً مما كانوا عليه فى السادسة ، كما أنه يوجد فى الطرف الآخر عدد قليل أقل نشاطاً بكثير جداً ، وربما بدا على أجسام ذوى النشاط الحاد حركات واهتزازات عصبية أو تشنجية .

والسابع أكثر حذراً فى مقاربته لكل عمل جديد ، ويبدى تنبهاً جديد للارتفاعات وحذراً عند التسلق وعند لعبه فى بيت من الشجر .

وهو يكرر أداء العملية مراراً ليتقنها ، وقد تغشاه اندفاعات طويلة الأمد فى نوع

من النشاط ثم يتركه فجأة ويتحول إلى غيره . وفى اهتمامه بدروس البيانو أو الرقص عنصر حركى قوى ، وربما صدرت مطالبه الحركية عن حاجة حقيقية ، ولـكنه ربما فقد اهتمامه بها فجأة شأنه فى المناشط الأخرى .

وتتبدى فى السابع ضروب من التطرف أثناء لعبه خارج المنزل فتراه أحياناً مندفعاً هنا وهناك يجرى قاذفا طيارة من الورق صنعها بيده ، وأحياناً أخرى يقنع بالتلـكؤ متحدثا أو مبادلا ورق اللعب أولاعبا لعبة المنزل .

والأولاد يهتمون بوجه خاص باكتساب المقدرة على استعمال القوس والسهم وعلى ضرب الـكرة بالمضرب ، وهما مهارتان تحتاج كل منهما إلى تعرف جديد وتفهم للوضع الجانبى حتى يألفه . والنجارة مشغلة حبيبة ، فالسابع يحب الشد والجذب أثناء نشره لوحا من خشب ، وقد يفضّل النشر على الدق بالشاكوش .

والبنات مشـغولات بنط الحبل ولعبة الأولى (النط برجل واحدة على خطوط مرسومة على الأرض) وتسرهن أيضاً لعبة المنزل وقطف الأزهار .

وثمة وضعة جسم حبيبة لدى الأولاد خاصة هى الانبطاح على الأرض مع الاتكاء على أحد المرفقين وتحريك الأرجل أثناء القراءة أو الـكتابة أو الشغل .

العينان واليدان

وضعة الجسم أو هيئته عند ابن السابعة أشد توتراً وأميل إلى جانب واحد منها عند ابن السادسة ، فهو يحتفظ بالوضع الواحد مدة أطول ويجلس ورأسه إلى الأمام وقد مالت نحو الجانب غير المتغلب الذى هو أشد توتراً وأكثر التصاقا بجسمه ، وكثيراً مايدلى رأسه على ذراعه الخالى وهو يكتب أو يصغى وربما أغمض وهو فى هذا الوضع إحدى عينيه .

والسابع شغوف بأقلام الرصاص والمماحى ، وينبذ الآن أقلام الشمع ويستبدل بها الأقلام الملونة ، وقبضته على القلم وإن كانت شديدة تنحل فجأة ولذا قد يقع القلم منه مرارا أثناء شغله .

وهو يهتم بالحجم النسبى للأشياء ولذا صار ارتفاع حروفه الـكبيرة والصغيرة أقرب إلى الانتظام وإن كانت تستدق باطراد كلما تقدم فى الصفحة التى يكتبها ، وهو يمثل الصور الآدمية فى رسومه بحجوم نسبية أدق وأصح من ذى قبل .

والسابع أقل من السادس انصرافا عما يفكر فيه بتأثير مايحدث حوله من حركات ، فسرعان مايستغرق فيما يفعل ويداوم الالتفات إلى مدى قريب منه ، وهو لايزال ميالا لأن يلمس ما تقع عليه عينه ولأن يتناوله بيديه .

٢ — الصحة الشخصية

الأكل

لأنماط الأكل عند طفل السابعة ذيول كثيرة تذكرنا بأنماط طفل السادسة ، ولـكن التحسن النسبى فى الطفل قد أجلته ملاحظة لأحد الوالدين : « إنه أقل إغاظة لنا مما كان فى العادة » .

الشهية : لاتزال شهية قليل من البنات فى مجموعتنا هذه ضعيفة ، يستمرئن طعامهن وهن فى انتظاره أكثر من استمرائه حين يقدم لهن بالفعل ، وهناك قليل من الأولاد على نقيضهن لهم شهيات هائلة فيُتندر بنعتهم « أولاد سمان » وهؤلاء الأولاد يحتمل أن يشكوا من تعب بالمعدة وخاصة إذا كانوا قد أفرطوا فى الأكل أو فى سرعة تناوله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرفض والتفضيل : يعبر السابع عن حبه وكرهه وإن لم يكن بنفس قوة تعبيره وهو فى السادسة ، وقد أخذ يتغلب على كراهياته لبعض الأطعمة بتعمد فرضها على نفسه ، وهذا عسير عليها ولكنه يهون نه بتعمده الإجهاز على الطعام المكروه فى أول الوجبة أو آخرها .

إطعام الطفل نفسه : يجيد السابع استخدام أدواته بدرجة وسط ، كما أنه أقل تعرضاً لتناول الطعام بالأصابع منه قبلا ، ويجد بالفعل صعوبة فى حمل بعض أصناف الطعام بالشوكة أو بالملعقة بغير استعانة بأصابعه الخالية ، وقد يستعين بعض الأطفال على ذلك بقطعة من الخبز المقمر ، وهناك آخرون يستخدمون آلة حقيقية لدفع الطعام ، ولكنهم لو خيّروا لفضل معظمهم استعمال أصابعهم .

آداب المائدة : السابع أقدر على تناول الطعام مع الأسرة ، ويعينه هدوءه العام على إحسان الجلوس بل ربما حمله على الاهتمام بالإصغاء إلى حديث المائدة وبالتحدث عن بعض ما مر به فى يومه من خبرات ، ومع ذلك فما أيسر ما يقطع عليه تفكيره ذكرُ شيء حدث خارج البيت ، وكثيراً ما يحمله ذلك على النهوض فجأة عن كرسيه والشخوص إلى النافذة ليرى بنفسه ما حدث ، وكثيراً ما يرغب فى أن يصحب معه إلى المائدة ما كان يشغل اهتمامه قبلها مباشرة كبندقية أو كتاب هزلى .

وهو بطىء فى المبادرة إلى المائدة ويستدعى الأمر عادة المناداة عليه مرة ثانية ، والأغلب أن يفضل الأكل وحده حتى يستطيع مواصلة قراءته أو استماعه للراديو ، وإذا كان على المائدة مع أخ أصغر فقد يتشاجر أو يتساخف جداً ليحمل أخاه على الضحك منه

ولا يتلكأ السابع بقدر ما يفعل السادس فإنه الآن أكثر مهارة ، هذا إلى اهتمامه بالحلو آخر الطعام ، ولذا فمن المستطاع حفزه إلى الأكل حتى ينتهى منه ، وكذلك حفزه لأن يصير عضواً فى « نادى الصحن النظيف » الذى ينتسب إليه الجنود ، ولكن لا يحفزه شيء بمثل القوة التى يحفزه بها صديق ينتظره فى الفناء الخلفى ليخرج إليه ويلعب معه .

ولا يزال السابع بحاجة إلى أن يُذكّر بغسل يديه قبل الوجبات ، وقد يقاوم ذلك بقوله « هل لابد لى من ذلك ؟ » ، على أنه يتدارك الأمر بنفسه إذا أتيح له الوقت الكافى ولم يعاوَد دفعه إلى الغسيل ، وهو يفضل أن تكون فوطته بجوار طبقه ويستعملها فعلا حسب الحاجة ، بل إنه قادر على التأنق إلى حد أنه يمسح وجهه وأصابعه فى ثنايا فوطته ، ولا يفوته أن يمسح وجهه ولكنه كثيراً مايقتصر على دفع جزيئات الطعام من الشفتين إلى الخدين .

النوم

وقت النوم : يظل وقت الذهاب إلى الفراش بين السابعة والثامنة مساء ، وبعض السوابع يمكنهم الاستعداد بأنفسهم للفراش حتى أنهم يستحمون بمفردهم ، ولكن معظمهم يحبون صحبة أحد الكبار يتخللها قليل من المساعدات والتذكيرات ، وأما الذين بلغوا من الاستقلال مايؤهلهم للاستعداد للفراش بأنفسهم فلايزالون بحاجة إلى استدعاء الأب أو الأم لإدخالهم فيه وتحيتهم تحية المساء ، ويميل البعض إلى الدردشة قليلا بعد أن تطفأ الأنوار وعندها يبوحون بأسرار ما حدث بالمدرسة ، إذا وعد الوالد أن لا يُخبر المعلمة .

وإنا لنستنير إذ نلحظ ما للفراش من أثر مهدىء على هؤلاء الأطفال بالذات الذين يرتعدون خوفا ويدركون أنهم لا يستطيعون

النعاس بسرعة ، فنهم من يغنى أو يكلم نفسه كما لو كان اثنان يتحادثان ، وآخرون يصغون بانتباه ليسمعوا حديث الكبار وليفسروا أصوات ما يحدث فى البيت من تحركات .

ويقرر بعض الأطفال أن الأفكار تدور فى رؤوسهم دورانا شديداً كما لو كانت أسطوانة جراموفون تتحدث عن الوحوش واللصوص ، ومما يساعد على تبديد هذه الأفكار إلى حين القراءة أو الاستماع لمن يقرأ . وبعض الأطفال تتراءى له صور مضحكة أثناء إستسلامه للنوم ، كما أن بعضهم الآخر تتراءى له صور عجيبة فى انعكاسات الأنوار أو فى الظلال التى تحدثها للأشياء أو فى الثياب المعلقة على أحد الكراسى ، ويفسرون كل هذه الأشكال بأنها أشباح أو جواسيس . وقد يكون السابع لا يزال يرغب فى أن يأخذ معه إلى الفراش شيئاً عزيزاً عليه سواء أكان بندقية أو دبة أو برلس حمام قديم .

الليل : يسكن السابع لفراشه نوعاً من الحب بل ربما تولدت عنده عاطفة شديدة بالنسبة له ، ونومه جيد ، فتقرر الأمهات أن طفل السابعة « ينام كالكتلة » أو أن « الصفارات الشديدة نفسها لا توقظه » .

ومع أنه قد تطوف به أفكار مقلقة قبل النعاس فلم تعد الكوابيس تنتابه بكثرة ، وكذلك انقطع قضاؤه الحاجة ليلا أو كاد ، والذين لا يزالون يقومون ليلا يتولون الأمر بأنفسهم دون أن يوقظوا والديهم .

الصباح : ساعة الاستيقاظ الغالبة هى السابعة صباحاً ، وقد تمتد لحسن الحظ إلى الثامنة أو ما بعدها فى أيام الآحاد ، ويستيقظ السابع من تلقاء نفسه بل ربما بلغ به الأمر أن يتعمد الاستيقاظ مبكراً ليقرأ أو ليكون أمامه وقت أطول ، ويجوز أن يرتدى ثيابه بنفسه كابن السادسة ولكنه لا يزال بحاجة إلى قدر كبير من التذكير .

الإزالة (قضاء الضرورة)

الأمعاء : يثبت كل طفل إلى حد ما على الوظف فى وقته الخاص المضبوط ، والأوقات العادية لذلك هى بعد الغداء أو فى ساعة الأصيل المتأخرة ، وقليل منهم فقط يستطيعون أداء هذه العملية بسهولة فى المدرسة ، والمأثور عن طفل السابعة أنه يستطيع الصبر عن وعى حتى يصل إلى البيت ، وهو يبدى بوضوح ضبط النفس فيما يتصل بقضاء الضرورة وكذلك فيما يتصل بكثير غيرها من الوظائف .

المثانة : هذا هو السن الذى يتجلى فيه احتجاز الطفل للبول فترة طويلة حتى لقد يحتاج الأمر إلى تذكيره بدخول الحمام قبل الذهاب إلى المدرسة فى الصباح مع أنه لم يذهب إليه منذ الليلة الماضية ، وقد يؤجله طويلا حتى يضطر للاندفاع إليه كالمجنون ، والأطفال الذين يحتاجون إلى القيام ليلا يقل عددهم ، وإذا قاموا اعتمدوا على أنفسهم اعتماداً تاما .

وفى معظم الأحيان لا يكون هناك تنبه كبير إلى عملية قضاء الضرورة أو إطالة البحث فيها ، وقليل منهم يعبرون عنها بفكاهات سخيفة عن التبول كقولهم « إن ملك فرنسا بلل سرواله » . . .

الحمام والملبس

الحمام : لا يزال بعض السوابع يكره الاستحمام ، ولكن جرت العادة أن تقل المقاومة كثيراً عما كانت عليه فى السادسة ، ويجد السابع صعوبة فى أن يبدأ ولعل ذلك هو السبب فى أن أمه تصب له الماء عادة لتستدرجه إلى الاستحمام ، فما أن ينزل إلى

الحوض حتى ينعم به ، وفى إمكانه أن يغسل جسمه غسلا كاملا إلى حد لا بأس به ولكن البعض يعتبر العملية كلها عبئاً ثقيلا ، وهو بحاجة إلى من يراجعه بعد الحمام إذ أنه عرضة للتلكؤ والاستسلام للأحلام أو إلى تصور قطعة الصابون زورقا ، فمثل هذا الطراز من الأطفال يحتاج إلى عظيم التذكير وبعض المساعدة ، والخروج من الحوض بعد أن يتم كل شيء لا يصعب عليه فى العادة .

والسابع سريع بدرجة معقولة من حيث غسل وجهه ويديه قبل الأكل إذا هو سمع أمه وهى تذكره ، ويجب أن تتأكد الأم أنه قد سمع ولا حاجة بها لأن تنزعج إذا أجاب بقوله : « وهل يتحتم على ؟ » لأنه ينفذ طلبها على الرغم من هذا الاحتجاج .

اللبس والعناية بالثياب : لا يبدو على السابع عجز فى ارتداء ملابسه إذا ما سوعد فى البدء ، أجل ان لديه ميلا كبيراً إلى التلكؤ أو التلهى بما فى حجرته من أشياء أو بما فى رأسه من أفكار ، فقد تراه بعد أن لبس جورباً واحداً يتجول فى أرجاء البيت سائلا عن أسلاك التليفون أو عن عدد الولايات التى فى الاتحاد الأمريكى ، وفى إمكان بعضهم الانتقال فجأة والتركيز على ما يتخيلونه من أنهم رجال مطافئ يؤدون واجبهم ، وآخرون خير ما يحفزهم هو تقبل مساعدة الأب المباشرة ، فإذا لم يتحقق الحفز بأية وسيلة أضاع الوالدون طاقة كبيرة فى التعنيف وفى التوتر الانفعالى .

ولا يزال قليل جداً من الأطفال بحاجة إلى المعونة فى جميع مراحل اللبس ، وفى إمكان الوالدين عادة توقع استقلال الأطفال فى لبسهم ورسم الخطة لذلك فى مدى عام آخر

وثمة صعوبة أخرى فى اللبس ، عدا الحاجة إلى دس الأطراف المدلاة أو حشرها ، وهى ربط أربطة الحذاء ، فطفل السابعة يمكنه ربطها ربطاً متيناً ولكنه فى العادة يدور فى كل مكان وهى غير مربوطة ، فهذه هى الصعوبة القديمة أنه « يستطيع ولكنه لا يفعل » ولذا كان من الحكمة مطالبته بالقليل ولكن بغير مغالاة ، والخطة المثلى أن نزوده بأربطة طويلة تكفى لأن يربطها عقدة مزدوجة ، وفى الإمكان تحميله مسئولية ربطها أول مرة فى الصباح وبعد ذلك يكون فى حاجة إلى المعونة بقية يومه إذا انحلت أربطته أو إذا كان قد خلع حذاءه ويريد أن يلبسه ثانية ، وكما كان الحال مع طفل السادسة ترى كثيراً من السوابع يفضلون خلع أحذيتهم فى اللحظة التى يدخلون فيها البيت .

وكثير من السوابع لا يحفلون بالملابس كثيراً ، فهم يحبون ارتداء الملابس القديمة ويكرهون أن يبدلوها بأخرى جديدة ، كما يحب البنات ارتداء نفس الفستان أياماً متعاقبة ، وهن يصببن جام كراهيتهن على المنديل الصغير البرىء (ولكنهن يقبلن بدله قطعة من القماش يمكن رميها) ، ويندر فيهم من يطالب باختيار ثيابه بنفسه إذ يرضون على وجه العموم بما أعدته لهم الأم .

وطفل السابعة عرضة لأن « يعلق ثيابه على الأرض ! ! » ملقياً إياها حيث يكون ، فإذا ذُكِّر وضعها على كرسى وإن كان يفضل لو فعلت ذلك أمه ، ولعلها هى أيضاً تفضل ذلك وإلا اضطرت إلى أن تفرز كومة مكدسة من الثياب قد ألقاها على الكرسى .

وفتوق الثياب شائعة فى هذه السن ولا يُبلغ عنها فى العادة إلا إذا كانت واضحة للعيان . وبعض البنات يحببن تلميع أحذيتهن (وخاصة إذا كن ينتمين إلى « فرقة صغار المرشدات ») .

وقد أخذ الأولاد فى الاهتمام بتمشيط شعورهم بأنفسهم ، ويبذل البنات فى هذا

السبيل جهداً محسوساً إن لم تكن لهن ضفائر ، وتحويل النشاط بتلهيات وبأوجه نشاط كن يتلهين بها أثناء تضفير شعورهن فى السادسة يمكن الالتجاء إلى نظائره فى السابعة وما بعدها .

الصحة والشكايات الجسدية

تسلس الحياة فى السابعة وتصبح لدى الكبار أدنى إلى التعقل والفهم من ذى قبل ، ولا يزال لدى السابع نصيب لا بأس به من الآلام العضلية وغيرها من مثيلات المتاعب التى كان يلقاها فى السادسة ، ولكنها على ما يظهر بجلاء ذات صلة بعوائق معينة ولذا لا يصعب إخضاعها للضبط ، وقد يظل السابع يشكو من آلام عضلية وخاصة آلام الركبة ولكن هذه يمكن تخفيفها سريعاً بالتدليك ، بل لعلها تختفى بمعجزة إذا آوى الطفل إلى فراشه .

وإصابته بالبرد أقل منها فى السادسة . وتكون أقل شدة وأقل تعرضاً للمضاعفات ، والحصبة الألمانية والغدة النكفية أكثر أنواع الأمراض المعدية شيوعا ، وكثيراً ما يظهر أيضاً الجدرى والحصبة .

والسابع أفصح تعبيراً عن شكاياته من السادس ، ولا يزال لشكاياته أساس من الصحة ، وكثيراً ما يشكو من أنه متعب على العموم وخاصة فى نهاية فترة الدراسة بعد الظهر ، ويحل به التعب بسرعة إذا ما طلب إليه أن يعمل شيئا . والمغص المرتبط بالمدرسة أقل شيوعا ، ويحدث فى الأغلب بعد تناول أكلة ثقيلة أو قبل قضاء الضرورة ، وهو فى السابعة أدنى إلى الشكوى من الصداع منه فى السادسة ، وخاصة عقب التهيج الزائد عن الحد .

واحتقان الغشاء المخاطى الذى لوحظ فى السادسة أيضا قد يؤدى إلى دعك العينين بعنف فى سن السادسة والنصف إلى السابعة ، وقد يخفف استعمال غسيل العيون أو القطرة بحكمة من الأكلان ويقلل الدعك ، وبذلك يقلل من احتمال إصابة مجرى الدموع بالعدوى ، وربما دلت هذه الأعراض على أن الأعين تكلف فوق ما تطيق ، وينبغى معاملة مثل هؤلاء الأطفال كما لو كانوا فى السادسة أكثر منهم فى السابعة .

وثمة شكوى شائعة من قبل الأمهات وهى أن الطفل أصم ، ولكن الكشف عليه يبين أن سمعه جيد ، بل ربما كان سمعه أحسن منه فيما سلف ، فالصمم الظاهرى يرجع إلى انتباهه ، فهو يسمع إذا انتبه ولكن لما كان مستغرقا فى مناشطه إلى حد كبير فإنه لا يحول انتباهه بسرعة ، وهو أحسن استجابة لصوت جرس أو لتغيير ملحوظ فى نغمة صوت الأم أو لهمسة أو لكلمة سحرية أو للصفير .

متنفسات التوتر

لما كان السابع مشغولا بمناشطه الخاصة وأفكاره الداخلية ، فإنه أكثر هيمنة على شئون حياته ، وهو أقل تلعيبا لوجهه لأنه « أكثر سيطرة على عضلات وجهه » ، ويعود إلى حفر الأنف وقضم الأظافر ، وخاصة إذا أصابه برد أو مرض ، وقد لا يصاب بالتمتمة إلا إذا كان المثير قويا كاشتعال النار فجأة فى بيت ، وإذا عاد إلى مص أصابعه (وهو أمر قد يحدث خاصة لقليل من الأولاد) فإنه يرغب بنفسه فى الإقلاع عن ذلك وفى تلمس معاونتنا فى إيجاد وسائل للتغلب على هذه العادة ، وربما كانت إشارة بعيدة ، كمجرد ذكر اسم الطفل ، كافية لتذكيره بإخراج أصبعه من فمه ،

وربما كانت الطريقة الأفضل هى خلق هدف له أو رصد مكافأة تمنح كل ليلة (كخمسة مليمات مثلا) جزاء له على النجاح فى ضبط نفسه ، فامتلاك المال اللازم لشراء قبعة الطيار حافز أقوى بكثير من مجرد العمل للحصول على قبعة طيار .

ويميل السابع إلى تحريك الأسنان المتخلخلة ، وإلى كثرة الحرك أو التململ ، وربما واصل التعلق ببعض الأشياء التى تبعثه على النوم كالحيوانات المحشوة أو البطانية ، ولكنه الآن قادر على التخلى عنها بسهولة ما بفعل حافز جديد قوى كقريب عزيز يقضى عطلة الأسبوع بمنزله ، فإذا ما تخلى عنها فى عطلة الأسبوع فلعله يستطيع بعد ذلك الإقلاع عنها بالفعل على الدوام .

٣ — التعبير الانفعالى

تتخذ حياة الطفل فيما بين السادسة والنصف والسابعة طابعاً أكثر جدية وأكثر تفكيراً ، فإنه يصير أكثر ارتداعا وأشد انضباطا وأعظم تنبها لغيره من الناس ولعلاقاته بهم ، ويصح أن يكون قد داخله فى السادسة شىء من القلق بالنسبة للسماء والموت ، أو بالنسبة إلى سعادة أمه وسلامتها أو خطورة صعق البرق لها أو انحباسها فى الحمام ، فإذا بلغ السادسة والنصف فربما شغلت باله وأقلقته صحة والده أو أطفال المدرسة ، لكنه إذا بلغ السابعة شغل بنفسه فوق ما عداها ، فيساوره القلق لأن السنة الثانية ستكون صعبة جداً عليه ، وإذا صدر منه الفواق (الزغطة) مراراً وتكراراً خشى أن يدهمه الموت ، أو إذا أدمن على دعك عينيه طويلا خشى أن يصيب مقلته شر (ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن يكف عن الدعك) . وقد بدأ يتمكن من أن يضع نفسه فى موضع غيره من الناس أو بعبارة أصح أن يتقمص فى نفسه تجارب غيره ، وذلك هو السر فى عظم تأثره بالقصص المحزنة أو ببرامج الإذاعة أو بروايات السينما المؤثرة . وبعض مختلقاته عن مغامراته يتضح أنها أحداث حقيقية حدثت لطفل آخر وأنه يعتقد أنها حقيقية بالنسبة له ، وإلا لما بعثت فيه مثل هذه الاستجابة الواضحة القوية .

وأول ما يبدو على السابع فى المواقف العسيرة ميله إلى الانسحاب منها بدلا من البقاء والمقاومة كما يفعل السادس ، وبهذا الانسحاب يحمى السابع نفسه ، فتراه يضع يديه على أذنيه ليصمها عن الأصوات العالية ، ولا يلتفت فى الواقع التفاتاً كافياً لسماع أمه حين تنادى عليه ، وإن كان يسمعها إذا زعقت أو همست أو غيرت من طريقة مقاربتها العادية على صورة ما . وإذا وجهت إليه أسئلة فالغالب أن يجيب بقوله : « لست أدرى » أو « لم آخذ ذلك بعد » ، وإذا طلب إليه أن يعمل شيئاً فربما قرر أنه متعب جداً أو أنه لا يحس « بميل إليه » ، فالثقة بنفسه تعوزه إلى حد أنه لا يرغب حتى فى مجرد المحاولة .

ومع أنه قد يهاجم أمه بقوله « أنت دون » حين توبخه أو حين تواجهه من قبلها مصاعب إلا أن الاحتمال الأرجح هو انصرافه عنها فى كآبة وكد أو اندفاعه إلى غرفته وإقفال بابها بشدة وعنف ، وإذا لم تسر الأمور على الوجه الصحيح أثناء لعبه مع أصدقائه فقد يؤثر اللعب بمفرده أو لعله ينفلت من المشهد بخيلاء قائلا « سأتركم » ، وإذا سارت الأمور فى المنزل على غير ما يهوى فقد يقول « لا يعاملنى أحد بالعدل ولذا سأفر بعيداً » . وقد يبلغ به الأمر أن يحزم أمتعته ويخرج بالفعل من الباب الخارجى

ولكنه لا يتجاوز فى العادة السلم الأمامى أو بضع منازل فى الشارع . وقليل من السوابع الذين يفسرّقون من الحياة بصفة عامة على ما يبدو ويكرهون بالفعل أن يكبروا وينموا ، ويفرون من المطالب الجديدة التى يفرضها عليهم النمو .

ولا تزال تُلم بالسابع لحظاته من المقاومة أى « نوباته السيئة » ، إلا أن هذه لا تكون لمجرد المقاومة فقد يقول « جرب إذن إرغامى » ، ولكن الأغلب أن يتلمس السبب فيقول « لماذا يكون لزاما على ؟ » ، وإذا كان قد أقام الدنيا وأقعدها فى مقاومة طلب أصدر الوالد على تنفيذه فإنه يفكر فى الأمر بعد ذلك ويعجب لماذا بلغ به الحق هذا الحد ، ويكون غضبه فى الغالب منصبا على نفسه لما يفرط منه من أفعال ، وقد يقذف بكتاب إذا لم يستطع قراءته أو يكسر شيئاً إذا كان قد جرح نفسه ويجوز أن يقذف بعض الأطفال الآخرين بالحصى وهو يغادر المشهد أو المسرح ، ولكن يندر أن يعود فى هذه السن إلى مهاجمة أحد والديه ، فقد تكونت لديه مكنيات أفعل وأقوى لإعادة الاتزان والاستقرار ، فإذا أنزل به نوع ما من التأديب فالعادة أنه يقبله وإن على مضض . وهو يستشعر أشد الضيق وأعمقه إذا حبس فى غرفته أو إن فرض عليه النوم مبكراً .

فإذا بكى فإن دواعى بكائه تكون ذاتية أكثر من ذى قبل ، يؤسفه ويؤلمه أن تفسد إحدى آلاته فلا تشتغل ، أو لأن ما كان يعمله لم يبلغ الجودة المرجوة . وهو يبكى لأنه يظن أن الناس لا يحبونه ، ومع أنه أحسن تقبلا للهزيمة من ذى قبل ، فإنه يحب أن يفوز فى النهاية ، فاذا تراكمت متاعب الحياة فى طريقه أكثر مما ينبغى فإنه ينفجر آخر الأمر بالبكاء ، كما يبكى أيضاً إذا أصابه أذى فى جسمه ، ومن عادته أن يحاول ضبط بكائه ولا سيما إذا خشى أن يراه أحد ، بل لقد يبلغ به كمال الضبط إلى حد أن يكتفى بقوله : « أحس برغبة فى البكاء » .

ومع أنه أقل بكاء فإنه أكثر صراخا ، فقد حل محل الضجيج العام والفوران الحركى الكبير فى طفل السادسة إصدار أصوات عالية وصراخ وصيحات جنونية من آن لآن ، فابن السابعة يزعق فى إجاباته على أمه وكذلك فى انتقاداته على الحياة بوجه عام قائلا « ليس هذا عدلا ! » ، وهو يعبر عما تفيض به نفسه من حيوية وابتهاج بنفس الأسلوب من ارتفاع الصوت .

وأهم ما يواجه السابع من صعوبات فى علاقته بالناس ، يكون فيما بينه وبين الأطفال الآخرين بما فيهم إخوته ، فهو يتعارك ويعارض ولكن فى الإمكان حفزه إلى كبح النفس بالتلويح له بتوقع مكافأة إذا حسّن سلوكه ، وربما كان انتهاج خطة لفصله عن غيره وإعطائه فرصة أكبر للعب خارج المنزل مما يعينه على تحقيق هدفه .

ويتخذ السابع لنفسه أهدافا أعلى من طاقته ، فهو ينشد الكمال ولا يحضر معه إلى المنزل إلا أوراق امتحانه التى يحصل فيها على النهاية الكبرى ، ويساوره هم وقلق شديد بل خزى من جزاء أخطائه ، وقد لا يلقى التصحيح منه قبولا حسنا ويحاول أن يوارى أخطاءه بقوله « ذلك ما كنت أعنى » أو « هذا ما كنت على وشك أن أفعله » .

ومع أن السابع يجد صعوبة فى أن يبدأ الأشياء فإنه ما يكاد يبدأ شيئاً حتى يستبد به الإصرار والتلهف ويرى من واجبه أن يتمه ، ولكنه لا يعرف الوقت المناسب للتوقف ، وذلك لأن عقله «يتوه ويشرد باستمرار» . وإذا لم تكن فى يديه مهارة وكان فى لسانه طلاقة فإنه يبدى اعتماداً كبيراً على التحدث

ويشعر بالحاجة إلى شخص يحادثه ولا يكف عن الكلام طول اليوم ، وقد يستيقظ وهو يتكلم ولا يستطيع أن يقف عن التفكير ويثابر فى إصرار على توجيه أسئلة لاعداد لها ليؤيد تفكيره .

والسابع حى الضمير يأخذ مسئولياته مأخذ الجد حتى على الرغم من أنه يكون أحيانا غير متأكد تماما مما هو مسئول عنه ، وهو يحب أن يضع خطة ليومه أى ماذا ينتوى أن يفعل ، وقد يلذ له استعماله خريطة تهديه إلى هدفه ، وقد أخذ يصير مفكراً متبصراً مراعياً حريصاً على بعث الرضا والسرور . وهو أقل أنانية وأحسن مشاركة . يريد ويحاول أن يكون طيباً ، وأن يتعرف على مكانه فى مجموعة الأسرة ، ويبدى فى اعتزاز تنبهاً لنفسه ولأسرته ، ويفخر بقدراته وبطيبته وبممتلكاته من منزل وأسرة وهذا التنبه يجعله أيضا أكثر نقداً لنفسه حتى أنه فى إمكان بعض السوابع أن يضحكوا من أنفسهم أو أن يقولوا إذا عز عليهم النوم « لست أدرى ماذا جرى لى » .

وعلى الرغم من أن الحياة أطوع للسابع إلى حد لابأس به فإنه الآن بدأ يحس بقوى خارجة عن إرادته « كالحظ الحسن والحظ السيء » كما أنه ميال على وجه العموم إلى الاعتقاد بأن « سوء الحظ كله » من نصيبه . وقد أخذ السحر أيضاً يتجسم له سراً مجهولا يأخذ بالألباب ، وربما يتخيل وهو متعب أن عربة تحمله من المدرسة إلى البيت ، وقد يتصور أن هناك آلة موسيقية تعزف أنغاما عجيبة مدهشة .

٤ — المخاوف والأحلام

المخاوف

تتمركز مخاوف السابع حول ذاته ، أى دخيلة نفسه ، نفسه التى تعمل بدافع تلقائى ، وهو الآن أملك لعتاده السلوكى إلى حد يجعله قادراً على حماية نفسه بقدر عجز السادس عن ذلك ، فالسادس يقفز مندفعا فيجد نفسه على عمق لا قبل له به ، أما ابن السابعة فيتردد مفكراً قبل أن يقدم ، فما بداخله من خوف وقلق ينفعه لما فيه من حماية لذاته .

ومع أنه لا تزال بالسابع بقية متخلفة من مخاوف لم يتحلل منها فى السادسة فإنه يعالجها الآن معالجة أخرى ، فلعله لا يزال يرغب فى بقاء والديه بالبيت مساء ولكنه يستطيع أن يستسلم لغيابهما بمجرد تغلبه على العقبة الأولى .

ويتحدث الناس بأنه يجمع بين الجبن والشجاعة ، وهما كلمتان تشيران إلى القدرة على ضبط النفس أو العجز عنه ، والسابعة سن تستطيع البيئة فيه استغلال شجاعة الطفل ولكن الشجاعة تحتاج بدورها إلى مناصرة البيئة لها ، ولا يمكن أن تترك وحدها بغير عون إلا بعد أن يكون الطفل قد بدأ بداية حسنة وانطلق فى طريقه .

والآن تتحلل كثير من المخاوف التى لم تكن قد تحللت من قبل ، كالخوف من كرسى طبيب الأسنان ، أو الخوف من العوم والوجه تحت الماء ، أو الخوف من غسل الشعر ، فكل هذه المواقف قد صارت أكثر انصياعاً للسابع ، فهو يعرف ما يفعله طبيب الأسنان ويعلم أنه يستطيع أن يرفع يده إذا شعر بالألم ، كما أن فى استطاعته الآن وهو تحت الماء حبس أنفاسه وعدم الاستنشاق كما كان يفعل من قبل ، وقد يستطيع أن يغسل شعر رأسه وأن يمنع الصابون عن عينيه وأن يضبط حرارة الماء الذى يصب على جلدة رأسه .

ولكن هناك عدداً من المواقف لا سلطان للسابع عليها ، فهو لا يرغب فى أن يمارس بنفسه المواقف الجديدة ، فالصيف نفسه قد يقضيه مكتئبا لتهيبه من السنة الثانية وعمله المدرسى يخشاه لأنه لا يعرف كيف يبدؤه ويخشى أن يغلبه الخجل أو يسخر منه الناس ، كما يخاف العقوبة البدنية بل ربما خاف أن « تقسو عليه أمه » قسوة معلمته .

وقد أخذ الفضاء والزمان يبدوان له الآن بمعنى جديد ، فربما أخافته الأماكن العالية والانطباعات البصرية غير المألوفة . والبدرومات يتخيلها مأهولة بكائنات عجيبة ، والفجوات بين سقوف الغرف والسطح المائل مأهولة بالأشباح ، بل إن مخدعه نفسه قد يتصور فيه جاسوساً ألمانياً ، وتتشكل الظلال وتتخذ لها معانى ، وملابسه الموضوعة على ظهر أحد الكراسى قد تبدو له فى الضوء الخافت بعد دخوله الفراش كأنما هى شبح مخيف ، وقد يأخذه الخوف من خياله هو لعجزه عن فهمه وتفسير حركاته الفجائية ، وبالرغم من أنه يحب لعبة الكوخ مع عصابته ، فقد يرعبه رعباً قاتلا الباب المسحور الذى فى الكوخ .

وفى مقدور السابع مع ذلك أن يساعد على ضبط مخاوفه ، فهو يحمل أخته على الذهاب معه إلى البدروم ويقول لها فى تأدب « السيدات أولا » ، وهو يسلط كشافه الكهربائى على الجاسوس الألمانى بمخدعه ويبدده تبديداً ، ويدعو أمه لتحلل الشبح بحجرته ، ويسعد بما يتحقق له من أن الشبح لم يكن سوى ملابسه التى فوق الكرسى .

والطفل الذى يستبد به الخوف إلى أقصى حد من التأخر عن المدرسة فى السابعة ربما كان هو نفسه بالفعل ممن لم يجرب التأخر قط ، وهو فى العادة من ذلك الطراز من الأطفال الذين لا سلطان لهم على مكنية التوقيت فى دخيلة أنفسهم ، وهو لا يصادف الصعوبة فى التوقف فحسب — فهو يستمر إلى ما لا نهاية — وإنما يجد الصعوبة أيضاً فى أن يبدأ . ومن الخبرات القلقة أن يعيش المرء مع طفل فى السابعة يشتد خوفه إلى أقصى حد من التأخر عن المدرسة ، فإنه قد يستيقظ فى السادسة صباحا ويصيح بوالديه « أحان وقت النهوض ؟ » وتتكرر هذه العبارة من آن لآن ، وربما أعانه على التغلب على ما يساوره من قلق أن يضبط المنبه لإيقاظه .

وبمجرد استيقاظه يسارع إلى ثيابه فيرتديها ويسارع إلى التهام فطوره ثم ينتظر ، ويعود فيصدّع والديه بعبارة أخرى لا يفتأ يرددها « هل حان وقت الذهاب ؟ » وربما لا يخفف من قلقه حتى تأكيدنا له أن والده سيصحبه معه فى سيارته إلى المدرسة ، وفى خلال العشر الدقائق الأخيرة قبل خروجه يستبد به قلق يرتجف له جسمه كله حتى يضطر إلى دخول الحمام ثلاث مرات على الأقل بل ربما استدعى الأمر قضاء الضرورة ، وأخيراً ينطلق فى السيارة ثم يندفع مخترقا الملاعب حتى يعبر فى النهاية عتبة غرفة دراسته فيستشعر فى الحال الهدوء والطمأنينة ، ولا يُظهر لمعلمته أدنى إشارة إلى ما قاساه فى الساعتين والنصف الأخيرة .

هذا الطراز من الأطفال قد يظل يبدى بعض القلق حتى ولو لقى أحسن معاملة ولكن فى الاستطاعة مساعدته على تحسين ضبطه لنفسه ، فيجب أولا ألا يكلف بالحضور إلى المدرسة فى الميعاد بالضبط ، فحاسة الزمن عنده لا تزال نسبية فقط ومن ثم يجب أن يكون حضوره إلى المدرسة منطويا على شىء من النسبية ، فإذا لم تستطع المدرسة تهيئة

هذا الطراز من المعاملة وجب أن نساعدة بواسطة أحد مهماته على اجتياز الفترة التى بين المدرسة والمنزل ، وربما أحدثت الأثر المطلوب قراءة كتاب فى الكهرباء ، ولا سيما فى العشرة الدقائق الأخيرة ، قبل الخروج الى المدرسة ، ثم إنه يصح أن يأخذ الكتاب إلى المدرسة ويُريه معلمته التى نرجو أن تستجيب لذلك باهتمام

وكما كان الحال مع السادس قد تبعث فيه المخاوف بعض المثيرات فى الكتب المضحكة أو فى الروايات السينمائية الهزلية كالقصص التى تحكى عن فتح الأدراج والعثور على جماجم فيها ، وهذا هو السبب فى أن الطفل لم يزل بحاجة إلى إشراف كبير ولا سيما إذا كان من أولئك الأطفال الذين لا يستطيعون أن يحموا أنفسهم كثيراً والذين يقعون فى مآزق لا يستطيعون الخلاص منها بأنفسهم

الأحلام

أخذت الأحلام ، أو التبليغات عنها على الأقل ، تتناقص فى السابعة ، وكذلك تكون الكوابيس والأحلام بالحيوانات فى تناقص ، فلم يبق إلا قليل من الأطفال يحلمون أحلاما كريهة عن مطاردة بعض الناس أو الوحوش لهم .

وأغلب أحلام السابع عن نفسه ، فإنه يرى أحلاما مدهشة فيها يطير أو يطفو سابحا فى الهواء أو يغوص فى أعماق المحيط ، وقد يحلم بمواقف حرجة كتبليل الفراش (الذى قد يتفق حدوثه مع تبليل فعلى للفراش) أو بضياع سرواله فى طريقه إلى سيارة المدرسة ، وربما رأى فى المنام أيضاً أنه انقلب إلى الجنس الآخر انقلابا واضحاً لا لبس فيه . وقد يحلم ولد بأنه يصعد السلم عاريا من الثياب وأن حلمتيه قد كبرتا بشكل فاحش .

وللسابع فى الأحلام محادثات طويلة مع الجواسيس والطيارين وأناس غير معروفين له . وبينما هو يتكلم بصوت جهير تصل إلى مسامع الإنسان نتف من الحديث تدل على أنه يشعر بأنه لاريب مشتبك وغارق فيه ، فربما قال « إنه أنا » أو « ما أظنك بحاجة إلى حرس خاص » .

وقد تتسبب له بعض الأفلام وبرامج الإذاعة فى أحلام كريهة ، ومن ثم لا يزال بحاجة إلى إشراف كبير أثناء اختياره لما يرى من الافلام وما يسمع من البرامج .

٥ — الذات والجنس

الذات

يصير السابع أكثر تنبها إلى نفسه ، فكأنما هو يقوى ويبنى إحساسه بنفسه عن طريق استيعاب فكر أو انطباعات مما يرى ويسمع ويقرأ وتقليب الأمور وتأملها فى تفكراته الخاصة ووجداناته . فإذا بلغ الثامنة فقد يستجرج عتاده هذا ويسلطه على العالم الخارجى ويجربه على البيئة المحيطة به ، أما فى السابعة فمن أخص خصائصه أن يجلس وحده فى سكون يقرأ أو يُصغى إلى الراديو ويُدبر خُطة لما ينتوى أن يفعله ، كل ذلك على الرغم مما يبدو فى ظاهره من جرأة صاخبة وعدم اكتراث ، ومن جرى فى ثنايا البيت يصحبه زعق وقفل للأبواب بعنف .

والتنبه إلى الذات عند بعض السوابع ينصب بقوة على الذات المادية . فالسابع متنبه لجسمه حساس فيما يتصل بكشفه للعيان وبخاصة للجنس الآخر ، وقد يأبى الذهاب إلى المرحاض بالمدرسة إن لم يكن له باب ،

ويكره أن يلمسه أحد . والبنات متنبهات بوجه خاص لنسق تصفيف شعرهن ، وربما خشين فضلا أن يفقدن شخصيتهن أو على الأقل ألا يعرفن إذا قطعت ضفائرهن . .

ومعظم السوابع يساورهم القلق بشأن أعمالهم . فيستحيون من أخطائهم ومخاوفهم ويشعرون بخجل شديد إذا رآهم الناس يبكون ، وهم شديدو التنبه جداً إلى ما قد يظنه الآخرون بهم ، حريصون على ألا يعرضوا أنفسهم للنقد ، وهم يطأطئون الرأس في مسكنة إذا ضحك الناس منهم أو استهزأوا بهم .

ومن الوسائل التي يحمي بها السابع نفسه على أحسن وجه انسحابه من أي مشهد أو مسرح للأحداث لا يرضيه . وقد يخالط انسحابه نفور من النضال الجثماني ، وليس هذا هو السن الذي يُعلم فيه الطفل كيف يدافع عن نفسه عن طريق دروس في الملاكمة ، ولعله إذا بلغ الثامنة دافع عن نفسه من تلقائها ، أما في السابعة فإنه يحتاج إلى من يعينه على الانسحاب وإلى من يحميه .

والسابع جاد فيما يختص بذاته وبالمسئوليات التي قد تلقى على عاتقه ، وبخاصة إذا كانت مدرسية أو مسئوليات أخرى بعيدة عن البيت ، وهو يفكر ويتكلم جديا عن فكر وتصورات من أمثال الحكومة ، والحضارة وما إليها ، وليس السابع جاداً فحسب ولكنه كذلك حذر حريص في المناشط الجثمانية وفي المواقف الاجتماعية ، وفي معالجته للمهام الجديدة ، وهناك بوادر لشيء من التشكك الطفيف في بابا نويل وفي الديانة وفي غيرها من الموضوعات التي حدثه الناس عنها ولكنه لم يستقها من مصادرها ولم يختبرها بنفسه .

ومع أنه قد ينسحب بنجاح فإنه عرضة لأن يجأر بالشكاوى إذ يشعر بأن الناس سفلة ظلمة ، وفيما هو يفكر في المواقف ويتدبرها بداخله القلق بالنسبة لما يعتقده الناس فيه ويخشى أن يكونوا غير محبين له أو غير مؤمنين بأنه قد أحسن عملا ، ويهمه بصفة خاصة رأي أمه وأصدقائه فيه كما ينم عنه قوله « طبعاً سيهزأ الأطفال مني » ، فهناك بلا شك توتر طفيف في وجدانات طفل السابعة ومشاعره .

وقد يكون الأولاد بوجه خاص في سبيل التحرر من سيطرة أمهاتهم ، وقد يرفضون ارتداء البلاطي أو القبعات أو الأحذية الكاوتش ، وقد يتساءلون إذا صدر إليهم أمر « لماذا يتحتم علىّ ؟ » أو يقاومون التوجيه بالرد « لا أحس رغبة في ذلك » .

ويريد السابع أن يجعل لنفسه مركزاً ، ربما كان مركزاً مادياً ، كمحله على المائدة أو في سيارة الأسرة أو غرفة خاصة به ، ولكن السابع يهتم أيضاً بمكانه في المجتمع ويشعر في العادة بإحساسات عائلية قوية ، وقلق يساوره في نفس الوقت الخوف من ألا يكون في حقيقة الأمر أحد أفراد الأسرة بل متبنى ، كل هذه الأمور يقلبها السابع في عقله ويتدبرها وحده فهو ينسحب ويتوارى حتى في تفكراته ، وقد يحدث بعد ذلك أن يتناقش مع الكبار فيما أثمر تفكيره فيما يتصل بموضوعات مثل « عيوب أن يكون سن الإنسان فوق الخامسة ودون السادسة عشرة » ؛ فابن السابعة الذي نحن بصدده تقدم بالآراء الآتية : « إذا كنت دون الخامسة أعطاك الناس مالا كثيراً . فإذا جاوزت السادسة عشرة أصبحت تملك مالا كثيراً . أما فيما بين هذين العمرين فإنهم يضطرونك للكد لكسب المال ويأجرونك قليلا جداً لقاء ما تعمل ، وأنت بين هذين العمرين تتغير أسرع تغير ومن ثم تحتاج إلى أشياء كثيرة جداً » .

الجنس

السابع أقل تعرضاً من السادس للاشتراك فى العبث الجنسى الصريح ، بل لعله فى الواقع يتوارى خشية أى احتمال لتعرية جسمه وهو يخلع ثيابه أو وهو فى طريقه إلى الحمام إن كان على مقربة منه أخ أصغر من الجنس الآخر ، وإذا كشفت بنتان عن نفسيهما إحداهما للأخرى فقد تظهران اهتماما بتفاصيل الأعضاء بل لقد تحاولان أن ترسما ما رأتا ، وقد يظن قليل من السوابع وخاصة الأولاد أنهم يقدرون أن يحولوا بالسحر أنفسهم إلى بنات بلف أعضاء تناسلهم بشريط ، وهؤلاء الأولاد أنفسهم قد يلذ لهم اللعب بالعرائس مع إحدى البنات .

والاهتمام الحقيق عند طفل السابعة الحق ينحصر فى إعمال الفكر فى كل هذه الأشياء ، فهو يبدى تشوقاً شديداً إلى وليد جديد فى أسرته ، ويكاد يرغب على الدوام فى وليد من نفس جنسه ، وقد حدث ذات مرة أن ذكرت طفلة من هذا الطراز بما تمنته منذ عام وهى فى السادسة ، وقد أوشك أن يتحقق ، فصاحت قائلة « لست أدرى ما الذى جعلنى أقول ذلك ! » . ويدرك ابن السابعة أن الحصول على الأطفال يصح أن يتكرر وربما سأل أمه عن عدد الأطفال الباقين فى بطنها ، وهو متنبه إلى أن العجائز لم يعدن يلدن الأطفال بل لقد يرسم لأمه خطة تحصل بمقتضاها على وليد كل خمس سنوات (لأن هذا أسهل الأرقام عليه فى العد) حتى تبلغ الستين عندما تصبح فيما يحس غير قادرة على وضع أطفال أخر .

وقد صار الحمل لديه الآن شيئاً مفهوماً ، وقد يكون أول من يلحظ التغير على أمه وربما سألها « ماذا بك فإنك لست كما كنت » . فإذا علم أن وليداً سيفد إلى بيته اهتاج لذلك كثيراً ، وتهتز مشاعره إذا أتيح له أن يتحسس رفس الجنين على جدار بطن الأم ، وهو يريد أن يعرف حجم الجنين وكيفية إطعامه وهل يمرض إذا مرضت الأم ؟ وكم يمضى من الزمن قبل أن يتهيأ للولادة ؟

وهو لا يفهم تماماً كيف تعرف الأم أن الطفل بدأ فى التكون ، ويقنع بأن يعلم أن بذرتين (أو بيضتين) إحداهما من الأب والأخرى من الأم التقتا فتكوّن منها الطفل ، ولا يهتم بعد بالطريقة التى دخلت بها بذرة الأب فى الأم

وتفاصيل الولادة تشغله أكثر من غيرها ، وربما تصور فى مخيلته بكيفية مبهمة إلى حد ما أن عليك أن « تشق بطن الأم لتستخرج الطفل منها » ويتقبل بسهولة القول المبسط بأن الطفل يولد من بين ساق الأم ، ويحار فيما إذا كان هذا يحدث والأم على الأرض أو على منضدة ، وفيما إذا كان من المحتمل أن يقع الطفل على الأرض بل لقد يرجو أن يحضر الولادة حتى يستطيع إمساك الطفل عندما يخرج ، وليس بعجيب أنه لا يستطيع أن يفهم لماذا يكبدنا الوليد مثل هذا العناء وهو فى بطن شخص ما .

وقد يقع السابع نفسه فى غرام بدائى ، فاصطحاب الولد للبنت شائع إلى حد ما وبخاصة فى المدرسة ، بل إن الأولاد الذين يحسنون الكتابة والتهجى ربما كتبوا رسائل بسيطة مثل « هل تحبيننى ؟ نعم أو لا » مشفوعة بحرف X الذى يرمز للقبلات ، فإذا تطورت العلاقة إلى « خطوبة » معينة بل إلى مشروع للزواج فالعادة أن يعقب الولد على ذلك بقوله إنه ينوى أن يعود إلى منزل أمه بعد الزواج . وفقدان الصديق أو الصديقة يعد فى العادة أمراً طبيعياً ولكن بعض السوابع قد يتأثرون به أكثر من

غيرهم ، فإن طفلة فى السابعة لم يكن لها صديق بكت بحرقة لوالديها قائلة « ماذا دهانى فلم أفق فى الحب ؟ » .

٦ — العلاقات بالناس

أخذ السابع يغدو عضواً حقيقياً فى جماعة العائلة مستعدا لتحمل بعض المسئوليات المنزلية ، ومن السوابع كثير يحبون أن يبذلوا العون وغالبا ما ينهضون بمهام منزلية يومية معينة ، وبخاصة فى صبيحة السبت التى يحبون فيها أن يفرغوا سلال المهملات أو جرادل القمامة وأن يملأوا سلال البطاطس ويقطعوا الحشيش ويرتبوا سريرهم وينظموا حجرتهم ويساعدوا فى تنظيف الأطباق ويعدوا الخضر ويقوموا (بالمشاوير) ، وتكون هذه المساعدة معيبة أحياناً . كذلك يتعب السابع من إحدى مهامه ويرغب فى الانتقال إلى غيرها ويتحدث أيضاً عن اكتساب المال فهو فى الواقع يهتم بالقيام بالعمل اهتمامه تماما بقبض المال فى نظيره ، والنقود لا تحفزه فى السابعة كما عساها تحفزه فى الثامنة .

والسابع أقل مقاومة وعنادا من ذى قبل ، وتتحدث أمه عنه قائلة بأن الهيمنة عليه والتأثير فيه الآن أسهل فقد زال عنه ما كان به فى السادسة من صفاقة بل لعله صار مؤدبا عطوفا قادرا على المحبة الصادقة ، وأهم ما يضايقه هو مقاطعته فيما يعمل سواء أكان يلعب فى الخارج أم يقرأ كتابا ، ومع هذا فنى استطاعتك أن تتفاهم معه عما إذا كان ينبغى أن يحذّر . وكيف ومتى ينادى عليه .

ولا يقتصر السابع على حسن مسايرة أمه فى معظم الأمور بل صار بالنسبة لأبيه رفيقاً حسن المعشر إلى أقصى حد ، والأولاد بوجه خاص يحبون أن يخرجوا مع آبائهم فى نزهات مشى طويلة ويحبون أن يدخلوا معهم فى بحوث مستفيضة عن أمور تخص الذكور كحفر آبار البترول والبنات أشد حساسية لأى توبيخ من آبائهن وقد يغرن من أى تلطف لأمهاتهن من جانب الأب .

والقليل من السوابع يجدون صعوبة حقه فى التواؤم مع والديهم أو منازلهم ويتمنون الفرار من المواقف العسيرة ، وقد عبرت إحدى البنات عن ذلك بقولها « لست أريد أن أكون عضواً فى هذه العائلة وأتمنى أن أفر منها ! » أو ربما دار بخلد الطفل أنه لا ينتسب بالفعل إلى هذه الأسرة وأن أمه وأباه ليسا والديه الحقيقيين ، ومع ذلك فإنه فخور ببيته وعائلته وكثيراً ما يفضلهما عند المقارنة على بيوت وعائلات أصدقائه .

ويريد السابع أن يكوّن لنفسه مركزا فى جماعة الأسرة وخاصة إذا كان له فيها أخ صغير أو (أخت) ، وإذا كان فيما مضى يشاطر أخاه غرفته فإنه يؤثر الآن الانفراد بحجرة خاصة ، وهو فى العادة شديد الكلف بالأخ الأصغر منه ولا سيما إذا كان رضيعا ، وعند ذلك يتخذ دور الأخ الأكبر أو الأخت الكبرى ويريد أن يحمله أو يسقيه اللبن من الزجاجة أو يدفع عربته ، فإذا كان أخوه الأصغر قريب السن منه فقد يحسن اللعب معه ويعنى به ويحميه وبخاصة إذا لم ينضم إليهما طفل ثالث ، على أنه فى كثير من الأحايين قد يعاكس أخاه الصغير ويزغده ويتنازع معه ويعاركه ، فعند ذلك يجب التفريق بينهما وفى السابع نزعة إلى الغيرة من أخيه ، ويركبه القلق خشية أن يزيد من أعبائه أو يحصل على امتيازات أكثر منه . ويُعجب السابع بالأخ الأكبر منه ويكون فى الغالب خاضعاً لنفوذه — الأمر الذى قد لا يكون على الدوام فى المصلحة .

ولا يطلب السابع صحبة الرفاق قدر ما كان يطلبها فى السادسة . وهو يقضى زمناً طويلا جداً وحده فى الاستماع إلى برامج الإذاعة ، أو فى كتابة قوائم بالأشياء ، أو فى تخطيط كرة ، أو فى غير ذلك من مناشطه وهو فى عزلة . والمعروف عنه أنه يجيد اللعب مع غيره من الأطفال إلى حد لا بأس به . ويغلب على السابع أنه يقضى وقتاً بديعاً فى بساطة وسذاجة مع رفاق اللعب . وبعض السوابع أحسن لعباً فى البيت وبعضهم أحسن لعباً بعيداً عن البيت . واللعب داخل المنزل يثير السابع فى الأغلب أكثر مما ينبغى ، وقد يجعله فى تصرفاته كالمجنون أو المتوحش . ومع ذلك فالسابع يعمل أكثر من السادس وإن لم يبعد عليه أن يند عن إخوانه إذا ساءت معه الأمور كثيراً أو أن يشرع فى العراك ، ومع ذلك فبعض السوابع يصدقون عن العراك وربما ستروا مخاوفهم وراء التحدث فى تياه وتفاخر .

وهناك أطفال عديدون يحتمل تألبهم على طفل آخر بمفرده . وكثير من السوابع يلقون عنتاً من أولاد أسن منهم يضطهدونهم بقسوة . ولعب الجماعة فى هذه السن يعوزه التنظيم الحسن ، ولا يزال يستهدف فى معظم الحالات غايات فردية ، وقد يقلق الواحد من الأطفال على مركزه فى الجماعة ويخشى ألا يستطيع المحافظة عليه أو أن الأطفال الآخرين لا يحبونه ، كما يحرص بوجه خاص على ألا « يضحك منه العيال الآخرون » . والعادة أن يتناقص الهجوم المباشر على رفاق اللعب بأعضاء الجسم وبالكلام عما كان عليه فى السادسة ، وإن كان الأولاد يستمرئون قدراً لا بأس به من المصارعة والملابطة نصفه ودى ونصفه غير ودى .

والخطوط الفاصلة بين الجنسين لم تتضح معالمها ولكن شيئاً من التحيز ضد الجنس الآخر أخذ يتبدى ، فالأولاد لا يحتملون إزعاج البنات لهم كما أن البنات لا يحسنون الظن بتأدب الأولاد كما ينبغى ، ومع هذا فإن الجنس الآخر لا يزال يُدعى إلى حفلات يوم الميلاد كما أن الصداقات بين الأولاد والبنات تنم عن بدايات مسائل الحب .

وقد أصبح السابع أكثر مهارة فى مقابلة الأغراب ، فهو الآن قادر على تحيتهم ، وهو يحب الإصغاء إلى حديث جماعة أسن منه كما يحب أن يخرج للزيارة ، وقد يكون السابع الأقل صلاحية أو نضجا شديد التنبه إلى الغرباء ومع ذلك غير قادر على تحيتهم فى سلاسة ويسر ، وقد يدفعهم ويندفع متقدما عليهم ويعثر فيسقط فوقهم ويقذف بكرته غدراً بالقرب من أنوفهم محتكا بهم بكيفية غير مناسبة وبكل الأساليب الخاطئة النابية ، لمثل هذا السابع المرتبك الأخرق يستفيد أعظم الفائدة إذا تلقى من أحد الضيوف قسطا من العناية الشخصية أتم وأوفى .

٧ — اللعب والتسلية

ينزع السابع إلى التزام ما استحوذ على عقله من اهتمامات خاصة فى لعبه ، فالمعروف عنه أن به ولعا جنونيا بالبنادق وبالكتب المضحكة وبالتلوين ، وأن فى استطاعته أن يمضى بالساعات فى أى عمل يعمله ، سواء أكان ذلك العزف على البيانو أو نط الحبل أو المطالعة أو الشغل اليدوى على منضدة العمل (البنك) . والسابع أقدر على اللعب بمفرده منه قبلا ولذا تسهل عليه القدرة على مواصلة العمل فى أية مهمة يتصدى لها بدلا من أن يكون همه مسايرة غيره من الناس فى آرائهم .

والسابع لا يكثر من التشعب وتشتيت

جهوده فى مغامرات جديدة ولكنه أقدر على رسم خطة محكمة لما ينتوى عمله ، فالأولاد عندهم الآن فكرة تنم عن شىء من فهم للنماذج وللرسوم الزرقاء للأعمال الهندسية ، وهم يميلون إلى اختراع أو ابتكار شىء من عندهم ، كما يحبون إقامة شىء ما باستعمال صناديق الحبوب وعتاد الأسلاك الكهربائية إلى غير ذلك من الأشتات المتناثرة ويميلون إلى صنع طائرات من الورق وإطلاقها كالسهام ، وربما أبدت البنات شيئاً من روح الابتكار أو الاختراع بتصميمهن الثياب لعرائسهن المصنوعة من الورق .

وهناك عودة فى قوة إلى التلوين وإلى قص الأشياء أشكالا ، ومن البنات من لا يفرغ لهن قص عرائس الورق وتعنين بعد القص بمجرد إلباسها الثياب وخلعها عنها .

والملكية هى الأساس لدى السابع فيما يأخذ نفسه بجمعه سواء أكان الأحجار أم غطيان الزجاجات . أما خارج المنزل فالبنات يفضلن لعبة « الأولى » ونط الحبل والجرى بالقبقاب ذى العجل ، والأولاد يلذ لهم النحل والبلى .

والسابع فى مناشطه الحركية الكبيرة حذر بدرجة لا بأس بها ولكنه ليس خوافا ، وقد أصبح خبيراً بتسلق الأشجار . وكثير من السوابع يملكون الدراجات ويجيدون ركوبها وإن كانوا لا يستطيعون بعد تحمل مسئولية الجرى بها بعيدا عن مسارب المشى الجانبية .

والسابع فى طريقه إلى تعلم السباحة على حقيقتها ، وقد صار أقدر على ضرب الكرة بالمضرب منه على الجرى والترصد لها لتلقيها . ويبدو أن وقفة التحفز بالجنب أثناء لعبة القوس والسهم ، وكذلك إطلاق السهم بحذر ليصيب المرمى تروقه وتستهويه . ولديه من قوة الحيوية الجثمانية ما يجعله أقدر على التحمل والصمود لفصل الشتاء ، وقد أخذ يستمتع بالانزلاق والجرى بالقبقاب بل وبحذاء الإسكيه نفسه .

ولعبه الجماعى يشبه فى طرازه لعب السوادس مع مقدرة أقل على التصنع والادعاء وقدرة أكثر على تقديم اللوازم والأدوات الضرورية ، وهو يتطلب قدراً أكبر من الحقيقة والواقع كأن يصر مثلا عندما يلعب لعبة المكتبة على استخدام البطاقات ، وعلى القيام بجميع الإجراءات الرسمية المتبعة فى إعارة الكتب . وهو يزود خيمته بالسرير السفرى والمنضدة والكرسى وأدوات الكتابة وبندقية . والبنادق ظاهرة بارزة فى ألعابه الجماعية ، وقد يشتد ضجيجه نتيجة للأصوات المتواصلة لإطلاق النار بحيث يستلزم الأمر قصر اللعب بالبندقية على العراء خارج المنزل .

والسابع كليف بألعاب المائدة وألعاب التجميع(١) . وهو أقدر على مزاولة الألعاب لأنه ليس شديد التصميم على الفوز كما كان آنفا ، بل لعله يحاول معالجة ألعاب معقدة ، وهو يميل كثيراً إلى ألاعيب السحر والحيل .

وهناك فوارق فردية ملحوظة فى أنواع اللعب التى تمارس ، فوارق تقوم على المواهب والأمزجة ، وقد تظهر فى بعض الأولاد بدايات اهتمام بسيطة ولكن جدية بالكيمياء والتلغراف والملاحة .

وإذا سئل السوابع عن أحب المناشط لهم فى اللعب فأكثرهم يذكرون فى الغالب تسلق الأشجار وركوب الدراجات ولعبة السيارات ، ومع هذا فإن غلاما فى السابعة

---

(١) تجميع أجزاء مبعثرة وتركيبها بحيث تتكون منها بعد التجميع والتركيب صور خاصة تعطى للطفل ليهتدى بها فى عمله .

أجاب فى وضوح وإيجاز « التلوين ! وكل ما عداه تتن » .

القراءة

كثير من السوابع متوسطو المقدرة على القراءة ويستمتعون بما يستطيعون قراءته بأنفسهم ، وفى وسعهم إدراك معنى القصة دون أن يعرفوا كل ما فيها من كلمات ، حتى أن بعض السوابع يُنعتون بأنهم « قراء تسلسل » لأنهم لا يكادون ينتهون من كتاب حتى ينتقلون إلى غيره مباشرة ، ويستلذ السابع الحكايات الخرافية رغم كل ما يقال من أنه يفضل كتبه المضحكة . والأولاد بوجه خاص يهتمون بحكايات البحرية والجيش وبكتب الطائرات والكهرباء والأرض والطبيعة ، والبنات يخترن كتباً من نوع كتاب هيدى أو مؤلفات ا . ا . ملن . ولم يعد السابع يُقرأ له كما فى الماضى لأنه أقل حاجة فى الطلب وأكثر انشغالا بقراءته الخاصة وبإصغائه للراديو من تلقاء نفسه .

الموسيقى والراديو والسنما

كثيراً ما يبدى السابع رغبة قوية فى أخذ دروس فى البيانو ، وربما تساءلنا عما إذا كان من واجبنا إشباع هذه اللهفة ، ولعل من المستحسن تحقيق هذه الرغبة إذا كان معلم الموسيقى يسمح للطفل بأخذ الدروس دون أن يتبعها بالتمرين الواجب طبقا لطريقة التعلم المفضلة فى الغالب ، فما أكثر المعارك المنزلية التى يُخاض غمارها بسبب التمرين على البيانو قبل أن يصبح الطفل كفؤا حقاً لهذا التدرب بنفسه وذلك بين التاسعة والعاشرة .

وقد أخذ الراديو يصير الآن جزءاً من غذاء الطفل الدائم ، وهو لا يزال يؤثر برامج آخر المساء الحافلة بالمغامرات الخطيرة وبقصص الصيادين . ومن المحتمل أن يتشعب ميل بعض السوابع إلى برامج الأخبار والقصص الغامضة التى تزعجهم كما تزعج نومهم أيضاً ، ولا بد من حماية السابع من هذه البرامج لأنه يعجز أحياناً عن أن يختار بنفسه ما يصلح له .

والاهتمام بالسنما يختلف عند أطفال السنوات السبع ، فالأفلام الموسيقية وأفلام الرقص والغناء وأفلام الحيوانات هى المفضلة ، أما أفلام الحب فهى محل كراهية ومقت . والسابع عرضة لأن يجاوز نشاطه الانفعالى المدى وأن يجهر بالصراخ أثناء العرض . وقليل من السوابع يحبون أفلام الصيد ، والبعض يذهبون إلى دور السنما كل أسبوع ولكن السنما على وجه العموم لا يتم الاستمتاع بها كثيراً قبل سن الثامنة .

٨ — الحياة المدرسية

يتقبل السابع بوجه عام مسألة عودته إلى المدرسة دون احتجاج ، ولكنه قد يتوقع أن تكون السنة الثانية أصعب مما يطيق ، ويساعد على صد مثل هذا الخوف عنه أو تخفيفه عليه بضع زيارات تقوم بها مقدما مجموعة السنة الأولى للفرقة الثانية (على صورة رواية تمثيلية أو نزهة ترويحية) فى نهاية العام . وربما ألم التعب بالسابع فى نوبات ، وهذا أمر ملحوظ بالمدرسة وبالمنزل على السواء ، وتلم به الأمراض مرات أقل عدداً ولكن الواحد منها قد يكون أطول أمداً .

والمعلمة تقوم بدور هام فى تواؤم السابع إذ سرعان ما تربطها علاقات شخصية أوثق مع كل فرد من تلاميذها ، وتكون عرضة لكل من المحبة والكراهية ، والأولاد أقرب إلى حب معلمتهم وربما نشأت بينهم وبينها مودة تزيد الألفة ، أما البنات فقد يكرهنها ويشكون منها . ويستمر السابع

فى إحضار الأشياء إلى معلمته وإن لم تكن بالكثرة التى كانت فى سن السادسة . كما أنه لا يحضر أشياء للجماعة ، ومع ذلك فإنه يستمتع بالفرصة التى تسنح ليعرض فيها ما استجد له من ممتلكات .

وفى السابعة يكون المنزل والمدرسة عالمين أكثر انفصالا ، فقد يعزف الطفل عن مصاحبة أمه له إلى المدرسة وعن زيارتها لها إلا بقصد مشاهدة تمثيلية للجماعة يحضرها أيضاً الأمهات الأخريات ، وربما تجاهل وجودها عندما يكون مع الجماعة .

ويستحب السابع تكديس أوراقه فى درجه بالمدرسة ولا يحملها معه إلى المنزل ، فإذا كانت مجمعة فى دفتر مذكرات فقد يرغب فى أخذه إلى البيت فى المناسبات وعند ذاك يتركه فى البيت إن لم تذكره به أمه أو تضعه فى يده وهو فى طريقه إلى المدرسة . وهو عرضة كذلك لترك بعض ثيابه ومتعلقاته بالمدرسة ما لم تعنه المعلمة على تذكرها ، وليس السابع بالرسول الذى ترتضيه معلمته أو والداه .

ولعل الأحاديث الشخصية بين الوالدين والمعلمات ما برحت أنفع كثيراً من البطاقات التى تدون فيها التقارير ، وقد تكون مقابلتان اثنتان فى العام الواحد بين الطرفين تجرى فيها هذه الأحاديث الشخصية كافيتين فى حالة معظم أطفال السنة الثانية ، على أنه يحسن بالوالدين وبالمعلمات فى بعض الحالات الفردية الخاصة أن يظلا على اتصال بشأن ما يدعو إلى قلق أو مخاوف تتصل بتواؤمات الطفل فى المدرسة (كالخوف من التأخر أو من عدم إتمام العمل) .

وطفل السابعة لا يتجه دائماً إلى معلمته عند دخوله الفصل ، وقد يصدر عنه أثناء دخوله ضجيج أو ثرثرة أو تناول بيديه لبعض ما فى الفصل من أشياء ، ومع هذا فإنه يهتم بجدول الدراسة ولذا يستقر أخيراً إلى عمله بالفصل ويستغرق فيه ، وهو أهدأ أثناء العمل مما كان فى السادسة وأكثر حديثاً إلى نفسه وهو يرجع إلى عمل جاره الملاصق له لمراجعة عمله أو يطلب فى نفاد صبر مساعدة معلمته ، ويغلب أن يذهب إليها مباشرة . وكثيراً ما يُرى وقد أسند رأسه إلى زنده أثناء الكتابة وكذلك أثناء احتدام المناقشات فى الفصل . وهو يفصح عن التعب الوقتى من بعض الواجبات بدفع درجه أو بفتح غطائه وإقفاله أو بالوقوف عن كرسيه ، وهذه كلها أمارات تنبئ باستعداده للانتقال إلى وجه آخر من أوجه النشاط .

وثمة ملاحظة مألوفة هى قوله لمعلمته « ماذا بعد ذلك يا آنسة ؟ » وينتقل السابع انتقالات مباغتة من موقف إلى ما يليه ويصبح نشيطاً ثرثاراً وقد يصل صوته إلى درجة عالية نفاذة حادة وهو يصفر أو يضحك ضحكات مختلفة وسرعان ما ينضم إليه طفل فآخر حتى يعج الفصل بالضجيج ، وتعتبر المعلمة ذلك علامة على ضرورة الانتقال إلى نشاط آخر .

ويحب السابع تناول الأشياء بيديه ولذا يلتقط أقلام الرصاص والمماحى والعصى والأحجار ويكدسها فى درجه ، وربما حاول أن يدس أحد الأشياء فى شئ آخر ويعالجهما بقوة شديدة تؤدى إلى كسرهما . وربما كان من المفيد تفريغ الجيوب فى نهاية فترة الدراسة الصباحية ، وكذلك اختيار يوم لتنظيف الأدراج من آن لآن .

وإزاء ضغط الدوافع الحركية اليدوية على السابع لا نعجب من أن تكون النجارة موضع السرور واللذة ولا سيما عند الأولاد ومع أن السابع يبتنى منشآت أشد تعقيداً من

التى كان يبتنيها فى السادسة فهو أقل اهتماما وقلقاً بشأن نتاجه فيسهل عليه تجاهله أو فقدانه ، وهو يحب مع ذلك أن يقدم لأحد والديه هدية فى العيد .

ولما كان للسابع قدرة على ضبط نفسه مدة أطول فإن انقطاعه عن العمل لقضاء الصيرورة يقل . وغالبية السوابع يقضون ضرورتهم قبل الغداء وبعده وكذلك بعد فترة راحة بعد الظهر . وربما كان لقليل من السوابع من ذوى النشاط الموفور فترة ضبط أقصر . ويفضل السابع الانفراد الذى يهيئه له مرحاض يقفل ، وربما رفض استخدام مرحاض المدرسة إذا لم يكن له باب .

والعمل بالفصل يستلزم وجود المعلمة عن كثب لأنها مطلوبة على الدوام تقريباً . وهناك فوارق فردية كثيرة فى السابعة ، فالبعض يفضلون العمل فوق أدراجهم على العمل الذى تقدمه إليهم المعلمة على السبورة والعكس بالعكس (ولا يجمع السابع بين هذين بسهولة لأنه لا يستطيع النقل من السبورة) . والأولاد يحبون الحساب الشفوى أكثر من التحريرى كما أن البنات ربما فضلن الحساب المادى المحسوس على الحساب الشفوى أو التحريرى ، وبعضهم يرغب فى الورق المسطر الواسع المسافات بينما يؤثر البعض المسافات الضيقة ، وبعضهم يستجيب على التو فى حين يحتاج البعض الآخر إلى فسحة من الوقت . فإذا بلغ الأطفال الثامنة ازداد التقارب بين أفراد الجماعة الواحدة ، بيد أنه لا بد لمثل تلك الفوارق أن تحترم فى السابعة .

وفى القراءة يميز السابع الألفاظ المألوفة بدقة وسرعة ، وهو أدنى إلى الآلية فى ممارسته للقراءة فيقرأ دون توقف عند نهاية الجملة أو الفقرة وإن تعرض أثناء محاولاته إلى تكرار إحدى العبارات ، وقد يحذف أو يضيف ألفاظاً بسيطة مألوفة (مثل الواو أو ما أو لكن) وهو يتردد حيال الكلمات الجديدة ويؤثر أن يسعف بها حتى يستطيع المحافظة على سرعته أو لعله يكتفى بالتخمين مستعملا كلمة مشابهة فى الصورة ، وكثيراً ما تكون كلمة متحدة مع الأخرى فى حرفى البدء والنهاية وإن جاز الآن تقصير طول الكلمة ، ومن الشائع استبدال المعنى بآخر وأخطاء حروف الحركة كثيرة ، وتتجلى الاختلافات الفردية فى سرعة القراءة كما فى أنواع السلوك الأخرى .

والسابع يحب أن يعرف إلى أى مدى يقرأ ، وعدد الصفحات فى الكتاب . وإذا كان قد ترك قصة دون أن يكملها فقد يرغب فى العودة إلى بدايتها .

وفى خلال تحسنه فى عمليات القراءة قد يكون بصفة مؤقتة أقل انشغالا وتلقا بشأن المعانى ومع هذا فهو نقادة لمادة قراءته، وقد يأبى أن يقرأ حكايات معينة مرة ثانية . وبعض السوابع يصيرون قراء مدمنين لهم ولع خاص بالهزليات (وأحب الأوقات لمثل هذه القراءة هو الصباح المبكر قبل الإفطار) .

والعادة أن تتقاعس مقدرة السابع على التهجى وراء قدرته على القراءة ، وهو يستمتع بنسخ الكلمات ولكنه لا يزال عاجزاً عن هجائها عن ظهر قلب ، وهو يرتبك بوجه خاص حيال حروف الحركة ، وعلى الرغم من احتمال كرهه ورفضه لتهجى كلمات بأكملها يسره فعلا ذكر الحروف الساكنة التى تبدأ وتنتهى بها الكلمات ، وبذا يدرك الأصوات التى تحدثها الحروف ويستوعبها .

ويحب السابع الحساب الشفوى والبطاقات التى تحوى تجمعات وتراكيب وهو لا يزال يعكس رقماً أو رقمين حين يكتب وهو يبتهج بكتابة الأعداد الطويلة ويحب أن

يواصل نفس العملية على إحدى الصفحات وقد يربكه الانتقال من الجمع إلى الطرح .

وأقلام الرصاص والماحى تكاد تكون منية النفس عند السابع فهو يكتب ليمحو ، وهو يتناول قلمه بيده ويلمسه بأصابعه ويوقعه ويقذفه فى درجه أو فى أى شىء ، وهو لايفتأ يعكس بعض الحروف والأرقام ولكنه فى العادة يميز ما عكس ويفضل مسحه ، وربما قال « لا تدهش إن وجدت حرفا عندى مقلوبا » . وقبضته على قلمه الرصاص متينة قوية مع ثنية السبابة ، وهو يضغط فى العادة ضغطا كبيراً وإن اختلف باختلاف الأفراد . وكثير من الأطفال يطلبون أن يكتبوا الكتابة العادية لا كتابة المطبعة وذلك لأن المحافظة على ملامسة القلم للورق قد تتيح لهم قدراً أكبر من ضمان الضبط الحركى .

والكتابة بالقلم الرصاص على الورق وإن كانت تروق الطفل وتسترعى اهتمامه إلا أنها تخلق مشاكل فى هذه السن ، فقد يقلق السابع ويضجر إذا عجز عن إتمام عمله التحريرى ، بل ربما خشى أن يُحجز بالمدرسة آخر النهار إذا كانت ورقته ناقصة .

وبالسابع تنبه جديد للنهايات ، فإن من الملحوظات المأثورة عنه قوله « إلى أى مدى أستمر يا آنسة ؟ » أو « لا أستطيع إنهاء العمل» ، وهو يحب أن يكمل عمله ولكنه يريد من معلمته أن تحدد له نهاية ما يعمل وإلا تعرض لمواصلة العمل أكثر مما ينبغى ، وهو يحب أن تصحح ورقته على الفور فيسأل « هل أخذت ١٠ من ١٠ أو ١٠٠ من ١٠٠ ؟ أهذا صح ؟ » وهو لايقارن درجته بدرجات الآخرين ، ولكنه فى حصة الرسم قد يطلب من المعلمة أن تقرر مَن الذى رسم أحسن شجرة أو أحسن حصان .

ويتجلى ما يجرى فى رءوس أطفال السابعة من تأمل وتفكير فى الإجابات التالية على السؤال الآتى لإحدى المعلمات « ماذا ترى فى عقلك عندما تفكر فى الخريف ؟ » : —

« أرى أوراق الشجر تتطاير فى غير نظام » .

« أراها تقع فى هدوء ورفق »

« أرى القرع يصفرّ »

« أرى النباتات اللبنية العصارة يسمرّ لونها وتدكن »

« أرى القسطل (أبو فروة) يتساقط على الأرض » .

« أرى الطيور تتجه نحو الجنوب »

« أرى الأشجار وقد تجردت من جميع أوراقها أو كادت »

ويكون انتقال السابع من الفصل إلى الحوش فى وقت الفسحة انتقالا له صبغة خاصة من التفجر ، فإذا ما صار على الملعب كان أكثر نشاطاً منه فى غرفة الدراسة أو أقل ، وهناك تحدث الاشتباكات بينه وبين زملائه حتى والمعلمة على مقربة ، فقد يتدخل فى منشأة آخر من الكتل أو يرغب فى البقاء على الأرجوحة طيلة الفسحة ، أو فى احتكار كرة أو حبل للنط . وعندما يحاول أطفال عديدون القيام بلعبة جماعية فقد يغلب عليهم الاهتياج وشدة الهرج مما ينتهى فى العادة بتحطيم الأدوات أو بنشوب المشاجرات بين الأفراد . ويحتاج السابع إلى ضروب منوعة من أدوات اللعب فى العراء ، وحتى على الرغم من أنه على غير أهبة لأى لعب جماعى موجّه فإن إشراف الكبار ضرورى . ويحدث أثناء العام الدراسى أن يصبح البعض على اهتمام باللعب الجماعى الذى ترتبه المعلمة بشرط أن

يكونوا أحراراً فى الانضمام الى الجماعة أو تركها كما يشاءون .

ويريد السابع لنفسه مكانا فى الجماعة ، وقد ينشغل باله ويقلق خشية أن يكون الأطفال الآخرون أو المعلمة لا يحبونه ، وفى الإمكان فصله عن الجماعة من أجل مساعدة خاصة أو لكى يشتغل أو يلعب بمفرده ، ولكنه لا يحب أن يفرد وحده عن الجماعة التى هو عضو فيها على سبيل التوبيخ أو الثناء ، ومع هذا فإن فى امتداح الجماعة له حافزاً حقيقياً . وتبطىء الجماعة عادة وتتروى قبل أن تضم إليها عضواً جديداً ، بل إنها قد تجعله موضع ضحك وسخرية .

ويحدث أثناء اللعب أن يحاول خمسة أطفال. أو أكثر أن يلعبوا معاً فى الابتناء أو فى قذف الطائرات لتقع أو فى لعبة الفدائيين أو لمجرد الحديث أو التجوال مجتمعين ، ولكن هناك عادة أطفال عديدون يفضلون أن يلعبوا بمفردهم على الأرجوحة أو بغيرها من أدوات اللعب .

٩ — الحاسة الخلقية

أخذ السابع يصير أكثر استجابة لمطالب بيئته ، وهو فى الغالب حسن الاستجابة للتوجيهات وخاصة إذا كان قد سمع ما وجه إليه من قول ، ومع هذا فهو سريع النسيان محتاج إلى التذكير ، والغالب أنه يحتاج إلى فرصتين ، وقد يستجيب فى بطء أو فى احتجاج ، ولكن هذا من ذكريات طفل السادسة ، فإذا ما وقع فى حبائل قوية من المداومة أو المماودة وجب أن يعان على الخروج منها والتخلص من قبضتها الشديدة عليه .

وقلما تطلب الأمر عقوبة السابع لأنه كائن يعقل كما أنه بفطرته يقدر المسئولية ، وفى وسعك أن تدبّر معه الأمور والخطط فتتقى بذلك الكوارث . ومع أنه قد لا يزال يجد بعض الصعوبة فى أن يقطع برأى وخاصة عندما يطلب منه طلب فإنه يبدى فى البت فى الأمور مهارة أكثر . وهو الآن يتباحث مع والديه ويناقشهما ويقدر على إيجاد الحل الوسط ، ومع احتمال أنه لم يزل غير راغب فى العدول عن رأيه فإنه قد يغيره إن ناقشناه ، ومناقشته تلك مع والديه كثيراً ما تكون شخصية بحتة وقد تبدأ كل جملة من جمله بقوله « ولكن يا ماما ... »

والسابع يريد قطعا أن يكون طيباً وإن كان يريد أيضا أن يبقى على سجيته ، وهذه الطيبة عند معظم السوابع تأتى بطبيعتهم لا نتيجة لانشغالهم بها ، وهم يفخرون بيوم يحسنون فيه ويقلقون للأيام التى يسيئون فيها ، وهم يشعرون بالأسف للأطفال الصغار الذين يفسدون الأشياء بإساءتهم ، ويلقنون إخوتهم الصغار دروسا فى معايب الإساءة . ولبعض السوابع نوبات إحسان وإساءة تعتريهم فيما يبدو على دورات ، فيكونون طيبين الى حين ثم يغدون شنيعين ، ومن سوء الحظ أن هذا الطراز من الأطفال قد ينقلب فجأة شريراً حتى حين يقصد أن يكون طيباً .

وقد أخذت فكرة السابع عن الإحسان والإساءة تصبح تجريدية نوعا ما فهى لم تعد تتصل فقط بأعمال معينة يسمح بها أو ينهى عنها والداه بل أخذت تتضمن بدايات فكرة عن الإحسان والإساءة فيها تعميم . وقد استعرضت طفلة فى السابعة يوما وطلبت أن تسجل كل ما عملته من أعمال «وهى تفكر فى نفسها » وكل ما عملته « وهى تفكر فى الآخرين » فكان ما سجلته ما :

<u>عند التفكير فى الآخرين :</u>

١ — إخبار مارجى عن بندقية لجونى .

٢ — إطاعة أمى — بتنظيف غرفة المعيشة اليومية .
٣ — ذهبت إلى الفراش عن طيب خاطر واستغرقت فى النوم بسرعة .
٤ — تذكرت قفل الباب حتى يظل الحمام دافئاً .
٥ — لم أرفع صوتى فى المكتبة .
٦ — تركت لعب الثلج سريعاً جداً عندما جاءت آن فى طلبى .
٧ — وضعت نظارتى فى علبتها .
٨ — لبست نظارتى عند القراءة .
٩ — اللبس بسرعة وبلا تلكؤ .
١٠ — أنظر باحتراس قبل عبور الشارع .
١١ — لا أميل بكرسىّ إلى الوراء قدر ما كنت أفعل .

عند التفكير فى نفسى :

١ — آكل العجة بأصابعى .
٢ — قولى « واه » .
٣ — مجابهة أمى بخشونة قائلة « نعم ستفعلين » .
٤ — المناقضة .
٥ — عدم غسل يدىّ قبل اللعب على البيانو .

واحتمال إلقاء السابع التبعة على غيره أقل منه لدى السادس ، بل لعله ينصرف فى رجولة وبطولة إذا لم يخش عقابا ، وبدلا من إلقاء التبعة على الغير قد يلجأ إلى التنصل لستر أحد أخطائه فيقول « هذا ما كنت أعنى » أو « كنت على وشك أن ... » وهو الآن متنبه إلى وجود قوة خارجة عن دائرة نفوذه تؤثر فيه يسميها « العدالة والحظ » وكلما صادفه هم أو متاعب فقد يقول « ليس هذا من العدل » ومع أنه قد لا يطيق الهزيمة حتى الآن فإنه آخذ فى التحسن لأنه يدرك أن الهزيمة أثناء اللعب ليس معناها دائماً أنك ستهزم فى النهاية ، والفوز عنده فى الغالب مسألة حظ ليس له عليها سيطرة كبيرة ، وهو يظن أحياناً أن « الحظ السيء كله من نصيبه » وقد عبّر عن ذلك أحد السوابع بقوله « لماذا يصيبنى الحظ السيء دائماً ؟ » و « لماذا تحدث لى أحداث كثيرة هكذا ؟ ، ربما كان الموت أولى بى » ، وكان الحظ السيء المشار إليه هنا هو أن موعد نومه قد حان .

وقد يكون السابع يقظ الضمير جدا بالنسبة لأخذ الأشياء ، وقد لا يطيق السارق أو الغشاش ولكنه عندما يصير فى غرفة الدراسة يبدو محاطاً بأشياء كثيرة جداً يرغب فيها ولا يستطيع بسهولة أن يضمها إلى ما يختزن فى درجه من ممتلكات ، ويحصل أحياناً على الأشياء الجديدة بالطريقة المثلى وهى تبادل الممتلكات مع الأصدقاء ويجرى هذا عادة على أساس المقايضة المتعادلة ولا ينطوى على تجارة بالمعنى الحقيقى .

وللسابع إحساس متزايد بملكيته وبالعناية بممتلكاته ، وهو أقدر على إعادة الأشياء إلى أماكنها ، ويساعد أمه على تنظيف غرفته أو لعله يندفع فى غلظة كالمجنون لتنظيفها فى آخر لحظة قبل موعد انطلاقه إلى المدرسة . وقد أخذ اهتمام السابع يزداد إلى حد كبير بعملية جمع المجموعات من أشياء مثل تذاكر البريد أو غطيان العلب ، ويلوح أن الهدف فى هذه السن هو الكمية وحدها مع مراعاة طفيفة للتنظيم الرسمى أو التصنيف . وهو يحب كذلك أن تكون له محفظة كتب أو حقيبة مدرسية ويحمل فيها مجموعة حقيقية من أقلام الرصاص والمماحى والمساطر .

وهناك اهتمام متزايد بالنقود ، وربما كان أشد شوقا إلى اكتساب النقود منه إلى الحصول على مرتب أسبوعى لمصروفه ، وهو يهتم بشراء أشياء معينة مثل مجلة مدرسية أو كتاب هزلى أو طوابع الحرب ، وأحيانا يضع نقوده فى البنك ، وقد يكون ذلك وسيلة لادخار جزء من المال لغاية معينة كشراء دراجة أو آلة كاتبة ، ويستهويه بوجه خاص أن يجد فى مقدم شبشبه قطعة نقود فى المكان الذى ترك سنّته المخلوعة فيه فكأن هذه النقود تثبت له وجود الشخصيات الخرافية التى يتخيلها .

والكذب فى السابعة أقل كثيراً منه فى السنوات السابقة واللاحقة ومع هذا فالسابع قد يقلقه ، لما فيه من إحساس خلق قوى ، ما فى الغش والكذب من ذنوب ، ويضجره بصفة خاصة أن يكون ذلك الكذب والغش من فعل أصدقائه .

١٠ — النظرة الفلسفية

الموت والإله

يتزايد انشغال السابع وقلقه بالنسبة لمكان الإله فى العالم حتى يعدل انشغاله وقلقه بالنسبة لمكانه هو ، فإن قيل له إن الإله يعيش فى السماء تاقت نفسه لمعرفة موقع السماء وكيفية صعود الإله إليها ، هل يستخدم سلماً ! وهل يعيش فى بيت ؟ ويعجب كيف يرى الإله كل شىء وكيف يكون فى كل مكان وربما أجاب عن جزء من أسئلته هو بأن يتصور أن الإله لا بد أن تكون له مثلا عصا سحرية .

وربما كان السابع قد فقد علاقته بالإله التى يغلب عليها الشعور الشخصى وداخله نوع من التشكك يفسره قول أحد السوابع « إنى لم أر الإله قط » وقد يظل راغبا فى الذهاب إلى مدرسة الأحد وإن أبى كثير منهم ذلك ، ومن المحتمل إما أن يرفض الصلاة فى المناسبات وإما أن تصدر منه مهازل أثناء تأديته لها .

وتصوره للموت يكاد يشبه تصور ابن السادسة ولكنه أشد تفصيلا وأكثر واقعية وأحفل بالتفكير ، وهو بعد غير قادر على تقبل الموت كعملية بيولوجية ولكنه لا يزال يهتم به على الأكثر بوصفه خبرة إنسانية معينة ويقل قلقه خشية وفاة أمه ، وأخذ الآن يدرك أنه هو نفسه سوف يموت يوما ما ، وإن كان فى العادة ينكر إمكان حدوث ذلك .

وأهم ما يعنيه من أمر الموت تمركز فى الجنازات وما يتعلق بها وفى الدفن وطقوسه ، ويتحدث الأطفال عن الجنازات والنعوش والقبور والدفن ويظهرون نوعا من الاهتمام ، بحكم العادة والواقع ، بزيارة المقابر والتأمل فى الحجارة المنقوشة فوق القبور (الشواهد) وقراءة الأشعار والأسماء والتواريخ على تلك الشواهد .

وقد أخذ يتزايد فهمه لأسباب الموت المتنوعة ولم يعد الموت يعزى تماماً إلى أعمال العنف والاعتداء بل يعتبر المرض والشيخوخة والإفراط فى الأكل أسبابا أخرى محتملة .

الزمان والفضاء

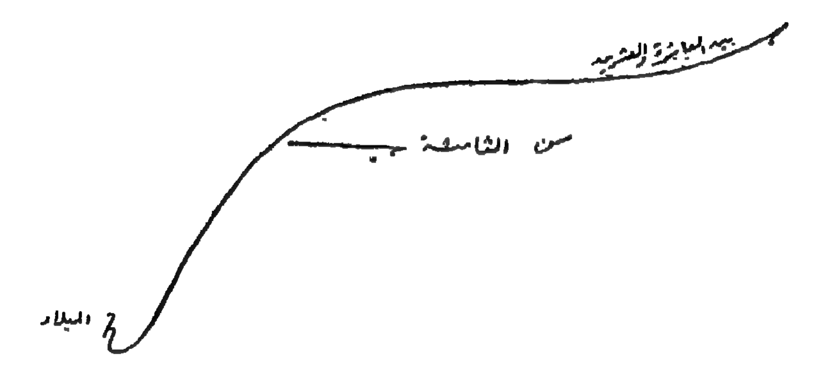
أخذت حاسة الزمن فى السابعة تصير عملية أكثر من قبل وأشد تفصيلا وتسلسلا ، وفى إمكان معظم السوابع وخاصة الأولاد معرفة الوقت من الساعة ، بالساعة والدقيقة معاً ، ويطلب السابع عادة ساعة يد خاصة . وابن السابعة متنبه لمرور الزمن حسب تعاقب

الحوادث ، وهو يهتم برسم خطة ليومه كما أنه متنبه إلى مرور الزمن من شهر إلى شهر ، وقد يسأل فى سبتمبر كم بقى من الزمن على عيد الميلاد ، وقد يعرف تعاقب الشهور والفصول بل ربما استطاع أن يفكر بحساب السنوات ، فهذه إحدى السوابع كانت تتطلع مقدماً إلى يوم تبلغ السادسة عشرة فتقول « إنه زمن يطول انتظاره ، إنه تسع سنوات ، بل إن السنة الواحدة مدة طويلة ، أطول مما تتصوره » .

ويهتم السابع بالفضاء بوجه خاص لأنه يعطيه مكانه فى العالم ، والإله نفسه له مكانه فى السماء ، ويهتم السابع بوجه خاص بمختلف الأشياء فى الفضاء كالقشرة الأرضية والأحجار ومساقط المياه والنار ، ويهتم أيضاً باستعمال وبمصادر هذه العناصر كالزيت من الأرض والقوة من الماء والحرارة من النار . ويبدو عليه تحسن فى تفهمه للجهات الأربع الأصلية ولا يستطيع بعدُ أن يميز بين اليمين واليسار إلا بالنسبة إلى جسمه هو ، ولا يحفل بعد بالأماكن البعيدة على الأرض ، على أن اهتمامه بمختلف أجزاء المجتمع الذى يعيش فيه آخذ فى الاتساع قطعاً .



٨
سن الثامنة



مصور السلوك

كانت الرابعة كما تذكرون سن انسياح وتوسع ، والخامسة سن تركز ، والسادسة سن انتشار وتشتت ، والسابعة سن تفكير وتأمل . أما الثامنة فهى سن انسياح وتوسع مرة ثانية لكن على مستوى نضج أعلى . وهذه النعوت ألفاظ تعلق بالذهن وتستخدم بغير التفات لمعانيها الأصلية ، ولكن قيمتها فى أنها تذكرنا بمعالم النمو وبالاتجاه اللولبى للنمو النفسانى ، والحق أن ابن الثامنة إنما هو صورة مصقولة محكمة لابن الرابعة غير أننا نستطيع فهمه أحسن الفهم بمقارنته بسمات سن السابعة .

والثامن أقرب إلى الشخص المكتمل إذا قيس بموازين الكبار وبدلالة العلاقات بين الكبار والأطفال . فأنت حين تتحادث مع ابن الثامنة تشعر بتنازل أقل فإنه ينمو ويكبر ، ويشعر هو بذلك أيضاً كما تشعر به أنت . وهذا الدافع النمائى يتحكم فيه فيؤدى به إلى اتصال إيجابى متغلغل صوب البيئة بما فيها أكبريه . وهو أقل تفكرا انطوائياً وأقل تركزاً فى دخيلة نفسه ، وأكثر ابتعاداً عن المركز واطراداً نحو الخارج ، كما أنه كذلك أسرع فى استجاباته وأشد إدراكا لاستجابات الآخرين .

وهناك سمات ثلاث تتميز بها ديناميكيات سلوكه[١] وهى السرعة ، والانسياح والتوسع ، والتقويم أو تقدير القيم ، وهذه السمة الأخيرة تصف مايتسلط عليه من نزعة إلى تقويم مايحدث له وما يسبب هو حدوثه ، فهو يتغلغل وينتشر ويجوس خلال الثقافة مجرباً ومطبقاً ما ابتنى لنفسه فى السنة الماضية من شعور أو إحساس أساسى بالمعانى ، فقد دب فيه عرق جديد من حب الاستطلاع فعّال ، وانطلقت عنده طاقات متراكمة ، ونما فيه نوع من البأس يختلف عن الحلاوة الشاعرية الفاتنة للطفولة المبكرة (فقد كانت « أليس » فى أرض العجائب فى سن السابعة ، كما كانت « أليس » فى المرآة فى السابعة والنصف « تماماً ») .

وحتى من حيث الهيئة الجثمانية أخذ ابن الثامنة يصير أكثر نضوجاً ، فإن تغييرات دقيقة غامضة فى أجزاء بدنه تتم مقدماً عن التغيرات الأكثر أهمية ووضوحا التى ستصحب البلوغ ، فعيناه الآن أكثر استعداداً للتكيف البصرى وفقاً لكل من المسافات البعيدة والقريبة .

والثامن بوجه الإجمال أصح من السابع وأقل قابلية للتعب وأكلف باللعب الخشن الملىء بالتدافع والتلابط وبالألعاب الحافلة بالصخب ، وقد تزايدت سرعة نبضاته النفسية الحركية ، وصار ميالا إلى الكلام وإلى القراءة والكتابة وإلى التمرين على دروس البيانو فى سرعة ونشاط . وإنه ليزدرد طعامه وهو يشد زاوية فوطته متحفزاً متأهباً للفرار (أو البرطعة) خارج المنزل دون أن يرفع جواربه أو يُدخل قميصه فى بنطلونه ، ولعله يضيف شيئاً من مظاهر الشجاعة إلى مسلكه الأهوج غير المكترث رغبة منه فى تأكيد مافيه من بأس الذكور .

ومع أننا سنواصل استعمال الضمير « هو » بمعناه الشامل للجنسين فإن الخصائص السالفة الذكر تنطبق على الأولاد بوجه أخص ، وفى سن الثامنة تصل إلى مستوى من النضج يأخذ فيه الجنسان فى الانفصال نوعا ما ، فيستحب الأولاد فى المناسبات أن يتكتلوا ويلقوا بصيحات السخرية على نظيراتهم من جماعة البنات ، وهذا

---

(١) أى خصائص تحركاته .

الانفصال التلقائى ليس مطرداً ولا طويل الأمد ، ولـكنه من علامات قوى النمو التى لاتنى تدفع بالأولاد وبالبنات نحو المراهقة والرشد .

فلا غرو إذن أن يكون طفل الثامنة كله آذاناً صاغية واعية لما يتبادله الـكبار من أحاديث . فهو يرقب تعبيرات وجوههم ، ولا ينفك ينظر ويصغى متطلعاً إلى أية إشارة أو دلالة تهديه فى بيئته الاجتماعية ، وهو يدرك مابين عالم الـكبار وعالمه هو من ثغرة ومن ثم يعدل من نفسه ليتواءم ، وهو ليس بالساذج فى امتثاله ومسالمته ، فهو يشكل مكانته فى دائرتى المدرسة والمنزل ويوطدها فى شىء من الدراية والعمد ، وهو حساس قليلا حيال إخطاره بصورة مباشرة بما يجب عليه فعله ويفضل الإشارة أو التلميحة . وهو يتوقع المديح وينشده فيقول مثلا : « ليس هذا جيداً ، أهو كذلك » ولـكنه يكره الاستهزاء بمعايبه أو أخطائه . وقد أخذ إحساسه بنفسه يتحول إلى إحساس بمرتبته أو بمركزه بالنسبة لغيره ، فتراه يواصل على الدوام إعادة النظر فى تحديد علاقاته بزملائه وبإخوته وبأكبريه من حيث هذا المركز أو المرتبة .

وعلاقاته بأمه ومعلمته تعكس مدى تعقيد هذه الأنماط من السلوك المتبادلة بينه وبين الناس . وينزع كل من الأولاد والبنات على السواء إلى إظهار إعجابهم القوى بوالديهم ، معبرين عن محبتهم بالأفعال والأقوال . وكلا الجنسين عرضة للغيرة ولا سيما فى تعلقهم بالأم ، فتقرر الأمهات أنه فى سن الثامنة يطالب الطفل بالرعاية الأموية فى نهم « فهو — أو هى — يلاحقنى راغباً على الدوام فى المشى أو اللعب أو التدبير معى » . وهذه العلاقة تكشف عن مكنية للنمو ، فقد كان الطفل قبل ذلك يرغب أساساً فى وجود شخص أمه إلى جانبه ، أما الآن فإنه يريد صحبة أوثق ، نوعاً من التبادل النفسانى يزداد به توغلا فى حياة الـكبار ويحقق به فى نفس الوقت مزيداً من الإفلات من سيطرة الوالدين والمنزل عليه .

وقد حقق فى المدرسة فعلا قدراً عظيما من الإفلات فهو لم يعد عالة على المعلمة كما كان من قبل فقد أصبحت المعلمة فى الواقع أقل أهمية وأقل اندماجا فى حياته الانفعالية مما كانت عند سن السابعة ، فهى الآن أقرب إلى أن تـكون سيداً خيِّراً وأداةَ ضبط واتزان . وقد أخذ هو وزملاؤه فى المدرسة يقومون إلى حد كبير

بنصيب فى تنفيذ النظام فيما بينهم وفى الهيمنة على أوجه نشاطهم عن طريق تبادل النقد وتوزيع المسئوليات ، وهو الآن على شعور قاطع بالجماعة المدرسية كجماعة إليها ينتسب ولها يدين بشىء ما ، ولم تعـد المعلمة بحاجة إلى الإكثار من المرور بينهم لتقديم المساعدة بنفسها .

ومع هذا فإن ابن الثامنة ليس إلا على أبواب النشاط الجماعى المنسق المتواصل ، ولذا تكون تنظيماته التلقائية للأندية ناقصة وقصيرة الأمد . وفكرة الاقتراع وحق الانتخاب فوق إدراكه ، كما أنه لايفهم القواعد المعقدة . وألعابه بالكرة بعيدة عن الأصول السليمة وكثيراً ما تعتمد على قواعد مرتجلة توضع عنـد اللعب على الفور . وهناك قدر كبير من المماحكة والمساومة والمنازعـة ، ولـكن اللعب يستمر . فلندع ابن السابعة ينسحب هو ومأثورته : « سأترك اللعب ! » . أما أبناء الثامنة فإنهم على الإجمال يمضون فى الأمر إلى نهايته وإن فى تخبط وضجيج ، ولا يخلو الأمر من تذمر عارم ، على أن خصامهم وشجارهم يكون فى الغالب عظيم النفع من الناحية التربوية .

ولنلاحظ هنا أننا لانستطيع التحدث عن التعاون والولاء والروح الرياضية وما شاكلها من الفضائل حديثاً مجدياً بطريقـة تجريدية ، فإن الفضائل بلا نزاع تحددها قبـل كل شىء عوامل النضج العامة ، على أنها تتجلى فى النهاية فى اتجاهات معينة تصاغ أنماطها عن طريق خبرات لاحصر لها أثناء المواقف المحسوسة التى تعرض فى المنزل والمدرسة والشارع . وعن طريق مثل هـذا التثقيف لا يفى طفل الثامنة يكتسب دواما كفايات ومهارات واستبصارات اجتماعية .

وهو يبتنى لنفسه كذلك حاسة خلقية تتألف من مجموعة معقدة من الاتجاهات . لقد كانت له وهو ابن سنة ونصف إحساسات معينة بسيطة من الخجل ، أما الآن ففى وسعه أن يعانى هذا الشعور ويخبُره فى مواقف عديدة ، ويستطيع أن يقول فى أسف وندم « لن أفعل ذلك أبداً مرة ثانية » . ولديه إحساس قوى بالملكية يعززه ما عنده من لهفة على جمع المجموعات ، ومن اهتمام شديد بالنقود . وعنـده كراهية للكذب لا تفتأ تزداد فإذا وشى بأحد أو أفاض فى معايبه فالعادة أن يكون لما يقوله

أصل من الحقيقة . وفيه بذرة الشعور بالعدل أو حاسة العدالة أساسها مراعاة القواعد والسوابق ، وهـذا يدفعه إلى أن يتهم الآخرين بالجور . وكثيراً ما ينتقد إخوته بشدة ، وفي وسعه أن يعترف بخطئه ، ولـكنه يخفف من وقع الاعتراف بالتنصـل القوى مما يدل على تقـديره للأمور الخلقية ، وليس القصد من التنصل تحويل اللوم بقدر ما هو الإشارة إلى السبب الذى من أجله لم يتصرف فى هـذا الظرف بالذات تصرفه العادى . وإن ما يتجلى فى تفسيراته من رقة وتهـذيب ليكشف فى حد ذاته عما فى تكوين الاستقامة الخلقية من تعقيد .

وما أيسر ما تُجرح إحساساته وخاصة عندما يكون لعلاقاته العاطفية بأمه دخل فى الموضوع ، وهو حساس بالنقد ، الصريح منه والمتضمن ، وهو يتطلع إلى ابتسامتها التى تنم عن موافقتها ، وما أسرع ما يسىء تأويل سكتاتها وتعليقاتهـا ، وذلك لأن لديه صورة محددة جداً للـكيفية التى يريد أن تكون عليها استجاباتها له . وتنهمر الدموع من عينيه لأتفه استثارة ، فقد تكون تكشيرة عابرة من أمه سـبباً يعجل بالدموع الغزيرة كهمرة المطر والشمس طالعـة . وكثيراً ما تدوس الأم غير عامدة على أنامل آماله الرقيقـة ، على أنه ليس من عادته الاستسلام للاكتئاب مدة طويلة الأمد بل ينشد الصلح وينشط فى طلبه ، ويظهر فى الملعب بين لداته مقدرة أقوى على تبادل النقد أخذاً وعطاءاً . وقد أخذ يعتاد تقبل الهزيمة ويألف تحدى نفسه ليتقدم ، وهو يستمتع بالحياة لما قيض له من طاقة موفورة ، على الرغم من ردع الـكبار له الذى يحاول أن يؤوِّله وأن يتغلب عليه .

أما الردع والتقيد الذى يفرضه زملاؤه فى المدرسة وقرناؤه فإنه يتلقاه فى اللعب بالقبول فى تعقل متزايد . وهو يبدى استعداداً ظاهراً للانضمام إلى ثلاثة أو أربعـة من رفاقه فى إنشاء كشك لبيع الليمونادة أو منضدة للبيع على قارعـة الطريق على أساس الدفع الفورى فى التعامل ، وربما نشبت بينهم منازعات حول إدارة العمل ، ولـكنهم يمضون فى تنفيذ المشروع إلى النهاية . وكذلك يستطيع أبناء وبنات الثامنة وضع تمثيليات تعبيرية كاملة تقريباً وإخراجها بفيض دافق من التلقائية ، تمثيليات تاريخية وغير تاريخية .

ولهذا الميل التمثيلى دلالة مزدوجة ، فهو يظهر للعيان اثنين من سمات ابن الثامنة الأساسية : « التقويم أو تقدير القيم » و « الانسياح والتوسع » ، فالـ « أنا » عنده لها درجة جديدة من المرونة . وبالتمثيل وتقمص الشخصيات يستطيع أن يلعب دوراً بعد آخر مقوما كل دور بدلالة الكيفية التى عساه — أو ينبغى له — أن يحس بها فى تلك الظروف المطلوبة . والعقل الأقل نضجاً يكتفى بمجرد تقليد الأدوار بغير هذا الميل إلى التقويم . ولأن ابن الثامنة ميال بطبيعته إلى الانسياح والتوسع فهو يحب أن يخرج المسرحيات للجمهور ، وأن يقوم فى الخيال برحلات استكشافية خاصة . فهناك دافع يحمله على أن يبسط نفسه ليتغلغل فى ثنايا الثقافة التى يعيش فيها .

وكما أن الأميبا الجائعة تمد إحدى ذوائبها بعد الأخرى فكذلك عقل ابن الثامنة الجائع المتعطش دائب الانتشار والتغلغل بقوة ونشاط فى مناطق وأقاليم جديدة ، ويتجلى هذا الميل إلى التوسع والبسط فى محتويات جيب الولد أو شنطة البنت ، وكذلك فى المجموعات والنفائس التى تختزن فى الصناديق والأدراج والقمطرات وحقائب المدرسة . فكتالوج البضائع وأسعارها يصبح بساطاً سحرياً يبهج ابن الثامنة الإكباب على رسومه التوضيحية الموسوعية يختار هذه السلعة تارة وينتقى تلك أخرى متخيلا فى ذلك توسيع مجال شخصيته ، « لو أنى حصلت على هذا — يا ولد — لاستطعت أن أفعل كيت وكيت » ، وبهذه الطريقة يجتاح الميدانين الواقعى وغير الواقعى . بيد أن لكل سلعة ثمنها مكتوباً عليها ، ومصروفه النقدى محدود فلا يستطيع أن يصرف إلا قدراً محدداً لا أكثر ، وهذا مما يساعد على تنظيم تفكيره ، لكل شىء فى هذا العالم ثمن يشترى به ! فإذا كان للثامن أيضاً شهوة جارفة لما لاحد له من المال فليس ذلك راجعاً إلى مجرد الجشع وحده . وهو يحب المقايضة ، وإذا استبدل شيئاً بما يعدله جعل من ذلك تجارة بالقسط والعدل ، أما إذا خرج عن مجاله فقد يناله غبن . ولقد سمعنا أيضاً ببنت فى الثامنة اتخذت سمة المحسنات الخيرات فأشركت صديقاتها من بنات الجيرة فى أدوات زينة أمها ، وكل هذه الأمور تشير إلى أن النقود والأملاك والامتلاك والرغبة فى التملك ذات أهمية

قصوى فى التنظيم الثقافى لعقل الطفولة . وقد يتساءل المرء بحق : أليس لعُقَد التملك الباكرة من الآثار الديناميكية مثل ما لعقد الحياة الجنسية بالنسبة للأحداث ؟

على أن التفريقات النفسانية فى مجال الجنس تأخذ فى التشكل أثناء هذه الفترة الثمانية ، فالأولاد والبنات يشتركون فى أوجه النشاط بالمدرسة على قدم المساواة ، وكذلك يشتركون فى كثير من أوجه الاهتمام ، ولكنهم أخذوا أيضاً يتنبهون تنبهاً فعالا إلى الفوارق التى تفصل بينهم ، وقد يؤدى هذا الميل الانسياحى إلى القيام بتجارب بين أفراد الجنسين أو أفراد الجنس الواحد . أما النزعات إلى التفريق فتؤدى إلى الانسحاب وإلى إحجام الجنسين لتهيّب أو لاستحياء من أن يلمس أحدهما الآخر حتى أثناء اللعب العادى نفسه ، ونزعات الإفصاح والبسط تفضى أيضاً إلى استطلاعات جديدة ، فهناك اهتمام بالرضّع يكاد يكون عاماً ، وثمة استفهامات من باب التحسس لتعرّف أصل الحياة والتناسل والزواج .

وتستكشف البنات هذه المسائل العائلية عن طريق العرائس الورقية (مع استثارة إضافية من الصحف الهزلية) . والعرائس الورقية — كالبيادق فوق لوحة الشطرنج — ترمز إلى الأشخاص والمواقف ، فالأب والأم والعروس والعريس والبنت والابن والوليد والضيف .. الخ تُمثَّل كلها على أشكالها بالورق الذى يمكن تناوله بكل ما يعن من التعليقات التمثيلية التى تفضى إلى تنظيم الأفكار ، ويوحى الحوار أحياناً بقدر من الاستبصار فوق ما يستطيع عقل ابن الثامنة أن يدعى لنفسه فى الواقع ، تأمل قول إحدى بنات الثامنة على لسان عروستها الورقية أثناء إحدى المشاهد التمثيلية التى تخرجها : « لا يمكن أن يكون زوجى غير مخلص لى » ورد الرفيقة الواسعة الخيال : « ولكنه قد خان عهدك بالفعل ! » .

وعند ابن الثامنة نوع من الفضول يدفعه للتساؤل عن جميع العلاقات البشرية ، بيد أن اهتمامه بالمعارف المتعلقة بالزواج والجنس لا يبلغ فى العادة حد الإكبار ولا يصير مبالغاً فيه ، وهذا أبعد ما يكون عن الحب والشهوة ، فما هو إلا أحد مظاهر رغبته المتعددة الجوانب فى الانسياح والبسط ، فهو يمتد بنفسه عقلياً وانفعالياً ويتغلغل فيما لا حصر له من الاتجاهات حتى لقد يتساءل عن ماضى تاريخ البشرية

وعن القدَر الذى يخبئه المستقبل . وليست الثامنة سن الـ « هنا والآن » بل هى سن يُنشد فيها التعمق فى الزمان وفى الفضاء وتعرُّف مكانه فيها ، سن النفاذ إلى ماتحت السطوح ، فهو يريد المزيد من المعرفة بما فى باطن الأرض وما فى باطن جسم الإنسان ويسأل عن جغرافية السماء ، وقد أخذ يهتم بالخرائط البسيطة وبمسالك الهنود وبطرق العربات المغطاة التى سلكها المغامرون الأولون ، بل إنه ليهتم حتى بالحجيج من الآباء وبالإنسان البدائى وبالإسكيمو . وقد أخذ يتنبه إلى وضعه العنصرى وقوميته ، ولكنه بالسليقة لاينحاز لوطن خاص ، ومن ثم كان هذا العمر أنسب الأوقات لتقوية الاتجاهات الرشيدة المضادة للتحيزات العنصرية .

وفيه ذلك العطف الفطرى المتصل بالاستبصار بالثقافات الأخرى لأن لديه إخلاص الطفولة الأصيل الذى يعينه على إسقاط اهتمامات حياته هو على حياة الأطفال فى البلدان الأجنبية ، ويبتهج حين يعلم أن الأطفال الصينيين يشابهونه فى نواحٍ كثيرة جدا حتى أنهم يلعبون لعبة الأولى والبلى والاستغماية مثله تماماً ، وأنهم يذهبون إلى المدرسة ويقرأون ويكتبون ، وإن كانت كلمة بقرة عندهم لها قرنان وكلمة فم على صورة الفم تماما . ويريد أن يعرف ماذا يتناول أطفال الصين فى فطورهم وأى نوع من الأحذية يلبسون ، وهو يسمع أنه ليس لديهم مجلات هزلية يقرأونها ولكنه يعلم أن لديهم طيارات من الورق على شكل الفراش والتنين يطيرونها ، وهو يتمثل هذه المعلومات لابوصفها حقائق مجردة بل كقيَم إنسانية ، وهو يقوّم أفقه الذهنى أثناء انطلاقه وتغلغله ، ويَهوله أن يدرك أن خُمس أطفال العالم صينيون .

وطفل الثامنة فى خير أحواله يكون مسروراً كل السرور بالحياة وسمحا كل السماحة فى مشاركاته الوجدانية وحر الفكر كل الحرية فى حماسته لاستكشاف غير المألوف له إلى حد يجيز لنا أن نعتبره صورة مبدئية من عقلية الكبار تطمئن وتُبشر إلى حد كبير ، أما هو نفسه فيشعر بالفعل بالألفة والأنس فى حضرة الكبار ويتعامل معهم ويتحدث إليهم فى سهولة وحرية أكثر من ذى قبل ، ويحب أن يواجههم بأحاجى وألغاز يعجزون عن الإجابة عنها . وعندما كان أكثر طفولية كان يتطلب من الكبار الإجابة الصحيحة فوراً وكان يقدم الجواب بنفسه معاجلا ، أما الآن فإنه

ينعم بامتياز له جانب واحد . وأخذت تداعبه الشكوك فى عصمة والديه من الخطأ وعصمة الكبار عامة ، وتراه أحياناً يقص قصصاً غير معقولة وعينه منتبهة لاحظة ووجهه جامد لاينم عما فى دخيلة نفسه ، وذلك ليختبر قدرة السامع على اكتشاف الحيلة والخداع ، وهذا كله من الأعراض التى تنم عن تكوّن جرثومة بلوغ سن الرشد .

أما من الناحية العقلية فقد صار أكثر إفصاحاً وانطلاقا وتغلغلا ، ففى وسعه التعبير عن الدهشة وحب الاستطلاع ، كما أن تفكيره أقل ميلا إلى إضفاء الروح على غير الحى ، وقد شرع يتنبه إلى قوى الطبيعة التى لاتتصل بالأشخاص ، وهو يعرف ما يدفع المركب الشراعية إلى الحركة ، ويمكنه أن يميز الجوهرى من أوجه الشبه والفوارق عند الموازنة بين كرة القاعدة والبرتقالة وبين الطائرة وطيارة الورق وبين الخشب والزجاج . وقد أخذ أصل النباتات ونموها من البذور يشوقه ويسترعى اهتمامه ، وهو يتناول حياة الحيوان وما يتصل بها من عمليات باهتمام متزايد العمق ، وقد أخذ يفهم التعميم الخطير الشأن وهو أن مصير جميع الناس إلى الفناء وأنه هو أيضاً سيموت .

على أن بداية إدراكه هذا للموت لاتَشغَلُه أكثر مما ينبغى فإنه ينزع إلى أن يكون فياض الحيوية إلى الدرجة القصوى ، حتى حديثه نفسه يميل إلى السرف والمبالغة ، فكم هو شغوف بالكلام ! ! فهو يعود إلى البيت من المدرسة متفجراً بالأخبار فيقول : « لم تر عينى مثل ذلك أبداً » و « لقد كان فظيعاً » و « إنى أرتعب منه » و « الواقع أنه لم يستطع » و « طبعاً كانت تريد » و « عجباً ياجدتى إنك دائماً تقولين مثل هذا الهراء » .

ونحن وإن كنا لانتغاضى عن عدم احترام الجدة إلا أنها ربما كانت تدرك وتقدر حيوية التوترات الثمانية التى يخضع لها طفل الثامنة الموفور الحيوية والابتهاج ، فالظاهر أنه يحصل عن طريق المبالغات التمثيلية على سند نفسانى يشجعه ، وبهذا التمثيل الذى يجربه فى نفسه ينبسط ويمتد صوب النضج . وهو لايحب أبداً أن يفشل ، ومع ذلك فهو شديد الترحيب بالاستثارة التى تحفزه إلى استجماع قوته وبذل قصاراه . فإذا ظهر أن المهمة الملقاة على عاتقه عسيرة فلا يخرجه ذلك عما يليق . وقد رأيناه ربت على جبهته

فى يأس مسرحى قائلا : « ويحى ! ماذا دهانى ؟ هل أنا على وشك الوقوع أم ماذا ؟ » أو « لقد جـُن عقلى وسأموت من هذا سريعاً » أو « أنا دائماً أخطئ فى الأشياء السهلة » . وقد يبتسم الكبار بحق لسماع هذا كله وذلك لأننا نرى أنفسنا فى هذا الطفل إبان تلك اللحظات التى يحاول فيها بسذاجته أن يكون إيانا أى كبيرا مثلنا .

* * *

ويتبرعم طفل الثامنة فى اتجاهات هى من الكثرة بحيث يستحيل إجمال تغيراته المتنوعة فى عبارة واحدة ، فالفوارق الفردية عظيمة ، وفوارق الجنس بدأت تصير ذات أهمية . وبعض الأطفال لايبلغ من الإفصاح مبلغ أولئك الذين نقلنا عنهم فى تبياننا للخصائص ، ومع هـذا فإن المفصحين منهم يعلنون عن اتجاهات تعد أساسية ومثالية تختص بها منطقة نضجهم ، ففى التغيرات الدقيقة الغامضة التى تلم بالأسارير ، وفى الأذرع المتطاولة والأيدى المتضخمة يتسلف طفل الثامنة مرحلة المراهقة تسلفاً طفيفاً فإنه لايزال على قسط كبير من الصفتين الجذابتين : السذاجة وعدم المبالاة ، ولكنه لم يعد بعدُ طفلا صغيراً .

فى سن الخامسة والنصف كان آخذا فعلا فى التحرر من الرباطات القديمة ، وكان فى السادسة فى حالة انتقال يقدر على مواجهة حشد كبير من النواحى والأوجه الجديدة التى يلفاها فى عالم الطبيعة والبشر الذى لا يفتأ يتسع من حوله ، ولكنه لم يستطع أن يلمس إلا البدايات ولم يكن يرى الأشياء إلا على ومضات خاطفة أو على صورةٍ متضادات ، وكانت تصرفاته فى اندفاعات من الابتعاد والاقتراب .

وفى السابعة يقلّ ما فى مواءماته واستجاباته من تدرج وتجزؤ وما فى إدراكاته من عرضية وعدم اكتمال ، والآن بدأت تظهر فى عالمه الداخلى أنماط أوضح تشكُّلا داخلها عمق فى المعنى أضفته عليها الذاكرة والخبرة والنضج .

وفى الثامنة بدأ الطفل يرى النتائج والملابسات والمتضمنات فى حين أنه لم يكن يرى منها من قبل إلا جزئيات ، وصار عالمه أقل تفككا كما صار هو نفسه أقل انغماراً أو انغماساً فى العالم الذى يمتد ويتسع من حوله ، فأخذ يميز تمييزاً جوهرياً بين

الأشخاص والأشياء وبين قوى الطبيعة المستقلة عن الأشخاص والقوى النفسانية للأطفال وللرجال ، وفوق كل هذا بدأ يرى نفسه فى وضوح أعظم كشخص بين الأشخاص يعمل ويشارك ويستمتع .

وفى هذا التعرف الجديد لموضعه وروْدِ نفسه عليه ليألفه أذانٌ بتقدم هائل فى تاريخ حياته كفرد يستظل ثقافة دمقراطية ، فهو الآن على استعداد لسنتيه التاسعة والعاشرة بكل ما تحوياه من فرص عظيمة تمهد للمزيد من البسط والامتداد والتقويم والتدعيم .

سمات النضج

[لا يجوز أن تعد سمات النضج التالية معايير جامدة ولا نماذج تُحتذى ، فهى إنما توضح أنواع السلوك (المرغوب فيه وغير المرغوب) التى تنزع إلى الحدوث فى هذه السن ، فلكل طفل نمط للنمو فريد خاص به . وسمات السلوك الملخصة هنا يمكن استخدامها لتفسير فرديته ، ولتكوين فكرة عن مستوى النضج الذى يظفر فيه] .

١ — الخصائص الحركية

النشاط البدنى

الحركات الجثمانية لطفل الثامنة فيها سهولة وسيولة وفيها فى الغالب رشاقة واتزان ، فمشيته حرة طليقة ، وهو متنبه إلى وضعة جسمه ولا ينسى أن يجلس منتصباً عند الضرورة ، كما أنه متأهب لنقد من لا يفعلون ذلك . ويحب أن يمثل وأن يعبر عن نفسه فى طائفة منوعة من الوضعات الجسمية والحركات والإيماءات ، ويقوم بألعاب بارعة وتلذ له لعبة « اتبع الدليل » .

وابن الثامنة فى حركة دائمة يجرى ويثب ويطارد ويصارع ، ولعبة « الاستغماية » تسلية أثيرة لديه ، ولكنه مستعد أيضاً للألعاب الأكثر تنظيما كلعبتى كرة القدم وكرة القاعدة . وعندما يساهم فى النشاط نجده متفرجا حسنا كما أنه لاعب مجيد .

والشجاعة والجرأة من خصائص الثامن ، فإذا هو تسلق الأشجار أو سار فوق لوح من الخشب شد نفسه كالفولاذ . وقد يعبر عن خوفه بالكلام ، وقد يحتاج إلى شىء من التشجيع ، بيد أنه يتمم عمله الجرىء الباهر .

وهو يحس لذة جديدة فى التزحلق وفى حبل النطّة وفى السباحة ، وهو أكثر تقبلا لتعلّم أساليبها الفنية الجديدة ، ولكن شدة حرصه على التصرف من تلقاء نفسه تجعله كثيراً ما يعود إلى طريقته الخاصة بعد أن يجرب طريقتك .

العينان واليدان

تبدو فيما يقوم به الثامن من حركات دقيقة زيادة فى السرعة والسلاسة ، فالاقتراب من الأشياء وإمساكها سريع سلس بل رشيق ، والإطلاق فيه عدم مبالاة أكيد .

ويستطيع ابن الثامنة أن يغير من وضعة جسمه فى تكيف أكبر ، فهو ينحنى إلى الأمام ثم يجلس منتصب الجسم فى جلسته بحيث يكون رأسه على أبعاد مختلفة من نقطة عمله . وفيه من التماثل أكثر مما كان فيه فى السابعة ، فإنه كثيراً ما يتكىء على مرفقيه معاً أو يمد كلا الذراعين على المنضدة . وتبدو فى التغيرات فى وضعات جسمه وتدفقاته كثير من الأنماط التى شوهدت فى السادسة والسابعة ، ولكن فى سهولة وسيولة أكبر .

وفى وسع الثامن أن ينظر قبل أن يقدم ، ولكنه يحب أيضاً أن يعمل بسرعة ولذا لا تكون وقفته الأولى طويلة الأمد . ويمكنه أن يداوم النظر والانتباه أمداً أطول مع الرمش بالعين أو اختلاس النظر ولكنه إذا شاء أن يتحدث مع البعض حوّل نظره وانتباهه إلى ناحيتهم .

والثامن يشبه السادس نوعا ما فى اهتمامه بعمل أشياء كثيرة ، غير أن عنده مع ذلك فكرة ما عن الإنتاج المتقن ، وليس له قوة احتمال التاسع أو صموده فقد يترك أشياء كثيرة دون أن يتمها .

فإذا كتب باعد بين الكلمات والجمل وكانت سطوره وانحراف كتابته(١) أكثر انتظاماً فى استقامتها . وربما كانت أفكاره فوق ما يستطيع كتابته . وإذا رسم أشكال الإنسان كان أكثر تنبهاً إلى التناسبات البدنية ، كما أنه يحب بصفة خاصة أن يرسم الإنسان أثناء قيامه بعمل . وقد أخذ يرسم المنظور (أى الصورة العامة الشاملة التى تبين الأهمية النسبية للأجزاء) .

ومع أن الثامن نعال نشيط فإنه أخذ يصير كذلك ملاحظاً حسناً ، فهو لا يمس ما يرى بكثرة كما كان يفعل من قبل . ثم إنه يستطيع أن يسام فى أحد أوجه النشاط ، ومع ذلك يلاحظ كيفية أداء طفل آخر لعمله .

٢ — الصحة الشخصية

الأكل

الشهيــــة : حتى أقل الأطفال أكلا يأخذون عند سن الثامنة فى اكتساب شهية لا بأس بها ، فهم يأكلون باطراد فى اهتمام ظاهر وإن لم يأكلوا بالسرعة التى هى عادة من خصائص هذه السن . والثامن التالى جائع جوع الذئاب ، وكثيراً ما تقول أمه : « إنه يأكل كالخلوف يجرف إلى جوفه فحسب » . فبعد أن يتناول من جميع الأصناف يعيد الكرة من جديد ويطلب كل شىء ، بل إنه قد يطلب غرفة ثالثة . وترتفع منحنيات وزنه(٢) بسرعة ، وقد يستهدف للمعاكسة بسبب شدة سمنته ، وقد يحدث هذا التغيير الأثر المطلوب إذا صحبه شىء من التحكم فى مقدار الطعام ، ولكن كثيراً ما يحتاج الأمر إلى قليل من إشراف الكبار ، فهناك أنواع من الأطعمة كالبطاطس والحلوى يمكن قصر الغرف منها على مرة واحدة . ويظل اللبن مستحباً عنده بعد فشله .

الرفض والتفضيــل : لا يزال الثامن يكره بعض الأطعمة ، فهو لا يستطيع أن يفهم

(١) يشير الكاتب هنا إلى طريقة الكتابة المائلة فى الإنجليزية .
(٢) أى الخطوط البيانية الدالة على وزنه .

مثلا « ما يجبرهم على إفساد اللحم الجميل بتلك الصلصة الفظيعة » . وتقويمه للطعام يقوم على استعمال حاسة الشم فى صراحة أو شبهها ، فرائحة زبدة الفول السودانى قد تنفره (وخاصة إذا كان على رهافة إزاءها) وقد تملأ نفسه بفيض جميل من الشعور بابتهاج محبب .

والآن وقد بلغ الثامنة فهو مستعد فى جراءة لتذوق كل شىء تقريباً ، إلا أنه لا يبرح يكره الدهن فى نصيبه من اللحم ، كما أنه إذا رأى دجاجة تذبح فقد لا يستطيع أكل الدجاج الى حين . بل إنه يستطيع الكف عن التفوه بعبارات الكراهية ، ويبدو بوضوح أنه يستجمع الشجاعة مع كل ملعقة يتناولها من أى طعام يكرهه . وينبغى أن يحرص الوالدون على عدم إرغام الأطفال على الأطعمة لأنهم قد يظلون على رهافة إزاء بعضها الى هذه السن ، ومع هذا فإن الطفل الرهافى قد يفضل كثيراً نفس الأطعمة التى تثير فيه الرهافة .

إطعام الطفل نفسه : يحسن ابن الثامنة تناول أدواته الى قدر لا بأس به ، وإن كان بعض الأولاد لا يزالون يمسكون الشوكة والملعقة مائلة أو مقلوبة ، وبذا تتحول العملية الى دفع الطعام أو جرفه بدلا من غرفه . ومع هذا يقل الالتجاء الى الأصابع عن ذى قبل ، وقد أصبح الآن كثير من الثوامن قادرين على قطع نصيبهم من اللحم بالسكين ، ولكن عدداً لا بأس به منهم لا يبلغون هذه المهارة قبل التاسعة أو العاشرة . وقطع الجزر شرائح لا يزال أسهل من قطع اللحم .

آداب المائدة : هناك تباين قاطع بين آداب طفل الثامنة على المائدة فى البيت وآدابه عليها بعيداً عن البيت ، وإذا يئس الوالد من إصلاح طفل الثامنة فى البيت فما عليه إلا أن يأخذه الى أحد المطاعم أو يدعو أحد الأصدقاء لتناول العشاء معهم ، فإن الحافز الإضافى الجديد يكون فى الغالب كافياً لدفعه الى إظهار الكامن من إمكانياته وقدراته ، ولكن ذلك لا يستتبع أن الطفل يستطيع بسهولة الاحتفاظ بالمستوى الأعلى الجديد .

أما فى البيت فإن أحسن أكليه يكون مع جماعة الأسرة ، وذلك لأنه يحب الاندماج فى الجماعة . ولعله قد تدرج الآن من منضدة صغيرة خاصة به فى غرفة الطعام الى مائدة العائلة ، فإن كان الأمر كذلك فمن الخير أن نجلسه الى جوار أمه حيث تستطيع من غير تدخل ظاهر أن تجعله يتبع الأصول بتلميحات طفيفة تحميه من تأنيبات الأب .

وازدراد الطعام والتسرع فيه من المشاكل الكبرى ، وهناك ما يذكرنا بأساليب هنرى الثامن عندما يعمد أحد أطفال الثامنة وقد أفرط فى مأكله الى فك الحزام (أو الجونلة إن كانت بنتاً) لمسايرة المزيد من التناول ، أو عند عدم بذل الجهد لكبت الميل الى التجشؤ ، وهذا نوع من السلوك سجله أكثر من والد .

ثم إن سرعته فى تناول الطعام تفضى الى مضاعفات أخرى ، فإذا قدمت الوجبة على طريقة التتابع المألوف للأصناف فإنه يجد نفسه على استعداد للحلو قبل سائر أفراد العائلة بزمن طويل . وإذا لم يستدعه داع الى الخارج ، أو لم يأت الحلو عقب لون الطعام الرئيسى مباشرة فإنه يسعده أن يغادر المائدة ويعود إليها عند ما يقدم الحلو . بل لقد اكتشف بعض الآباء أن الطفل يستمرئ اللعب على البيانو أثناء تلك الفترة .

وبعض أطفال الثامنة ممن ليسوا على سرعة هؤلاء قد يلعبون بالأدوات المعدنية أو يبعثرون الطعام فى أرجاء أطباقهم . ومع أن الثامن قد يظل مستقراً فى كرسيه الى حد

كبير فإنه قد ينحني بجسمه فجأة في سرعة وخفة ليلقي نظرة تحت المائدة . وإذا كان هناك صغار آخرون فقد يقوم نزاع ، على أنه قد يستطيع لتسلية نفسه وتلهيتها دون التدخل في حديث الكبار .

ولا يزال طفل الثامنة بحاجة إلى تذكيره بضرورة غسل يديه قبل الأكل ، وكثيراً ما يستجيب قائلا : « لابأس ، ما دمت تصر » وهو يستعمل الفوطة وإن لم يدر ماذا يصنع بها حين لا يستعملها ، وهو يحاول أن يثبتها على حجره ولكنها كثيراً ما تقع على الأرض ، ولذا يحل كثير من أبناء الثامنة مشكلتها بالجلوس عليها ، ويؤثر آخرون غيرهم تركها إلى جوار طبقهم .

النوم

وقت النوم : في سن الثامنة اتجاه أكيد نحو تأخير وقت النوم إلى الساعة الثامنة مساء وإطفاء الأنوار في الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة أحيانا . ومع أن الثامن قد يعرف كيف يقرأ الساعة فإنه لا يستعمل مقدرته هذه في توجيه نفسه إلى الفراش بل يحتاج للتذكير ، كما يحتمل أن يؤجل الذهاب إلى الفراش إلى أقصى حد ، وللتغلب على تلك لا بد من دافع معين مرسوم ، فإذا هو عرف أنه لن يسمح له أن يستمع إلى أحد برامج الإذاعة المحببة إليه إلا إذا اتخذ أهبة النوم فإنه يضطلع بالاستعداد له بالفعل . واهتمامه بالساعة وكذلك رغبته في السهر إلى أطول حد مستطاع تجعله شديد التأثر بالاشتراطات الزمنية بمثل : إذا لم يكن في فراشه عند الثامنة مساء كان عليه أن يدخله في الليلة التالية متقدما عن الثامنة بقدر ما تأخر في هذه الليلة ، ومثل هذا الاحتمال لا يروقه ولا يسعده ولذا يستجمع سرعته ولاسيما بعد أن يذوق طعم الجزاء المقرر مرة .

وهو على العموم أسرع استعداداً للنوم إذا كان بمفرده منه عندما يكون مع أحد والديه . وهو يفضل أن يقرأ أو يُقرأ له أو أن يصغي إلى مذياع بجوار السرير . فإذا حان وقت إطفاء الأنوار فإنه لا يزال يؤثر أن تدسه أمه في الفراش وتحييه تحية المساء . وقد يظل هذا الوقت مناسباً للدردشة والتخفف من الهموم ولكنه قد يكون أيضاً أسوأ الأوقات للتذاكر وتقليب الحديث في الموضوعات إذا كان الطفل سهل الاستثارة . ومن حسن الحظ أن الطفل من هذا الطراز لا يثير في العادة من تلقاء نفسه موضوعات تقلق وتزعج ، كما أنه قادر على إقفال الراديو عندما يكون البرنامج المذاع مخيفاً يحتمل أن يسبب له أحلاما سيئة .

والعادة أن يغلب النعاسُ الثامنَ بسرعة عقب إطفاء الأنوار ، إذا لم يكن وضع في فراشه قبل موعده بزمن طويل ، بيد أن بعض الأطفال لا يزالون بحاجة مطردة إلى زمن تهدأ فيه نفوسهم قبل النوم .

الليل : النوم عميق في العادة ، وكثيراً ما يوصف الثامن بأنه « نوّام مدهش » وقلما أزعجت الكوابيس نومه ، بل إن حاجته إلى قضاء الضرورة ليست كثيرة الحدوث ، وقد هبط مجموع ساعات نومه إلى عشر ساعات في المتوسط .

الصباح : معظم الثوامن يستيقظون بين السابعة والسابعة والنصف صباحا ، وهم يفرغون عادة من ارتداء ثيابهم قرابة الثامنة دون كبير احتياج إلى تذكير .

قضاء الضرورة

الأمعاء : قل جدا بين الثوامن من يتبرز عقب وجبة الغداء ، ويلوح أنهم

ينقسمون طائفتين ، طائفة تظف بعد الإفطار وأخرى بعد العشاء . وثمة عدد متزايد ممن يظفون بعد الإفطار يستطيعون أن يقضوا حاجتهم فى الضحى بالمدرسة إذا لم يسبق لهم ذلك بالمنزل . والثامن عرضة للإحساس بحاجة ملحة إلى المبادرة بالوظف كالتى كانت تلم بابن السادسة ، على أن هذا يكون عادة استجابة لمنبه معين كما أن ضبطه يكون سهلا على الطفل ، فتغير فجائى فى درجة الحرارة كالذى يحدث حين نزول الطفل إلى الماء للسباحة قد تتسبب عنه الرغبة فى الوظف توا ، وربما تيسر منع هذا النوع من الاستجابة بتذكير الطفل قبلها بالذهاب إلى الحمام .

الشانة : والثامن يحتاج كما فى السابعة إلى التذكير بالذهاب إلى الحمام ، وخاصة عند ما يعود من المدرسة أو قبل أن يخرج فى رحلة وهو فيما عدا ذلك يجيد تولى أمره من هذه الناحية بنفسه . وإذا عهد إلى الطفل بمهمة كريهة فى البيت أو فى المدرسة فإنه قد يحس قبل بدئها أو إبان تأديتها برغبة حقيقية فى الذهاب إلى الحمام ، فتجفيف الصحون مثلا لابد أن يتخلله رحلة إلى الحمام يصحبها شيء من التلكؤ .

الحمام واللبس

الحمام : قد يقاوم الثامن الحمام ، على أنه لا يكاد يمضى فيه حتى يستمرئه كثيراً وخاصة إذا طال أمده باللعب نصف ساعة مثلا ، فحين تقترح الأم الاستحمام فإن الثامن قد يجيب فى توهم وادعاء « لقد أخذت حماما ليلة الأمس » . والطريقة القديمة فى الاستحمام مساء السبت من كل أسبوع تروق عدداً من الأطفال ، ولكن التوامن فى معظم الأحوال يرتضون ثلاث حمامات على الأقل فى الأسبوع ويتواءمون معها .

وقد اكتسب الآن استساغة أكبر للمياه الدافئة ويلذ له أن يعرف إلى أية درجة من الحرارة يطيق الماء فى استحمامه ، وهو يستمرىء بحق ملمس الحمام الدافىء ، ومع أنه ربما كان فى السابعة يستحم بنفسه جيدا فإنه يفضل الآن أن يحمّى أو أن يقرأ له أثناء استحمامه على الأقل . وربما قام حتى ببعض الهجاء أو الحساب الشفوى فى الحمام ، وقد يتناوب مع أمه غسل نفسه . وكثيراً ما يسر الأولاد بلعبة الزوارق ، وقد يدّعون أنها غواصات ويقطعون لعبهم من حين إلى آخر بالشرب من الصنبور ، ولعلهم كانوا فى سن أبكر من هذه يرتشفون مياه الحمام أو يمتصون قماشة التلييف . ولا يشغل الثامن نفسه كثيراً بوجهه أو عنقه أو أذنيه أو ظهره لأنه كما يقول لا يستطيع أن يراها . ويمكنه أن ينظف شعره بالصابون والشامبوه وأن يقص أظافره وإن كان لا يزال بحاجة إلى المساعدة عند تقليم أظافر يده التغلبة . وخير وسيلة للمحافظة على نظافة أظافر اليد هى مواصلة تقليمها .

وقليل من التوامن يغسلون أيديهم من تلقاء أنفسهم قبل الأكل ، ولكن معظمهم يحتاجون إلى التذكير ويتقبلونه بمقاومة لا تكاد تذكر . وهم عرضة للتعجل فى الغسيل ومسح معظم الوساخة فى الفوطة ولذا فإن إضافة توجيه صغير بضرورة الغسل بالصابون ثلاث مرات وعدم نسيان المعصم يوفر فى غسل الفوط .

اللبس والعناية بالثياب : يلبس الثامن ثيابه بسرعة وسهولة لا بأس بهما ، وقد يحتاج إلى النخس ، فإذا سئل لماذا يبطىء إلى هذا الحد أجاب « أظن أن السبب هو مجرد الكسل » . ولا يزال قليل منهم يتوقون إلى المساعدة ولكنهم فى العادة يقبلون التحدى إذا قلنا : « جميع الأطفال

يلبسون أنفسهم فى الثامنة » ويحسنون الأداء تماما ، ولكنهم قد يطلبون العون فى آخر مرحلة وهم لا يزالون بحاجة إلى من يدس لهم بعض الأطراف المتدلية ويذكرهم بتزرير ما بقى من الأزرار . وربما خفف استخدام الشست الجيدة هذه المشكلة وخاصة عند فتحة البنطلون . وقد صار الآن تناول أربطة الحذاء سهلا ولذا يحتفظ بها مربوطة . والحق أن مشكلة جديدة تنشأ الآن عن رغبة الطفل فى خلع حذائه دون فك الرباط ، وليس هذا من صالح الأحذية فى شىء .

والثامن يهتم أيضاً بثيابه ويشترى ثياب جديدة ، وربما لم يكتف بإملاء رغباته بشأن الزى واللون بل لعله يشترك أيضاً فى اختيار ثيابه فى المحلات (مخازن البضائع) ، ومع ذلك فهو فى العادة متقبل الاقتراحات . ويفضل الأولاد غالبا الثياب الخضر — والبنطلونات القصيرة والقمصان البسيطة أو الجرسيهات — وكلها تختار من ألوان الطيف الهادئة ، كذلك البنات يتحولن عن اللون الأحمر ويرغبن فى الأزرق والأخضر . وبعض البنات يرفضن البنطلونات الفضفاضة أو التزالك بينما يفضلها غيرهن ، ولم يعد تغيير الثياب معضلة فإن كثيراً من الأطفال يؤثرون فى الواقع تغيير كل شىء يومياً ؛ ومعظم الأطفال قادرون الآن على اختيار ثيابهم فى كل صباح بمساعدة أو بغير مساعدة ، فإن كانوا لا يزالون يتلقون العون فإنهم يشعرون بالإهانة البالغة إن وضعت لهم ثيابهم على الأرض بدلا من وضعها على كرسى ، وبعض الأطفال يتركون أحراراً أكثر مما ينبغى حتى ليخرجون علينا دون أى ثياب داخلية وبجوربين مختلفى اللون . ومن الأولاد من يحبون أن يستعملوا ثيابهم فى إظهار شدة مراسهم ويتعمدون ترك جواربهم مدلاة لأنهم لا يرغبون أن ينعتوا بالدلع (أو بالبنوتة) .

والبنات أكثر عناية بثيابهن من الأولاد الذين يقسون حقاً على ثيابهم . وهم يبلغون الآن عن الفتوق والخروق إذا كانت تضايقهم وتجعل ثيابهم غير مريحة . ولعلهم لا يزالون عندما يخلعون ثيابهم يلقونها حيث هم أو ينثرونها هنا وهناك ، ولكن عدداً متزايداً منهم يقذفون الآن بثيابهم على أحد الكراسى أو لعلهم يضعونها على الكراسى مرتبة . والثامن قادر على وضع ثيابه الوسخة فى المكان المعد لها على الأقل إذا ذكر ، وقد يضيع قطع الثياب القابلة للانفصال ، وهو أمر يرجع جزء منه إلى ازدياد تنبهه إلى أثر الثياب فى نفسه وإلى القدر اللازم له منها . وتعليمه أن يربط كمى « السويتر » حول وسطه إذا كان لا يطيقها من الحر قد يوفر عليه صعوبة البحث عنها مستقبلا كما يصونها فى الغالب من الضياع .

وقد صار أكثر تفهماً لفائدة المنديل والفوطة وأكثر تقبلا لهاوبدأ يستعمل المنديل عندما يسعل أو يعطس لا عندما يمخط فقط .

الصحة والشكايات الجسدية

إن فى تحسن مواظبة الثامن على المدرسة لأكبر شاهد على تحسن حالته الصحية ، فإذا أصابه برد لم يدم عادة أكثر من يومين . ومع أن حرارته ربما ارتفعت فجأة فإنه يسير نحو البرء سريعاً ، وهذه أول مرة يقال فيها عن الأطفال أن مرضهم « خفيف » . ويشكو الطفل من آن لآن احتقاناً فى الحلق ثم لا يحدث بعدها شىء ذو بال ، وقد تعاوده حمى الربيع والربو . وهناك عدد من الأطفال لم تصبهم النوبات منذ سن السادسة . والأمراض المعدية التى تصيب طفل الثامنة أقل

من التي تنتاب الأصغر منه كما أن بُرءه أسرع .

والثامن أقل تعرضاً للتعب بوجه عام من السابع ، ومع أنه قد لا يتعب بسهولة فلربما عاودته اضطرابات المعدة كما فى السادسة إذا ضايقه شىء . وهو يشكو من عينيه كما فى السابعة ، ومن الصداع عند ازدياد تهيجه .

والحوادث من أكبر أسباب الوفاة فى هذه السن : ومعظمها حوادث السيارات والسقوط والغرق . والثامن كالرابع خارج على كل قيد وحد ، فهو منطلق للعمل ، على استعداد لمحاولة أى شىء ، وقد زايله ما كان فيه فى السابعة من حرص وحذر ، وهو يخطىء فى تقدير نفسه بأكثر من حقيقتها . وليس طفل الثامنة مهيئاً حقاً للسير بدراجته فى الطريق العام المزدحم فهو عرضة لأن تصدمه سيارة مارّة ، وإذا وقع نزّع إلى النزول إلى الأرض بقدميه ومن ثم قد يكسر ساقه .

متنفسات التوتر

متنفسات التوتر التى يرويها الدوالثوامن تافهة وقليلة قطعاً ، فطاقة الطفل بأكلها لا شك موجهة نحو أوجه النشاط الاجتماعية أو الحركية الكبيرة التى صار سلطانه عليها الآن أعظم كثيراً أو صار فى مقدوره على الأقل مجابهتها ومحاولتها . وقليل من الأولاد يشدون سراويلهم فى منطقة أعضاء التناسل أو يهرشون فى المقعدة وخاصة عند اشتداد التوتر الاجتماعى ، وهذا النوع من السلوك يربك الوالدين ويضايقهم . ومما يساعد على العلاج الثياب الداخلية الفضفاضة ، ولكن إبعاد الطفل عن ذلك الموقف الاجتماعى المبهظ له هو ما تشير به الدلائل فى أغلب الأحوال .

وأكثر متنفسات التوتر شيوعاً فى الثامنة هى حاجة الطفل إلى التبول إن أثقل كاهله شىء لا يحبه أو فوق مقدوره . ومن شبه المؤكد أن تنشيف الأطباق ستقطعه بعد ابتدائه بقليل رحلة إلى الحمـــام ، وربما أحدثت بعض المواد الدراسية الصعبة كالقراءة مثلا انتفاخا فى المثانة فى وقت قصير جداً ، ورد الفعل هــذا يعد ضربا من « العَرَق الداخلى » يسببه الانفعال ، وهو ليس بالتنصل كما تدل على ذلك وفرة ما يعقبه من إفراز ، وقد يترتب أيضاً على الإسراف فى الضحك انفلات للبول غير إرادى .

ومص الأصابع ولا سيما عند الأولاد يحدث احتياجا طفيفاً فى سن الثامنة ، فإن كان الطفل يمص أصبعه بالفعل عند السادسة فإنه يحرص على إخفاء ذلك عن الكبار ، ومن المحقق أنه حاول الإقلاع عنه فى السابعة بمساعدة الكبار ، أما فى الثامنة فقد يكون وقحاً قليلا بشأنه ولا يحس بأية مشغولية أو قلق أو خجل ، وهذه الظاهرة تنزع إلى الحدوث مع المطالعة أو الاستماع إلى الراديو أو التهيؤ للنوم أو الاستيقاظ منه ولكنها لا تحدث بكثرة تتطلب اتخاذ إجراءات خاصة . وهذه السن هى فى الغالب آخر سن يعاود الطفل فيها مص الأصابع .

٣ — التعبير الانفعالى

الثامن أقل تركزاً فى نفسه وأكثر تحرراً منها عما كان فى السابعة ، فهو أقل حساسية وأقل انطواء على نفسه وأقل تعرضاً للانسحاب وعلى استعداد لمجابهة أى شىء ومحاولته — فهو فى الواقع يحب الأشياء الصعبة ، بل إنه ليبدى شجاعة فى تصديه لها ، وهو يظن أنه يعرف أكثر مما يعرفه حقاً ، وكثيراً ما يتخذ صوته نغمة « العارف بكل شىء » . وهو يتوقع الأمور بتشوق كبير ،

بل لقد يصرف اهتمامه كله إلى التوقع وحده . وقد غدا اهتمامه قصير الأجل فسرعان ما ينتقل من شيء إلى مايليه ، وهذه القدرة على التحول السريع تجعله أسلس انقياداً لأنه بقليل من المساعدة يهدأ بسرعة ، بل إن فى إمكاننا التحكم فيه بنظرة واحدة .

وهو مفعم بنفاد الصبر وبخاصة حيال نفسه ويبغى إنجاز الأعمال على الفور وعبارة ابن الثامنة التى لا يفتأ يرددها هى : « لا أستطيع الانتظار » وقد يكون يشير بها إلى حفلة فى الأسبوع القبل أو إلى عطلة الصيف المقبلة أو إلى الوقت الذى سيكون فيه مستعدا لدخول الجامعة . وهو يتنقل باستمرار بين خارج المنزل وداخله ، وهو من شد التنقل والتجول ومن ضآلة القدرة على متابعة مهماته بحيث يلاحق أمه بطلبات لا تنقطع ، وقد تقول فى ذلك : « إنه يلازمنى » . وهو كثيراً مايحتاج إلى الالتفات والانتباه التام من أحد الأفراد ويحتاج إلى المعاونة حتى يحسن الثبات على أداء ما كلف به ، كما يحتاج إلى سند من المديح والتشجيع . وهو يمثل كل شيء حتى نفسه تمثيلا مسرحيا ، بل إن قصصه التى لا تدخل العقل تستحوذ على الحوادث المثيرة فى أحد مواقفه التمثيلية على أمل أنها قد تستدر الاستجابة الملائمة من النظارة الذين يحتاج إليهم التمثيل دائما .

وبينما يسرف فى طلباته من أمه تراه فى نفس الوقت أكثر مقاومة لها ، فقد يرد على طلبها أو اقتراحها بلفظة « كلا » حاسمة باتة ، ولكنه فى أغلب الأحيان يلتمس عذراً ما فيقول مثلا : « إنى مشغول » أو « سأفعل ذلك فيما بعد » ويجب أن يُفسح له فى الوقت لأنه فى العادة ينزل على الرغبات فعلا إذا أتيح له أن يلف حولها بطريقته وبدافع من نفسه .

وهو ينفجر فى البكاء لأسباب كثيرة ولا سيما إذا كان متعباً ، أو ربما لخيبة أمله لأنه منع شيئاً كان شديد الرغبة فيه أو جرح إحساسه أو وجه إليه نقد أو لأنه فعل شيئاً مع علمه أنه ما كان ينبغى له أن يفعله . وهو أقل بكاءً من ذى قبل من أثر ما يشعر به فى دخيلة نفسه من حيرة وارتباك ، ولكنه قد يبكى لحادثة مؤثرة محزنة فى قصة أو فى رواية سينمائية .

وتثور ثائرته أحيانا ، وقد يبلغ من تميزه غيظا من أمه أن يقول لها فى مقت وحنق حقيقيين ، ووجهه متجهم : « إنك دون » . ويندر أن يضرب أمه ولكنه ربما ضرب أخاً له إذا تملكه الغضب لتأنيب أمه له ، ومن الحكمة أن نحلل له فيما بعد ذلك الأسلوب (أو المكنية) من القصاص فإنه سيفهمه . ومن التوامن من يبدون غضبهم فى فكاهة أكثر ، وقد تتوتر عضلات وجوههم حنقا ويُبرزوا فكهم الأسفل ويشدوا أذرعهم إلى الوراء ويثنوها عند المرافق وهم يعقدون قبضات أيديهم مهددين ، فهذا الوضع التمثيلى نفسه لابد أن يبعث الأطفال الآخرين على الضحك وخاصة فى موقف من مواقف غرفة الدراسة . والثامن كذلك يمثل الأمور تمثيلا شفويا كقوله : « هذا يحدث لى دائماً » أو « لا أحصل أبدا على فرصة أصنع فيها ما أريد » أو « لقد سألتنى ثمانية ملايين من الأسئلة » .

ولما كان الثامن يتطلب الالتفات الكامل فمن الحكمة أن يرسم الوالدون لأنفسهم خطة محددة تفرّج عنهم وتعفيهم من متاعب الطفل فى تلك السن ، والمدرسة تلعب دورا هاماً فى هذا التفريج أو الإعفاء فالطفل فى المدرسة يستوعب فى لهفة وشغف

الخبرات الجديدة التي تساعده على توسيع أفقه ومجاله . والتنافس مع الأطفال الآخرين أمر تلقائي يساعد على التزام ابن الثامنة ما كلف به من واجب . ومع أنه قد يظهر التزعم في بعض المواقف فإنه يستطيع كذلك عندما يكون تحت الإشراف أن يستخدم نفس ذلك الحافز في التوجيه ، وذلك بمساعدة غيره من الأطفال الذين يحتاجون إلى عناية فردية . ولا يزال لعبه بعد المدرسة بحاجة إلى قدر معين من الرقابة ، والغالب أن إشراك طفل أكبر سناً يحقق مزيجاً من الحفز والرقابة .

والثامن ليس على الدوام ألطف طفل نختاره حولنا ، فإنه قد يكون فظا ولا سيما مع جدته إن كانت تقيم في البيت معه ، والحكمة تقضي على الجدة ألا تتصل بالطفل إلا عن طريق محدد خاص كالاشتراك معه في الألعاب أو كالقراءة له ، وأسوأ الأوقات لتدخلها يكون حين يتولاه أبوه وأمه بالمعالجة ، فعندها يحتمل أن أي تدخل من الجدة يُفضي إلى مواجهة الطفل لها بملاحظات فظة تضايقها إلى أقصى حد . وهو يتصرف تصرفا غير هذا تماماً ويكون حسن المعشر إن كان وحيداً مع جدته أثناء زيارته لها بمنزلها الخاص .

والثامن يحب المجادلة وهو أشد ما يكون تنبها إلى أخطاء الآخرين ، وبخاصة أمه ولكنه أيضاً ينقد نفسه حتى لقد يقول : أسكران أنا ؟ وهو يدرك أن الناس قد يوقعونه في حبائلهم ولذا يكون حذرا مترقبا وهو يظهر سخفه وخرقه فيما يردده من أسجاع تافهة فإذا تعب فقد يستغرق في نوبة من الضحك .

٤ — المخاوف والأحلام

المخاوف

مع أن لدى الثامن عدد من المخاوف غير المحلولة المتخلفة عنده منذ كان في السابعة وأنه يعاوده قليل من مخاوف سن السادسة فإنه في الغالب يتصدى للحياة بشجاعة مصمما على الفوز والغلبة ولا يعترف بمخاوفه لأحد حتى ولا لنفسه . ولكنه قد يظل خائفاً من المنازلة ومن الإخفاق أو من نقد الآخرين له وإحصائهم لأخطائه أو كراهيتهم له وقد يأبى الإصغاء إلى حكايات عن الثعابين .

وربما داخله إلى الآن خوف من الظلام متلبث وعندئذ ينعت « بالهياب » من الظلام ومع ذلك قد يطلب الآن إطفاء نور الصالة . وما من شيء أجلب لسروره من أن يخرج مع أحد والديه بعد أن يخيم الظلام وهنا تسنح فرصة بديعة لمساعدته على أن يروض نفسه على أن يألف الظلام ويألف ظهور الظلال واختفاءها تبعا لاتجاه النور وقوته — إن كان ثمة أنوار في الشوارع — ، ويتألف ضجيج الليل .

ومع أن النار نفسها قد لا تكون موضع تخوف فقد يكون هناك اهتمام قسري بكل ما يتصل بالنار فتُقرأ الكتب التي تتحدث عن النار وتعاد قراءتها . ومخاوف الفضاء بالمنزل أصبحت الآن تحت سيطرته فلم يعد يخاف من الفجوات فوق الغرف ، ومع أنه لا يبدى تحمساً للبدروم فإنه يستطيع أن يضبط خوفه إذا أرسل إليه لقضاء مهمة معينة . وقد تخاف البنات بوجه خاص من الرجال الأغراب ، وإن كان هؤلاء الرجال أنفسهم يحاولون أن يكونوا ظرفاء مشفقين معاونين ، وربما ساورهن خوف من أن الرجال سيقتلونهن أو يقذفون بهن في الماء .

وبعض الأطفال يتبدلون بالمخاوف الصريحة القلق الشديد وحل الهموم الثقال فبينما هم فى غمرة ممارسة خبرة ممتعة كرحلة مثلا إذا بهم يشغلون بالهم ويقلقون أنفسهم بأمر تكرار الرحلة وقد يساورهم القلق والضجر بشأن إدراك قطار بل قد يحملون هم التحاق أبيهم نفسه بالجيش ، هؤلاء هم الأطفال الذين ينزعون إلى شدة التعلق بالماضى ، ويجدون صعوبة فى الانتقال إلى المستقبل فى يسر ، وهذه هى طريقتهم غير المباشرة لأن يخطوا الخطوة التالية . ومعظم الثوامن يتصدون مباشرة لأية خبرة تخيفهم ويكرهون أنفسهم على تكرارها ليتحللوا من مخاوفهم أو لعلهم يقترفون إثم الخوف بإخافة طفل أصغر منهم وربما كان ذلك سبباً فى تعاسة الضحية المسكين . وربما كان الأفضل أن يخيف أبناء الثامنة أحدهم الآخر أو يخيفوا كبيراً يستجيب . وقص حكايات سفك الدم والرعد المروعة قد يكون فى بعض الحالات وسيلة ناجعة لإشباع هذا الاهتمام القسرى بكل مخيف .

الأحــلام

لا تلعب الأحلام فيما يبدو دوراً كبيراً فى حياة الثامن وقد تعاود الأولادَ إلى حين أحلامهم بالحيوانات — الذئاب والثعالب والحيات — وربما أطافت بهم أحلام غريبة وهمية لا تكون حتما مما لا تسر . ولكن الثامن إذا حلم فإنه يحلم بوجه عام بالحوادث اليومية وبالأشياء التى تسر ، والأحلام المخيفة يمكن فى العادة تقصيها إلى تأثير مباشر مصدره السيما أو الراديو أو القراءة .

٥ — الذات والجنس

الذات

أخذ طفل الثامنة يتحرر من نفس السابعة الجادة المفكرة المنطوية ، والحق أن نفسه الجديدة المتفتحة للخارج تبدو حريصة على أن تكون على اتصال دائم بالناس وعلى ارتياد الأماكن وعلى عمل الأشياء فكأنما الطفل يجرب مواجهة العالم بتلك النفس التى كان فى شغل شاغل بإرساء دعائمها وتوطيدها فى سن السابعة ، وهو يتصرف على خير وجه كنفس أو ذات فى خلال علاقات الأخذ والعطاء التى تربطه بغيره من الأشخاص .

وقد أخذ يزداد تنبه الثامن إلى نفسه كشخص . فهو فى طريقه لأن يصير فرداً أى عضواً فى عالم اجتماعى . ولم يعد الكبير يتحدث إليه متنازلا بل الأحرى أنه يتحادث معه على قدم المساواة ، فالطفل أخذ يتنبه تنبها كافيا إلى « نفسه » إن صح استعمال هذا اللفظ . فهذه طفلة فى الثامنة نظرت إلى صورتها فى المرآة وقالت « لست أبدو كنفسى » والكبير أيضاً يستبين الأمارات الخارجية التى تدل على هذه النفس التى زاد تميزها فقد لاحظت إحدى الأمهات على ابنها الذى فى الثامنة « إن حركاته وإيماءاته نفسها لتشبهه » .

والطفل الآن أشد شعوراً بنفسه من حيث النواحى التى يختلف فيها عن غيره من الناس ، فهو يشعر بأنه يلبس نظارة وأنه أعسر وأنه لا يحسن العمل بقدر ما يحسنه غيره من زملائه فى الفصل أو بأنه لا يتفوق عليهم ، ولكن هذه الفروق أو المعايب لم تسبب له إلى الآن كبير إزعاج .

ويفقد الثامن نفسه ويضل فى ثنايا مقدرته الحقة على التمثيل فما أسرع وأيسر

ما يلبس الشخصيات التى فى كتبه وبرامج إذاعته والأفلام التى يشهدها ، وتتحسن مقدرته هذه على أثر استجابات النظارة حتى لقد تصبح صيحته المفتعلة من المطابقة للواقع بحيث تخدع السامع .

وقد يكون الثامن مقسما تتنازعه رغبته فى النمو ورغبته فى البقاء كما هو ، وبعض التوامن « لا يستطيعون الصبر » حتى يكبروا وإن كان بعض الأولاد يكرهون أن يكبروا ويعبرون عن مقاومتهم هذه بصراحة . وقد تكون فكرة الثامن عن النمو والنضج هى وجوب معاملته بطريقة معينة ، وقد تكون لديه فكرته عن الطريقة التى ينبغى أن يعامله بها الناس، فهو مثلا لا يحب تلك التذكيرات الشاملة التى كان فى حاجة إليها فى سن السابعة وإنما يطلب الآن دلائل توحى إليه بالألفاظ أو بالنظرات بما ينتظر منه أن يقوم به فإذا نسيت أمه وعادت إلى التعامل معه تعاملا أقل لباقة فإنه قد ينفجر باكيا لأنها « لم تراع » . ويريد الثامن أيضاً امتيازات خاصة كأن يسهر أكثر من ذى قبل أو أن يذهب لمشاهدة أفلام الكبار . والثامن بحاجة إلى أن تجاب طلباته الجديدة إجابة جزئية حتى كما كان فى الرابعة عند ما سمح له بناء على إلحاحه أن يعبر بمفرده شارعا مأمونا ولكنه تقبل يد الكبير فى الشارع المزدحم .

ويهتم الثامن بتقويم ما يؤديه هو من عمل وتقويم علاقاته بالآخرين ، وقد كان فى السابعة يصر على أن يعيش طبقا لمستوى معاييره الخاصة به أما الآن فهو يريد أن يعيش طبقا للفكرة التى عنده عن المعيار الذى يضعه الناس له ، ولما كان أداؤه للأعمال لا يتجاوز فى الغالب الحد الوسط وفكراته عن معايير الناس الآخرين مفرطة فى العلو فكثيراً ما تقع هنا مفارقات ومعايب تؤدى إلى بكاء وتعاسة مؤقتة أو لعل الطفل يلجأ إلى المفاخرة والتنصل ليعوض على نفسه الفرق بين ما يقدر على عمله وما كان يتمنى أن يعمله .

الجنس

لا يزال بعض أطفال الثامنة وخاصة الأولاد يبحثون عن بعض الحقائق المتعلقة بالأطفال من ناحية بدايتهم وفترة حملهم وميلادهم ،ومنهم عدد كثير سبق أن فكروا فى هذه الأمور فى سن السابعة ، وربما كان الثامن لا يزال غير مهتم بدور الأب فى إيجاد الطفل . والبنات أقرب إلى احتمال العلم بتلك الأمور من الأولاد وأشد حرصا على استطلاعها وعلى تطلب الحقائق المتصلة بها ، وقد يبلغ تفكير البنات من البعد أن يسألن كيف وضع الوالد بذرة الطفل فى جسم الأم فإذا لم تخبر الأم ابنتها بالحقيقة عندما تسألها مثل هذه الأسئلة الهامة فقد تحصل على هذه المعلومات من زميلاتها بالمدرسة ، وهذه المعلومات المستقاة من غير مصدرها الأصيل لا تمت فى الغالب إلى الوضوح بصلة .

وطفل الثامنة ينتظر عادة الوقت المناسب ليسأل مثل هذه الأسئلة وأفضل الأوقات وقت (الدردشة) الذى يسبق تحية المساء وقد أطفئت الأنوار ، ومن الصعب على الأم فى أغلب الأحيان أن توضح لابنتها حقائق الاختلاط الجنسى بطريقة بسيطة بلا انفعال ، ولكن لا حاجة بها إلى التخوف فإن بنتاً على استعداد للتعلم تستطيع فى الغالب أن تسأل الأسئلة المناسبة تماماً والبنت تتقبل بسرعة حقيقة أن الأب يضع عضوه التناسلى فى عضو الأم التناسلى وهذا قد يثير وابلا من الأسئلة من الطفلة حول الزمان والمكان

والأشخاص الذين يمكن أن يتم بينهم الحدث الجنسى وكل هـذه الأسئلة يمكن أن يجاب عنها بسرعة وفقاً لما يطلبه الطفل .

والأم العاقلة هى التى تختتم حديثها ملوحة بأن من الخير لابنتها أن لا تتناقش فى هذه المسائل مع زميلاتها بالمدرسـة ولا حتى مع إخوتها وأخواتها الصغار موضحة أنهم لايستطيعون فهمها وأن الأمهات الأخريات يحرصن على تفسير مثل هذه الأمور لأطفالهن فى الوقت المناسب ، فإذا كبرت البنت وتحسن فهمها لهذه الأمور جاز لها أن تتناقش فيها مع صديقاتها .

وفرصة الأولاد أقل للحصول من أفواه أمهاتهم على معرفة بالحدث الجنسى بل هم أدنى إلى العلم بذلك عن طريق ملاحظة اتصال الذكر بالأنثى فى الحيوان ، ومع هـذا فإنهم ربما أبطأوا فى أن يطبقوا على الإنسان ما اتفق لهم أن عرفوه عرضا عن الحيوان .

وتزداد البنات تنبها إلى « الفوط الصحية » ويسألن عما تستعمل فيه ، ولن يكتفين بأن يقال لهن إنها أربطة فإنهن ربمـا كن سمعن بالطمث أو النزف وإذا تركن إلى ابتكاراتهن الفكرية فلعلهن ينسبن ذلك النزف إلى السرة والحبل السرى ، وبعض البنات يجتزن هذه المرحلة دون تنبه كاف يحملهن على توجيه الأسـئلة ، ولذلك فإن من المهم أن تختار الوالدة زمنا موافقا فى سن التاسعة أو العاشرة لإحاطتهن علماً بذلك قبل أن تبـدأ فترات الحيض عند الطفلة .

وطفل الثامنة يهتم اهتماماً بالغاً بمسألة علاقة الولد بالبنت وإن جعلها على هوامش عقله ، وربما كان قليل من الأولاد لايزالون ينوون الزواج من أمهاتهم وإن كان بعض أترابهم من البنات قد عرضن عليهم الزواج بهن ، بل لعلهم يفكرون تفكير الذكور فى مادة كيماوية ينوون اختراعها لتمنع عن أمهاتهم الشيخوخة فهذه نغمة الهيام تتسلل إلى حياة أبناء الثامنـة فيحس الأولاد بالبنت الجميـلة ويميزونها ويأخذ البنات فى مطاردة الأولاد الملاح فيبهجن بذلك أفئـدتهم ومع أن الولد الواحد ربما كانت له صديقتان أو ثلاث فإنه يعلم أنه لن يتزوج إلا واحدة منهن فقط وقد تظل بعض الخطوبات قائمة منذ سن السابعة . ويستطيع الثامن الآن أن يدبر الخطة ليعيش بمنزله الخاص الجديد بعـد الزواج ولذا فإن بعض التوامين يجلسون الساعات مكبين على كتالوج الأثاث الذى يطلب بالبريد يختارون الرياش اللازم لمنازل المستقبل البعيد . وأولاد الثامنة شديدو التكتم فى الغالب فيما يتعلق بصديقاتهم من البنات وخاصـة إذا كانت لهم صديقة جـديدة وذلك لأنهم لا يحبون المعاكسة ولا الاستهزاء .

وربمـا حدث شىء من اللعب الجنسى الصريح (المكشوف) بين بنات الثامنة وأولاد أسن منهن ، فقليل من بنات الثامنة تكون لديهن حالة استجابة غير عادية للمس وسرعان ما يحدث لهن لأقل منبـه التقبض الجلدى الذى يصحب القشعريرة فى جميع أجزاء جسمهن وهن يستمتعن بالتـدحرج على الأرض مع الأولاد ويجعلهن الضحك الكثير عاجزات تماماً عن كل مقاومة وهـذا صنف البنات الذى يستدرج بسهولة إلى اللعب الجنسى الجماعى مع أطفال أسن منهن ، ومثل هـذا الطراز من البنات يحتاج إلى إشراف أكثر مما تتلقاه طفلات الثامنة العاديات فإذا تكونت مثل هذه الجماعات كان فى ذلك دلالة على أن الأطفال المشتركين فيها لا ينعمون بأوجه النشاط الأنسب لهم

والخصائص سنهم والتى ترضيهم وتشبع ميولهم .

٦ — العلاقات بالناس

ربما كان ابن الثامنة ليناً سهلا حسن المعاشرة بالمنزل ولكن أحسن سلوكه يكون عادة وهو بعيد عن البيت ، وهو أقل انهماكا فى مناشطه الخاصة بالمنزل وأكثر اعتماداً على اقتراحات أمه بشأن ما يفعله بعد ، وهو ليس بالمعوان الذى كانه فى السابعة فما يفعله الآن يتوقف على حالته المزاجية ، ويفضل أن يقوم بالأعمال التى يفكر فيها بنفسه ويكره كثيراً مما كان يقوم به فى الماضى من أعمال كتجفيف الصحون أو إعداد المائدة أو ترتيب غرفته فهو الآن يشكو منها ويدمدم متبرما غاضباً ، ومع ذلك هناك أعمال جديدة ذات مسئولية يتصدى لها باهتمام حقيقى ويتقبل عن طيب خاطر كل ما يحتاجه فيها من إشراف . ويحب الأولاد أن يحرقوا المتخلفات وأن يقوموا ببعض أعمال الإصلاح فى تركيبات النور الكهربائى وغيرها من العتاد المنزلى البسيط . وكلا الجنسين يحب الطبخ وخبز الكعك الحقيقى وغيره .

وطفل الثامنة بحاجة إلى مساعدة عظيمة فى إعادة تنظيم حياته إذ يحتمل أن يسرف فى التوسع فى أفكاره ومناشطه وعندئذ تصبح الحياة شديدة العسر عليه ويترك الأمور فوضى والأشياء قذرة مبعثرة ، بيد أنه قد يعود فينظمها لأنه حسن القصد ولكنه يحتاج إلى معاونة ، ومع ذلك فهو على إدراك للنظام وحسن الترتيب ويبدى الملاحظات عن المطبخ المرتب الأنيق ويستمرىء المنزل النظيف . وقد يكون شديد العناية بأمور معينة لها قيمة كبيرة لديه ككتبه الهزلية وبنادقه ودرجه ولكنه فيما عدا ذلك يحتاج إلى كثير جداً من معاونة والديه وتدبيرهم للخطط .

وهو يحب نوعا من نظام للمكافأة ، وقد يكتفى بنظام النقط ولكن النقط كثيراً ماتترجم إلى قيم نقدية ، وطالما انزعج الوالدون للاهتمام الجنونى لابن الثامنة بالنقد ولكنهم يجب أن لا يبخسوا ما فى هذا الاهتمام نفسه من قيمة دافعة ، وفيه تسنح فرصة بديعة لاستخدام حافز يساعد فى نفس الوقت على إعطاء الطفل فكرة عن قيم النقود . ومساومات الثامن الهزيلة تدل على أن القيم عنده مرتبطة قبل كل شىء بحاجاته الشخصية ورغباته .

ووضع بيان بأعمال ابن الثامنة المنزلية على لوحة يساعده على تقبل بعض تبعاته وعندئذ « لن تضطروا إلى الصياح فى وجهى » على حد تعبيره ، وليذكر الوالدون أن هذا التدبير وأمثاله وسائل لمساعدة الطفل على التنظيم وليست غايات فى حد ذاتها ، ولذلك فإن التدبير أو الوسيلة الواحدة كثيراً ما يقتضى الأمر أن يحل غيرُها محلها مراراً .

فى سن الثامنة تكون العلاقة بين الطفل وأمه معقدة وغامضة فى آن واحد فما تفعله الأم لطفلها مهم كما كان من قبل ولكن أهم منه رأيها فيه وإحساسها من جهته ، وهو مغال إلى أقصى حد فى طلباته منها — وقد يلاحظ كل خطوة من خطواتها طيلة يومه ولا يطالب بوقتها فحسب بل بانتباهها الكامل أيضاً ومع هذا فقد لا يكون التفاتها الكامل كافياً لإقامة علاقة سلسة بينهما . ويحتم الثامن على أمه أموراً متنوعة : كيف يجب أن تستجيب ، وماذا يجب أن

تفعل وماذا يجب أن تقول ، ومهما بلغت الأم من قوة الإدراك ومن الرغبة فى محاولة تنفيذ هذه الحتمات فإنها قد تجد المهمة شاقة عسيرة ، ويندر أن تجد فى سن الثامنة من يأنس فى نفسه القدرة على المبادرة بالصفح عن أمه عندما تخطىء خطأ يعد مسا مباشراً .

وبعض التوامن الذين لا يرتبطون بأمهاتهم ارتباطا شديداً لديهم القدرة على إظهار الإخلاص والولاء نحوها ، وقد يكثرون مواجهتها بالإعجاب بها وبكم هى مدهشة ، وكذلك بالتعبير عن محبتهم لها بالضم والتقبيل . وتظل الأم عادة أحب الوالدين إليه وإن كان الوالد يبدأ فى الحصول على نصيب متزايد من المحبة إذا أحسن الاستجابة لطفله فى تكيُّف .

ويساير الثامن إخوته الصغار بدرجة لا بأس بها ولكنه كاد يفقد مظهره كأخ كبير ، فسرعان ما ينزل هو أيضاً إلى مستوى استجابة الصغار ويفلت زمامه ، وربما عاكس وانتهى به الأمر إلى العراك . وعندما يكون الثامن مسئولا عن العناية بأخ أصغر فمن المحتمل أن يكون شديد التدقيق ، على أن تصرفه معه يكون على أحسن وجه إن ساعدناه على أن يبدأ بداية حسنة ، وحذرناه مقدما ونبهناه مبكراً إلى كيفية التصرف ، وعند ذاك يجب أن يسمع فيما بعد أنه قد أجاد التصرف وأن شأنه قد رفع الآن بأن منح امتيازات لا يرقى إليها أخ صغير . ويحدث أكثر مما ينبغى أن يحبس الوالدون طفلهم الأكبر عن الرقى ويُبقونه فى مستوى أخيه الأصغر مع أن امتيازات بسيطة كتأخير موعد نومه — وإن تهيأ للفراش مع أخيه الأصغر — تشعره بما يليق به من مركز وكرامة ، وليس عليه أن يسرف فى التباهى بهذه الامتيازات الخاصة أمام أخيه الأصغر ، بل إنه لينعم بالاحتفاظ بها كسرٍّ بينه وبين والده وإذا كان التلاؤم بين أخوين ضعيفا فإن التفرقة بينهما طبقا لخطة موضوعة تكون مفيدة جداً . وبعض التوامن يحمون أنفسهم بالوسيلة البسيطة التى هى إقفال الباب .

والثامنة هى السن التى يبدأ فيها الأصدقاء « الحقيقيون » أو « الحميمون » أو « الأخصَّاء » يلعبون دورا فى حياة الطفل ، فتصبح المدرسة ذات أهمية لدى الثامن لأنها تحوى أصدقاءه ، ويكون هؤلاء الأصدقاء عادة من نفس جنس الطفل ، وقد تكون العلاقة بين الأصدقاء وثيقة كثيرة المطالب تشبه علاقة الأم بالطفل ، ويقوم بين الأصدقاء كثير من الجدل والنزاع والخصام والولع الشديد بعضهم البعض . وقد أخذ نوع العلاقة بين الطفلين ، لا مجرد ما يفعلانه معاً ، يصبح ذا أهمية فى عين طفل الثامنة .

والأرجح أن تنشأ الصداقات القوية بين طفلين من سن واحدة ولكن عدداً لا بأس به من التوامن يلعبون لعبا أحسن مع أطفال أسن منهم . والثامن عرضة لأن يعجب بطفل أسن منه فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، والغالب أن هذا الطفل الأسن بدوره يقوم بحماية المعجب به من اعتداء الأشرار أو من سوء المعاملة . وبعض التوامن الذين كانوا يلقون فيما سلف صعوبات حقيقية فى الاتصال بغيرهم من الأطفال قد يحاولون ذلك الآن بأسلوب ساذج فطير على أمل استرعاء نظر طفل آخر .

ويكون اتجاه أطفال الثامنة فى الغالب مصوبا نحو فترات لعب هادىء نسبياً مع الآخرين لا يتخلله إلا خلافات كلامية أقل من ذى قبل ، ومع هذا فإن أية فترة لعب دون إشراف تنتهى غالباً بالخلاف أو على الأقل بانصراف

أحد المشتركين فيها ساخطا ، ومع ذلك فالثامن حريص على الظهور فى الألعاب الجماعية للجيران بما فيها كرة القاعدة ولعبة الكوخ . وقد يُفرَد بعض الثوامن بالمعاكسة المتكرره من بقية الجماعة ، غير أن آخرين ينفصلون عنها بمحض إرادتهم .

وتسجل الثامنة بدايات تغير قاطع فى اختيار الطفل للجنس الذى يفضل ملاعبته من اللدات ، وقد أخذ الأولاد والبنات الآن فى اعتزال بعضهم بعضاً فى اللعب ، والبنات فى العادة هن البادئات بالانفصال عن الأولاد والشاعرات بهذا الافتراق ، ولكن انسحابهن إنما يكون فى العادة مجرد ابتعاد هادئ ، أما الأولاد فإنهم إذا أحسوا بالحاجة إلى الانفصال لجأوا إلى الفظاظة الشديدة والصخب لكى يعزلوا البنات .

وقد أخذ طفل الثامنة يكتسب آداب «المرافقة» ، وهو أحسن حالا خارج البيت منه داخله ، كما أنه يتلهف على الخروج للزيارات ولمشاهدة المناظر وخاصة فى مدينة أخرى ، وهو يقابل الجدد من الناس فى شئ من اليسر ، بل قد يتحدث إلى الغرباء فى المطعم ، وهو يستخدم التليفون ويجيب عليه ويستطيع تدوين الرسائل البسيطة .

٧ — اللعب والتسلية

بوجه عام

يمقت الثامن اللعب بمفرده ، فهو يريد أن يفعل كل شئ مهما يكن بالاشتراك مع كبير أو مع طفل ، ولا يكتفى بالمطالبة بوجود شخص معه بل يتطلب كامل انتباه هذا الشخص ومشاركته له . والعمل أو الفاعلية هى مفتاح خصائص لعبه ، وقد تولد عنده إحساس جديد بالمجموع أو الكل ، وإحساس بالتفاعل المتبادل وبالعلاقات الفعالة وبالفائدة العملية ، ورسومه الآن مليئة بالأفعال ، فطائراته ودباباته يرسمها وهى فى مناظر المعركة وفيها أشخاص يقودون الطائرات ويتعهدون حركات (أو مناورات) الدبابات وهو يستخدم عدده فى أعمال منزلية نافعة كدق الرزز وتثبيت العلاقات وتسمير القضبان للعربات أو ربط أكر الأبواب المفككة ، وتقوم البنات بخلط مواد الطبخ لعمل الفطائر والكعك ، ويمزج الأولاد محتويات مجموعاتهم الكيماوية لينتجوا ألوانا وروائح جديدة ، وليصنعوا فى النهاية ما يسمونه « بالدواء السحرى » .

والثامن يريد أن يركب أجهزته التلغرافية بين غرفتين أو بين منزلين حتى يستطيع أن يتخابر فعلا مع شخص آخر ، بل قد يطلب الاتصال التلفونى مع رئيس جمهورية الولايات المتحدة نفسه بشأن دفتر رسومه الزرقاء لاعتقاده أن الحكومة قد تهتم ببعض ما فيها من مبتكرات آلية ابتدعها .

ويحب الثامن أن يمثل ، فهو يمثل فى لعبة الغارات الجوية والحوادث والقتال والقذف بالقنابل ، كما أنه يتقمص ويمثل الشخصيات التى رآها فى الروايات السينمائية أو فى الكتب التى قرأها ، وهو يريد القيام بحيل وخدع سحرية وتمثيل البنات فيه من عنصرى الكلام والجلوس أكثر من تمثيل الأولاد ، ومن المحتمل أن تقوم البنات بتنظيم التمثيليات وإقامة الحفلات ، والعرائس الورقية وسيلة هذا الدافع التمثيلى ، كما أن فيها متنفسا لما عند الثامن من حافز قوى للجمع ، فالعرائس الورقية وثيابها يمكن أن تجمع منها مقادير كبيرة ، وعلاوة على هذا يحب الثامن أن يصنف ويرتب وينظم ، ومجموعة من العرائس المتنوعة

وما يتصل بها من متعلقات ورقية وفيرة تخلق مجالا لمثل هذا النشاط التنظيمي .

ويخضع الأولاد أيضاً «للجنون بالجمع» الذي يصل إلى ذروته في الواقع عند الكثيرين في هذه السن ، ولا يقتصر اهتمام الأطفال على الكم عند ما يجمعون الطوابع أو أغطية العلب وإنما أخذ يتجه أيضاً إلى النوع وإلى التصنيف البدائي .

والنشاط الحركي الكبير من خصائص لعب طفل الثامنة الجماعي ، وهو بحاجة إلى شيء من الكبح لأنه سرعان ما يخرج عن حدوده ، فلو تركت مجموعة من الثوامن لوسائلها هي فكثيراً ما يرتدّون إلى أساليب الحيوانات الجامحة من جري عنيف إلى وثب ومطاردة ثم إلى مصارعة وتسلق للأشجار ، ومع ذلك ففي وسعهم تنظيم لعب حرب بسيطة أو لعبة الاستغماية . والثامن جيد الاستجابة لبعض الرقابة المشمولة بالإشراف ، ويستمرئ كل من الأولاد والبنات لعبة كرة القاعدة وكرة القدم (مُكَبّر) على أصولها .

والثامن يبتكر من تلقاء نفسه أسباباً لتنظيم نواديه ، كنادي جمع نفايات الورق ونادي العدد والآلات ونادي المكتبة ، وهذه النوادي تمثل اهتماماً جديداً عنده ولكنها في العادة مفككة التنظيم وقصيرة الأجل جداً . ولعبة الكوخ التي لعلها ابتدأت في سن أبكر تستمر مدة أطول ، وكثيراً ما يزاد عليها كلمة مرور سرية فيها استهواء التمثيل .

ويستمرئ الثامن مختلف الألعاب في موسمها ، فيجدف في الصيف ويتزلق على الثلج ويتزلج بالإسكي في الشتاء ، وليس شيء أدل على الربيع (ولا على سن الثامنة) من جماعة من الثوامن يتنازعون متصايحين على البلى ، فهم يجدون فيما يبدو لذة عظيمة في التدافع إلى الأمام وإلى الخلف ويكرهون أي تدخل من الكبار .

والاهتمام بألعاب المنضدة ولا سيما ألعاب الورق (الكنشينة) والنرد الهندي والضامة والدومنو يكاد يبلغ حداً عالياً من الانفعال ، ويزدري ابن الثامنة بعض الألعاب البسيطة التي كان يمارسها آنفاً ، ويستمرئ المعاملات المالية في لعبة الاحتكار (مونوبولو) وهو ماهر جداً في ابتكار قواعده الخاصة ، بل قد يخترع ألعاباً جديدة . ومع أن بعض الثوامن يقدرون على تقبل الهزيمة في شيء من السماحة والصفح فإن ذلك لا يصدق في جميع الأحوال إذ يحدث كثير من المماحكة وبعض اتهامات بالغش .

والطيارات الورقية والبلى والنحل تظهر كلها في موسمها في حين تصبح الطائرات منافساً قوياً للطيارات الورقية ، فينشئ الأولاد نماذج للطائرات ويرسمونها ويتعلمون كيف يفرقون بين مختلف أنواعها ، وينهمكون في لعب بالطائرات خيالي . وثمة أشياء أخرى عدا الطائرات يصنعونها وهم يشتغلون على مناضد الشغل (البنك) . ويظل اهتمامهم بمجموعات البناء وباللعب الميكانيكية قوياً مطرداً . والقطارات الكهربائية والمجموعات الكيماوية وأجهزة السينما الصغيرة ذات الأفلام الحقيقية مما ينعم به بعض الأطفال ذوي الميول الميكانيكية .

القراءة

الثوامن الذين في بداية إجادة القراءة يستمتعون الآن بالقراءة التلقائية ، ومع أن الثامن قد يقرأ جيداً فإنه قد لا ينفق في قراءته بمفرده من الزمن قدر ما كان ينفق في السابعة ،

كما أنه يحب كثيراً أن يُقرأ له ، وقد أخذ يتلذذ بسماع الأدب القديم للطفولة ، ومن الكتب العصرية المحببة إليه ما يروى مغامرات ماري بوبين العجيبة التي كلها سحر وسخف وعبث . ويهتم الثامن كذلك بكتب الرحلات والجغرافية وغابر الأزمان وقاصي الأماكن .

ولا تزال كتب الهزليات أثيرة لديه ، فالاهتمام بها يبلغ ذروته في سن الثامنة والتاسعة . . والثامن يشترى كتبه المضحكة ويجمعها ويقايض بها ويستعيرها ويختزنها ، وهو أدنى إلى الاستعارة منه إلى المقايضة لأنه لا يحب أن ينزل عما يملك ، وعلى الرغم من أنه لا يزال يحب هزليات الحيوانات والكوميديات السوقية (البلدى) فإنه يتحول الآن نحو النوع الذى فيه دماء ورعد .

ويحب الثامن أن يتفرج على المجلات المصورة ويمكنه أن يكب بالساعات على الكتالوجات ، وهو يفكر في طلب بعض الأشياء من التجار ولكن احتمال تنفيذ ذلك يكون أكثر في التاسعة ، ولا شيء يبهجه أكثر من تلقى بريد خاص به مكتوبا بحروف الطباعة حتى يستطيع قراءته بنفسه .

الموسيقى والراديو والسنما

ربما انطفأت شعلة الاهتمام الأولى لابن السابعة بدروس الموسيقى إذا لم يلعب معه أحد أو يجلس معه أثناء لعبه ، وهو يسر بعزف الثنائيات (duets) . والتمرين لا يمكن أن يفرض عليه ، ومن الحكمة غالبا إيقاف الدروس فترة من الزمن حتى يصبح الطفل مستعدا للعودة إليها فيما بعد (بين التاسعة والعاشرة) .

وقد أصبح الراديو الآن من الأهمية في حياته بحيث يهمل اللعب من أجله ، وهو وجه النشاط الوحيد الذى يستمتع به وهو بمفرده ، ولكنه يميل بالفعل إلى أن يكون معه كبير يشاطره الاستماع وعندها يحذق اختيار البرامج التي يشعر بترحيب الكبير بها . وقد أخذ يصير أشد عناية في اختيار برامجه لنفسه حتى لقد يرجع إلى صفحة برامج الإذاعة في الصحف . وهو يصغى في كل يوم إلى البرامج الثابتة المواعيد ، ويعرف عادة الأزمنة والمحطات لأنواع البرامج الأثيرة لديه . ولعله يظل على تعلقه ببرامج المغامرات ولكنه شرع يتحول نحو الغوامض الحوافى والكوميديات السوقية (البلدى) وبرامج الأحاجى والألغاز بل حتى إلى برامج الأخبار .

أما فيما يتعلق بالسنما فإنها تدنيه من منية نفسه فأمه تقرر أنه « يهيم حبا » بالسنما ، وأخذت أنواع كان يعرض عنها في الماضى تصبح الآن أحب الأفلام إليه ، وهو يستمرئ منتخبات من أشرطة الأخبار وأفلام الحيوانات والغوامض الحوافى ولكنه لا يزال يبغض أشرطة قصص الحب . وقد يبلغ به الأمر أن يتتبع بمساعدة والديه إعلانات الملاهى في الصحف اليومية لاختيار أنواع الأفلام التى تروقه . والثامن أكثر تنبها بحق لما يحب وما يكره ويدرك أنه قد لا يطابق مايحبه الآخرون وما يكرهونه .

٨ — الحياة المدرسية

يستطيب الثامن المدرسة بل لقد يكره البقاء في البيت ولا سيما إذا كان معنى ذلك حرمانه من مناسبة خاصة ، وعلى الرغم من أنه لا يكون مجيدا لعمله تماما وأنه قد لا يكون على علاقة طيبة تماما بمعلمته فإن اتجاهه إزاءها يكون نحو استجابة تميل إلى المهاجمة والتصدى لا إلى الانسحاب . والتعب لا يحل به بنفس السهولة السابقة ، وهو

أكثر استعداداً للبقاء بالمدرسة فترتى قبل الظهر وبعده معاً ، وسيجل مواظبته جيد بدرجة مدهشة ، بل إنه عندما تضطره إصابته بالبرد للانقطاع فإن غيابه لا يطول وإذا غاب ولو يوماً واحداً ظل يفكر فى الجماعة وفيما تعمله ، ويطلب أن يرسل إليه فى البيت عمله المدرسى حتى يستطيع مسايرة الجماعة .

وبعض التوامن وبخاصة الأولاد ربما ظلوا يجدون صعوبة فى التأهب للمدرسة وفى الوصول إليها فى الميعاد ويصعب غالباً تحريكهم ودفعهم بالمنزل لأنهم لم يعودوا يخافون التأخر عن المدرسة ، ولكن ربما أمكن حفزهم عن طريق إلقاء بعض مسئوليات مدرسية جديدة عليهم تتحدى مقدرتهم على التبكير ، فعدم الوصول إلى المدرسة فى الميعاد لا تقع مسئوليته على البيت وحده فى سن الثامنة بل على المدرسة أيضاً .

الآن يزداد التفاعل المتبادل بين المدرسة والبيت كثيراً ، فيُحضر الثامن إلى المدرسة أشياء تمت بصلة إلى مشروعاته المدرسية أو إلى خبراته الشخصية ، وكذلك يحب أن يحمل منتجاته فى المدرسة إلى البيت ، ولكنه الآن يتركها عن طيب خاطر مع معلمته أياماً قلية للعرض ، ومع أنه يتذكر أخذها إلى المنزل فإنه قد يفقدها فى الطريق .

ويسجل كثير من الأمهات أنه بدأ يخبرهن لأول مرة بأوجه النشاط المدرسية ، وكان أكثر مايسمعن منه فيما سلف عن سوء خلق الأطفال الآخرين أو عن الصعوبات التى تواجهه بالمدرسة ، وأخيراً عند سن الثامنة يُعاد فى البيت حديث الحياة المدرسية ويلذ للأم ازدياد ما تحاط به من علم إذ تشعر الآن بأن علاقتها بالمدرسة أسهل وأيسر ، وقد تسرف فى الثناء على معلمة السنة الثالثة .

والواقع أن أهمية معلمة الثامن بالنسبة لتوأمه أقل مما كانت عليه فى السنوات السابقة ، بل لقد يعد وجودها إلى حد ما أمراً مسلماً به ، وهو أشد ما يكون اهتماماً بجماعته المدرسية ، ويحب أن تشترك معلمته فى هذه الجماعة ويرحب بها فى سرور وخاصة إذا ضبضها مخطئة وإذا هى بدورها تقبلت النقد ومرت به سريعاً إرضاءً له . والتعلم من أخطاء الآخرين آكد الطرق وأسرعها لطفل الثامنة فى الغالب .

ويدخل التوامن حجرة الدراسة بحماسة (ما لم يكن يومهم بطبيعة الحال أحد تلك الأيام المنحوسة) ويشغلون أنفسهم بالكتابة على السبورة أو بتفحص كرة أرضية . وقد يتلكأون فى غرفة اللابس ولكنهم يُجمّعون بالتدريج ويبتسمون ويتلامسون ويضرب بعضهم بعضاً أثناء مرورهم ببعض .

وهم تواقون فى مواقفهم بالفصل إلى التكلم ، راغبون فى الإجابة عن كل سؤال وقد يتعلمون أن يكفوا أنفسهم مدة تسمح لطفل واحد بالإجابة . ولكن إذا أخطأ أو أبطأ كثيراً فمن المحقق أنهم سيجيبون بدلا منه وإذا أكثر عديدون منهم الكلام والضجيج ففى وسع المعلمة أن تضبطهم بالتزامها الصمت ، ومع ذلك فإنهم يسّرون بالتناوب ويصرون على أن يأخذ كل منهم دوره ، ويعلقون على إجابة الغير أو على عدم إجابته فيقولون : آه ! أأنت تعرف ذلك » أو « هذا سهل » أو « أنت بطيئة جداً يا مريم » .

والانتقالات سهلة يسيرة نوعا ما على الثامن لأنه يحب التغيير من شىء إلى آخر ، بيد أن هناك شيئاً من الكلام والتلكؤ

ولذا يحتاج الأمر إلى أن نفسح له فى الزمن قليلا لكى يستقر .

والثامن أقدر على تحويل عينيه بسهولة من السبورة إلى الدرج ولذا يستطيع أن ينقل من السبورة كما أنه يحب أيضاً أن يكتب عليها بينما يرقب زملاؤه عمله فى انتباه . وهو يجلس عند درجه ووجهه إلى الأمام ورأسه على مسافة ذراع من الورق أحياناً أو شديدة القرب منه أحياناً أخرى . وهو يكثر من تغيير مواضعه ، ويشتغل باستقلال أكثر مما كان فى السابعة ، ولا يحتاج إلى أن تكون المعلمة قريبة منه . وهو يرفع ذراعه بدفعه إلى أعلى ليسترعى انتباه المعلمة ولكنه يستطيع أن ينتظر أمداً قصيراً على الأقل حتى تأتى إليه . ولا يستطيع الثامن العجول أن ينتظر لتلقى التوجيهات ، ومع أنه قد يبدو عليه أنه يفهمها فلا بد من تكرارها له . وكثيراً ما يحدث بعد أن يشتغل فترة وجيزة أن يتوقف عن العمل ليتحدث إلى جاره القريب فيخبره ماذا يجب أن يعمل أو يسأله عن الصفحة التى هو فيها الخ . ولكن فى وسعه أن يستأنف عمله فترة أخرى ، فإذا أفرط فى مقاطعة زملائه فى عملهم فاستبعد إلى هامش الجماعة ليقوم بعمله هناك تقبل ذلك واستجاب له ، ومن المؤسف أن تعالج هذه الحاجة إلى العزل بإجلاس الطفل فى الصالة خارج الفصل كعقوبة يقصد منها إخجاله ، وخاصة إذا كان يتحسن بلطف بواسطة نقله فقط إلى هامش الجماعة داخل الفصل .

وهو يتحدث عن عمله فيقول لطفل آخر : « عندى ثلاثة خطأ » أو « رسمى ليس جيداً أليس كذلك ؟ » وقد يتناقش فيمن هو أحسن التلاميذ مهارة فنية ، وإذا كان الفصل مقسما إلى مجاميع أحس بهذا التقسيم وقد يتأذى لوضعه فى مجموعة ضعيفة . وهو يحب الثناء ويسعى له .

ويستطيب الثامن القراءة ، وهو يستطيع أن يتصدى للكلمات الجديدة مستعيناً بالسياق أو القرينة أو السماع . وهو أكثر مهارة فقلما بدرت منه غلطة شبيهة بغلطاته فى السادسة أو السابعة . وهو يحذف الآن عديم الأهمية من الكلمات ، ويقلب ترتيب الكلمات فى جملة ولكنه فى العادة يحتفظ بالمعنى . وسرعته الآن أكثر انتظاماً . ويستطيع أن يتوقف ويتكلم عن القصة ثم يعود إليها ثانية ، وكثيرون منهم يجيدون القراءة بدرجة تكفى لجعلهم يؤثرون المطالعة الصامتة ، والحكايات المثيرة والمضحكة محببة إليه ، وقد يبدى احتقاراً وزراية لقصة يعدها دون سنه بكثير .

والكتابة أقل إجهاداً له وقد زاد انتظام ميل الحروف واستقامة الأسطر وانتظام المسافات بين الكلمات وبين الجمل . وربما بدر منه من آن لآخر عكس حرف أو استبدال حرف كبير بآخر صغير فى أثناء النقل ، ومع أنه مهمل فى الكتابة فإنه يحب أن ينمق خطه : « إنى أكتب بأحسن خط عندى » ، « أهذا مرتب ؟ » . والتخطيط بغير وعى ولا هدف أو الرسم فى الكناشات أو فى قصاصات الورق عملية مألوفة محببة إليه . وعلى الرغم مما للثامن من استعداد ومهارة فى الكتابة فقد لا يستطيع أن ينقل قصة بأكملها ، وعندئذ قد يرغب فى فرصة يملى عليه فيها الجزء الناقص ، أو يتمه فيما بعد .

ويحب الثامن التنويع ويحب الحساب الشفوى أو التحريرى ، ويحب استعمال السبورة والكتابة فى كشكوله ، ويتحيز للجداول الجديدة التى يدرسها ، ويحب

التنقـل من عملية إلى أخرى ، بل لقد يكون تنقله أتوماتيكياً أى بدون تفكير . فنى وسط عملية ضرب مثلا قد يتحول الى الجمع أو إلى الطرح ، وقد يهتف به هاتف أن عقله يلعب عليه حيلا . وهو يحب أن يأخذ كشكوله إلى المنزل ليدرك مافاته بالمدرسة وقد يتجاوز ما كلف بأدائه ، وقد يقول فى يوم إنه لا يحب الحساب ويقول فى تاليه إنه سهل .

والثوامن راضوا أنفسهم بصفة خاصة على مجموعتهم وفصلهم ومعلمتهم وألفوها ، فيحبون أن تكون معلمتهم جزءاً من نشاطهم تشاطرهم الألعاب والقراءة والجلوس إلى المائدة . وهم يحبون اشتراك الجماعة كلها فى مباراة للهجاء ، ويحبون أن ينضموا إلى الفصول الأخرى فى الاجتماعات ، ولـكنهم على العموم أقل ميلا للاختلاط بذوى الأعمار الأخرى منهم فى سن التاسعة .

والتجمع فى اللعب أكثر ، فالـكل يستطيعون الاشتراك فى نشاط جماعى واحد ، وينفصل الأولاد عن البنات فى المناسبات فينصرف البنات لنط الحبل والأولاد للعب بالـكرة ، وهم يستطيعون استمراء التناوب فيأخذ كل دوره ، بعد شىء من الـكفاح للحصول على مكان فى اللعبة ، ويرقب بعضهم بعضا أثناء أدائه لدوره ويعلقون عليه .

٩ — الحاسة الخلقية

سلوك الثامن صدى لسلوكه هو نفسه فى سن السادسة وإن كان الآن أقل صلابة وأقل قابلية للانفجار ، وعندما يطلب إليه أن يفعل شيئاً فإنه يرجىء التلبية فيقول غالباً « بعد دقيقة واحده » أو « سأفعل فيما بعد » أو لعله يتساءل : « لماذا يجب أن أفعله الآن ؟ » ومن المحتمل أن يجادل أمه أو أن يقدم المعاذير : « أنا متعب جدا » و « أنا مشغول بالقراءة » و « أخذت حماما ليلة الأمس » (بينما الواقع أن الحمام كان منذ ثلاث ليال) . وقد يعمد إلى التعميم بالنسبة لإحدى وجهات النظر معلنا : « لـكن الناس يرون غير هذا » .

وبعض الثوامن كالسوابع لا يسمعون ما يطلب منهم لشدة استغراقهم فيما يعملون ، وقد ينظر إليك الثامن كأنما هو مصغ إليك فإذا ما فرغت من كلامك سألك : « ماذا قلت ؟ » والثامن المتقبل الملبى على الفور استثنائى إلى حد ما ، بل إنه حتى عندما يستجيب فعلا قد يكون ذلك على غير رغبة منه إذ يقول : « لا بأس ... ما دمت تصر » ، وكثيراً ما يندمدم ويتذمر غاضبا أثناء الطريق .

ويطالب الثامن بأن يعامله الـكبير معاملة أدنى إلى معاملة البالغ ، وهو يريد أن تصاغ له التعليمات بألفاظ صحيحة دقيقة ، ويحب أن يعمل مستخدما مفاتيح الألغاز أو شفرات الـكتابة السرية ، والغالب أن النظرة تكنى لإعادته إلى صوابه . وإذا انتقد فقد ينفجر باكيا ، ولـكنه كما فى السادسة ينتعش بالثناء والمديح ويحب أن يذكّر بما بلغه من تحسن ، وقلما لزم الالتجاء معه إلى العقوبات البدنية . على أن الحرمان من أمور صغيرة كمنعه من برنامج الإذاعة أو من كتاب مضحك ، أو إلزامه النوم مبكراً يحدث الأثر المطلوب عند معظم الثوامن ، ولـكن قليلين منهم لا يتأثرون وقد يجيبون « لست حريصاً على الاستماع لهذا البرنامج على أى حال » . فاذا سمح للثامن بأن يحدد عقوبته بنفسه فإنه كثيرا ما يقسو عليها جداً وقد يحتاج إلى من يساعده على تخفيف عقوبته .

والثامن أقدر على ضبط أفـكاره وتوجيهها وعلى التفكير فى الأمور إلى نهاياتها ، وهو سريع نوعا ما فى القطع برأى فى أمور الحياة الـكبرى وإن كان بعض الثوامن يؤثرون أن تبت لهم فى الأمر أمهاتهم .

والعادة أن صغريات أمور الحياة هى التى تبعث فى الثامن التردد والأناة فى التفكير ، وقد يكون الأمر المطلوب البت فيه هو اختيار صنف من مأكولات الحبوب ، أو أخذ مقدار آخر من الطعام أو كوبة من اللبن ، ولا يتحول الثامن عن قراره بسهولة إذا ناقشناه كما كان يفعل فى السابعة إذا احتكمنا وإياه إلى العقل .

ويريد الثامن أن يكون طيباً خيّراً ، وهو الآن أكثر تنبها إلى قوتى الخير والشر المتعارضتين ، ويشعر بأثرهما حين يعمل فى أحد الاتجاهين أو الآخر ، وقد يشغله ويقلقه التفكير فيهما كأمرين مطلقين ، إلى حد يضطر الوالد إلى أن يساعده على التفكير فيهما تفكيراً نسبيا ليفسر له أن الطيبة والخير قد تتأثر بالذكاء أو بالسن ، وأن الإنسان قد يتسامح إزاء إساءة طفل أصغر سنا ، ويريد الثامن أن تكون طيبته موضع تقدير كما أنه يريد أن يسر الغير وأن يحسن الغير فيه الظن وأن يفوز بتقرير جيد .

ومع أن الثامن أخذ يصير أكثر تحملا لمسئولية أعماله ، وأن فيه رغبة لتحمل العواقب ، فإن أول ما يندفع فيه عادة قد يكون لوم الآخرين ، وقد يصرّف عن هذا اللوم فى يسر بشىء من الضحك ، ولكنه يتمسك بفكرة أن شخصاً آخر هو الذى بدأ الشر وقد يكون فى هذا شىء من الصدق والحق ، وهو أكثر تعرضاً إلى توجيه اللوم للآخرين عندما يكون متعباً او منحرف المزاج

والثامن بارع فى التهرب ، وهو يتنصل بوجه خاص من التأخر فيقول « لم أكن أعرف الوقت » أو « حال أصدقائى دون ذهابى » . ويغلب أن يكون إحساسه بالزمن فى السابعة أدق منه فى الثامنة ومن ثم يحتاج فيها غالباً إلى إشراف أكثر بقليل . ولا يطيق بعض التوامن الوقوع فى أخف الأخطاء ، ويستر انكشاف أمره بقوله : « آه ! لقد كنت أعرف ذلك طول الوقت وإنما أردت التثبت من مقدار نباهتك ! »

والطفلة ذاتها التى أملت أمها فيما سبق قائمة « الأشياء الواجب عملها والأشياء الواجب الامتناع عنها » و « التفكير فى النفس والتفكير فى الغير » عادت فى الثامنة فطلبت إلى أمها تدوين الصواب والخطأ .

ومما يسترعى الاهتمام ما يلاحظ من أن القائمة الجديدة تقع فى عمود واحد وأنه قد جمع فيها إلى حد ما بين الصواب والخطأ فى معيار ومستوى أخلاق واحد ، فلم يعد الطفل يفرق بينهما فى تضاد ثنائى القطبية . وهذه هى القائمة :

الصواب والخطأ

(١) ليس ذنبى نعتهم لى « بذات الخلق الرياضى السيىء » حين أبدى رغبة فى أن ألعب لعبة أخرى بعد أن أكون قضيت فى الأولى زمناً طويلا ، وما حيلتى إذا لم يكن هناك من اللاعبين عدد كاف للبدء فى لعبة أخرى . وأخيراً أستجمع قوتى لألعب معهم مدة أخرى وفى النهاية يعودون إلى اللعبة التى رغبتُ فيها .

(٢) مسألة الوصول إلى المدرسة فى الميعاد : كيف أستطيع أن أعرف بالضبط الوقت الذى علىّ أن أنهض فيه من فراشى والذى علىّ أن أتناول فيه فطورى حتى أتمكن من الوصول إلى المدرسة فى الميعاد ؟ لاحيلة لى فى التأخر فليس هذا خطئى فمن المحتمل أن تكون كل تخميناتى عن الزمن خاطئة .

(٣) إذا بدأ بعض الناس شجارا فلا أكون مخطئاً إذا أردت محاولة فض النزاع حتى برغم تنبيه المعلمة لنا بالابتعاد عن المشاجرات لئلا يظن المعلمات الأخريات

أننا مثيروها ، وحتى لو حاولنا أن نفسر للمعلمات ما حدث فإنهن يظللن على اعتقادهن بأننا المثيرون للشجار فعلا وأننا إنما نحاول بتفسيراتنا أن ننجو من العقاب .

(٤) يعرض لى أمر صعب وها أنا أحاول القيام به : لا أظن أنه من الإنصاف أن يتدخل أناس آخرون وينعتوننى « بالدلوعة » أو « بالبنوتة » لأنى لا أستطيع أن أجيد (بعض هذه الأمور لم تحدث بعد ولكنها قد تحدث) .

(٥) على الرغم من أن المفروض على الإنسان فى غرفة الملابس ألا يتكلم فإنى لا أتمالك نفسى أحياناً عندما يسألنى بعض الناس أسئلة ويغروننى بالإجابة عنها فهل تلومينى ؟

(٦) الجرى فى الصالات أثناء الخروج للفسح : لا أستطيع الامتناع عن ذلك لشدة تلهفى على الخروج للصياح واللعب .

(٧) أظن أنه ينبغى أن أحصل على حرية أكثر قليلا ، حرية أكثر فى البت فى الأمور — كالاستيقاظ مبكراً فى الصباح ، (فقد كنت أنتوى ذلك عادة ولكنى كنت أحس بالتعب الشديد عندما أستيقظ فى الصباح) .

(٨) أعتقد أنه من الواجب مكافأتى على طيبتى بمثل الحلويات والكتب التى أحبها كثيراً جداً ، ولكن ليس من الضرورى أن أكافأ دائماً ، وقد لا أظن عندما أبلغ التاسعة والنصف أو العاشرة أنى بحاجة إلى المكافآت على طيبتى لأنى سأكون عند ذاك طيبة بطبيعتى .

(٩) إذا كان ما يطلب منى عمله معقولا وفى طاقتى أن أعمله بسهولة تامة ، وشيئاً أشعر أنى قادرة على عمله وراغبة فيه بحيث لا أضطر لإرغام نفسى على القيام به فعندئذ يجب علىّ أن أطيع .

(١٠) أظن أنه يجب علىّ أن أقوم بمحاولة أخرى للاستيقاظ فى الصباح ، ينبغى أن أكون قادرة على اختيار ثياب معقولة ، فإن لم أفعل فإنى أستحق أن أعاقب بإلزامى بخلعها مالم تكن ثيابا معقولة والجو مناسبا لها.

(١١) يجب ألا يكون كل همكم إرغامى على عمل الأشياء فإنى سأعملها قطعاً إن كانت معقولة ..

(١٢) وفى اللعب ليست غلطتى أنى أرغب أن أنزلق على منزلق مدهش خلف المدرسة وأنى نسيت فى تلك اللحظة أنه لا يصح لى أن ألعب خلف المدرسة (آه ! إنه كان ثلجا نظيفاً وفى آخره مرتفع صغير !)

ويحتاج الثامن إلى عون كبير فى العناية بممتلكاته ، فتنبهه إلى الترتيب والنظام يفوق مقدرته على المحافظة على ترتيب الأشياء ونظامها ، وهذا التنبه يجب أن يجعل الكبير يشعر بأن أمام الطفل أياما تفضل هذه عندما تزداد مسئولياته . ويسعد الثامن أن يدع لأمه مهمة العناية بغرفته

والحافز الوحيد الأكيد لحمل الثامن على عمل الأشياء حافز قبض النقود فتقول أمه « إنه يحب المال حبا جماً » ويحب أن يضيف إلى مدخراته منه ليرفع المبلغ إلى مقدار كبير قد يبلغ خمسين سنتا ، وقد ينفق الثامن جميع مصروفه (من ٢٠ — ٢٥ سنتا) أو مكتسباته على الكتب المضحكة ، ولكن يميل بعضهم إلى زيادة المدخر تطلعا إلى مشتريات أكبر . وهم يكبون على الكتالوجات ويرتادون واجهات المحلات التجارية وقد ينغمسون فى قدر وفير من الإنفاق التخيلى وينعمون به .

وقد تستخدم النقود أيضاً كوسيلة للتجمع لأن بالثامن لهفة عليه شديدة ، فهو

يجمع متنوعات من الأشياء كطوابع البريد وتذاكره والهدايا والأشتات التناثرة. وهو يكتنز ممتلكاته المتجمعة ويرتبها ويلتهمها بعينيه التهاما، ولكن اهتمامه بإحراز الممتلكات يفوق كثيراً اهتمامه بحسن العناية بها فى العادة.

ولا يجنح الثامن إلى أخذ ممتلكات الآخرين ومع هذا قد يصحب تنبهه للنقود وما تستطيع شراءه أن يُعثر عليه وقد أخذ شيئاً من نقود مصروف البيت، وقد جرت عادة الوالدين أن يعدوا ذلك جريرة تكبر كثيراً أخذ أقلام الرصاص والماحى فى سن سابقة لهذه، ولكن الطفل فى كل من الحالين يكون معبرا عن حاجة من خصائص سنه، ويجب أن يكون الآباء على تنبه إلى هذه الحاجات وأن يتأكدوا من أن مطالبها قد هيئت لها بالطرق المناسبة. وكثير من الثوامن على سخاء عظيم، وقد يستعملون نفس النقود التى أخذوها فى الاحتفاء بأصدقائهم.

صار الثامن أدنى إلى الصدق، وقد يروى حكاية مختلقة للتأثير فى سامعيه، وربما كان الصدق الذى يرويه بلاءً عليه، ولكن ليس من عادته أن يفشى إلا لأمه الأسرارَ التى تضره. ومن المهم له جداً أن تكون له علاقة ثقة كهذه بأمه تشعره بأن الإفضاء إليها بسيئاته وفشله وإهماله مباح له.

١٠ — النظرة الفلسفية

الموت والإله

كثيراً ما ينبعث فى الطفل من جديد اهتمام فعال بالدين فى سن الثامنة. وليس هناك أى تعمق فكرى جديد فى تصوره للموت أو للإله فما استنبطه الثامن بعقله هو مضافا إلى أية معتقدات لقّنها فى السادسة والسابعة يسلّم بها الآن و يتقبلها. وهو يحب الذهاب إلى مدرسة يوم الأحد، ويريد أن يتعلم فقرات ومزامير من الكتاب المقدس ويحب الاستظهار، وقد يقرأ الكتاب المقدس من تلقاء نفسه فى البيت ويشوقه جداً ما فيه من قصص. وإذا كان قد توقف عن الصلاة فى السابعة فعساه الآن يرغب فى استئنافها من جديد، ويريد أن تصلى أمه معه، وكثيراً ما يؤثر إنشاد صلواته مترنما، وقد يغدو مشاركا نشيطا فى الصلاة بغير أن يفكر طويلا فيما تعنيه.

ويبدو أن أهم شاغل دينى يستهويه فى هذه السن هو مسألة السماء، ولا يرجع مابه من اهتمام إلى مشغوليته وقلقه بشأن الإله الذى فى السماء كما كان من قبل، فقد أصبحت الآن صلة الإله بالسماء فيما يبدو أمراً مسلما به، وإنما أهمية السماء أنها مكان نذهب إليه بعد أن نموت.

والموت كذلك أمر يسلّم به إلى حد كبير مالم تحدث بطبيعة الحال وفاة لشخص وثيق الصلة جدا به، وقد أصبح معظم الثوامن يتقبلون بدون أى انفعال أن جميع الناس حتى هم أنفسهم سيموتون فى يوم من الأيام. ويستمر اهتمامهم القديم بالنعوش وبالدفن وبغير ذلك مما يتصل بالموت وإن خفت حدته كثيراً.

الزمان والفضاء

أخذ الثامن تزداد مسئوليته فيما يتعلق بالزمن. وتزايد سرعته فى العمل يجعله أقل تعرضاً للانهزام أمام مطالب الزمن، ففى الإمكان الآن توقع وصوله إلى المدرسة فى الميعاد. وبعض الثوامن لا يقرأون الساعة جيداً كما كانوا يفعلون فى السابعة، وقد يقرأونها معكوسة بحيث يقرأون التاسعة وثلث

على أنها العاشرة إلاّ ثلث . وفضلا عن سوء قراءة طفل الثامنة لساعته فإنه كثيراً ما يهمل ساعة يده ، وربما كان من الحكمة اختزان الساعة للثامن فترة من الزمن إن كانت له ساعة.

ومع أنه أقل مهارة في قراءة الوقت فإنه شديد التنبه إلى المحافظة على المواعيد أي الوقت الذي ينبغي أن يكون فيه بهذا المكان أو ذاك ، ويحافظ على معرفته للوقت بمداومة الاستفسار من الآخرين عن الساعة . وإذا عرف أنه قد يصل إلى المنزل متأخراً فقد يبلغ من تقديره للمسئولية أن يدق التليفون .

وهو أكفأ ما يكون في معرفة الوقت عندما يريد أن يصغي إلى برنامجه المحبوب في الإذاعة ، ولكنه أقل كفاية بكثير في معرفة ساعة إيوائه إلى النوم أو دخوله إلى المدرسة . ولا يزال بحاجة إلى قدر من التذكير بها .

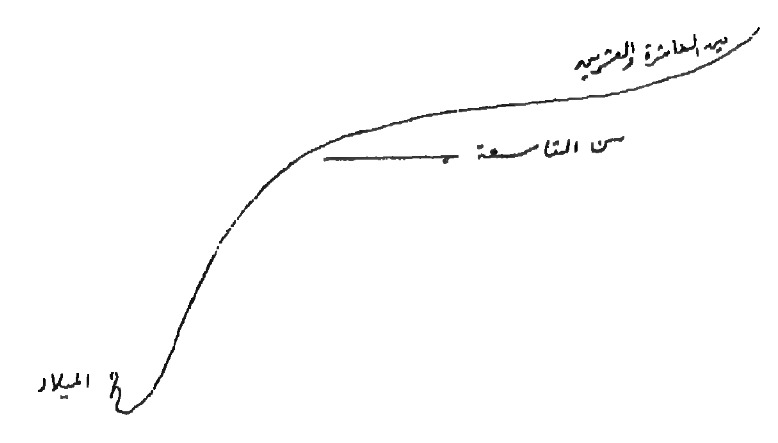
ويهتم الثامن بالعصور القديمة أو بالأزمان السحيقة في القدم ، ويحب أن يقرأ ويسمع عن أشياء حدثت يوم كانت بلاده جديدة ، ولكن تاريخه بدائي فقد لا يستطيع أن يقول عن يقين إذا كان جورج وشنجطن مذكوراً في التوراة أم لا .

وقد أخذ الفضاء الشخصي يتسع حول الثامن فهو يستطيع الآن أن يعود إلى المنزل بالأوتوبيس من مسافة أبعد وقد يسافر فيه أيضا وحده في طريق مألوف أو مرتب له من قبل إذا كان أحدٌ في استقباله . وهو يضل طريقه أثناء مشيه في مساحات واسعة في المنطقة المجاورة لبيته بحيث يصعب اكتشاف مكانه . وقد شرع يعرف جيرته جيداً بحيث أصبح يهتم بالطرق الجديدة وخاصة « بالتخريمات » التي تقصّر المسافات ، وقد يضل الطريق أثناء العملية .

وهو يتلهف على القيام برحلات إلى مدن جديدة وعلى زيارة المتاحف وحدائق الحيوان والأماكن التي تسترعي الالتفات والاهتمام ، بل إن عالمه الفضائي أخذ يتسع كثيراً نتيجة لاهتمامه بالجغرافيا ، وهو يرسم الخرائط باهتمام بالغ .

وعند الثامن في العادة فكرة متوسطة الوضوح عن جهات البوصلة وعن مختلف أجزاء الحي بالنسبة إلى بعضها البعض . ويستطيع الآن أن يميز بين اليمين واليسار في الأشخاص الآخرين كما يميزها في نفسه على السواء .





مصور السلوك

لم يعد ابن التاسعة مجرد طفل ، كما أنه لم يصر بعدُ « فتى » . فالتاسعة سن وسط تقع فى المنطقة الوسطى بين سن روضة الأطفال وسن المدرسة المتوسطة[1] . وفى خلال هذه الفترة يعدّل الطفل من نفسه ومن اتجاهاتها تعديلات ذات بال تمشياً مع الأوضاع الجديدة ليروض نفسه عليها ، فتتضح مظاهر اتجاهات السلوك التى تبدت فى الثامنة ومنافذها ، فيصبح الطفل أملك لزمام نفسه ويكتسب أشكالا جديدة من الاعتماد على النفس تعدّل إلى حد كبير علاقاته بأسرته وبمدرسته وبزملائه فى الفصل وبالثقافة بوجه عام ، ويكون مجىء هذه التغيرات من الخفاء والغموض والدقة بحيث لا يتنبه الآباء والمعلمون فى الغالب تنبهاً كافياً إلى أهميتها ، بيد أنها تحولات نفسية لها من الاعتبار والأثر بالنسبة لكل من الطفل والمجتمع ما يجعلها جديرة بقدر أكبر من الاعتداد بها والاعتراف بأهميتها .

---

(١) Junior High School

والحافز النفسي للحركة هو أهم الخصائص الأساسية لطفل التاسعة ، وهو مفتاح فهمنا له أثناء تقدمه نحو النضج . كذلك تنمو عنده قدرة على تحكيم عقله فى الأشياء إما من تلقاء نفسه أو بدافع من دلائل أو إشارات طفيفة يتلقاها من البيئة ، وهذا يخلع عليه فى كل من المدرسة والبيت طابعاً يتميز به ، هو سمة رجال الأعمال ، فيكون من الانهماك ومشغولية البال بحيث يبدو كأنما قد ضاق وقته عن القيام بالأعمال الرتيبة وعافت نفسه المقاطعة والتشويش ، ولكنه من جهة أخرى يستطيع مقاطعة نفسه ، فإذا كان مشغولا مثلا بواجب تحريرى ففى وسعه أن يقطع ذلك العمل ويقوم إلى برّاية الأقلام ، ثم يعود لعمله بغير نقص فى كمية الحركة عنده وبغير حاجة إلى تذكير ، وكذلك يستطيع ملء أوقات فراغه بنشاط نافع ، ويمكنه أن يعمل ساعتين أو ثلاثاً بلا انقطاع بمجموعته التى يبتنى بها منشآته . وهو يحب أن يثقل على نفسه بالأعباء التى تتطلب المهارة وأن يبذل قصاراه فى العمل .

وابن الثامنة يكون بالمقارنة إلى غيره أكثر اعتماداً على تعضيد البيئة — أى على ضغط الجماعة وحفز الكبار . وينفق الثامن الكمية اللازمة من الانتباه فى أداء واجب صعب ولكن سرعان ما يستنفد طاقته ، أما التاسع فيستطيع أن يستدعى مدخراته الاحتياطية من الطاقة ويجدد الهجمات معاوداً المحاولات المتكررة ، وهو أمر يرجع إلى ما بلغه عتاده السلوكى بأكمله من نضج أعظم ، فلا عجب إذن أن يكون تلميذاً ممتازاً مستعداً لمجابهة أى شىء ومحاولته فى الحدود المعقولة لثقافته . والتاسعة أنسب سن للوصول إلى الكمال بالكفاية والمهارة فى الموضوعات المحتاجة للآلات والعدد وبعمليات الحساب الأساسية وغيرها من ضروب المهارة ، ويبلغ اهتمام ابن التاسعة بإتقان مهارته وتكميلها حدا يحببه فى عمل الشىء ذاته مرات متوالية سواء أكان ذلك رمى السهام أو القسمة على عدد ذى رقم واحد .

فإذا صادفته مهمة غير مألوفة (كتخطيط ممرات متشعبة بالقلم الرصاص) فإنه قد يقول ، « إحم » بتأمل ونغمة ينمان عن النضج ويذكّراننا بأنه لم يعد طفلا فى اتجاهاته العقلية ، ويُتبع ذلك قائلا بطريقته المميّزة : « دعنى أفكر فى الأمر فإن علىّ دائماً أن أفكر أولا » ، وهو يحب أن يدبر الخطط مقدماً وأن ينظر لبعيد وإذا

كانت المهمة المعهود إليه بها معقدة طلب أن تفسر له خطواتها المتعاقبة ، فإذا عالجها بعد ذلك فى غير نجاح سريع فإنه يكشف عن مقدرة على تقويم نفسه ، وربما قال فى شىء من الخط من شأنها « ليس لدى النشاط الكافى » أو « ياسلام ! ! إننى إنما أحاول اكتشاف الخطأ هنا » أو « أنا (وحلان) أليس كذلك ! »

وسنرى بعد قليل أن هذه القدرة على التقويم لاتقتصر أبداً على نفسه وحده بل تمتد إلى غيره من الأشخاص ، فهو يبدى مقدرة جسيمة على نقد الجماعة إلى جانب نقده لنفسه ، ولو أضفنا إلى هذا قدرة لها قيمتها على دفع نفسه إلى الحركة فهمنا لماذا يترك التاسع فى أغلب الأحيان أثراً وانطباعة جيدة قوية ذات مسحة عملية .

ولسنا نعنى بذلك أنه أصبح نتاجا كامل الصقل فإنه وإن يكن فى صميمه صلب العود فإن فيه هامشاً ينمو لاهو بالثابت ولا بالمتزن وذلك لأن أنماطاً انفعالية جديدة أخذت تتكون فيه ، وينم عنها نزوعه للشكوى وتقلب أحواله المزاجية من خشية وجبن إلى جرأة وشجاعة ، ومن مرح إلى غضب ، وربما صحب الخجل والتهيب ولع جديد بمعلمته . وقد « يكره » أن يقف أمام الفصل ليُسمِّع قطعة شعرية ، ويكون أحيانا على حد تعبيرهم فى « تيهاء » أو فى « ملكوت » أو « محلقا فى السحاب » ، وربما احتاج الأمر إلى مذكِّر أو لعله يلتمس لنفسه العذر قائلا : « آه إنها ذاكرتى الضعيفة » . ومثل هذه الأعراض الرقيقة من شرود الذهن ربما كان مردها إلى أحداث عقلية جديدة تحدث فى هوامش نموه .

وحين نقول إنه أيضاً كرجال الأعمال فلسنا نعنى بذلك أن تفكيره مالى فهو لا يُجَن بالمال كابن الثامنة ، فالمال والمصروف اليومى لا يدفعه للحركة فى كثير من الأحيان إلا قليلا وذلك لأن هناك أسبابا كثيرة أفضل منه تحمله على الحركة وتشغله ، فهو مغرم بعمل قوائم بالموجودات وكشوف للجرد والمراجعة ، ويحب تصنيف الأشياء والتعرف عليها لتنظم معلوماته . وهو مُلمّ بحشد مدهش من الحقائق والأشكال ، ولديه اهتمام واقعى بالتسلسلات والأصناف المتماثلة كشارات ورتب ضباط الجيش والبحرية ، وبالفوارق المميزة لمختلف أنواع الطائرات وأعلام الأمم المتحدة الخ . وإذا

كان شغوفا بالكتب والصحف الهزلية — وكثيرا ما يكون كذلك — فإن محتوياتها الحافلة بالمعلومات هي أهم ما يسترعى نظره فيها ، وله عين يقظة وأذن مرهفة للتفاصيل ذات الشأن ، وللشذرات الصغيرة التي تجيئه عن طريق الراديو والسينما والمجلات المصورة وأحاديث الكبار .

وإنا لنشدد التأكيد على هذه السمات العقلية لابن التاسعة لأنها تلوّن وتوجه الأنماط المتعددة الجوانب لسلوكه الشخصي الاجتماعي ، وهو يبدى ألوانا جديدة من قوة التمييز والتفريق في علاقاته بوالديه ومعلميه — على صورة تصفيات وتهذيبات في انفعالاته واتجاهاته . ويرجع بالطبع تعمق حياته الانفعالية (فهو أقل سطحية وتحولا مما كان في سن الثامنة) إلى تغيرات نمائية خفية تُلم بوظائف أعضاء جهازه العصبي المزاجي ، ومع ذلك فمن محاسن الصدف أن الشعور والاستبصار قد تحسّن توازنهما عما كان عليه في سن الخامسة والنصف والسادسة ، ومن ثم فإن طفلك ابن التاسعة القوى البنية ينزع إلى أن يكون إنسانا صغيرا حسن التنظيم نسبيا يعرف قدر نفسه وإمكانياتها كما أنه يستطيع أن يعرف قدرك وإمكانياتك . وهو لا يحب أن توجه إليه رعاية مقترنة بالتعطف والتنازل ، وليس بحاجة إليها ولا يكون في العادة مسرفا في العدوان ، كما أن تقديراته لأبويه ولمعلميه قد تكون نفاذة وصحيحة دقيقة بل وصريحة أيضا .

ولما هو عليه من عدم النضج يبدو في تقديراته وتوقعاته إحساس بالعدالة بل وبالتعقل مؤثر باهر ، وقد تغلّب على ما كان فيه من تنصلات أدنى إلى الطفولة ، وفي وسعه تقبل اللوم ، وإذا شملت الصعوبة عدة أشخاص كبار أو صغار فإنه يحب أن يوزع اللوم كله عليهم بالعدل ويشدد النكير على من بدأ الشر . وهو شديد الاهتمام الانفعالي والعقلي بالعقوبات والامتيازات وبالقواعد والأصول وبالإجراءات وبخاصة بما يجرى له في المدرسة والنادى . وهو يحكم على عدالة التأديب بالمعايير الذاتية والجماعية . وهو شديد التقبل للآراء والفكر البدائية عن العدالة ، وقد تبذر فيه الثقافة بذور التحيز والتحامل ولكنه يستجيب عن طيب خاطر للوصايا والتنبيهات التي تحذر من التفريق العنصري .

وهناك بطبيعة الحال اختلافات فطرية فى عمق الحاسة الخلقية وأنماطها ، ولكن طفل التاسعة إن أحاطت به ظروف ثقافية مواتية كان فى صميمه صادقاً أميناً يستطيع أن يقول لنفسه « لا مناص لى من أن أكون أميناً » ، وإنه ليعود إلى أحد المحلات ليرد ما زاد عن حقه من النقود أو ليطالب بما أنقص من حقه ، ونظرا لأنه لم يبلغ بعدُ حد الكمال فقد يظن أن كذبه على أبيه أسوأ من كذبه على غيره ، ولكنه فى مجموعه شخص يعتمد عليه ويقدر المسؤلية . وهو يجب أن يُؤتمن وأن يحصل على قليل من الحرية إذا سمح له بساعة أو ساعتين يقضيهما طليقا فى المدينة بغير إشراف والدى مسرف فى التساؤل . ولا حاجة للاهتمام بشكاياته أكثر مما ينبغى فقد تكون كما فى سن السابعة علامة على أن أنماطا انفعالية جديدة تمر فى دور النمو .

ومن الجلى أن شعورا بوضعه ومركزه كفرد متميز عن غيره أخذ ينمو فيه ، وهو شعور يفتقر إلى فهم قوامه العطف من جانب الكبار ولا سيما من أسرته ، وهو يحب بيته ويحس نحوه بولاء شخصى خاص ، ويتلألأ اعتزازاً بأبيه الذى يعجبه ويدهشه ، ولكنه يشعر أيضا بتوترات الرغبة فى الإفلات وتحقيق الانفصال الذى يهيىء له اعتمادا أكثر على نفسه ، ومن ثم تجده إن بعدت به الشقة عن أهله يعزف عن أن يجابهه فضولى بلفظة « بُنَىّ » ، كما لا تحب البنت أن تنادى بـ « ابنتى » . فطفل التاسعة السليم الجسم يحرص قبل كل شىء على ألاّ تدلله أمه عن غير قصد أو تعامله معاملة الوليد الصغير الذى يحتاج إلى حماية دائمة . وقد يذهب الآباء أحيانا إلى نقيض ذلك تماما فيعاملونه كما لو كان « شابا » ، والواقع أنه يحتاج إلى المعونة فى المواطن الحرجة ، ويحب أن يلجأ لأبويه التماسا لها . والتصرف الماهر يجعل العون على قدر الحاجة ويغل اليد عن المعونة التماسا للاستقلال المنشود .

ولذلك يجب أن يشعر الوالدون بالرضى عند ما يظهر طفل التاسعة فى بعض الأحايين اهتماما بأصدقائه يفوق اهتمامه برحلة تفضلت الأسرة بتنظيمها من أجله . ويفضل كثير منهم أن يجتمعوا برفقائهم ذوى اللطف والمرح فى أحد تلك الجلسات الطويلة أو الندوات التى قد يبرز فيها الحديث ووضع الخطط أقوى من اللعب الناشط ، فإن بين الأصدقاء أمورا جمة تحتاج إلى تذاكر على هيئة سمر مسلّ — وهو ضرب

من التبادل لايتوافر حتى فى دائرة الأسرة نفسها ، فالتاسع كثير الكلام فلندعه يتكلم !

اسمحوا له بالكلام مع لداته إذ بهذه الوسيلة يحصل على الأقل على مبادئ الإحساس بالأخوة ويضطلع بنصيب صغير من وضع الخطط الاجتماعية ، وبه يشحذ ويقوى مُدركاته عن الأفراد الآخرين وعن نفسه ويشاطر فى حمل الأسرار وفى التقديرات أو التقويمات ويناقش المهن المستقبلة فيقول لرصيفه فى صراحة : «ليس فيك مكونات الطبيب !» . وعلى الرغم من قليل من الشجار والخلاف فإنه يساير زملاءه فى اللعب مسايرة طيبة ويؤسس صداقات لها شىء من العمق والدوام . وهو يشترك اشتراكا فعالا فى تكوين وإدارة « ناديه » الذى لا يزال قصير الأجل ، بما فى ذلك كلمات السر واللائحة والثياب والمخابئ والنشرات والمحظورات ، وهو فى سبيل تعلم كيفية إخضاع مصالحه الخاصة لمطالب الجماعة . وفى المدرسة وغيرها تراه أقدر على التنافس كعضو فى جماعة منه كفرد عادى .

والجماعات فى المدرسة ربما تضم كلا من البنين والبنات ، ولكن التجمعات التلقائية تكاد دائما تضم جنسا واحدا . فللبنات نواديهن الخاصة التى يُصرف فيها شطر من الوقت فى القهقهة العصبية والتهامس ، بينما يستمرئ الأولاد المنازلة العنيفة والمصارعة . ويلقى الأولاد أكثر من البنات عنتا من العرابيد (العصبجية) من سنهم أو ممن يكبرونهم . وحفلات أعياد الميلاد تكون بحكم الاختيار مقصورة فى العادة على جنس واحد . ويعاكس الأولاد بعضهم بعضا بالإشارة إلى صديقاتهم من البنات ، وتكايد البنات بعضهن بعضا بالإشارة إلى أصدقائهن من الأولاد ، فكل جنس يحتقر الآخر من صميم قلبه .

وهذا الاحتقار المتبادل جزء من مكنية النمو ينطوى على نفس المنطق الذى تقوم عليه نزعات الانسحاب التى تدعو نفس هؤلاء البنات والأولاد على السواء إلى الانفصال إلى حد ما عن الروابط العائلية وهو انفصال لابد منه لموازنة التعلق بها . ولكى يتم لابن التاسعة نموه لابد له من أن يكتسب إحساسا بوضعه الفردى لا بالنسبة لعلاقاته بوالديه فحسب بل بالنسبة أيضا للجنس المقابل .

وهكذا يعبر كل جنس عن قدر معين من الاحتقار للآخر ، ثم إن مفاخرتهم

بعضهم لبعض وتجسس بعضهم على بعض ومعاكسة بعضهم لبعض تحدد لنا الفوارق النفسانية المميزة التي في دور التكوّن ، وذلك بمعاونة الثقافة وبغير معاونتها على حد سواء . يقول ولد متفوق في عقليته « لا يقام للبنات وزن » ، فتجيبه بنت واسعة الإدراك : « الأولاد مخلوقات كريهة يلذ لي أن أرقبها » .

ولكن مما له دلالته القوية أن تلك البغضاء لا أثر لها فيما يتعلق بالأطفال الصغار فقد تبدى البنات اهتماما وجدانيا قويا بإخوتهن الصغار ، وقد يتولى ولد في التاسعة بوصفه الأخ الأكبر القيام إلى حد عجيب بالعناية بالحضين على أدق تفاصيلها عند ما يعهد إليه بهذه المسئولية والداه أثناء غيابهما المؤقت . ومثل هذه الاتجاهات إنما هي أيضا جزء لا يتجزأ من التطور الجنسي الكامل الذي يشمل في النهاية الحياة العائلية .

وثمة صور مختلفة للتنبه إلى نواحي « الجنس » الوالدية والتوالدية ، وقد أصبحت معظم بنات التاسعة على علم بعملية الحيض ، وصار كثير من الأولاد والبنات على شيء من الفهم لدور الوالد في التناسل والإنتاج . فقد شاهدوا عملية الحمل في الحيوان وهم يجمعون بين الحياء وحب الاستطلاع حيال الوظائف العضوية الأولية للجنس ومبادئه التشريحية ، وتفضي النزعة العقلية الواقعية لهذه السن إلى حمايته من المبالغات الخيالية في مسائل الحب . وابن التاسعة يهمل نسبيا شأن مظهره من ناحيتي تفصيل الملابس ووسائل التجميل ، غير أن التعديلات في موقفه بالنسبة للشئون الجنسية تكون من شدة الوضوح بدرجة تكفي للدلالة على أن طفل السنوات القريبة المنصرمة قد انتقل الآن إلى منطقة ما قبل البلوغ من دورة الحياة ، والبنات أقرب إلى سن البلوغ من الأولاد ، وهذه الحقيقة وما تقترن به من تغيرات في النضج في وظائف أعضاء كل من الجنسين تعلل بعض التعليل ذلك المدى الواسع من الفوارق الفردية الشديدة الوضوح في هذه السن .

ولا يكاد مصور السلوك يفي هذه الفوارق الفردية حقها لأن مصور السلوك يجب أن يرسم بخطوط عريضة قوية ، وهذا يضطرنا إلى تجاهل الخطوط والظلال الدقيقة التي هي على أعظم جانب من الأهمية في رسم الصورة التخطيطية لولد بعينه أو لبنت بالذات ، كالولد أو البنت التي في منزلكم مثلا ، وكل منهما موسوم بميسم الفردية

فله حركاته وطرائق ضحكه وصراخه ، وله فكاهته وكآبته وأحواله المزاجية وآدابه على المائدة ، وطرائق حديثه وممتلكاته ، وتصرفاته وحماساته التي تجعله فذا فريداً ، ولن تبدع الفطرة آخر مثله لأنها تمقت التطابق حتى في التوأمين الناشئين عن نفس البيضة الواحدة .

والتاسعة فوق كل شيء هي السن التي تحاول فيه الفردية أن تعود إلى فرض نفسها وتنظيمها من جديد ، وطفل التاسعة النشيط لا يعتمد على الثناء أكثر مما ينبغي ، بل لقد يبدي الدهشة حين يتلقاه ، بيد أنه يقبل الاستحسان ويفيد منه ، والحق أنه يحب الثناء حين يجيء في الوقت المناسب ويبدي في تمثل الثناء كفاية تفوق كفاية السابع كثيراً ، وإذا كان من ذوى الطبيعة المنطوية الميالة إلى الانسحاب فإنه يحتاج بطبيعة الحال إلى أن يعامل بشيء من الاستبصار الخاص ومن الهوادة واللين أحيانا ، ومن الحكمة في حالة الشك أن نتسامح إزاء كل جبلة[1] تعبر عن اندفاعات للنمو إلى الأمام ، فالطفل لابد له أن يكتشف نفسه .

* * *

وعلى الرغم من التباين الشاسع في الفوارق الفردية فإنا نستطيع مع ذلك تمييز خصائص نمائية عامة تمثل منطقة النضج لسن التاسعة . استرجع بذاكرتك طفل الثامنة تجد أن سمات ثلاث تميز حركيات (ديناميكيات) سلوكه : التسرّع ، والبسط والامتداد، والقدرة على التقويم . هذه السمات يستمر فعلها في مستوى سن التاسعة ولكن بتعديلات هامة وبدرجة من الاكتمال أعلى .

فالثامن يبدو أنه يشتغل بتسرع شديد لأنه يستجيب في تفجرات من الانطلاق لجائية نوعا ما ، والتاسع لا يزال متسرعا ولكنه أملك لزمام سرعته فلا تُلحظ كما كانت من قبل ، وهو يجعل نصب عينه في كل مايضطلع به من عمل بلوغ النهاية والاستكمال ولا سيما إذا وجّه تصميمه نحو عمل مألوف له ، كما أنه يحافظ على سرعته لفترات أطول من قبل ، ولكن مواءماته في جميع المواقف بما في ذلك الأواسط

---

(١) Idiosyncracy سلوك خاص لبعض الأطفال في بعض الأعمار كعزوف ابن التاسعة عن أكل البيض مثلا .

والنهايات ، ستزداد زيادة ملحوظة إلى حد كبير بعد مضى عام آخر .

وهو أعظم اهتماما بالخطوات أو الطريقة وبالمهارة أو الإتقان ، وهو أقدر على تحليل حركاته قبل العمل وأثناءه معاً ، وهو أيضاً أكثر اهتماماً ومثابرة على ممارسة مهارته — اهتماما ومثابرة يقومان على ازدياد نضج جهازه العصبي الحركى . ويكون التاسع أحيانا مطواعا متوائماً ويبدو أحياناً أنه يجاوز المدى فى أداء شىء يحبه فلا يبرح يكرره مرة بعد مرة ، فقد يرغب مشاهدة نفس الفيلم مرة تلو أخرى ، وربما كان تكرار الشىء بتغييرات طفيفة يعينه على تمثل خبرة جديدة وتهذيبها . وتكشف كذلك نزعة سن التاسعة إلى البسط والتوسع (أو الامتداد) عن زيادة فى كل من القصد (أو العَمْد) والمجال والعمق ، فهى سن تقل فيها التخطيطات التقريبية والحوادث العرضية ، سنٌّ أبعد تغلغلا وأكثر فى النهاية تنظيما ، وهذا أيضا فارق فى النضج غنىٌّ بتراكم الخبرات .

كانت نزعة الثامنة للانسياح والتوسع تتأثر كثيراً بالحوادث العرضية وللمصادفات البيئية المباشرة ، أما فى التاسعة فأكثر ما تتولد هذه النزعة من الداخل فهى حافز ذاتى فلا داعى لأن يأمر أحدٌ التاسع بعمل قوائمه أو بوضع الخطط لمهنته المستقبلة ، ثم إن نفس هذه القوى الداخلية تدفعه إلى أن يجوس خلال العوالم البعيدة فى التاريخ وفى التراجم ، فهذا بسط وامتداد نفسانى — عملية نماء قوامها التنظيم .

وتقويمات التاسع كما هو المتوقع أعمق وأكثر تمييزاً من تقويمات الثامن ، إذ أن طاقة استجابته الانفعالية أكثر حساسية وتهذيباً ، فكما أن عدسات عينيه قد ازدادت مقدرةً على التكيف إزاء المسافات القصيرة ، فكذلك كيانه العضوى بأكمله قد اكتسب قدراً يذكر من المقدرة على الإحساس بالقيم الصغيرة وعلى التواؤم وفق الفوارق الدقيقة . وقد أثنينا من قبل على قدراته الجديدة على تقدير نفسه وعلى التمييز الاجتماعى ، وهى مرتبطة بنمو « طاقة الاستجابة الانفعالية » لدى طفل التاسعة نموا يمكنه من أن يختبر ظلالا أدق من فوارق الإحساس ويعبر عنها . وقد صار صوته أرق ومتنفسات التوتر عنده أدق وتسخطاته أصعب إرضاء ، ولا شك أنه يحس انفعالات جديدة ، وتغيرات جديدة فى انفعالاته القديمة ، وذلك لأن الانفعالات تنمو ويتغير نمطها بمرور الأزمان والأعمار .

ولم يحل الفلاسفة بعد لغز الضمير الإنساني ، ولكن طفل التاسعة قد يعلمهم شيئاً عن منابته ، فمن البيِّن أن ضميره يكون فى دوْر التكوُّن فقد بلغ الآن من نضج « طاقة الاستجابة الانفعالية » ما يمكنه من أن يدرك أخف الظلال من إساءات الآخرين وأن يحس بما هو جدير باللوم من أخطائه هو . وإنه ليريد أن يكون مستقيما مع العالم فى معاملاته ويعلق على عدم العدالة عند الكبير بقوله : « إن هذا غش وظلم » . وهو واقعى بالنسبة للأمور الأخلاقية فيقول لأمه بلهجة واقعية : « أعرف أنك لن تستريحى لذلك ولكنى سأخبرك به » . وإنا لنلمح فى مثل هؤلاء الفصحين من الأطفال مكنيات الضمير بنصها وفصها ، ومما يشد العزم ويروعنا فى نفس الوقت أن ندرك أن الحاسة الخلقية قد بلغت بالفعل مثل هذه الدرجة العالية من النمو فى هذه السن المبكرة .

وتتسم نفسانية التاسع بضرب معين من المعقولية فهو متقبل للتعلم ، وهو واقعى صريح ولا يهتم كثيراً بالسحر ، وبه عرق سليم من التشكك ، وقد نبذ جانباً خرافة (بابا نويل أو سانتا كلوز) ، بيد أنه ليس من القسوة بحيث يفسدها على أخيه الصغير . وهو يعتقد فى الحظ والصدفة ولكنه يعتقد أيضاً فى القانون وإلا لما كان على ما هو عليه من التشوق لمعرفة كيفية صنع الأشياء ولماذا كانت على ما هى عليه ، وهو يتلمس تصحيحاً وتفسيراً لأخطائه . ويكون فى الوقت الحالى أقل انشغالا وقلقاً بشأن الإله والسماء والقدر والصلوات ، وهو آخذ فى تولى أمر نفسه بنفسه بروح تغلب عليها النزعة العقلية ، وهى ظاهرة نمائية جديرة بالملاحظة .

قد تعمدنا فى تصورنا لسلوك التاسع أن نشدد التأكيد على سماته الإيجابية والإنشائية لأنها تمثل إمكانياته خير تمثيل بدلالة المستقبل كما تمثل ما أحرزه من قدرات بالنسبة لماضيه النمائى القريب . وهو بطبيعة الحال لا يبرح يظف فى بعض الأحيان وظف الثامن ، بيد أن خير سماته إنما هى دلائل حقة على اتجاهات نمائية حقيقية .

وهذه السمات هى نزعته الواقعية ومعقوليته والدوافع الحركية الذاتية عنده . وهذه كلها إن وظفت فى توازن وتواؤم خلقت منه ، على صورة مصغرة ، فرداً كرجل

الأعمال عادل التفكير مقدراً للمسئولية ، فهو لم يعد مجرد طفل بل إنه يستكمل ماضيه الطويل لا بصورة نهائية وإنما بدرجة وسط بين بين ، إنه متجه نحو سنوات المراهقة .

سمات النضج

[لايجوز أن تعد سمات النضج التالية معايير جامدة ولا نماذج تحتذى ، فهى إنما توضح أنواع السلوك (المرغوب فيه وغير المرغوب) التى تنزع إلى الحدوث فى هذه السن . فلكل طفل نمط للنمو فريد خاص به . وسمات السلوك الملخصة هنا يمكن استخدامها لتفسير فرديته ، ولتكوين فكرة عن مستوى النضج الذى يظفر فيه]

١ — الخصائص الحركية

النشاط البدنى

يجمع التاسع بين العمل بقوة واللعب بقوة أيضاً ، وهو أمهر فى أدائه الحركى ويحب أن يظهر مهارته ، كما أنه أشد سيطرة على الوقت وتنظيمه . ويبدى الآن اهتماما عظيما بألعاب المباراة كلعبة كرة القاعدة

وما أسرع مايتخذ الأولاد وضعة القتال الفعلى ويهاجم بعضهم بعضا ويصطرعون وكثيراً مايطلقون لأنفسهم العنان أويندفعون نحو شىء ما بشدة وحشية

والتاسع عرضة للإفراط والغلو ، ويجد مشقة فى تهدئة نفسه بعد الجرى فى الفسحة (التى بين الدروس) أو عقب لعبة مجهدة . وهو عرضة لأن يمضى بدراجته إلى أبعد مما ينبغى أو يظل يقص النجيل حتى تخور قواه .

العينان واليدان

أصبحت العينان واليدان الآن على تمايز تام وأصبح فى الإمكان على وجه العموم استخدام كل من اليدين فى استقلال ، وكذلك يبدو فى الأصابع تمايز جديد إذ يدق بها التاسع على المنضدة كمن يلعب البيانو ويلتقط بها ويحركها فى عبث ويضرب بها حافة الورقة التى يقرأها .

ويقال عنه الآن إنه إما ماهر فى استعمال يديه أو ضعيف أو إنه دقيق الملاحظة. وتبرز المهارات الفردية فى هذه السن ظاهرة للعيان.

والحركات التى كانت تصدر عنه فى الثامنة بشتى الطرق أصبحت الآن أكثر تقيداً . ويحب التاسع الحياة الهادئة والصور والإعلانات وهو يرسم الخطوط فى لمسات قصيرة ويضيف إلى عمله تفاصيل أكثر من ذى قبل . وفى تمييزه السريع لطراز إحدى الطائرات وهى فى السماء صفة تتسم بسمة التركز (أى تركيز الفكر) .

وللتاسع حملقة بعين مفتوحة يستطيع أن يثبت عليها بضع ثوان دون أن تطرف عينه ، وفى وسعه أن يرى فى وعى مايثبت عليه بصره كما أنه قد يكون موجها بصره بغير التفات ، فتقول إحدى البنات إنها

تستطيع أن تنظر إلى الشيء دون أن تراه وأن الأفكار تتواثب على خاطرها .

ووضعة الجلوس زادت الآن فى إربا كها وفى أنها لا تروق للناظرين فيترهدل الطفل فى كرسيه ويتخذ وضعات غير عادية ، وقد تقترب رأسه جدا فى بعض الأحيان من العمل الذى يعمله وإن كان يحنيها فى الوقت نفسه إلى الخلف ، وهو يدفع بذراعه إلى الأمام وإلى الخلف أيضا ويضرب الأرض بقدمه ويصفق بيده على رأسه .

ويستطيع التاسع أن يواصل الكتابة زمنا طويلا ، ويحب أن يعمل قوائم مطولة وكتالوجات لمجموعاته .

٢ — الصحة الشخصية

الأكل

الشهية : لابن التاسعة شهية هو أملك لزمامها منه فى الثامنة ، والأكولون منهم شهيتهم أقل جسامة كما أن ضعاف الأكل شهيتهم أحسن من قبل ، والتاسع على أى حال يفكر فى الطعام أكثر منه قبلا ويستطيب قراءة كتب الطهى والمساعدة فى إعداد الطعام فما أن يصل من مدرسته إلى البيت حتى تكون أول خاطرة تخطر بباله هى الحصول على شيء يأكله .

الرفض والتفضيل : التاسع أميل إلى البت والقطع فيما يحب ومايكره من ألوان الطعام ويذكرها بصراحة ، ويأكل بعض التواسع كل شيء بالفعل فإن لم يكن كذلك فإن الكبار يميلون إلى مدحهم بالأطعمة التى يطلبونها لأنهم يصرون عليها إصراراً قاطعاً أكيداً . ولا تزال الأطعمة البسيطة موضع تفضيلهم . ويقبل الأطفال الآن صلصة اللحم السمراء ، غير أن الأطعمة المهروسة والشحم الذى على اللحم لاتزال موضع كراهيتهم والفواكه والحلو المطهى والحلويات لها عندهم المكانة العليا

إطعام الطفل نفسه : التاسع ماهر إلى حد ما فى استعمال أدوات الأكل ، ومع أن كثيراً من التواسع يقطعون جيداً بالسكاكين فإن قلة منهم لا تزال بحاجة إلى المعاونة ، وإلا عمدوا إلى نشر اللحم أثناء محاولتهم قطعه ، ويندر استخدام الأصابع . والتاسع متنبه إلى أدب المائدة السيء ، وإن لم يحسن هو السلوك عليها ، بل لقد يبلغ من تنبهه إلى سوء أدبه هو أن يرقب أباه بعين يقظة ليرى إن كان سيؤنبه أو لا . ومن المدهش أن نرى كم يتحسن سير التاسع فى أكله من جميع النواحى حتى فى استعمال أدواته عندما يتوافر له حافز إضافى كوجود ضيف أو عند اصطحابه للعشاء خارج البيت .

آداب المائدة : سلوك الطفل على المائدة فى تحسن واضح وذلك لقلة تفكير الوالدين فى أمره . بل لقد يُهنَّأ التاسع على حسن آدابه فهو فى المضغ أكثر مهارة كما أنه أقل عرضة للمضغ وفمه مفتوح وللإفراط فى تحميل شوكته بالطعام ، ولازدراده ، ولم يعد يعبث بالطعام بغير تفكير .

وقد يستطيع أن يجمع بين الحديث والإصغاء وإحسان الأكل ، بيد أن بعض التواسع ينزعون إلى الإكثار من الحديث على المائدة بينما يبالغ غيرهم فى التركز على الإصغاء .

ويصح أن يتوقع من التاسع أن يغسل يديه من تلقاء نفسه قبل الجلوس إلى المائدة وإن كان الأمر يختلط عليه أحياناً فيظن أنه غسلهما فى حين أنه لم يكن قد فعل . والواقع أنه ضعيف إلى حد ما فى تنظيم حياته طبقا لما يتوقع منه ، ويحتاج فى معظم الأحيان إلى التذكير ويستجيب له عن طيب خاطر ، وهو يضع فوطته عادة على حجره ولكنها لا تزال

عرضة للانزلاق بل ربما سقطت على الأرض . وأكله الآن أظرف وأنظف كثيرا بحيث تقل حاجته إلى الفوطة عما كان وهو أصغر .

النـــوم

وقت النوم : لم يعد الاستعداد للفراش مشكلة إلا إذا أرسل الطفل إليه مبكراً أكثر مما ينبغى وشعر بأنه لم يحصل على امتيازات الأطفال الآخرين . والساعة الثامنة هى وقت النوم الشائع ، ولا يزال التاسع بحاجـة إلى تذكيره بأن وقت النوم قد حل حتى وإن كانت برامج إذاعته تجعله على علم بالوقت فعلا . وقد يصغى إلى أحد البرامج قبـل أن يذهب إلى الفراش ، وقد يخلع ثيابه وهو يستمع ، إن كان له جهاز خاص . ويفضل بعض التواسع أن يقرأوا فترة بعد دخولهم الفراش ، ويكون معظمهم مستغرقا فى النوم عند التاسعة . ومع هذا فنهم قلة تحتاج إلى أن تنام فى السابعة والنصف وهؤلاء بحاجة إلى أن نحميهم من تأثير أصدقائهم الذين لا ينامون قبل التاسعة أو حتى بعدها ، وربمـا احتاج أولئك التواسع الذين ينامون متأخرين إلى من يقيهم شر أنفسهم بإطفاء مصابيحهم أو مذياعاتهم ، إذ أنهم يميلون إلى إعادة إنارة المذياع أو النور بعد حلول وقت النوم .

الليل : التاسع نوام طيب كما أنه فى عمومه هادئ النوم . وقليل يستيقظون صارخين من الكوابيس ولـكن من السهل تهدئتهم ، ومع أن التاسع كثيراً ما تلم به الأحلام المزعجة ، فإنها لا تقلق نومه كثيراً . ومتوسط نومه حوالى العشر ساعات كما فى سن الثامنة .

الصـــباح : يغلب أن يتحكم التاسع فى استيقاظه بضبط المنبه ، بل لقد يضبطه على ساعة مبكرة ثم يستأنف النوم أو لعله يستيقظ ببطء بعد أن يدق الجرس . وكثيراً ما ينوى عمل أشياء فى الصباح عند تيقظه ، والواقع أنه يستطيب فيما يبدو مناشط الصباح الباكر أكثر من مناشـــط ساعة النوم مساء . والسابعة هى وقت الاستيقاظ الشائع ، وهى ساعة تتيح له وقتاً فسيحاً للمطالعة وإضاعة الوقت هنا وهناك وارتداء الثياب بل حتى التمرين على البيانو قبل أن يحين وقت المدرسة .

قضاء الضرورة

يتحكم التاسع فى وظيفة قضاء الضرورة ويغلب أن تحدث حركة الأمعاء كما فى الثامنة عقب طعام الإفطار أو فى الأصيل المتأخر أو فى المساء . والقاعدة هى حركة واحدة ، ولـكن قد تحدث حركتان . ويستطيع التاسع أن يظف فى المدرسة ولـكنه أقرب إلى الوظف بالمنزل ، وقلما قام فى الليل للتبول ويندر أن يحتاج إلى من يذكره بالذهاب إلى الحمام لأنه يملك الآن سيطرة داخلية وأخرى خارجية .

الحمام واللبس

الحمام : لا يلقى الحمام مقاومة ولا هو موضع لذة خاصة ، ولا يرغب التاسع فى أن يستحم أكثر من مرتين أو ثلاث فى الأسبوع وهو يقبل اقتراح الكبار عليه أن يستحم ويعالج الأمر بنفسه عادة ولـكنه لا يزال بحاجة إلى شىء من الإشراف ويحب أن يكون أحد الـكبار قريباً منه حتى إذا ما نزل إلى الحوض فإنه يستمرئ عادة الانغماس فى المـاء الدافئ تماما ، ويقوم على الإجمال بجميع إجراءات الحمام بصورة جيدة نوعاً وباستقلال لا بأس به .

وهو لا يزال بحاجـة إلى التذكير بضرورة دلك أسنانه بالفرشة وإجادة هذا الدلك كما يحتاج إلى التذكير بغسل يديه قبل

تناول الطعام ، ولكنه فى العادة يتقبل الاقتراحات بقبول حسن كأنما كان يفكر فى عمل كل تلك الأمور من تلقاء نفسه ولكنه نسى .

اللبس والعناية بالثياب : التاسع خير مما كان من ناحية إحكام عمليات اللبس الأخيرة فهويتم « التزرير » وربط أربطة حذائه ويلم ثيابه ويمسها إلا أنه ليس عظيم الاهتمام بملابسه ويفضل أن تعدها له أمه . وهو عرضة لرمى ثيابه فى أرجاء الغرفة ولكنه قابل لأن يتعلم وضعها بعناية على كرسى . وهو لا يداوم بانتظام وضع ثيابه القذرة فى المكان المخصص لها إلا إذا كان يغيرها يوميا ، والواقع أنه ليس خبيراً فى الحكم على نظافة الثياب ، وقد يرتدى ثياب الأمس لمجرد كونها فى متناول يده ، ويفضل الأولاد بوجه خاص الثياب القديمة . ويحسن معظم التواسع التبليغ عما فى ثيابهم من منزع أو خرق بل ربما ألحوا على ضرورة إصلاحها .

ويخفق التاسع فى تعليق ثيابه الخارجية إخفاقه فى تنظيم ثيابه الداخلية فما يكاد يدخل المنزل حتى يجنح الى تكديس كل أشيائه بما فى ذلك الثياب على أقرب كرسى أو إلى التطويح بها مبعثرة . وهو يستجيب للتذكير ، بيد أنه أحسن استجابة لما يُستخدم من وسائل كفرض غرامة عليه (نصف قرش مثلا) عن كل قطعة من الثياب يهمل فى تعليقها ، وكذلك يمكن التغلب على عدم ربطه أربطة الأحذية بنظام فرض غرامة .

وقد أخذ الأولاود يهتمون بتمشيط شعورهم والبنات بالعناية بشعورهن وخاصة إن لم تكن مضفّرة .

الشكايات البدنية

يتمتع التاسع بوجه عام بصحة فائقة وهو على دأبه فى التخلص من البرد بشىء من السرعة . والأطفال الذين ألمّت بهم من قبل مضاعفات فى الأذن أو الرئه أو الكليتين ربما عاودهم المرض فيما بين الثامنة والتاسعة ويعانون المرض فترة طويلة الأمد . ويبدى قليل من الأطفال إعياء ملحوظاً ويحتاجون إلى حمايتهم من أن يعملوا أكثر مما ينبغى ويفيض كثير منهم فى الشكاة وبخاصة من ألم الصداع وألم المعدة ، وكثيراً ماتحدث هذه الشكايات عند ما يطلب الوالد من الطفل أداء عمل تعافه نفسه .

متنفسات التوتر

فى سن التاسعة نقص ملحوظ فى متنفسات التوتر الأكثر وضوحاً ، فقليل جداً من الأطفال يستمرون فى مص أصابعهم على فترات متباعدة فقط ويستجيب هؤلاء جيداً لتذكير أبويهم أو لما يعمد إليه طبيب الأسنان من وضع قطعة منشعبة من الموالك (البلاستك) فى سقف أفواههم .

ويبدو أن الأولاد بصفة خاصة يحتاجون إلى « إطلاق العنان لطاقتهم » فكثيراً ما يصطرعون فى أرجاء المكان ولا يستطيعون فيما يبدو أن يكفوا أيديهم بعضهم عن بعض . والتاسع عرضة للزمجرة أو الدمدمة أو الاكتئاب فى كمد أو التماس الأخطاء فيما يتصل بأحداث معينة .

وأهم ما يمتاز به التاسع من وسائل التخلص من التوتر هو الانتقالات الحركية الدقيقة ، فتراه يتحرك متململا فى غير هدف ويعبث ببشرة جلده ويجرى أصابعه فى ثنايا شعره أو يحرك قدمه باستمرار .

٣ — التعبير الانفعالى

أخذ التاسع ينتهى إلى ما كان يهدف

إليه والده فاستحق الثناء وهو يتلقاه على الفور كقولهم : « إنه يضطلع بمسئولية أكبر » أو « إنه أكثر استقلالا وأدعى إلى الاعتماد عليه » أو « إن مسايرته ومعاملته صارت أسهل » أو « يمكن الوثوق به » أو « إنه مطواع » .

ويحدث لطفل التاسعة من ناحية تنظيمه لنفسه تغير حقيقي تماماً فإنه قد يدخل إلى عالم الانفعالات الأكثر إيجابية فلربما قال إنه يكره بعض مواد بالذات بيد أنه يحاول أن يقوم بها على أية حال فإذا كان مع ذلك متخوفاً من مادة معينة كالحساب فمن المهم ألا يبلغ به التخوف حداً يؤدي به إلى مرض جثماني أو نفسي يجعله يرفض الذهاب إلى المدرسة فالمتخوفون من الأطفال بحاجة أكبر إلى المواد المحسوسة حتى يتسنى لهم النجاح في الوصول إلى المستوى الدراسي الصحيح ثم يجدُّون لكي ينتقلوا بالتدريج إلى مستوى أعلى بشرط أن يكونوا مدركين تماماً للعملية التي يجب عليهم أن يمروا بها .

وقد يكون التاسع نافد الصبر سريع الغضب ، وربما ثارت ثائرته ولكن هذه الاستجابات كلها قصيرة الأمد جداً . وقد يبكي ولكن ذلك لا يكون إلا إذا جُبِهَ بالغضب أو جرح إحساسه أو أوذي بالفعل ، وهو أدنى إلى أن يضطرب ويشتد تخوفه فيما يتصل بأفعاله هو .

والتاسع في الواقع نقيض لنفاد الصبر فهو يدبر الخطط لأوجه نشاطه كل على حدة بل حتى ليومه بأكمله . وهو مثابر مُصِرّ يبغي إتمام ما اختط لنفسه من عمل ومع ذلك تستطيع أمه أن تقطع عليه برنامجه بطلب تطلبه فيطيعها في دماثة وسماحة طيبة ثم يستأنف مزاولة نشاطه المرسوم . وصعوبته الوحيدة ربما كانت في أنه من الانهماك في العمل بحيث لا يسمع أمه حين تكلمه .

وبعض التواسع لا يزالون عرضة للتلهي وشرود الذهن ولكنهم يستطيعون المثابرة والدأب في الأمور القليلة التي يركزون عليها تفكيرهم واهتمامهم . والتاسع كالسابع على مقدرة واستعداد لأن يتولد فيه حب عميق لمناشط معينة فإنه كما تقول أمه « يستطيع الإصغاء إلى الراديو طول النهار بأكمله » .

ويخجل التاسع الآن من بعض أعماله السابقة في ميادين أصبح الآن أكبر سيطرة عليها ، وقد يبدو عليه الارتباك حين يوجه إليه نقد أو حين يكشف جسمه أو عند ما يكون في موقف اجتماعي مع الجنس المقابل . وتتعرض أعمال كل من والديه وإخوته لسُخطه واشمئزازه إذ يقيسها بمقياسه الخاص لأنه يريد أن تكون تصرفاتهم صائبة .

والتاسع صديق مخلص وفيّ يستطيع أصدقاؤه على الدوام أن ينشدوا حمايته لهم ، ويقلقه ويحزنه أن يجد أصدقاءه يعنَّفون وينتهرون . وهو ميال إلى الإعجاب بالأطفال من جنسه سواء أكانوا من سنه أو أكبر منه بسنوات قليلة وهذا بداية « تمجيد الأبطال » .

ويدهش المرء إذ يرى ضآلة ما يجب عليه عمله ليقلب كفة الميزان في الاتجاه الصحيح بالنسبة للتاسع فإن خبرة واحدة قد تقدح له شرارة لا يحتاج بعدها إلى إثارة أخرى ، فرؤيته لشخص سيء الأدب على المائدة قد تكون له حافزاً قوياً لتحسين سلوكه هو ، كما أن إعادة زخرفة غرفته أو تزيينها أو تنظيمها من جديد قد ينقله من حالة تشبث بسوء النظام إلى حالة تفاخر بالعناية بغرفته ، بل إن إهداءه قطعة عظم من ميدان قتال سحيق ربما دفعته إلى بحث

واسع المدى عن جميع المعارف التى يستطيع الحصول عليها عن إنسان ما قبل التاريخ .

وهذه سن يتأثر فيها الطفل بأى شىء يقال له ، فالتحامل والتحزب والتعصب الذى كثيراً ما ينشأ عند الثامنة يجب أن يفسر للتاسع حتى لا يقع فريسة لمثيله .

والتاسعة سن تعم فيه صبغة وجدانية قوية فترى علامات على التقمص الوجدانى مؤكدة قاطعة فقد يقول الطفل مثلا إنه عند ما يرى أى شخص آخر مصاباً فى موضع من جسمه فإنه يحس بألم فى نفس هذا الموضع من جسمه هو ، ومع ذلك فإن بعض ردود أفعاله العاطفية التى استقرت فيه كثيرها من الخصائص الأخرى تكون متغيرة ، ومن ثم قد يتحول بسرعة من نقيض إلى نقيض ، من الخجل الملحوظ مثلا إلى الجرأة المتناهية ، ويبدو هذا التحول المتطرف أيضاً فى تراوح الطفل بين موقف « المستهين الذى لا يبالى » وموقف الحساسية المتناهية للنقد والرغبة فى أن يُرضى ويسر .

٤ — المخاوف والأحلام

المخاوف

يقول التاسع عن نفسه « أنا لا أخاف بسهولة » والواقع أن مخاوفه قليلة جدا ، على أن بعض التواسع لا يزالون بصدد التحلل من بعض ذيول لمخاوفهم الأولى من العواصف أو البدرومات أو منظر الدم أو السباحة ووجوههم تحت الماء ، ولهذه المخاوف سرد معين يتصل بالشخصية فى هذه السن ، وتكون عادة قد شقت لنفسها فى الماضى طريقاً مديداً حديدا .

ومع أن التاسع قليل المخاوف فإنه حمّال ، للهم ضجور يقلقه ما يقع فيه من أخطاء قليلة وقد يتهيب عبور شارع عند نور حركة المرور . وهو يحمل الهم خشية الفشل فى الدراســة أو خوفا من أن يتصرف فى المجتمعات عكس ما يجب كمد يده اليسرى بدلا من اليمنى أو عدم مطاولة الأطفال الأخرى وملاحقتهم ، فهو بحاجة إلى التطمين أو الثناء أى إلى من يبصّره بعواقبه . وتزيده المنافسة أحيانا هما على هم فإن كان كذلك وجب الإقلال منها أو تجنبها

الأحـــلام

ونوم التاسع ، وإن كان فى ظاهره هادئاً لا يعكر صفوه شىء كثير ، تشوب بواطنه أحلام مرعبة بشعة . وقليل من التواسع يستيقظون صارخين ويجلسون فى الفراش أو ينزلون منه ليذهبوا عادة إلى فراش أمهاتهم ولـكنهم قد يبدون فى أغلب الحالات كمن يمشى وهو نائم ، وهم يعرفون أنهم كانوا يحلمون وسرعان ما يهدأون ، وإذا عرفوا فعلا أنهم كانوا يحلمون فقد لا يستطيعون تذكر أحلامهم .

والأحلام المفزعة شائعة جدا بينهم ، ويمكن تفسير هذا غالبا فى ضوء ما يحدث لهم أثناء النهار ، فالمطالعة والسنما والراديو وألعاب السرك تترك كلها انطباعاتها .

والتاسع تطارده الحيوانات أو الناس ، وقد يصاب بجرح أو برصاص أو يخطف ، ويلعب القتل دورا بارزا ، وقد يُقتل أعز أصدقائه أو تقتل أمه أو تضرب ، وقد تدمر النار والزعازع عربات النقـل (اللوريات) والمنازل .

ويعرف التاسع أن بين مناشطه اليومية وحياته فى الأحلام علاقة ، وقد يعرف أن تـكرار إيقاع معين ربما سبب أحد أحلامه الفظيعة التى يقف فيها على رأسه ويدور ثم يدور ثم يدور . ومجرد التفـكير فيه يجعله ينتفض ، ومن أجل هذا تراه يحاول أن يق

نفسه شر المثيرات التي قد تسبب أحلاماً سيئة معينة فلا يقرأ الكتب المخيفة إلا أثناء النهار فقط ويقرأ كتاباً هزلياً وهو يصغى إلى برنامج إذاعيّ مرعب .

وللتاسع بالفعل أحلام لذيذة سارة ولكن هذه فيما يبدو قليلة وصعبة التذكر وكثيراً ما يستمرئ الأحلام فى الصباح وقد يرغب معاودة النوم لمواصلة أحلامه .

٥ — الذات والجنس

الذات

يقال عن التاسع بحق إنه « مكتف بذاته ، معتمد على نفسه » فالاستقلال شيء يستطيع الآن أن يمارسه فهو قادر على أن يفكر بنفسه ، ويزن الأمور فى تعقل ، وتستطيع عادة أن تعتمد عليه فإذا قال إنه عمل شيئاً فإنه يكون قد فعله حقاً . فى وسعنا الوثوق به .

والتاسع أملك لزمام نفسه ، وهو ينسحب من الوسـط المحيط به بالقدر الذى يكفيه لاستجماع إحساسه بنفسه ويستخدمه فيما يفيد ، بيد أنه لا يسرف فى انطوائه على نفسه كما كان يفعل فى السابعة . وهو لا يستشعر ضرورة للالتجاء إلى التفاخر والهجوم لحماية نفسه كما فى الثامنة فهو يفكر الآن فى قتال يستخدم فيه عقله وجسمه معاً ، مثال ذلك أنه يدبر أمر الزمن على نحو يهيء له الانطلاق إلى المدرسة بسهولة ليقى نفسه شر من يضايقه فى الطريق .

وقد أصبحت لديه مقدرة جديدة على تركيز تفكيره فيما كلف به من عمل وعلى مواصلة الدأب فيه إلى نهايته ، بل إنه لطموح فيما يطالب به نفسه فهو يريد أن ينجح لا فى عمل واحد فقط بل فى كل الأمور عامة .

وللبنات طريقة فى الحصول على ما يردن دون أن يلقين مقاومة .

ومن المهم لدى التاسع أن تكون علاقته بالآخرين طيبة فهو تواق إلى أن يرضى ويسر ويريد أن يُحب ويحرس على أن يُختار ، وهو يشتغل لمجرد إسداء المعروف وينتعش بالثناء ، بيد أنه لا يزال حساساً لتصحيح أخطائه وقد يُربكه ذلك ، وهذه أول سنة يتحكم فيها فى نفسه بدرجة تجعله يفعل الشيء بروح الخدمة والمعاونة الصادقة ، وهذه الحوادث العرضية من « عمل المدهشات » ليست كثيرة الحدوث ولكن ما يحفز الطفل لها هو إحساسه بعظم ما أسدى إليه من معروف .

وليس جميع التواسع على مثل هذه الحال من حسن التنظيم فإن عدداً من الأولاد فى هذه السن يكونون معتكفين مشغولين بمناشطهم الخاصة ولا يفكرون فى غيرهم إلى حد كبير ، ويغيظهم منا قطعُنا عليهم ما بيدهم من عمل يشغلهم ويمكنهم حقاً إغاظتنا ، ومثل هذا الصنف من الأطفال يكون أحسن مسايرة ومعاملة إذا نحن دبرنا معه خطة العمل مقدماً أو تركنا له ما نريد من الأوامر والتعليمات على لوحة النشرات .

ويكون بعض التواسع فى لهفة وقلق على عملهم وصحتهم ، وربما قدروا أنفسهم دون قدرها كأشخاص تعوزهم الثقة بها فيقول الواحد منهم : « آه . كم أنا غبى » أو « إنى أحمقهم » . ومن المهم جداً التحقق من عدم وضع التاسع فى فصل دراسى أعلى مما يستحق لأنه عندئذ يتلقى اللوم والمذمة من نفسه ومن الآخرين كذلك .

ومع هذا يجب ألا يبالغ المرء فى أخذ طفل التاسعة مأخذ الجد فيما يقول فإنه يقذف بملاحظات فيها نقد لنفسه كقوله : « كنت أود أن أفعل هـذا » أو « إنها ذاكرتى

الصحيفة » أو « إنك تعرفني وتعرف وساختي » . إنه يشكو من كثير ولكنه قد ينسى ما كان يشكو منه بعد دقيقة واحدة من شكواه ، وإنما نمر بطبيعة الحال على كثير من شكاوى التاسع ونتجاوز عنها ولكن من المهم أن يقدر الإنسان هل لأى شكوى معينة معنى حقيقي لديه .

الجنس

كثير من التواسع يقل اهتمامهم بالتوالد إذا كنا قد أشبعنا استطلاعهم فى الثامنة ، ومع هذا فقد يحدث بين الأصدقاء حول هذا الموضوع نقاش يستديم أكثر كثيراً مما يعتقده الوالدون ، فإذا لم نكن قد أعطينا الطفل القدر الكافى من المعلومات فإنه يبدى عادة سخطه وتبرمه ولم يعد فى مقدور الأم أن تقف عند حد تفسير المسألة بقولها إن الأب والأم يتزوجان ويقرران الحصول على طفل ، فقد يعلق اليفظ من التواسع بقوله : « ولكنكما لا تستطيعان الاكتفاء بمجرد القرار » .

وربما ربطت بنات فى التاسعة بين أنفسهن وبين دورهن فى عملية التوالد وتساءلت الواحدة منهن « هل عندى فى جوفى بذرة ؟ » أو لعلها إذا لاحظت ازدياد حجم أمها قالت « هل سأكون أنا أيضاً فى هذا الحجم يوما ما ؟ »

ولا يزال بعض التواسع يظنون أن الأطفال يولدون بالعملية القيصرية(١) وكثيرا مايكون ذلك أقرب إلى أفهامهم من عملية الولادة الطبيعية ، ومع هذا فإن ولادة الحيوانات تعد أمراً طبيعياً جدا فى نظر التواسع الذين مرت بهم خبرات بالحيوانات تجعل الولادة مألوفة لهم .

وقد يخجل التاسع من نفسه إذا كشف جسمه للغير ، وقد يكون هذا قاصراً على الغرباء عن جماعة الأسرة ولكن التاسع قد يتحرج من أن تراه أمه (أو يراها أبوها إن كانت بنتاً) عاريا ، وإذا كان معه طفل من نفس جنسه فلعله حين يغير ثيابه يبعد أخا له من الجنس المقابل وإن كان يستحم أحيانا مع هذا الأخ نفسه .

واهتمامه ينصبُّ على تفاصيل أعضائه هو ووظائفها أكثر منه على أعضاء الجنس المقابل ووظائفها ، بل ربما بحث عن بعض المعلومات وخاصة الصور منها فى أحد الموسوعات أو كتب المراجع ، والعادة أن يكون البنات قد أحطن علما بالحيض .

ويأخذ السباب فى الانتقال من الألفاظ السابقة المتصلة بقضاء الضرورة إلى إشارات جنسية ، والأقوال المسجوعة التى يلتقطها الأطفال أثناء اللعب تحوى الآن إشارات إلى المسائل الجنسية الأكثر تحديداً وربما كرروها فى البيت فتهول أمهاتهم وربما شكا الجيران من نوع اللغة التى يستعملها الأولاد.

ويستمر الاهتمام المتبادل بين الولد والبنت بالنسبة للتواسع على الرغم من أن فصل الجنسين أثناء اللعب قد صار الآن بيِّنا ملحوظا فيندر أن يختلط الجنسان فى حفلات عيد الميلاد ، وإذا حدث ذلك فقد تجرى ألعاب فيها تقبيل . ويعاكس التواسع بعضهم بعضاً بأصدقائهن وصديقاتهم وبأمر الزواج . وكثيراً ما يكون لولدين اثنين صديقة واحدة أو يكون لبنتين صديق واحد ، وربما تبودلت رسائل موجزة مثل « إنى أكره فلانا » أو « فلان يحبك حقاً » أو « إنى أحبك » ويحاول الأولاد تقبيل صديقاتهم البنات معتبرين الفوز بقبلة هدفا نهائياً ،

---

(١) الولادة عن طريق فتح البطن

ولكن كل هذه الملاعبات تتسم بسمة واقعية غير شخصية لا يداخلها أى شعور بالغيرة حتى ولو أشركت فى صديقك واحدا من أفراد جنسك . وقليل من التواسع يبدو عليهم ارتباك واضح بالنسبة للجنس المقابل ويحاولون تجنب المواقف التى تكشف عن ارتباكهم .

٦ — العلاقات بالناس

يختفى تماما فى سن التاسعة معظم ما كان بين الطفل وأمه فى الثامنة من شقاق وخلاف بل لقد قل عدد حوادث « العودة للمجادلة » أو الاستمرار فيها والتشبث بها . فالتاسع الآن من الانشغال بحياته الخاصة بحيث تقل إلى حد كبير مطالبه من والديه ، ومع ذلك يستجيب عن طيب خاطر لمطالب والديه عادة بل لقد يقطع فى سبيل ذلك ما بيده من عمل بغير تأذ أو ضيق ، ولكن يحدث أحياناً أن يكون شديد الانهماك فيما يعمل بحيث قد لا يسمع طلب أمه ولذا كان من المهم أن تحصل على رد منه للتأكد من أنه قد سمع صوتك .

ويحتاج التاسع إلى قدر كبير من التذكير فإنه ينسى أن يغسل يديه قبل الأكل أو أن يدلك أسنانه بالفرشة أو أن يعلق ثيابه . وهو يقبل التذكير عن طيب خاطر ويعمل به على الفور عادة .

والتاسع أقل اشتراكا فى الأعمال الرتيبة الصغيرة ويقوم بقدر أكبر من واجبات التو والساعة بطلب أو من تلقاء نفسه . وهو يريد أن يبعث السرور فى أمه ، ويستطيب القيام بالمشاوير ويحب أن يكلف بالذهاب إلى أماكن بعيدة بعداً يستدعى ركوب الأتوبيس . وهو يجهز أكلة بسيطة إذا مرض أحد أو كان يريد معاونة أمه ، بل إن بعض الأولاد يصل بهم الأمر إلى حماية أمهاتهم ولا يسمحون لهن بالقيام بأعباء ثقيلة معينة وخاصة وقت الحمل .

ولا يحتاج التاسع إلى تطمينه بأنه سيحصل على مكافأة جزاء مساعدته ، والنقود أقل حفزا له منها آنفاً ، بل إنه ربما نسى أن يطالب بمصروفه اليومى المقرر وقد يهمل فيه بعد حصوله عليه . ويريد التاسع حقاً القيام بخدمات شخصية وربما آثر « طبطبة » على ظهره ، لإجادته القيام بخدمة ، على مكافأة مادية أو حتى على الثناء والمديح . وهناك بعض أعمال قد يهتم بالحصول على أجر لها ولكنه يرفض قبول النقود جزاء على قيامه بأعمال أخرى كالعناية بالطفل .

ولم يعد يتحتم على الأم أن تكون بالمنزل عند عودة التاسع من المدرسة وإن كان قليل منهم بحاجة إلى مذكرة تخبرهم فيها بمكانها ، ويجوز أن يترك لكثير من التواسع مفتاح المنزل ، كما أنهم يستطيعون تولى ملاحظته فترة قبل عودة أمهاتهم .

والعادة أنه ليس من العسير تأديب التاسع ، فكثيراً ما تكفى لرقابته نظرة من أمه ، وقد يحتاج أحياناً إلى فترة عزل قصيرة وخاصة عن الأطفال الآخرين ويتقبلها وسرعان ما يعود إلى أحسن مما كان عليه ، ويستجيب التاسع جيدا للتحذير أو للحرمان بالفعل .

ولا يكثر التاسع على والده بالطلبات فى إلحاح كما كان يفعل من قبل ، فالتاسع منشغل بمناشطه الخاصة وبأصدقائه بحيث يقل عمله مع أبيه عن ذى قبل اللهم إلا حين يذهبان معا فى رحلات خاصة . ويكون التاسع غالباً شديد الكلف بأبيه ويستمتع بمناقشة مختلف الأمور معه . وربما كان حساساً بوجه خاص لأى نقد من أبيه .

ولا يخلق التاسع مشاكل مع إخوته الأصغر منه أو الأكبر على السواء فهو يجيد مسايرتهم فى العادة ويبدى نحوهم شعوراً مخلصاً حقيقيا وينصرهم كلما احتاج الأمر . ويجيد التاسع بصفة خاصة العناية بإخوته الصغار إذا ألقيت عليه التبعة فترات قصيرة ، وعند ذلك يتفهمهم إلى أقصى حد بغير التدقيق والشدة اللذين كان يبديهما فى الثامنة .

والنزعة التى رأيناها تتكون فى الثامنة لاتخاذ أصدقاء أخصاء تزداد قوة فى التاسعة ولا يختار التاسع هؤلاء إلا من جنسه ، ويظهر الآن نقداً صريحاً للجنس الآخر فقد تعلق البنات : « إن الأولاد منتنون » أو « شديدو الصفاقة » أو « شديدو الخشونة » . وللأولاد أيضاً تعليقهم : « لا أطيق مضايقة البنات » وهم لا يصحبونهن إلا كشر لا بد منه .

ويستمر التجاذب بين الأولاد والبنات ولكن لا يكثر بينهم اللعب المختلط ، وكثيرا ما يكون لغلامين بنت واحدة أو العكس دون أى شعور بالغيرة . وهدف الولد أن يفوز بتقبيل البنت ويصير هذا حادثا يتحدث به .

ويحب التواسع أن يتحدثوا فيما بينهم حتى أن رغبتهم هذه فى « الدردشة » تقطع عليهم لعبهم الأكثر نشاطا ، ومن موضوعات الحديث المحببة الكلام عن ساعة النوم وعن برامج الإذاعة .

ويستمرئ التاسع لعب الجماعة الذى يتبدى فيه قدر من التنظيم لا بأس به ، وقد نعيش أنديتهم غير الرسمية أسبوعين أو ما نحوها ، وهذه الأندية تنشأ بغرض حقيق جدا ، كناد للطباعة أو ناد لألبومات الصور أو لقصاصات الجرائد أو ناد للصحف أو ناد للخياطة ، تنشأ بإحكام وإتقان يفوق ما كان لها فى الثامنة وربما شملت مخابئ وشفرات ولغة سرية ونشرات للنادى ، ولكن هذه النوادى لا تدوم . وكثير من التواسع يستحبون النوادى الرسمية ، كنوادى الأشبال والزهرات تحت قيادة الكبار .

ولعب الكرة أياً كان نوعه منظم أكيد للجماعات ، وربما صارت له الأسبقية على اهتمامهم القديم وانهماكهم ببرامج الإذاعة

والتاسع طبيعى جدا فى آداب سلوكه فهو يعتذر إذا أراد مغادرة المائدة ، ويحى القادم بالمصافحة غالباً ، ويشكر السيدة المضيفة فى سهولة ويسر وشعور فياض على الوقت الجميل الذى استمتع به . وقد يستمرئ الوالدون الآن مراقبة أطفالهم يقومون بدورهم بغير حاجة إلى تعليمهم وتلقينهم من وراء الكواليس .

٧ — اللعب والتسلية

بوجه عام

يطالب التاسع بالقليل من وقت أمه فهو مشغول للغاية بما اختاره من أوجه النشاط ، ويقضى كثيرا من وقته فى مناشط انفرادية كالقراءة والاستماع للراديو . ويرغب التاسع فى أن يستمر إلى ما لا نهاية فى العمل الذى يستمرئه ، فالأولاد يلعبون الكرة حتى تسود وجوههم وتزرق ، أو يلعبون بالقوارب الشراعية حتى يبتلوا إلى خواصرهم ، والبنات يلعبن بالعرائس ، أو عرائس الورق اليوم كله ، ويُعدن فى خلاله تمثيل الأعمال الرتيبة ليوم كامل بما فى ذلك التوبيخات وأخذ العرائس إلى الطبيب والمواقف المعقدة إلى حد ما التى تجرى بين الناس .

وكرة القاعدة لعبة العراء المستحبة لدى كل من البنين والبنات ، كما أن ركوب الدراجات والقبقاب ذى العجل والتزلق على الجليد والعوم والتزحليق بالإسكيه واللعب بالقوارب الشراعية يستطيبها الجنسان ، فركز

تفكير التاسع هو تحسين مهارته . ولقد كان عمله فى الثامنة أكثر تلقائية ولكنه الآن يعمل بقصد وعمد أكثر . على أنه لم يصل بعد إلى العمل بالسهولة والسر اللذين سيبديهما فى العاشرة وحتى حين يركب دراجته يشكو من أن رجليه تعبان . ويستطيب الأولاد القاتلة والفوضى ولا يميلون كما كانوا إلى ألعاب الفدائيين ويستمرئون رفع الأثقال .

وحياة طفل التاسعة داخل البيت يبدو فيها تدبير وتخطيط لا بأس به فلديه مهمات معينة يستغرق فيها كالراديو والقراءة أو النشيد بجهاز الميكانو . ويتلذذ بعض التواسع من جمع صور وقصاصات عن المستشفيات فى ألبومات ويكتب آخرون على الحرائط وكثيراً ما يرسمونها . ويواصل التاسع استمتاعه بألعاب الورق (الكتشينة)

القراءة

التاسع قارىء عظيم حتى ليخيل لنا أنه يعيش فى عالم الكتب ، وهو يرتب ليستيقظ مبكراً فى الصباح لمجرد القراءة ، وقلما يقرأ قصص الخرافات فى هذه السن وذلك لأنه مبالغ فى واقعيته ، وقد يقول عن القصص الخرافية « إنها خيالية وليست حقيقية » . فإذا أحب كتابا بالغ فى حبه له بحيث يقرأه المرة تلو المرة . وهو شديد الشغف بقصص الحيوان ، والأدب القديم الخاص بالصغار قد أخذ الآن يدخل فى مجالات قراءته . ومن الكتب المحببة التى يعاود قراءتها مراراً قصص توم صوبار وجزيرة الكنز والملك آرثر وبامبى . والتراجم والغوامض الخوافى ودائرة المعارف التى يرجع اليها تستهويه كلها

ومع أنه يستعذب الأدب القديم فإنه لا يزال شديد الولع بكتبه الهزلية التى تتناول المغامرات والحرب والفكاهة المنزلية الخشنة .

ويكون لدى التاسع فى العادة كومة من هذه الكتب يستمرىء المتاجرة فيها مع أصدقائه ، ومع هذا فإن الاهتمام بالكتب الهزلية أخذ يتضاءل لدى كثير من التواسع وأصبح فى الإمكان اقتحامه كما أنهم يتقبلون الإنذار بأن أى كتاب هزلى يعثر عليه خارج حجراتهم سيصادر . ومن ناحية أخرى إذا استحوذ عليهم هذا الاهتمام حتى تعارض مع العمل المدرسى فقد يستلزم الأمر اتخاذ إجراءات عنيفة ، وذلك لأن الكتب الهزلية قد تكون لها آثار العقاقير . ومع هذا فإنه يندر أن تقتضى الضرورة هذا العلاج العنيف وإذا لجأنا إليه فيجب ألا نحرّم الكتب الهزلية على الطفل تماما فإنه يحصل على ما يريد ويمهر فى تهريبها إلى المنزل أو فى قراءتها بعيدا عن الناظرين إذا لم يسمح له بقراءتها فى غرفته .

الموسيقى والراديو والسنما

إذا واصل طفل فى هذه السن اهتمامه بأخذ دروس موسيقية جاز لنا أن نتوقع أنه سيواظب عليها حقا . وكثير من التواسع يستطيعون أن يتمرنوا بأنفسهم وإن احتاجوا إلى التذكير . وقد أصبح الطفل يهتم بالوضع الصحيح للأصابع وصارت لمساته أخف كما أنها أحدّ وأقصر مدى مما يتيح له أن يكون أحسن تحكما فى الأصوات التى تصدرها . وهاهو قد أخذ يتلذذ بمقدرته على اللعب . ومن حسن الحظ أن لعبه تحسن تحسنا يجعل الأسرة تستعذب موسيقاه . وتراجم الملحنين تشوقه وتمتعه .

ويحفظ التاسع مواعيد برامج الراديو ومحطاته عن ظهر قلب ، وأخذت الروايات المسلسلة التى تدور حول مغامرات البوليس السرى والغوامض الخوافى تزداد أهمية عنده وإن كان لا يزال يتعلق بقليل مختار من قصص

المغامرات كما أنه لايزال يستمرىء سلاسل الحياة المنزلية وبرامج الألغاز والمعلومات والبرامج الهزلية للكبار . وقليل من التواسع يصغون للأخبار . ومن حسن الحظ أن الطفل ليس من التشبث والإصرار على برامجه المفضلة كما كان بل لقد يفوّت برنامجاً من آن لآن إذا عرض له نشاط يمتعه ويهمه أكثر منه . وأخذ التاسع يزداد تنبها إلى الإعلانات فى برامج الإذاعة ، ومع أن والديه ربما كانا حذراه منها فإنه قد يخضع فى النهاية لإغرائها ويشترى السلعة المعلن عنها ويبعث بغطيان العلب التى لابد من إرسالها للحصول على الجائزة الموعودة .

وتزود برامج الراديو طفل التاسعة ببعض موضوعات أحاديثه مع إخوانه فيخبرهم بما استمع إليه ويقارنه بما يحدثه عنه أصدقاؤه

وبين أطفال التاسعة فوارق فردية ملحوظة فى الاهتمام بالسنما فإن بعضهم يحبون أن يشهدوا من حين لآخر نوع الأفلام الذى يحبونه فإذا شاهدوا برنامجاً يؤثرونه بوجه خاص فربما رغبوا فى مشاهدته مرة تلو أخرى ، ويذهب آخرون للسنما مرة كل أسبوع وهم خبيرون بالممثلين حتى لقد يكتبون إليهم .

٨ — الحياة المدرسية

ينعم التاسع بالمدرسة وقد سهل عليه رتوب الاستعداد للذهاب إليها فى الصباح وصار أقدر على ضبط الوقت وأصبح اليوم مسئولا عن وصوله للمدرسة فى الميعاد ولكنه مع هذا يجد صعوبة فى تذكر أخذ أدواته المدرسية معه إلى المدرسة وإن دبر لذلك مقدماً ووضع أشياءه فى مكان مناسب فلا يزال بحاجة للتذكير . وينبغى ألا يهول الوالدين هذا التقصير وليذكروا كم يجيد استعداده ويجيد توزيع وقته ، وإذا أخذ معه إلى المدرسة بندقية أو كرة فإنه يتركها فى غرفة الثياب تلبية لإشارة معلمته .

ويروى التاسع بالمدرسة عن بيته ومناشطه الخارجية أكثر مما يروى فى البيت عن أحداث المدرسة ، فيقص بالمدرسة قصة طويلة مفصلة مطولة عن برامج بإذاعته أو عن رواية سنمائية رآها ، ويحتمل جداً أن يروى بالمنزل عن مواد دراسته وعن أيها يجيده أكثر عن غيره وعمّن يتفوق عليه الخ ، وكذلك يتحدث عن مسرحية مدرسية أو عن حادثة خاصة ، لكنه لا يكثر الكلام عن معلمته وإن كان قد يصف بعض طباعها ولزماتها كطريقة كلامها أو كيفية أدائها لعمل معيّن .

ويقول المدرسون إن السنة الرابعة سنة يصعب التدريس فيها ، وعلى المدرس أن يدرك أن التاسع فردى النزعة وأنه يكره أموراً ويحب أخرى بصورة أميل الى الإيجابية . ويريد التاسع أن يكون مستقلا عن معلمته ولكنه فى معاملاته معها ينتظر منها أن تكون معقولة ، ويستنكر كل قرار يراه غير عادل ، وسرعان ما تكتشف المعلمة أنها تتأخر فى مساعدته حتى يحتاج إليها حقاً . والواقع أن رابطة التاسع بمواد دراسته أقوى من ارتباطه بمعلمته . وبغض الطفل لإحدى المعلمات قد يكون ذا صلة بكرهه لمادة دراسية معينة وخاصة إذا كان للطفل أكثر من معلمة ، بل لقد يلوم المعلمة على هبوط مرتبته الدراسية .

ومن أجل هذه الاستجابات الشديدة الانفعال يصبح من الأهمية بمكان أن تتأكد من أنه يستطيع تحمل أعباء السنة الرابعة التى

تتطلب قدراً أكبر من الاعتماد على النفس . ويهاب التاسع الفشل ويخجل منه ، وخير أوان للاهتمام بأمر الحاجة إلى إعادة السنة أو إلى السير بسرعة أبطأ هو السنوات الثلاث الأولى إذ أن الطفل لا يكون فيها قد اشتبك اشتباكات انفعالية قوية ، وهو يتحسن عادة إذا أزيح عن كاهله ما فوق طاقته ، ويكون أسعد حالا مع المجموعة التى تتيح له العمل فى مستواه الأعلى لا فى مستواه الأدنى ، فالوالدان هما اللذان يشعران بالألم الانفعالى للخيبة فى السنوات الثلاث الأولى وينسبان خطأ إلى الطفل انفعالاتهم هم .

والانتقال من السنة الثالثة إلى الرابعة حرج حاسم فإن كثيرين ممن كانوا يتقدمون ببطء بشىء من السند يعينهم على المحافظة على مرتبتهم (كما فى حالات العجز فى القراءة أو الحساب) ربما ظهرت فيهم الآن انبجاسات حقيقية من التحسن ، بينما البعض ممن كانوا يحسنون العمل قد يحتاجون الآن إلى مساعدة فردية .

ويبدو التاسع فى الفصل أكثر نظاماً وأسرع تأدية لعمله ، ولكل طفل طريقته الخاصة به فى دخول الفصل فهذا يقذف بكتابه على درجه وآخر يرميه بعنف فيدوّى وثالث يضعه بعناية ، وربما احتاج قليلون لكلمة من المعلمة تنشطهم فى طريقهم إلى الفصل ، ولكن ما يكاد العمل يبدأ فيه حتى يخرجوا كتاباً ويعلقون على الواجب تعليقاً أو اثنين ثم يشرعون فى العمل . وللتاسع مقدرة أعظم على العمل مستقلا عن كل من المعلمة والأطفال جميعاً ، والواجب يتحداه ويدفعه للعمل ، فيجلس منحنياً بجذعه إلى الأمام ومعتمداً على مرفقيه ومسنداً ذقنه بيديه ، بينما هو يقرب وجهه من الكتاب على درجه ، وتراه أحياناً يلقى نفسه إلى الخلف ويمد جسمه كله ويمسك بالكتاب على امتداد طول ذراعه ، وهو يقذف بذراعه إلى الأمام ، أو الخلف ليلفت معلمته إليه دون أن ينطق باسمها عادة وينتظر دوره . وقد ينظر إلى عمل جاره ، ولكنه يفضل مساعدة المعلمة . وهو أقل من الثامن حاجة إلى التعبير باللفظ كما أنه يستطيع التكلم بهدوء أكثر ومن ثم تكون حجرة الدراسة أهدأ . وإذا أسقط غطاء درجه بقوة فدوّى فقد يلقى نظرة على جاره كأنما يتوقع شكواه . وهو يجلس أحياناً وعيناه مفتوحتان تماما يشخص بهما إلى الأمام ويتضح لمن يراه أنه يركزهما دون انتباه ، ويبدو كأنه فى غيبوبة . وفى نهاية كل حصة يحدث هرج ومرج عام فيهرع بعض الأطفال لترك أوراقهم على منضدة المعلمة على حين يستمر آخرون فى عملهم حتى يتموه . ويحدث فى بعض المناسبات أن يصير الفصل كله من عظيم الاهتمام بحيث يظل بعد الزمن المقرر يواصل المناقشة أو الدرس .

والتاسع يهتم بالتحصيل والإنجاز فى مواده المدرسية ويحب أن يعرف مستواه فيها وهو مشوق إلى الدرجات الجيدة يعمل من أجل الحصول عليها ، ويحتمل أن يثبط الفشل عزمه . وبينه وبين الآخرين منافسة شديدة ، وقد يبدو عليه التأذى والضيق إذا فاقه من يقاربه تحصيلا ، وربما ضاق ذرعاً بزميل له أكثر غباء ، فإذا هو فشل فإنه يحتاج فى الغالب إلى العناية الفردية أكثر من العزل ، كما أنه كثيراً ما يحسن المنافسة كعضو فى جماعة أكثر منه كفرد .

والتاسع أقدر على تقويم قدراته هو بدقة ويستطيع وصف طريقته المفضلة فى العمل ويعرف أنه أقدر على حل المسألة إذا هو بيّنها بالكتابة وعلى عمل المركبات الحسابية ببطاقات اللمح منه شفوياً . ويقول البعض أنهم لا يستطيعون تتبع المعنى عند ما يقرءون

بصوت مرتفع . وبعض الأعمال إنجازها بالمنزل خير من إنجازها بالمدرسة .

وقد يسبق كل مهمة يكلف بها تعليقات من الشكوى لا تلبث أن تتضاءل وتتلاشى وعند التاسع قدر معين من تأديب نفسه وترويضها فإذا واجهتـه مهمة لا يرتاح إليها وأحيط علماً بالقدر المطلوب منه عمله فيهـا وبالزمن الذى يستغرقه فإنه يمضى فى العمـل دون أن يلفظ بشىء . وهو سريع فى عمله وإذا حدد لنفسه هدفاً اندفع ليصل إليه .

ومن الشكايات المحببة للتاسع قوله : « ليس عندى ذاكرة جيدة » فالتذكر على التو ليس سهلا عليه دائماً ، ويتحسن تذكره للشىء إذا هو كتبه أو كُتب له . ومع هذا فإنه إذا صمم على شىء فليس من السهل حمله على تغييره ، وفى وسعه تقويم ما أداه من عمل فيقول : « لست متأكدا جداً من هذا ولـكنى متأكد من هذا » .

وربما فضل فى القراءة المطالعة الصامتة وكره أن يقرأ علناً أمام الجماعة وإن كان لا يزال بحاجة إلى شىء من ذلك ليُعرف مستواه ، وهو يجابه ويحاول أية لفظة ولا يبالى كثيراً ألا يعرف معناها إلا إذا كانت لها أهمية فى القصة ، وترتبط القراءة الآن بموضوعات عديدة ، فالذين أبطأوا فى تعلمها يستطيعون الآن أن ينضموا إلى الجماعة فى المادة التى يؤثرونها . ويحب التاسع بوجه خاص أن يقرأ التماساً للحقائق والمعلومات .

وقد يستخدم الخط الآن استخداماً عملياً فربما دوّن مذكرات وكتب قوائم وكتالوجات لمجموعاته . وهو يحب أن يطلب بالبريد أشياء ، ورسائل العمل والشغل تحظى منه باهتمام أكثر من الرسائل الاجتماعية فقد أنشأت إحدى بنات التاسعة صيغة خطاب لتستخدمه فى الشكر على هدايا عيد الميلاد .

ويحب التاسع أن ينسخ ، فهذه طريقته لتقوية « ذاكرته الضعيفة » وإذا بحث فى المراجع موضوعاً يريد أن يكتب عنه فإنه حقيقة يسرق منها ما يدعيه لنفسه .

والخط وخاصة عند البنات أصغر حجماً وأجمل شكلا وأقل ضغطاً على الورق ، ولا يزال الأولاد عادة يكتبون بخطوط ثقيلة ، ويستعمل معظمهم حركة الأصابع مع توتر الساعد . ويواصل التاسع فى العادة كتابته أمداً يكفى لإتمام ما كلف به من واجب ومع هذا فإن بعض الأطفال قد يستمرون فى تجنب كتابة أى شىء أكثر من اللازم . والتاسع ناقد لـكتابته أيضاً فيقول عنها : « إن بها شيئا من القذارة والإهمال أليس كذلك ؟ » أو « هذا أسوأ ما عندى من إهمال » وربما بلغ به الأمر أن ينسخ ورقته هو ليجعل الخط مقروءاً .

ولعل الحساب أكثر ما يُتحدث عنه من المواد فى السنة الرابعة ، وهو إما موضع الحب أو الـكراهية ولـكن التاسع قد يجيده على الرغم من هذا الـكره وربما تقلب حبه وكرهه بين عشية وضحاها تبعاً لمقدرته وفهمه وتمـكّنه ، وهو يعرف الآن كثيراً من التراكيب العددية عن ظهر قلب كما أنه متنبه إلى التراكيب التى تصعب عليـه فيكتبها ويحاول التمـكن منها بتسميعها لشخص يرجوه فى ذلك . وهو يفضل فى العادة التحريرى على الشفوى . ومع أنه يحب أن يثبت صحة عملية قسمة مطولة فإنه لا يقوم بهذا التحقيق من تلقاء نفسه ، وهو يريد أن يعرف غلطته ويستمرئ تحليل عمليته مع معلمته ليعرف كيف وقع فى الخطأ . وتحتاج المعلمة بدورها أن تعرف كيف يعمل عقله وأن يكون ذلك عندها أهم من الأجوبة الصحيحة والخاطئة ، فقد يكون التاسع قريباً أو بعيداً من الإجابة الصحيحة .

وكثيرا مايكون لدى التاسع من تلقاء نفسه اهتمام بحل المسائل يتجاوز مايسمح به عمله المدرسى ، كما يتولد عنده اهتمام بأسعار الأشياء ، ويصوغ كثيراً من المسائل العملية المتصلة بالأرقام التى يصادفها فى مطالعاته وأحاديثه .

ومع أن الفوارق الفردية تبدو قوية فإن التاسع يستعمل الضمير « نحن » ليصل بين نفسه وبين مجموعة الفصل . فتعليق منه كقوله « أتمنى لو استطعنا قراءة الكتب طول النهار » يحدث صدى من الموافقة الإجماعية فى الفصل . ويحدث أحيانا أن يستجمع الفصل كله قوته فى انبجاس فجائى من أجل إتمام واجب أو مهمة .

والصداقات فى تكوّن فيختار التاسع خير صديق ليلعب أو يعمل معه ويحميه أو يدافع عنه فى المناسبات . وقد يكون هناك تحول أكيد إلى الازدواجات فبعض من كانوا يلعبون معا باستمرار أثناء السنوات الأولى قد يكوّنون لهم صداقات جديدة تماما كما أن طفلين ممن كانوا يجدون صعوبات فى المسايرة والتعاون قد يصيران الآن فجأة صديقين . ويكوّن الأولاد ازدواجات أقوى من ازدواجات البنات وكذلك يكونون أقوى منهن كجماعات . والبنات أكثر تنويعاً فى تجمعهن الذى كثيراً مايكون ثنائياً وثلاثياً ورباعياً . ويلعب البنون والبنات الآن منفصلين فى معظم الأوقات ، ويحدث أثناء اللعب أن يُبعَد الجنس المقابل . وقلما أشركوا الكبير فى لعبهم أو رجعوا إليه أثناءه ، ومع هذا فهم يستمرئون بحق لعبة جماعية يشرف عليها كبير .

٩ — الحاسة الخلقية

يستجيب التاسع عادة لأى طلب يكلف به إذا كان قد سمعه ، فسمعه ربما كان مرتبطا باستغراقه فيما يعمل ولكنه قد يكون مرتبطا أيضاً باهتمامه بالمهمة المطلوبة منه وبمدى رغبته فى أدائها ، وكثيراً ما تكون إجابته على صورة ومضة سريعة فاذا هو لبى الطلب فورا فإنه يجرى مقمقعا فى الاتجاه المطلوب ، ولكنه إذا توانى تعرض للنسيان وعند ذاك يحتاج للتذكير ويتقبله قبولا حسنا . وكثيراً ماتكون مقاصد التاسع أعلى مستوى من أعماله ، وهو يريد حقا أن يكون نافعا معينا وأن يهوّن عن أمه ويريحها ، ولكن تعوزه التلقائية فى أداء الأعمال ، وهو مع هذا يحس بمطاليب سنه التى تضفى عليه امتيازات أكثر ومسئوليات أكبر . ومع أن المعارك حول أداء الواجبات المنزلية الصغيرة فى التاسعة أقل عدداً فإنه إذا طلب من التاسع — وخاصة الولد — أكثر مما ينبغى استنكر وثار وأعلن ما فى نفسه . ومعظم التواسع مشغولون بدرجة لا تدع لهم وقتا للواجبات المنزلية الصغيرة ، ومن حسن الحظ أن التاسع يستجيب جيداً للطلبات الصغيرة الفورية وهذه تحل عادة محل المهام المنزلية .

ولم يعد يظهر عليه ذلك التثاقل وتلك الحيرة اللذين كان يبديهما قبل أن يقطع فى الأمور برأى ، فالتاسع يحسم بسرعة وتحديد رأيه الذى يرضى عنه ويرتاح إليه والداه فى أغلب الحالات ، وتصدر قراراته فى الغالب بسهولة وبصورة تكاد تكون آلية . وهو يبدى كذلك قدراً عظيما من التدبّر وبعد النظر إذ يستطيع أن يركز فكره على مهمة وبذلك يتمكن من السير فيها إلى التمام .

ويتقبل التاسع اللوم قبولا لابأس به إن كان مستحقا له ولكنه يضطرب كثيراً إذا أوخذ على ما لم يقترفه ، وقد يشتبك أحيانا فى أحد أوجه النشاط الجماعية التى

لم يكن هو البادىء بها ولكن شواهد الأحوال تشير كلها إلى أنه هو الطرف المسئول وعندئذ يجب على الكبار أن يغربلوا الأدلة ويمحصوها حتى ينال كل طفل نصيبه العادل من اللوم ولا يتركونه وحده متلبساً بالجريمة فالعدالة عقيدة التاسع الراسخة ويمكنك على الدوام أن تناشده عن طريق العدالة ، وقد يبلغ من نزعته الواقعية فى هذا الصدد ألا يقبل الثناء إن رأى أنه ليس من حقه على الرغم من محبته الشديدة له ، وقد رفض أحد التواسع جائزة فى مسابقة خطابية عامة لشعوره بأن الجائزة يجب أن تعطى لأمه لأنها ساعدته على حفظ الشعر الذى ألقاه .

لقد شرعت بذور الضمير تنبت فى التاسعة ، ولكن هذا لا يعنى أن التاسع لا يتنصل ولا يلقى اللوم على غيره أبداً ، فقد يفعل ذلك حتى بالنسبة للصعوبة التى يلقاها فى دروسه على البيانو . وإذا وقع فى ورطة فنى وسعه انتحال الأعذار المقبولة تماما ، وهو فى الغالب يتنصل إذا سمح له ، ولكن فى الإمكان إخضاعه إلى أدلة الحق والصدق .

والتاسع أقل حاجة إلى الرغبة فى أن يكون طيباً منه عند ما كان أصغر سنا وذلك لأنه اليوم أكثر طيبة بطبيعته ، وربما أقلقته وأهمته الأشياء التى لم يفعلها أكثر من الأشياء التى عملها ، فهو يفكر على أساس الصواب والخطأ فيقول إنه يخجل من نفسه لفشله فى الدراسة ، أو لأنه لا يأكل جيداً ، بل قد يقول إن لديه « شعور المذنب » لإهماله رد شىء إلى صاحبه .

وأخذت أخطاؤه تصير أخطاء الإهمال علاوة على أخطاء الارتكاب العمد ، فإذا كان قد ارتكب وزراً شعر بضرورة الاعتراف به لأمه ، وهو لا يطرق الموضوع رأساً ، بل يفاتحها فيه بمراعاة وحذر وهو يرقب وجهها ، فهو لا يريد أن يسىء إليها ولذا يفضى بالأمور إليها فى يسر ، ولكنه إن لم يعترف فإن ضميره على حداثته ربما ضايقه وأزعجه .

والتاسع سهل الانقياد للنظام نسبيا ، ولا جرم أنه بحاجة إلى أن يُذَكَّر كثيراً ، وينبغى ألا يكون للآن بحاجة إلى تذكيره بتعليق ثيابه الخارجية (البيجامة) ، وبربط حذائه ، وتوقيع غرامة عند كل نسيان يُقوّمه بسرعة مدهشة ، وربما احتاج الأمر أحياناً إلى عزله وحده ، أو إلى حرمانه من بعض المناشط الأثيرة عنده كالسينما للوصول إلى النتيجة المرجوّة ، وكثيراً ما يكفى مجرد التهديد بالحرمان مهما كان ضئيلا جداً . ولا يحتاج الإنسان مع التاسع إلى العنف . ويتقبل معظم التواسع العقوبة بقبول حسن وإن كان قليل منهم يستنكرها ويتأذى منها إلى أقصى حد وهؤلاء يفصحون عن شعورهم بقولهم « هذا غش (أو ظلم) » . وقليل من التواسع ممن يتجلى فيهم الاستهانة وممن لا سبيل لمعاونتهم على تخطى العقبات يستجيبون استجابة جيدة لإعادة المحاولة ويتوقون ودموعهم سيالة إلى البدء من جديد ويصيبون الهدف عند المحاولة الثانية .

وقد أخذ التاسع يزداد عناية بحجرته بل ربما صار مدققا بالنسبة لأشيائه الجديدة فيقضى الساعات يفرز ممتلكاته العديدة . وهو يستجيب جيداً لتذكيرات أمه ويستطيع المضىّ وحده فى إنجاز ما كلف به من عمل حتى ينتهى منه تماماً .

وأخذت كلمات « الأمانة » و « الصدق » تتسلل إلى مجموعة ألفاظه ، وحتى حين يبالغ فى بعض المناسبات يسارع إلى وضع الأمور فى نصابها بقوله : « أنت تعرفين يا أمى أن هذا ليس بصحيح » . ويندر أن يأخذ التاسع ما ليس له وإذا فعل فإنه يرغب فى

رده وتسوية الأمور فقد أخذت تتكون لديه حاسة للمعايير الخلقية ونية صادقة لأن يلتزمها فى حياته

ولم يعد معظم التواسع ينخدعون بالنقود كما كانوا فى الثامنة ، ومنهم من يحس التصرف فيها حتى ليحسب ميزانيته كلها ويُقرض منها ويحمل فى محفظته أينما ذهب مبلغاً لا بأس به منها ، ومنهم من يقوم ببعض الأعمال مقابل مصروفه ، وآخرون لهم مصروف أساسى مقرر يكملونه بالأجور على مهمات يؤدونها . ومع ذلك فمن المدهش أن نرى كم من التواسع ينسون المطالبة بمصروفهم وحين يقبضونه يتركونه مهملا فى أى مكان . ويفضل الكثيرون قبض النقود تبعاً لحاجاتهم التى تكون عادة صغيرة ومستعجلة .

١٠ — النظرة الفلسفية

الموت والإله

التاسع الواقعى يبدو عليه فى الغالب إقفار ملحوظ فى الاهتمام بالإله وبالدين ، هذا إلى أنه لم يعد يؤمن بسنتا كلوز ولا يستطيب ولا يستعذب القصص الخرافية ، وقد يرفض الذهاب إلى مدرسة الأحد أو النطق بالصلاة . ولمدارس الكنيسة أن تتوقع نقصاً ملحوظاً فى حضور أبناء التاسعة والعاشرة إليها ، غير أن بعضهم لا تزال تحظى باهتمامه الناحية الاجتماعية لمدرسة الأحد على حين يبقى وينمو عند آخرين منهم شعور دينى صادق . وقد يصلى التاسع حتى من تلقاء نفسه إن كان فى ضيق شديد ، وربما كانت فى نفسه أوّليات من الإيمان وإحساس خلقى بأن من المهم له أن يقوم بأعمال معينة .

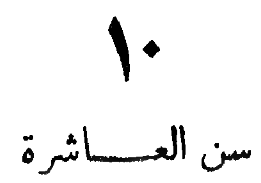
ومع أن قليلا من التواسع قد تشغلهم مسألة الروح وافتراقها عن الجسد فإن تفكيرهم فى الموت يكون عادة أكثر ارتباطاً وأشد صلة بعملية الوفاة نفسها . ويهتم التاسع بكيفية « توقف التنفس » وانقطاع النبض وبصيرورة الإنسان « غير حى » وقد يقول « ليتنى لم أولد أبداً » أو « ليتنى مت قبل هذا » ولكنه لا يعنى هذه الأقوال جدياً . وهناك ما يبرر [illegible] هذه الحكايات كثير غيرها من شكل الاستخفاف لأنها تكون فى معظم الأحوال عرضية تماماً .

الزمان والفضاء

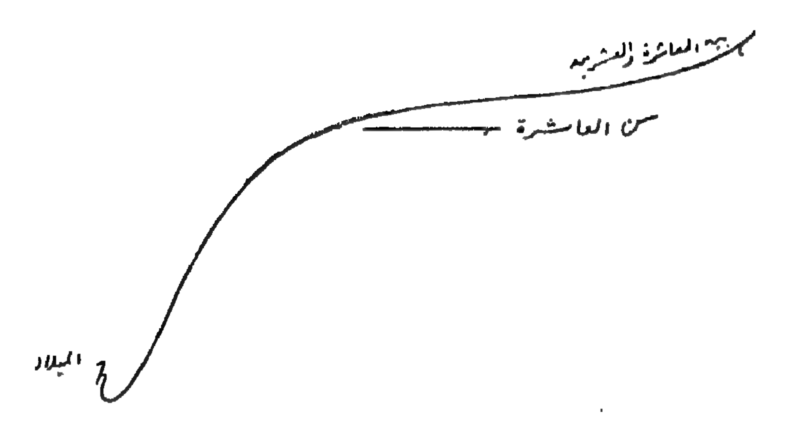
يسيطر الزمن على التاسع أكثر من سيطرة التاسع [illegible] حافته عما يعمله فهو يتحسب هنا وهناك ويلقى صعوبة فى إيجاد زمن يعمل فيه الأعمال الإضافية الأخرى التى قد تطلب منه ، وكل شىء يعمله مهم لديه ومن ثم [illegible] .

ومع ذلك يسيطر التاسع على الزمن فعلا إذ أنه يدبر شأن يومه ويعرف تعاقب الأشياء بعضها إثر بعض ، وهو فى مسابقته للزمن قد يضبط المنبه ليوقظه مبكراً فى الصباح إما ليحصل على وقت للمطالعة أو ليحصل على لذة التمتع بالفراغ إبان ساعة نوم أخرى .

وتنطوى معالجته للفراغ على نفس نوع استجابته للزمان من حيث التحديد والتخصيص فهو يذهب إلى مكان خاص وحده : كعيادة الطبيب مثلا أو عيادة طبيب الأسنان أو إلى درس الموسيقى ، ويحسن التصرف فى هذا كله وإن استلزم وصوله لهدفه استخدام وسائل المواصلات العامة . ولكن الإنسان لا يستطيع أن يحرفه عن طريقه بأن يطلب إليه القيام بمهمة إضافية فى مثل هذه المناسبة إذ أن هدف التاسع هو القيام بمهمة واحدة فى كل مرة حتى يتمها على أحسن وجه ثم يتصدى لغيرها وهكذا .



١٠
سن العـــاشرة



مصور السلوك

العاشرة كالخامسة سن سكون وقرار ، فكلا العمرين يحقق إلى حد ما اتجاهات النمو السابق له مباشرة ، ولكن سن العاشرة تفصح أكثر من الخامسة عن مستقبل كامن . فابن الخامسة الذى يمثلها خير تمثيل له من الاحتواء الذاتى والتواؤم الذاتى ما يجعله يكاد يبدو كثمرة أو نتاج كامل الصقل فلا يكاد يكون للبيئة عنده أى وجود منفصل ، فهو فى صميمه امتداد لذاته الجيدة الاتزان أو أحد متعلقاتها ، كذلك ابن العاشرة الذى يمثلها خير تمثيل يكون جيد الاتزان ولكنه على اتصال متعدد المناحى ومتوائم مع بيئة الكبار إلى حد أنه يبدو أقرب إلى كبير فى دور التكون . والحق إن فرديته قد بلغت الآن من جيد التحديد وأن استبصاراته قد أصبحت اليوم من عظيم النضج بحيث نستطيع أن نعده فى غير تردد فى طليعة سن الرشد أو طليعة المراهقة على الأقل .

والخامسة سن حياد كما أنها سن سكون وقرار وليست العاشرة كذلك ،

ففى العاشرة تكون فوارق الجنس بينة واضحة ، فنفسانية بنت العاشرة يمكن تمييزها تمييزاً واضح الدلالة عن نفسانية ابن العاشرة الذى توافرت له تربية وخبرة معادلة . فالبنت أكثر اتزانا وأعظم دراية بالحكم والأصول المتعارفة بين الناس وأشد اهتماما بالأمور المتعلقة بالزواج والأسرة ، ويبدو أن هذا الفارق أساسى ، أما الفوارق الجنسية الأخرى فإنها تتضح تبعاً للظروف الجارية ولكن لا داعى لأن نحفل بها الآن فى مصور عام للسلوك .

والخصائص المميزة لمستوى سن العاشرة تفسر وتؤوّل على أحسن وجه بدلالة سمات النضج لسن التاسعة ، فالتاسع كما رأينا مشغول جديا بالتمكن من المهارات وإتقانها ، ويشتغل فى عكوف مقيد موجه ، وليس من السهل تحويله من أحد المناشط إلى غيره ، وهو فى حالة تعجل ملح مستمر كأنما هو فى نضال مع الزمن . والعاشر بالقياس إليه متراخ عرضى وإن كان يقظاً متنبها ، فهو قابض على زمام نفسه ومهاراته يسير فى عمل الأشياء بلا توقف ويعمل فى سرعة تنفيذيه ويحب تحديات الحساب العقلى ، وكثيراً مايبدى مقدرة أصيلة فى عمل ميزانيق زمنه وطاقته ، وقد أصبح سلوكه العام وتصرفاته واتجاهاته فى الشئون المنزلية كلها أكثر توافقاً ومواءمة .

ويتبدى هذا التزايد فى تمالك النفس بطرق كثيرة فبعد أن يدعم الطفل بعض المهارات البصرية واليدوية والحنجرية يستطيع توجيه التفاته وجهده إلى مهمة بصرية ويواصل الحديث فى نفس الوقت ، أما التاسع فقد يضطر إلى التوقف عن أداء مهمته لكى يتكلم ، ويكون العاشر أقدر ، لأسباب مشابهة لهذه ، على شىء من التلطف والابتهاج للمجاملة يقوم على أساس حركى ، ولما كان تنظيم كيانه بأسره أقل تقيداً وتحديداً فإن اتجاهاته تكون أكثر مرونة ويكون هو أكثر استجابة للإشارات الطفيفة .

ولهذه السهولة والطلاقة أو المرونة النسبية متضمنات ثقافية هامة فهى تجعل ابن العاشرة مستعداً استعداداً غريباً لتقبّل المعلومات الاجتماعية والآراء والفكر التى توسع الأفق والتحزبات والتحاملات التى لا أساس لها ، ماحسن منها وما ساء . ومن السهل نسبيا أن يلجأ الإنسان إلى عقله ويحكمه . وهو على استعداد للمشاركة فى

المناقشات الأولية للمشاكل الاجتماعية كالأقليات العنصرية والجريمة وعلاقات مديرى الأعمال بالعمال والسوق السوداء الخ ، وكثيراً مايفوت الوالدين الشعور بما عليه العاشر من إدراك وذكاء اجتماعى ويعاملونه أحيانا كأنه لم يتجاوز الثامنة ، وقد يلتزمون ضربا من الترفع العقلى يحول دون تنظيمهم لتفكيره مع أن هذه فترة ذهبية لغرس الأفكار التحررية .

والمدرسون الواسعو الإدراك أدرى الناس بمدى القوة العظيمة التى يكسبونها ويستغلونها عن طريق الإيحاء والدراسات العلمية الاجتماعية للسنة الخامسة ، تلك الدراسات التى تمس أساسيات الحريات الأربع وشروط توافر السعادة للبشر . ويدرك الإخصائيون الاجتماعيون كذلك الأهمية الخطيرة لهذه الفترة من العمر فى حياة الأطفال المهملين ، فالخصائص الموجّهة المقيّدة لدى طفل التاسعة والسهولة والمرونة عند طفل العاشرة سرعان ما تؤدى فى البيئة المناوئة إلى العربدة والاعتداء وضروب السلوك الشاذ ، فالجماعات من الأطفال إنما تنظم هذه السمات وتوجهها إلى ماهو أفضل أو إلى ماهو أسوأ .

ومما يروى أن العاشر أحيانا يقدر ويوقر جماعته وناديه أكثر من أسرته ، وربما كان فى هذا شىء من الصدق ولكن للطفل على وجه العموم إحساسا بالعدالة نقاداً إلى حد لابأس به ، وهو عليم بالتحيزات والتحاملات وكثيراً ما يدهشك ما فى ملاحظاته من فطنة وصواب حكم . وهو يقيس بعقله والديه ويوازن بينهما وبين والدى زملائه ويحتفظ بكثير من أحكامه المقارنة هذه كأسرار بينما يفصح عن غيرها ، سله مثلا وصف معلمته يعطك صورة صريحة عن الآنسة س : « إنها معقولة وتصرخ كثيراً أيضاً ، ولكنها فى الحقيقة ظريفة جداً » وعن الآنسة ب : « إنها لاتحب بعض الأطفال ومنهم واحد لاتحبه أبدا» وعن الآنسة ح : « إنها ضخمة ولها شعر فيه شقرة وصفرة ، وهى لاتقف أبداً مستقيمة الجسم وتمشى هكذا .. » فمن الجلى أن العاشر قوى التنبه إلى « الفردية » فى غيره علاوة على تنبهه لها فى نفسه .

والفوارق الفردية الواضحة فى التاسعة تزداد وضوحا وبروزاً فى العاشرة : فالعاشر يدلك دلالة لا بأس بها على الرجل (أو المرأة) الذى سيكونه ، إذ أن المواهب تعلن

عندئذ عن نفسها وبخاصة فى مجالات الفنون التى فيها خلق وابتداع ، كذلك يتكشف لنا ما أودع فى الطفل من مقدرة تتجلى فى ميدان السلوك الاجتماعى الشخصى إذا نحن جشمنا أنفسنا مشقة توسم الأنماط العاطفية الدقيقة الخفية عنده ، فقد يُظهر امتيازاً فى الخلق وسماحة ورشاقة فى التصرف ومقدرة على التنفيذ وإدراكا للعلاقات بين الناس ومدى واسعاً من السمات الشخصية التى لها أهمية تشخيصية تنبىء بقدراته وإمكانياته المهنية وبسيرته الرتقبة ، ولعله يبدى من الآن فى معالجاته للعلاقات بالناس ضربا من المهارة وإحساساً بالعدالة ينم عن مقدرة على القيادة ، وينبغى لنا أن نميز جميع مهارات الطفل الخاصة لا من أجل الإعداد الممهد للمهنة بل لأسباب تتعلق بالصحة النفسية .

وتشجع الثقافة الدمقراطية بطبيعة الحال كل أنواع المهارات ، فالمدارس لا تبرح تعلق أهمية عظيمة على المهارات العلمية الأكاديمية ، ولكن غير الفصيح من الأطفال ذوى المهارات الميكانيكية يجب أن تتاح له فرصة كافية واسعة لاستخدامها وإظهارها فى المناسبات حتى تنطبع التعبيرات عنها بطابع اجتماعى ، وممارسة المهارات فى ظل الاستحسان الاجتماعى تخدم هدفا مزدوجا قيما ، فهى من جهة تقوى احترام النفس والثقة بها العظيمى الأهمية فى مواجهة المطالب المضطربة للمراهقة ، كما أنها فى الوقت نفسه تهيىء للمجتمع حماية لنفسه من انحرافات المراهقة . ويجب أن يُبدأ فى العاشرة تدبير الخطط الثقافية للعقد الثانى من حياة الطفل .

وسيستجيب العاشر لمثل هذا التخطيط فهو كما لاحظنا آنفاً يتقبل فى رفق الآراء التحررية المتصلة بإقامة العدالة فى المجتمع وإسعاده . ومع أن العاشر نقاد لنفسه ولغيره ففى وسعه أن يخلص المحبة والولاء وأن يمجد البطولة وأن يبثها جميعا فى زملائه بالمدرسة . وفى الإمكان إلهامه بسهولة وسرعة ضروب الإخلاص والولاء للجماعة فى تنظيماته للنوادى ، وحبه لذلك الإحساس بالترابط والتماسك الذى يتولد عن احتفاظه بسر الجماعة بوصفه عضواً فيها .

وللبنات والبنين على السواء نوع معين من الولع بالأسرار إذ يلوح أن السر المشترك يزيد بطريقة ما خفية قوة إحساس الإنسان الخاص بالذات كما يزيد قوة

تقمص الذات لذات أخرى (أو تحقيقها فيها) وكذلك بالنسبة للإذاعة والسنما والشرائط الهزلية والكتب والصحف المصورة فإنا نجد العواشر يحبون الغوامض الخوارق والتآمر والسحر العملي وتمجيد البطولة . ولا يزال للهزليات سلطان على بعض الأطفال ولكنها تفقده بالتدريج بالنسبة لغيرهم .

وقصص الحب والخيالات الشاعرية في السنما موضع الازدراء من الأولاد على الأقل . وليس هناك مراهقة وتزاملة كثيرة بين الجنسين بل إنهما يلتزمان التباعد بالمناوشات من حين لآخر وبالمهادنات التي تنص على التباعد والانفصال ، ولكنهما مع ذلك يستمرئان ألعاباً جماعية يلعب فيها أحد الجنسين ضد الآخر ، وكذلك تطيب لهما المواقف الرسمية في مدرسة الرقص ، لكن الأولاد يعبرون عن زمالتهم لغيرهم من الأولاد بالمصارعة والتدافع والملاكمة ، أما البنات فيسرن أترابا وذراع كل منهن حول الأخرى . ويحدث داخل المدرسة وخارجها كثير من الدردشة والقيل والقال بين الرفاق مع كتابة رسائل تنطوى على المجاملات إلى حد كبير وتبادلها بينهن . وتميل البنات إلى مكاتبة البنات الأخريات . وتمشيا مع النزوع إلى « الإسرار في الجماعة » الذى هو من خصائص تلك السن تكون الرسائل المتبادلة غالباً بلغة « السيم » الخفية التى لا يفهمها إلا اللواتى « على علم » ، وتكون معظم هذه المناشط الإسرارية سطحية بريئة متقطعة ولا تنتهى إلى استياء وتأذ دائم أو إلى عداوة مقيمة بل إنها على ما يظهر تؤدى ضرورة نفسية إن لم تقم بوظيفة إنشائية .

وإذا تجمعت بنتان أو ثلاث ومعهن مجموعاتهن من العرائس الورقية فإنهن يقمن بتمثيل كثير من مواقف الحياة فيما يتبادلن همساً من أسرار أو فى محاورات علنية ، وهن إذ يستعملن العرائس رموزاً محسوسة أو يمثلن بعض التمثيليات يستكشفن كيان الأسرة وبناءها بأكمله ، بما فى ذلك الخطوبات والعرائس والزيجات وتربية الأطفال .

والبنات أكثر تنبها من البنين إلى العلاقات بين الناس وإلى أشخاصهن وثيابهن ومظهرهن ، وربما قضين شطراً عظيما من الزمن وهن يختلن ويتأنقن فى ترجيلة للشعر . وهن فى نفس الوقت أكثر تميزاً لعلاقاتهن الفردية بغيرهن فإذا ضحكت

طفلة صغرى فى السنا ازدُرِيت زمالتها . والبنات أكثر من البنين اهتماما بالحياة العائلية وإدراكا للفوارق فى مستوياتها ، فإذا كانت ظروف طفل غير مواتية أثارت عطفهن عليه ورغبتهن فى مساعدته .

ويمثل هذه البوادر من الدلالات تبدى بنات العاشرة ، والبنون إلى درجة أقل ، علامات الاقتراب من المراهقة ، ولسنا نعلم إلا القليل جداً من الخطوات المحسوسة التى سيصل بها هؤلاء الأطفال إلى النضج النهائى فلا يزال أمامهم من المراهقة عشر سنوات أو أكثر .

ولن تتغير فى خلال هذه السنوات مكنيات النمو ، فستجىء الزيادات بطيئة ، وبألم فى كثير من الحالات ، فالتغيرات فى بعض الغدد الصماء تجلب معها مظاهر جديدة عقلية وبدنية ولكن صوغ أنماط السلوك سيظل عملية تدريجية من النمو فيها فن من الإنشاء .

وكما أن اتزان سن الخامسة أفسح الطريق لاندفاع الخامسة والنصف وللدفعات الخلاقة المبتدعة للسادسة ، وكما أن هذه بدورها أفسحت الطريق لذاتية السابعة وأنانيتها ولبسط الثامنة وامتدادها وللحفز الذاتى للحركة عند التاسعة ولتعديل الاتجاه والموقف عند العاشرة فكذلك الحادية عشرة والثانية عشرة من حقهما أن يكشفا عن نفسيهما فى صور من السلوك مميزة ، وقياساً على هذا تُبرز كل سنة من سنوات العقد الثانى والعشرينات الأولى صورَ السلوك الخاصة بها والمميزة لها . ولا تزال نفسانية المراهقة تنتظر من يدونها ويكتبها وذلك لأن صور الأنماط السلوكية وتطورها فى نموها لم تدرس فى تفصيل مادى محسوس .

ولا تستطيع الثقافة أن تفى حاجات المراهق النفسانية حقها بغير معرفة واقعية للنمو بوصفه عملية تكوين وراثى[١] أى عملية تنتج أشكالاً وصوراً لها ما يبررها لكل أنواع السلوك الحركى والتكيفى والشخصى — الاجتماعى . فالديناميكا العامة لا تستطيع تفسير ما يطرأ على عقل المراهق من تغير مطرد فى كيانه وبنيته .

---

(١) morphogenesis علم التكوين الوراثى وهو نشوء الأشكال الوراثية للنبات والحيوان وتطورها .

وهـذه التغيرات فى لبها وصميمها شبيهة بتلك التى وصفناها بالنسبة للحضانة والطفولة ، فأسس الجهاز الحركى الإنسانى ومعظم هيكله إنما تشاد فى السنوات العشر الأولى من العمر ، وليس فى وسعنا أن ننبذ أو نهمل التدعيات الضرورية لتلك السنوات العشر الأولى فإنها ستظل جزءاً لا يتجزأ من الجهاز الحركى للشاب أثناء نموه ، والعشرة الثانية لا تحوّل الطفل تحويلا بل هى تواصل السير به ، وهنا تكمن أهمية الطفولة من الناحيتين الوقائية والصحية ، أى أهمية السنوات السابقة للمدرسة أو بعبارة أخرى أهمية السنوات من الخامسة إلى العاشرة .

[تم الجزء الأول من الكتاب ويليه الجزء الثانى]



المراجع والقراءات

References and Readings

ألدرتش ــ الرضعاء مخلوقات بشرية

Aldrich, C. Anderson and Aldrich, Mary M. Babies are Human Beings. New York : Macmillan, 1938, ix + 128.

إيمز ــ ثبات سرعة النبضات الحركية النفسية عند الأفراد من الحضناء .

Ames, Louise B. The constancy of psychomotor tempo in individual infants. J. genet. Psychology, 1940, 57, 445-450.

إيمز ــ مايستتبع صراخ الطفل وبكاءه ويتصل به من حركات

Ames, Louise B. Motor correlates of infant crying. J. genet. Psychology, 1941, 59, 239-247.

إيمز ــ الفروق الفردية المبكرة فى أنماط السلوك البصرية والحركية : دراسة مقارنة لطفلين سويين بطريقة التحليل السينمائى .

Ames, Louise B. Early individual differences in visual and motor behavior patterns : a comparative study of two normal infants by the method of cinemanalysis. J. genet. Psychology, 1944, 65, 219-226.

إيمز ــ تولد حاسة الزمن فى الطفل الصغير ونموها

Ames, Louise B. The development of the sense of time in the young child. J. genet. Psychology, 1946, 68, 97-125.

إيمز ولبرند ــ الرفاق الخياليون والظواهر المتصلة بهم

Ames, Louise B. and Learned, Janet. Imaginary companions and related phenomena. J. genet. Psychology, 1947.

أندرسن ــ التعاون بين المدرسة والبيت

Anderson, Harold H. School-Home Cooperation. Bulletin State Univ. of Iowa, Child Welfare pamphlet no. 15, new series no. 665, 1932, 1-11.

رابطة التربية للطفولة ــ نشرة عن مواد للشغل واللعب

Association for Childhood Education. Portfolio on Materials for Work and Play. Washington, D. C. : 1945.

بكون ــ العناية النفسية أثناء الحضانة والطفولة

Bakwin, Ruth M. and Bakwin, Harry. Psychologic Care during Infancy and Childhood. New York : D. Appleton-Century, 1942, xv. + 317.

بكستر ــ العلاقات بين المعلم والتلميذ

Baxter, Bernice. Teacher-Pupil Relationships. New York : Macmillan, 1941, 166.

بيبر وآخرين ــ حياة الطفل فى المدرسة : دراسة لمجموعة فى سن السابعة

Biber, Barbara, Murphy, Lois B., Woodcock, Louise P., and Black, Irma S. Child Life in School : A Study of a Seven Year Old Group. New York : Dutton, 1942, xii + 658.

بلانشرد ــ دراسة لأحلام الأطفال من حيث مادتها ودوافعها

Blanchard, Phyllis. A study of subject matter and motivation of children's dreams. J. abnor. and Social Psychology, 1926, 21, 24-37.

بونت ومسجروف ــ آثار الحرب كما يصورها لعب الأطفال

Bonte, Eleanor P. and Mary Musgrove. Influences of war as evidenced in children's play. Child Development, 1943, 14, no. 4, 179-200.

بركنردج وفنسنت ــ تطور الطفل ونموه الجثماني والنفساني في سني المدرسة

Breckenridge, Marian E. and Vincent, E. Lee. Child Development : Physical and Psychological Growth through the School Years. Philadelphia & London : W. B. Saunders Co., 1943, ix + 592. (Excellent list of references.)

بل ــ في سبيل إيضاح فكرة الانفعال أو تصوره

Bull Nina. Towards a clarification of the concept of emotion. Psychosomatic Medicine, 1945, 7, no. 4, 210-214.

بولن ــ دراسة لمشكلة التمتمة

Bullen, Adelaide K. A cross-cultural approach to the problem of stuttering. Child Development, 1945, 16, nos. 1-2, 1-88.

المدارس الابتدائية بكليفورنيا

California, Elementary Schools of. Tentative Framework for the Social Studies Curriculum in the Elementary Schools o California. Presented in its revised form at the Social Studies Workshop of the 1944 Conference of Supervisors.

رابطة دراسة الطفل ــ مسائل الوالدين

Child Study Association. Parents' Questions. New York : Harper, 1936, xiv + 312.

دراسة الطفل ــ مجلة تعليم الوالدين (رابطة دراسة الطفل)

Child Study : A Quarterly Journal of Parent Education. New York : Child Study Association, 221 West 57th Street.

لجنة اعداد المعلم ــ مساعدة المعلمين على فهم الأطفال

Commission on Teacher Education. Helping Teachers Understand Children. (Daniel A. Prescott, ed.) Washington, D. C. : American Council on Education, 1945, xv. + 468.

دارون ــ التعبير عن الانفعالات او العواطف في الانسان وفي الحيوانات

Darwin, Charles. The Expression of the Emotions in Man and Animals. New York : D. Appleton & Co., 1897.

ديفز ــ اختيار الأطفال للطعام بأنفسهم

Davis, C. M. Self-selection of food by children. J. Nursing, 1935, 35, 401-410.

دشفاينتز ــ النمو واشتداد العود : قصة وجودنا ــ ميلادنا ونمونا

De Schweinitz, Karl. Growing Up : The Story of How We Become Alive, Are Born, and Grow up. New York : Macmillan, 1934, 111 pp.

دول ــ مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعي

Doll, Edgar A. The Vineland Social Maturity Scale. Vineland, New Jersey : 1941, 30 pp.

دول ــ طفلك ينمو ويكبر

Doll, Edgar A. Your Child Grows Up. Boston : John Hancock Mutual Life Ins. Co. 1939.

إتس ــ قصة رضيع

Ets, Marie Hall. The Story of a Baby. New York : Viking Press, 1939, 63 pp.

فستر وهدلى ــ التعليم فى روضة الأطفال

Foster, Josephine C. and Headley, Neith E. Education in Kindergarten. New York : American Book Co., 1936, xii + 368.

فرويد وبرلنجهام ــ الحرب والأطفال

Freud, A. & Burlingham, D. War and Children. New York : Ernst Willard, 1943, pp. 191.

جريسن وآخرين ــ روضة أطفال هورس مان للاطفال فى سن الخامسة

Garrison, Charlotte G., Sheehy, Emma D., and Dalgliesh, Alice. The Horace Mann Kindergarten for Five-Year-Old Children. New York : Bureau of Publications, Teachers College, Columbia University, 1937, xii + 146.

جيزل ــ كيف ينمو الطفل : قصة مصورة

Gesell, Arnold. How a Baby Grows : A Story in Pictures. New York : Harper, 1945, 78 pp.

جيزل وآخرين ــ السنوات الخمس الأولى من الحياة

Gesell, Arnold et al. The First Five Years of Life : A Guide to the Study of the Pre-school Child. New York : Harper, 1940, xiii + 393.

جيزل وامترودا ــ تشخيص النمو . الطفل السوى وغير السوى

Gesell, Arnold and Amatruda, Catherine S. Developmental Diagnosis : Normal and Abnormal Child Development. New York : Hoeber, 1941, xiii + 447.

جيزل (بمعاونة امترودا) ــ دراسة السلوك كجنين . بدايات العقل البشرى

Gesell, Arnold (in collaboration with C. S. Amatruda). Embryology of Behavior : The Beginnings of the Human Mind. New York : Harper, 1945, xix + 289.

جيزل (بمعاونة إيمز) ــ بواكير دلائل الفردية فى الحضين من البشر

Gesell, Arnold (assisted by L. B. Ames). Early evidences of individuality in the human infant. Scientific Monthly, 1937, xlv, 217-225.

جيزل وإيمز ــ نمو القدرة الاتجاهية فى الرسم

Gesell, Arnold and Ames, Louise B. The development of directionality in drawing. J. genet. Psychology, 1946, 68, 45-61.

جيزل وإيمز ــ تنظيم السلوك الانبطاحى من ناحية تاريخ نموه فى الحضين من البشر

Gesell, Arnold and Ames, Louise B. The ontogenetic organization of prone behavior in human infancy. J. genet. Psychology, 1940, 56, 247-263.

جيزل (بمعاونة إيمز) ــ قصة نمو الطفل كما تبدو فى الصور المتحركة

Gesell, Arnold (in collaboration with Louise B. Ames). The Story of Child Development in Motion Pictures. A guide to the study and interpretation of the Yale Films of Child Development. New York : Encyclopaedia Britannica Films Inc.

جيزل ــ الطفل السوى والتعليم الابتدائى

Gesell, Arnold and Gesell, Beatrice Chandler. The Normal Child and Primary Education. Boston : Ginn & Co., 1912, x + 342.

جيزل وإلج ــ سلوك الاطعام عند الحضناء

Gesell, Arnold and Ilg, Frances L. Feeding Behavior of Infants : A Pediatric Approach to the Mental Hygiene of Early Life. Philadelphia : Lippincott, 1937, ix + 201.

جيزل وإلج (بمعاونة آخرين) ـ الحضين والطفل فى ثقافة اليوم

Gesell, Arnold and Ilg, Frances L. In collaboration with Janet Learned and Louise B. Ames). Infant and Child in the Culture of Today. New York : Harper, 1943, xii + 399.

جيزل وتمسن ـ توءمان ت ، و ، ج من الحضانة الى المراهقة

Gesell, Arnold and Thompson, Helen. Twins T and C from infancy to adolescence : a biogenetic study of individual differences by the method of co-twin control. Genet. Psychology Monog., 1941, 24, 3-121.

جلبرت ـ تاريخ حياة لمخلوق لم يولد

Gilbert, Margaret Shea. Biography of the Unborn. Baltimore, Md.: Williams and Wilkins, 1938, x + 182.

جس ـ الأب والابن

Gosse, Edmund. Father and Son. New York : Scribner, 1907.

جريسن ـ هل تعرف ابنتك ؟

Grayson, Alice Barr. Do You Know Your Daughter ? New York : D. Appleton-Century, 1944, xxi + 306.

هنرى ـ هل يستطيع طفلك القراءة حقا ؟

Henry, George H. Can your child really read ? Harper's Magazine, January, 1946, 72-76.

هلدرث ـ تعلم القراءة والكتابة والحساب

Hildreth, Gertrude. Learning the Three R's. Minneapolis : Educational Publishers, Inc. Revised edition, 1946.

هبرد ـ أطفالك فى المدرسة كيف يتواءمون وكيف ينمون

Hubbard, Elizabeth Vernon. Your Children at School : How They Adjust and Develop. New York: John Day, 1942, xv + 176.

هيوز ـ ريح عاتية فى جاميكا

Hughes, Richard. A High Wind in Jamaica. New York: Modern Library, 1932, ix + 399. (Fiction).

هنت ـ الشخصية واضطرابات السلوك

Hunt, J. McV. (Editor). Personality and Behavior Disorders. 2 vols. New York: The Ronald Press, 1944, 1242 pp.

جرسلد ـ نفسانية (او سكلوجية) الطفل

Jersild, Arthur T. Child Psychology. New York: Prentice-Hall, Inc., 1940, xiii + 592.

المعلقون الحديثو السن (مجلة شهرية تستعرض كل كتب الأطفال الحديثة)

Junior Reviewers, 241 Greenwood Street, Newton Centre 59, Mass. (A monthly publication which reviews all new children's books.)

كانر ـ اضطرابات السلوك فى الطفولة

Kanner, Leo. Behavior Disorders. in Childhood. In Hunt, J. McV. Personality and the Behavior Disorders. New York : The Ronald Press, 1944. Pages 761-793.

لى ـ الطفل ومنهجه

Lee, J. Murray and Lee, Doris May. The Child and His Curriculum. New York : D. Appleton-Century, 1940, xv + 652.

ليجو — فى وسع الأطفال مساعدة أنفسهم

Lerrigo, Marion Olive. Children Can Help Themselves. New York: Macmillan, 1948, ix + 219.

ليفين وسلجمان — عجيبة الحياة

Levine, Milton and Seligmann, Jean H. The Wonder of Life. New York: Simon & Schuster, 1940, 114 pp.

لوونبرج — طعام طفلك

Lowenberg, Miriam E. Your Child's Food. New York: McGraw-Hill, 1939, xviii + 299.

مورينو — من الذى سيبقى حيا

Moreno, J. L. Who Shall Survive: A New Approach to the Problem of Human Interrelations. Nerv. and Mental Disease Monograph Series No. 58, Washington, D. C.: Nervous and Mental Disease Publishing Co., 1934, xvi + 437.

نترر وإيون — نشرة لمعلمى الابتدائى

Neterer, Elizabeth and Ewen, Alice M. Portfolio for Primary Teachers. Assoc. for Childhood Education, 1201 16th St. N.W., Washington 6,D.C.:

بياجيه — اللغة والتفكير عند الطفل

Piaget, Jean. The Language and Thought of the Child. New York: Harcourt, Brace & Co., 1926, xxiii + 246.

رنلدس — الأطفال من البذرة الى الشجيرة

Reynolds, Martha May. Children from Seed to Samplings. New York: McGraw-Hill, 1939, x + 337.

شلدن (بمعاونة ستيفنس) — مختلف أنواع الأمزجة

Sheldon, William H. (In collaboration with S. S. Stevens.) The Varieties of Temperament: A psychology of Constitutional Differences. New York: Harper, 1942, x + 520.

شربن — الطفل: أصله ونموه ورعايته

Sherbon, Florence B. The Child. His Origin, Development, and Care. New York: McCraw-Hill, 1934, xix + 707.

سمنز — ١: دراسة مؤسسة برش لنمو الطفل و ٢: النمو الطبيعى

Simmons, Katherine. The Brush Foundation Study of Child Growth and Development, II. Physical Growth and Development. Monog. Soc Res. Child Development, 1944, iv, serial no. 37 no .1, xvii + 87.

شتلورث — النمو الجثمانى والعقلى للأولاد والبنات فيما بين السادسة والتاسعة عشر بالنسبة الى العمر الذى يبلغ فيه النمو أقصاه

Shuttleworth, Frrnk K. The Physical and Mental Growth of Girls and Boys Age Six to Nineteen in Relation to Age at Maximum Growth. Monog. Soc. Rec. Child Development, 1939, iv, serial no. 22 no. 3, vi + 291.

ستارش وآخرين — التحكم فى سلوك البشر

Starch, Daniel, Stanton, Hazel and Koerth, Wilhelmine. Controlling Human Behavior. New York: Macmillan, 1936, xiv + 638.

ستراَنج ـ مقدمة لدراسة الطفولة

Strang, Ruth An Introduction to Child Study. New York: Macmillan, 1938, xv + 681. (Contains tables of height and weight,)

ترمان ومايلز ـ الجنس والشخصية

Terman, L. M. & Miles, C. C. Sex and Personality. New York and London. McGraw-Hill Book Co., Inc., 1936, pp. xi + 600.

طمسن ـ نمو الجسم

Thompson, Helen. Physical Growth. In Handbook of Child Psychology (ed. Leonard Carmichael). New York: John Wiley and Sons, (1946): (Survey of the literature on physical growth).

وولف ـ وفيات الأطفال من الحوادث

Wolff, George, M. D. Childhood Mortality from Accidents. *U. S. Dept of Labor.* Children's Bureau, Publication 311, pp. 25.

وودز ـ تخطيط للتعليم الابتدائي له مغزاه

Woods, L. A. Elementary Education Suggestive Outline. (Revised edition). A Bulletin of the State Department of Education, Austin, Texas: Prepared under the direction of Edgar Ellen Wilson, Director of Elementary Ed., No. 451, September, 1945. 124 pp.

الدليـــــل (١)

(١) الرقم المتبوع بـ س أو ش أو ع معناه فى سن كذا سنة أو شهر أو أسبوع .

المصطلحات

والكلمات الواردة فى الدليل بالعربية ومقابلها بالإنجليزية

(ا)

آداب السلوك manners
أب father
أبله . انظر سخيف
اتجاه أو موقف أو مظهر attitude
« الوجه أو راحة اليد إلى أعلى supine
اتجاهات وجدانية affective attitudes
اتزان أو توازن equilibrium
« أو استقرار stability
اتسم أو متسم stamped
اتصالات associations
أتم أو أنجز أو حقق أو حصل achieved
أتمام عمل . انظر انتاج
إجادة التعبير . أنظر أسلوب النطق
الاجتماع ، علم sociology
الاجتماعية أو الاندماج فى المجتمع sociality
إجهاد أو إعياء fatigue
احتقار أو ازدراء disdaining
احتواء ذاتى selfcontainment
إحساس sensation
« بالذات أو تحقيقها seldientity
الأحساس ، ارهاف sensibility
احساسات أو مشاعر feelings
أخ صغير sibling
إختبار عملى performance test
إختلاط intercourse
اختيار choice
أخاذ أو ملفت للنظر dramatic
إخراج (تبرز أو تبول) elimination or excretion or evacuation
إخراج لاإرادى incontinence
اخفاق أو فشل أو عجز failure

أخلاقيات morals or ethics
أداء . انظر عملية
أداة إضافية مساعدة accessory
إدراك أو إحساس perception
إدعاء . أنظر تصنع
إذن permission
الأذن المتوسطة ، إلتهاب . انظر إلتهاب
ارتباك أو حيرة perplexity
ارتكاز ، نقطة . انظر نقطة
ارتياح . انظر مرضاة
ارتياد pioneering
ارشاد أو توجيه direction or guidance
ازدراء . انظر احتقار
ازدرد أو اندفع bolted
أسارير الوجه ، مايبدو على physiognomy
أساسى (انظر أيضاً جوهرى) hasic
أساسيات . انظر مبادىء
استبانة . انظر التعرف على
استبداد authoritarianism
استبصار أو بصيرة insight
استبعاد أو عزل exclusion
استثار . انظر أمد بالقوة
استجابة لدواعى العقل response to reason
استحالة الغذاء metabolism
استحياء (مسكنة) انظر ايضاخزى modesty
استرجع unreeled
استرخاء relaxation
استغراق being aborbed or engrossed
استقرار . انظر اتزان
استقصاء . انظر بحث
استطلاع ، حب . انظر فضول
استعداد readiness

استكبار أو غرور كثير overweening
استكمال أو اكتمال أو تكامل integration
استكمل نموه أو اشتد عوده grown up
استمتع . انظر استمرأ
استمرأ أو استمتع بـ أو لذ له enjoyed
استنكر . انظر تأذى
استهواه كذا got interested in
استيعاب أو استغراق absorption
استيقاظ waking
اسقاط projection
أسلوب النطق أو إجادة التعبير articulation
سهولة الانخداع . انظر الانخداع
أشار إلى . انظر أوحى بـ
أشباح ghosts
أشبال cubs
اشتباكات أو متضمنات implications
إصابة بسوء inyury
إصرار أو تصميم أو تشبث
determination or insistance
اضطراب وشطط mal-a-propos
اضطهد بقسوة bullied
أضعف enervated
إطعام الطفل نفسه self help or feeding
أعاد التمثيل طبق الأصل reduplicated
اعتبار ورعاية regard
اعتباطي . انظر تنسق
الاعتداد بالنفس وفرضها أو الإعلان في
جد وتوكيد assertion
اعتداد بالنفس أكثر مما ينبغي . انظر استكبار
اعتزاز أو تفاخر أو زهو pride
أعضاء التناسل . أنظر عورات
إعوجاج أو سوء توافق maladjustment
إعياء . انظر اجهاد
أغراب strangers
الإفاضة في معايب الآخرين telling tales
إفرازات secretions

أقلقه . انظر شغله
اكتمال انظر استكمال
ألاعيب tricks or antics
الآله deity
إلتهابات الأذن المتوسطة otitis media
ألفة وثيقة intimacy
ألعاب games
ألعاب بارعة stunts
ألم في المعدة (مغص) stomach ache
ألياف . انظر ذو ألياف
أمارات indications
امتثل . انظر جارى
امتداد أو سعة (انظر أيضاً توسع) span
امتلاك زمام النفس انظر ضبط النفس
المجتمع society
أمد بالقوة أو استثار innervated
أمراض معدية infectious diseases
أمعاء bowels
إمكانيات . انظر قوى
الأمن (أو الأمنة) الاطمئنان security
أنانية أو ذاتية subjectiveness
انبثاق growing out or emergence
انبجاسات spurts
انبطاح proneness
انتباه attention
إنتاج أو إتمام عمل accomplishment
انتشار . انظر تشتت
انتقال transition
انحراف deviation
انحرافات delinquencies
انحرف . انظر شاذ
الانخداع ، سهولة gullibility
اندفاع on rush
اندفاعات أو دوافع impulses or runs
اندفع . انظر ازدرد
انسجام harmony

انسياح وتوسع ، فيه — expansive
انطباعات — impressions
انطلاق (سرعة بغير اتجاه) . — speed
انطلاقات — releases
انطوائي — introvert
انفجار في الغضب . انظر غضب
انفصال — segregation
انفعالات — emotions
انفلت بخيلاء — stalked
أنوار إضافية — side-lights
أهاج . انظر اهتياج وانظر زاد مرارة الشعور
اهتزازات أو حركات عصبية — choreiform
اهتمام أو مهتم أو ميل — interest
اهتياج أو إهاجة — excitement
أوتار عصبية — tendons
أوحى بـ أو أشار إلى — suggested
أول ما يبدو — initial
ائتلاف اجتماعي — sociality
إيضاحات أو رسوم توضيحية — illustrations
إيماءات وحركات — gestures

(ب)

بالغ الأثر — impressive
بحث أو استقصاء — investigation
بدائل تتناوب — alternates
بدن أو جسم — body
بدني أو طبيعي — physical
بديهة حاضرة — intuition
براعات — accomplishments
براعة — feat or skill
البشر ، دون . انظر دون البشر
بشري أو انساني — human
بصري — visual
بكاء . انظر صراخ
بلوغ — puberty
بناء صرح . انظر تكون
بنوتة أو دلوعة — sissy
بنية أو منشأة أو صرح — structure
بنية الجسم — physique
بوادر من علامات — precursor signs
بؤرة التركز أو يبرز للعيان — focus
بيئة محيطة — environment

(ت)

تآزر أو تناسق أو تنسيق — coordination
تأخير — tardiness
تأديب أو نظام — discipline
تأذي أو ضيق أو استنكار — resentment
تأرجح — suwinging
تباري أو تنافس — compelition
تباهي أو تفاخر — boasting
تبرز أو تبول لا إرادي — "accidents" or incontinence
تبول — urinating
تبيان الخصائص — characterisation
تبين الموقف والاتجاه — orientation
تثبيت — fixation
تثقيف — acculturation
تجاوب — reciprocity
تجاوز الحدود — out of bounds
تجريدي أو مجرد أو تصوري — abstract
تجمعات — groupings
تجهم — sulkiness
تجويف العين — eye socket
تحاملات . انظر تحيزات
تحرك في تململ واضطراب — fidgetting or fussiness
تحقيق الشخصية أو الذات — identification
تحكم . انظر سيطرة
التحلل من أو الحل — resolution
تحليل — analysis
تحول أو تحور أو تغير أو مسخ — metamorphoses
تحيزات وتحاملات — prejudices

تخيل أو كون لنفسه صورة envisaged
تدافع . انظر تنقل
تدريب practice or training
تدفق flowing
تدليم . انظر هشتكة
ترامز symbolism
تربية education
تردد indecisiveness or vacillation
تردد (الذبذبة) frequency
ترسيخ مبدأ أو فكرة indoctrination
ترنح staggering
تسجيلات . انظر سجلات
تسرع speediness
تسلسل sequence
تسلية pastime
تشاجر أو عراك quarrelling
تشبث . انظر إصرار
تشتت أو انتشار dispersion
تشنجي convulsive or spasmodic
تشوهات . انظر عاهات
تصدى ل . انظر هاجم
تصرف أو مسلك demeanour
تصنع وإدعاء أو خداع make beleif
تصميم . انظر إصرار
تصور visualisation
تصور أو مدركة أو فكرة concept
تصورى . انظر تجريدى
تصوير . انظر وصف
تطرف extremes, going to
تطور أو نمو development
تعبير espression
تعديل . انظر تواؤم
التعرف على أو تمييز
identification or recognition
تعسفى أو اعتباطى arbitrary
تعقل أو معقولية reasonableness

تعميم generalisation
تغليب استعمال إحدى اليدين . انظر اليدوية
تغيرات أو تحولات transformations
تفاخر . انظر اعتزاز ، وأيضا تباهى
تفسيرات . انظر صفات
تفضيل preference
تفكير بتعقل . انظر عمليات عقلية
التقدم ، دائب progressive
تقلب fluctuation, inconsistency, lability
تقلبات أو حالات مزاجية moods
التقلص ، بداية tonus
التقمص أو التعرف على indentification
التقمص الوجدانى ، قادر على empathic
تقويم (تقدير القيمة)
appraisal or evaluation
تكامل . انظر استكمال
التكوين والمظهر (الحجم والشكل)
format or texture
التكوين والنشأة أو بناء صرح
structuralisation
تكوينى . انظر وراثى
تكيف أو مجاراة ومسايرة accomodation
تكيفات adaptations
تلكؤ أو تراخى dawdling
تلقائية spontaniety
تلميحات hints
تلهف urge or eagerness
تلهى distraction
تماثل symmetry
تمالك النفس self possession
تمتمة stammering or stuttering
تمثل assimilation
تمثيلى dramatic
تمجيد البطولة hero worship
تمرين exercise
تملك acquisition

تمهيد — preface
تمييز أو استبانة . انظر التعرف على
تناسج متبادل — reciprocal interweaving
تناسق (انظر تآزر) — harmonisation
تناسلي — بولي — genito-urinary
تنافس . انظر تبارى
تناقض وجداني — ambivalency
تناول باليد أو شغل أو ممارسة — manipulation
تنسيق . انظر تآزر
تنصل أو تهرب — alibiing
تنظيم — organisation
تنقل حركي — locomotion
تنقل فيه تدافع — ramble and scramble
تهرب . انظر تنصل
تهزيء أو سخرية — detraction or ridicule
تهيب . انظر حياء
توارى أو خلوة — privacy
توازن . انظر اتزان
توافق ، سوء . انظر أعوجاج
تواؤم أو تعديل أو ضبط — adjustment
توترات — tensions
توجيه . انظر ارشاد
توسع وامتداد — extensiveness
توفير أو منجى — saving
توقعات — anticipations

(ث)

ثابت المعايير أو مقنن . انظر المعايير
ثبات واطراد — steadiness
ثبوت الخصائص — characteristicnes.
ثرثرة انظر رغى
ثقافة أو حضارة — culture
ثنائي القطبية . انظر القطبية
ثورة غضب — rage

(ج)

جابه أو حاول — tackled
جار على أو ظلم — discriminated against
جاري أو امتثل لـ — conformed to
جبلة — idiosyncracy
جثو — kneeling
جثوم — squatting
جدول — schedule
جدية — seriousness
جسد — soma
جسم . انظر بدن
جماعة — company or group
الجمجمة أو المخ أو الزمن ، بعض أجزاء
له صلة بـ — temporal
جمع ، المجموعات — collecting, collections
جنس — sex or race, or species
الجنين بعد التشكل — fetus
الجنين قبل التشكل أو العلقة — embryo
جهاز حركي — action or motor system
جهاز عصبي — nervous system
جهد وعناء — strain
جهود في محاولات أو كفاح — strivings
جور أو ظلم (عدم عدالة) — unfairness
جوهري أو أساسي — fundamental
جيد . أنظر خير
جيل — generation

(ح)

حاد أو انحرف — deviated
حادثة عرضية — episode
حاسة — sense
حافز أو دافع — drive or incentive
حافز نفسي للحركة — self motivation
حال دون . انظر قطع الطريق على
حالات مزاجية . انظر تقلبات
حالات من سهوم التأمل — pensive moods
حبا يحبو — creeped
« حدة » — acuity
حديث خاص — interview
الحرص على اظهار التملك — possessiveness

حرك (متدفق النشاط) dynamic
حركات واهتزازات عصبية choreiform
حركة دورانية لليد والذراع تجعل الراحة تتجه إلى أعلى supination
حساس . انظر سريع التأثر
حساسية sensitivity
حسن . انظر خير
حسن التصرف common sense
حشو أو كلمات زائدة expletive words
حشوى التكوين مترف مرح (له صلة بانبعاج البطن) viscerotonic
حضارة . انظر ثقافة
حضين infant
الحضانة التوجيهية،دار guidance nursery
حفز (انظر أيضاً دفع) motified
حفلات parties
حقبة أو دور epoch
حكايات أو قصص خرافية fairy tales
الحل انظر التحلل
حلم dream
حمل pregnancy
حوادث accidents
« حوادث » . انظر إخراج
حياء أو تهيب أو خجل self concious
حيثما اتفق sporadic
حيرة . انظر ارتباك
الحيز الذى يشغله الجسم فى وقفته stance
حيض menstruation
حيوى biological

(خ)

خارق للعادة أو للطبيعة superhuman
خبرة experience
خداع . انظر تصنع
خزى أو استحياء أو خجل shame
خسارة أو هزيمة loss
خصائص characteristics
خطأ وصو ب . انظر صواب وخطأ
خطط sketched
الخطة والتدبير scheme or plan
خطوبات (جمع خطبة) engagements
خطيئة sin
خطير أو عظيم الشأن أو ذو بال significant
خفيف الحركة nimble
خلع الثياب أو نضوها undressing
خلق أو نوع character
خلوة . انظر توارى
الخوافى . انظر الغوامض
خورية chorea
خيال أو تخيل imagination
خيال ، قوة imaginativeness
خير أو حسن أو جيد good

(د)

دار الحضانة nursery
دائمة لا تنقطع unremitting
دراية وتنبه awareness
دفع أو حفز للحركة motivation
دقيق (انظر غامض) fine
دلالة ومغزى ، له . انظر خطير
دلائل توحى بـ clues
دلع . انظر هشتكة
دلوعة . انظر بنوته
دمدمة وهمس muttering
دور . انظر حقبة
دورة cycle
دورى periodic
دون البشر subhuman

(ذ)

ذات أو نفس self
ذاتية (شيء حقيقى) انظرايضا أنانية enttity
ذاكرة memory
ذروة peak
ذروة ، بلوغ culmination

ذكاء intelligence
ذو ألياف stringy
ذيول tag ends

(ر)

راح فى النوم (نعس) gone to sleep
رأى opinion
ربعة square
ردىء . انظر سىء
رسم أولى تخطيطى delineation or sketch
رسمى أو متزمت formal
رسوم إيضاحية diagrams, illustrations
رضيع baby
رطانة jargon
رعاية . انظر اعتبار
رعب أو رهبة dread
رغى وثرثرة (قيل وقال) tattling
رفض refusal
رفيع العظام طويلها ectomorphic
رقابه . انظر سيطرة
رقيق أو نحيف tenuous
رهافة allergy
رهبة انظر رعب
روح psyche
روح عن releived
روضة أطفال kindergarten
رياضى (سبور) sport

(ز)

زاد مرارة الشعور أو أهاج exacerbated
زحزح أو حول أو نقل shifted
زحف crawled
زمن أو وقت time
الزهرات أو صغار المرشدات brownies
زهو . انظر اعتزاز

(س)

سأم ennui
ساوم bargained
السب swearing or calling names
ستارة screen
سجل أو قرر أو روى أو نبأ به reported
سجلات records
سجيته ، على (كطبيعته) true to nature.
سحاء (القشرة الخارجية للمخ) cortex
سحائى cortical
سحر magic
سخرية . انظر تهزىء
سخيف أو أبله silly
سرعة الايقاع أو النبضات tempo
سرة navel
سرور وابتهاج joy
سريع التأثر أو حساس susceptible
سطحى peripheral
السعادة الكاملة (بعد الموت) nirvana
سعة . انظر امتداد
سكون وقرار ، سن nodal age
سلسلة series
سلطان أو تمايل sway
سلم (جمعها سلالم) gradient
سلوك behavior
سماء heaven
سماحة liberalism
سمة (جمعها سمات) trait
سن سكون وقرار . انظر سكون
سوقى أو بلدى slap stick
سوى أو طبيعى normal
سياسة management
سير course
سيرة الحياة career
سيطرة هيمنة تحكم رقابة ضبط control
سيء . انظر شر

(ش)

شاذ (غير طبيعى) abnormal
شائق interesting

شب عن graduated
شجاعة وعدم اكتراث slap dash
شخصيةفردية personality, individuality
شر أو ردىء أو سيء bad
شغله وأقلقه concerned him
شكايات complaints
شكل أو صب فى قالب moulded
شهية appetite
الضوضاء ، كثير noisy
شيخوخة senescence

(ص)

صب فى قالب . انظر شكل
صحب أو اتصل بـ associated
صدفة . (انظر قضاء وقدر)
صراحة forthrightness
صراخ وبكاء crying
صرامة severity
صريح . انظر أيضا ظاهر frank
صفات أو تفسيرات تغير الوضع أو الموقف
من حسن إلى سيء أو العكس ، يعطى qualify
صفقة bargain
صفيق أو وقح fresh
صنارية spindly
صواب وخطأ right and wrong
صوت sound
صوغ الأنماط patterning
صوة (ج صوى) landmark or milestone
صيانة maintenance

(ض)

ضال disoriented
ضبط ، عدل (انظر سيطرة) adjustment
ضبط النفس أو امتلاك زمامها selfcontrol
ضمير conscience

(ط)

طبقات strata
طبيعى . أنظر سوى وأيضا بدنى
طراز أو نوع type
طرازى (يمثل خير تمثيل) typical
طريقة المشروعات project method
طفل child
طلاقة fluidity
طور phase
طيش ورعونة harum scarum
طيف spectrum

(ظ)

ظاهر أو صريح overt
ظاهر الفردية individualised
ظاهرة phenomenon
ظلم . أنظر جور وانظر أيضا جار

(ع)

عابرة أو عرضية incidental
عارضة أو سريعة الزوال transient
عاطفة أو وجدان sentiment
عاكس أو غاظ teased
عاهات أو تشوهات deformitics
عتاد (خبرات) equipment
عجز (أنظر أيضا اخفاق) disabitiy
عجيبة محيرة paradox
عدالة fairness
عدسات تظهر الأشياء مجسمة stereoscope
عدل. ظم . واءم (أنظر ضبط) modulated
عدم (أو سوء) توافق maladjustment
عدم مبالاة (انظر فتور) indifference
عدوان aggression
عراك . انظر تشاجر
عرض شامل panorama
عرضى (انظر أيضا عابرة) sketchy
عريض العظام بارز العضلات mesomorphic
عزل . انظر استبعاد
عصب nerve
العضلة ، الحالة الاستجابية لـ muscletonus
عضلة عاصرة sphincter

عضلى التكوين نشط (له صلة بعرض العظام وبروز العضلات somatotonic
عطوف sympathetic
عقدة نفسية . انظر مركب نقص
عكس reversal
علاجى therapeutic
العلاقات بالناس interpersonal relations
علامات تدل مقدما foretokens
علقة انظر الجنين قبل التشكل
علم أشكال الكائنات العضوية ونحوها وتطورها morphology
علم النفس (أو نفسانية) spychology
العمد ، يغلب عليه formalised
عمل منزلى بسيط . انظر واجب صغير
عملية أو عملى أو أداء performance
عملى . انظر نفعى
عملية process
عمليات عقلية أو تفكير بتعقل mentations
عناد perversity
عناء . انظر جهد
عناصر الموضوع ومقوماته items
عورات أو أعضاء تناسل genitals
عيادة نفسية clinic (psych)

(غ)

غاظ (أنظر أيضا عاكس) exasperated
غامض أو دقيق subtle
غثيان nausia
غدد glands
غدد صماء endocrine
غرض أو هدف purpose
غرور (انظر أيضا استكبار) elation
غريزة instinct
غريزة المقاتلة combattveness
غضب anger
الغضب ، انفجار فى tantrum
الغضب العنيف، نوباب من temper tantrum
غض من قيمة discredited
الغوامض الخواق mysteries
غير مصحوب بما يفسره uuqualified
غيرة jealousy

(ف)

فاخر bragged
فاعلية أو نشاط activity
فتوحات achievements
فتور وعدم مبالاة nonchalance
فج أو فطير crude
فروق فردية individual differences
فزع الليل أو رعبه night terror
فريد unique
فشل . انظر خفاق
فصيح التعبير (مفصح) articulate
الفضاء space
فضول أو حب استطلاع curiosity
فطرى أو ما أودع فيه innate
فطير . انظر فج
فكاهة humor'
فكر أو تفكير مدرك intellect
فكرة غير واضحة glimmering notion
فلتات أو انحرافات lapses
فلسفة philosophy
فن، أسلوب أو وسيلة أو طريقة technique

(ق)

قابلية التكيف adaptability
قبض prehension
قدرة ability
قذف casting
قراءة reading
قصد ووعى، عن consciously
قص الأحلام reporting dreams
قصص لا تصدق tall stories
قصص غير معقولة tall tales
قصود (دغرى) direct

قضاء وقدر أو صدفة	fortuity
قضاء الضرورة	toiletting, elimination
قضم الأظافر	biting nails
القطبية ، تنائى	bipolar
قطع الطريق على أو حال دون	forestalled
قلق ومشغولية	anxiety or worry
قمة	peak
قوة	stamina
قوة احتمال	fortitude
قوة الخيال	imaginativeness
قوى وامكانيات	potentialities
قياسى	standard

(ك)

كآبة وكد ، فيه	sulky
كابوس أو حلم مفزع	nightmare
كامن	latent or underlying
كائن عضوى	organism
كبت أو كبح	repression
كبير أو شديد	gross
كبير (مكتمل النضج)	adult
كف أو منع	inhibited
كيان	stature
كيان ذاتى او شىء حقيقى	entity

(ل)

لاإرادى (أنظر إخراج)	involuntary
لاقح او زيجوت	zygote
لام أو ألقى اللوم على غيره تهربا	blamed
لباب	essence
لعب	play
لعبة بخ	peek - a - boo
لف ودوران	detour
لمسة أخيرة (آخر مرحلة	finishing touch
لهفة	urge, eagerness
لوحة	board
لولبى	spiral

(م)

ما أودع فى . انظر فطرى	
مبادأة	initiative
مبادىء أو أساسيات	principles
مبالغة غير صحيحة	hyperbole
مبتذل	trite
متذبذب أو متردد	oscillating
متراكبة	overlapping
مترعم	bosay
متسلسلات	seqnencies
متضمن	implicit
متعارض أومتضارب	conflicting
متمايز . انظر واضح الخصائص	
متناقض أو لايتسق أبدا	inconsistent
متنفسات التوتر	ontlets, torsional
متوالية	progression
مثانة	bladder
مثير . انظر منبه	
مجال	scope
المجتمع	society
مجهد أو مضنى أو شديد	strenuous
مجموعة	set
محبة أو عاطفة أو وجدان	affection
محدد بالذات أو معين أو مرسوم	specific
محددات	determinants
محسوس	concrete
مخاطى	mucous
مخاوف	fears
مخى التكوين نحيل (له صلة برفع العظام وطولها)	cerebrotonic
مد بالقوة أو الطاقة العصبية	innervated
مداومة ومعاودة	perseveration
مدى	range
مراتب	hierarchy
مراعاة شعور الآخرين	considerateness
مراهقة	adolescence

مرحاض	toilet
مرحلة	stage
مرض جسميا وعقليا	gone to pieces
مرضاة أو ارتياح أو إشباع	satisfaction
مركب نقص عقدة نفسية	complex (psych)
مزاج	temperament
مسايرة . انظر تكيف ومجاراة	
مستروح مستلقي على ظهره كسلان	supine
مستوى السن (أو العمر)	age level
مسخ . انظر تحول	
المسلك (في الفصل مثلا) . انظر تصرف	
مشاركات	participations
مشاعر . انظر احساسات	
مشاهدة أو ملاحظة	observation
مشكل أو معضل ، طفل	problem child
مشهد	scene
مصاب بنوبة عصبية تعتريه	hysteric
المصاحبة . الاقتران . العمل مع	association
مصطبة	platform
مصور السلوك	behavior profile
مضادة	againstness
مطلق	absolute
مظاهر	manifestations
المظهر . انظر التكوين وأيضا اتجاه	
معالم	features
المعايير ، ثابت (أو مقنن)	standardised
معتد بنفسه يفرضها	assertive
معتدل المزاج . متزن . منتظم الحركة	equable
معتوه	idiot
معدل	rate
معدي أو هضمي	gastric
معلومات	informations
معوي	intestinal
معيار	norm
معياري	normative
مغزى أو معنى	import
مفارقات	discrepencies
مفارقات لا تنتج عن المقدمات ، فيه	inconsequential
مفتعل كالذي على المسرح	stagelike
مفصل	joint
مقاربة	approach
مقاومة	resistance
مقايضة	swapping
مقدرة . انظر قدرة	
مقدمات أو حقائق علمية .	data
مقياس	scale
مكانة . أو مركز أو وضع	status
مكتمل النضج . انظر كبير	
مكتئب	moody
مكنية	mechanism
ملتزم ما استحوذ على عقله بفعل قوى خارجة عن إرادته	obsessive
ملحق	sequel
ملخصة	outlined
ممتلكات	properties
مناهج البحث	methodology
منبعج البطن	endomorphic
منبه أو مثير أو حافز	stimulating
منحدرات	slopes
منحصر في نفسه	self contained
مندفع	impetuous
منصاع	under control
منعكس توتري للعنق	tonic-neck-reflex
منهك	exhausting
مهارة	skill
مهمات	interests
مهدئ	comforting
مهمة	task
مواقف عسيرة	trying situations
مؤثر (يحب الخير لغيره)	altruistic
موضوعي	objective

ميل أو نزعة (انظر أيضا مهتم) tendency
ميول propencities

(ن)

نابغة genious
ناغى babled
نبضات . انظر سرعة الإيقاع
نتائج متوقعة expectations
نحى جانباً suppressed
نذر أو علامات portents
نزعة أو اتجاه (انظر أيضا ميل) trend
النسبية relativity
نسق ، لم ي unmodulated
نشرات أو اعلانات bulletin
نشوء وارتقاء evolution
نضج matnrity
نضو . انظر خلع
نطح gore
نظام . انظر تأديب ونظم . انظر عدل
نظرة outlook
نظرة عامة شاملة مدركة للأهمية النسبية perspective, view in
نعوت نابية epithets
نغمة الصوت tone
نفس . انظر ذات
نفعى أو عملى pragmatic
نقد criticism
نقطة ارتكاز fulcrnm
نكس regressed
نمط pattern
نمو development or growth
نوبات (أنظر أيضا الغضب) spells
نوع ، انظر خلق وأيضاً طراز
نوم sleep
نيورون أو وحدة عصبية neuron

(هـ)

هاجم أو تصدى لـ attacked
هجمة أو دفعة قوية thrust
هدف (انظر أيضا غرض) aim
هدوء بال أو سكينة equanimity
هذب أو علم edified
الهرم senectitude
هزيمة . انظر خسارة
هشتكة أو دلع dandling
هضمى . انظر معدى
هيئة العمل staff
هيكل Frame

(و)

واءم (أنظر أيضا عدل) adjusted
واجب صغير كعمل منزلى بسيط chore
واضح الخصائص متمايز differentiated
واقعى realistic, factual, naturalistic
والد (تشمل الأب والأم) parent
وتيرى (على وتيرة واحدة) stereotyped
وجبة خفيفة snack
وجه شبه paralellism
وحدة unit
وحدة عصبية : انظر نيورون
وراثى أو تكوينى genetic
وسيلة مستخدمة practice
وصف أو تصوير portrayal
وضع أو مركز setting or status
وضعة الجسم posture
وظف functioned
وعى وقصد ، عن . انظر قصد
وقح . انظر صفيق .
ولادى (مولود به) congenital
ولع جنونى mania

(ى)

اليدوية (تغليب احدى اليدين) handedness
يسر ، فى smoothly
يضفى الروح على غير الحى animistic

المصطلحات

والكلمات الواردة فى الدليل بالإنجليزية ومقابلها بالعربية

A

English	العربية
ability	قدره أو مقدره
abnormal	شاذ (غير طبيعى)
absolute	مطلق
absolutism	الإطلاق بغير قيد
absorption	استيعاب أو استغراق
abstract	تجريدى أو تصورى أو مجرد
accessory	أداة إضافية مساعدة
accidents	حوادث
"accidents"	تبرز أو تبول لا إرادى
accomodation	تكيف أو مسايرة
accomplishment	انتاج أو اتمام عمل
accomplishments	براعات
acculturation	تثقيف
achieve	يتم أو ينجز أو يحقق أو يحصل
achievements	
acquisition	التملك
action or motor system	جهاز حركى
activate	ينشط
activity	نشاط أو فاعلية
acuity	حدة
adaptability	قابلية التكيف
adaptations	تكيفات
adjustment	مواءمة أو تعديل أو ضبط
adolescence	مراهقة
adult	كبير (مكتمل النضج)
affection	محبة
affective attitudes	اتجاهات وجدانية
againstness	المضادة
age levels	مستويات السن (أوالعمر)
aggression	عدوان
aim	هدف
alibiing	تنصل أو تهرب
allergy	رهافة
alternates	بدائل تتناوب
altruistic	مؤثر (يحب الخير لغيره)
ambivalence	تناقض وجدانى
analysis	تحليل
anger	غضب
animism	إضفاء الروح على غير الحى
anticipations	توقعات
antics or tricks	ألاعيب
anxious	قلق
appetite	شهية
appraisal or evaluation	تقويم (تقدير القيمة)
approach	مقاربة أو دراسة أو معالجة
arbitrary	اعتباطى أو تعسفى
articulate	مفصح (يجيد التعبير)
articulation	اسلوب النطق
aspersions	اتهامات ظالمة
assert	يعلن فى جد وتوكيد
assertion	الاعتداد بالنفس وفرضها
assimilate	يتمثل
associate	يصحب أو يتصل بـ
attack	يهاجم أو يتصدى لـ
attention	الانتباه
attitude	موقف أو اتجاه أو هيئة أو مظهر
authoritarianism	الاستبداد
awareness	دراية أو تنبه

B

English	العربية
babble	يناغى
baby	رضيع
bad	شر أو ردىء أو سيىء

bargain يساوم أو صفقة
basic أساسى
beginnings بدايات
behavior سلوك
biological حيوى
bipolar ذو قطبين أو ثنائى القطبية
biting nails قضم الأظافر
bladder مثانة
blame يلوم (أو يلق اللوم)
boasting تفاخر أو تباهى
body جسم أو بدن
bolts يزدرد الطعام أو يندفع
bossy مترعم
bowels الأمعاء
brownies الزهرات (صغار المرشدات)
bulletin board لوحة الإعلانات أو النشرات
bullying الاضطهاد بقسوة
brag يفاخر

C

calling names, see swearing يسب أو يشتم
career سيرة الحياة
casting القذف
cerebrotonic
مخى التكوين نحيل (لها صلة برفع العظام وطولها)
character خلق أو نوع
characterisation تبيان الخصائص (عرضها)
characteristicness ثبوت الخصائص
characteristics خصائص
child طفل
choice الاختيار
chore واجب صغير كعمل منزلى بسيط
chorea خورية
choreiform حركات واهتزازات عصبية
clinic (psych.) عيادة نفسية
clothes الثياب
clues دلائل توحى بـ

collecting collections جمع المجموعات
combativeness غريزة المقاتلة
comforting مهدئ
common sense حسن التصرف
company الجماعة
competition تبارى أو تنافس
complaints شكايات
complex (psych)
مركب (نفس) أو عقدة (نفسية)
concept تصور أو فكرة أو مدركة
concern تشغل وتقلق
concrete, perceptual محسوس
conflicting متضاربة أو متعارضة
conforming يجارى أو يمتثل
congenital ولادى (مولود به)
conscience ضمير
consciously عن قصد ووعى
considerateness مراعاة شعور الآخرين
control
هيمنة أو سيطرة أو تحكم أو رقابة أو ضبط
control, under منصاع
convulsive or spasmodic تشنجى
coordination تنسيق أو تناسق أو تآزر
cortex السحاء (القشرة الخارجية للمخ)
cortical سحائى
course سير
crawl يزحف
creep يحبو
criticism نقد
crude فج أو فطير
crying صراخ وبكاء
cubs أشبال
culmination بلوغ ذروة
culture ثقافة
curiosity فضول أو حب استطلاع
cycle دورة

D

dandling	الهشكة أو التدليع
data	مقدمات (حقائق علمية)(١)
dawdling	تلكؤ أو تراخى
deformities	عاهات أو تشوهات
deity	الاله
delineate	يرسم صورة تخطيطية
delinquencies	انحرافات(٢)
demeanour	المسلك (فى الفصل مثلا) التصرف
determinants	محددات
determination	اصرار أو تصميم
detour	لف ودوران
detraction, ridicule	التهزىء أو السخرية
(see also growth)	
developments	ازدياد أو نمو أو تطور
deviate	ينحرف أو يحيد عن
diagrams	رسوم توضيحية
differentiated	متمايز أو واضح الخصائص
direct	قصود (دغرى)
direction	اتجاه أو توجيه وارشاد
disability	عجز
discipline	تأديب أو نظام
discredit	ينقص من قيمة
discrepencies	مفارقات
discriminate against	يجور على أو يظلم
discrimination	التمييز أو التفريق بين
disoriented	ضال
dispersion	انتشار أو تشتت
distracted	انصرف عما يفكر فيه أو تلهى
dramatic	أخاذ ، يلفت النظر ، يستهوى
dramatic	تمثيلى
dread	الرعب أو الرهبة
dream	حلم
drive or incentive	حافز أو دافع
dynamic	حرك (كله حركة)

E

eagerness	تلهف
ectomorphic	رفيع العظام طويلها
education	تربية
edifying	يعلم أو يهذب
elation	الغرور
elimination	الإخراج (التبرز أو التبول)
embryo	علقه (الجنين قبل التشكل)
emotion	انفعال
emergence	إنبثاق
empathic	قادر على التقمص الوجدانى
endocrine	الغدد الصماء
endomorphic	منبعج البطن
enervate	يضعف
engagements	الخطوبات (جمع خطبة)
engrossed	مستغرق
enjoyed	استمرأ تلذذ من ، استمتع بـ
ennui	سأم
entity	ذاتية أو شيء حقيقى
environment	البيئة المحيطة
envisaged	تخيل أو كون لنفسه صورة
episode	حادثة عرضية
epithets	نعوت نابية
epoch	دور أو حقبة
equable	متزن منتظم الحركة معتدل المزاج
equanimity	سكينة أو هدوء بال
equilibrium	اتزان أو توازن
equipment	عتاد (خبرات)
essence	لباب
ethics, morals	أخلاقيات
evacuation	التبرز
evaluation. see appraisal	
evolution	نشوء وارتقاء
exacerbate	يهيج كثيراً أو يزيد مرارة الشعور

(١) يسميها البعض المعطيات

(٢) يستخدم البعض لها لفظة جناحات

exasperate يغيظ كثيراً
excitement إهاجة أو اهتياج
exclusion الاستبعاد أو العزل
exercise الاخراج التمرين
exhausting منهك
expansive فيه السياح وتوسع
expectations نتائج متوقعة
experience خبرة
expletive words كلمات زائدة أو حشو
expression تعبير
extensiveness توسع وامتداد
extremes, going to تطرف

F

factual, realistic or naturalistic واقعي
failure اخفاق أو فشل أو عجز
fairness العدالة
fairy tales حكايات أو قصص خرافية
falling الوقوع أو السقوط
father أب
fatigue اجهاد أو اعياء
fears مخاوف
feat براعة
features معالم
feeding, self اطعام الطفل نفسه
feelings احساسات أو مشاعر
fetus الجنين بعد التشكل
fidjet, or fuss يتحرك في تململ واضطراب
fine دقيق
finishing touch اللمسة الأخيرة آخر مرحلة
fixation تثبيت
flex يثني
flow يتدفق
fluctuation see inconsistency
fluidity طلاقة
focus بؤرة التركيز أو يبرز للعيان
forestall يقطع الطريق على أو يحول دون
foretokens علامات تدل مقدما
form يشكل أو شكل
format التكوين (الحجم والشكل)
formal رسمي أو متزمت
formalised يغلب عليها العمد
forthrightness صراحة
fortuity صدفة أو اتفاق أو قضاء وقدر
fortitude قوة احتمال
frame هيكل أو إطار
frank طبيعي أو صريح أو جهارا
frequency يردد (الذبذبة)
fresh وقح صفيق
fulcrum نقطة ارتكاز
function وظيفة أو وظف
fundamental أساسي أو جوهري
fuss see fidjet

G

games ألعاب
gastric معدي أو هضمي
genetic تكويني أو وراثي
generation جيل
generalisations تعميمات
genitals عورات أو أعضاء التناسل
genius نابغة
genito-urinary تناسلي — بولي
gestures حركات وإيماءات
ghosts أشباح
glands غدد
glimmeringnotion فكرة أو صورة غير واضحة
go to pieces يمرض جسميا او عقليا
go to sleep (ينعس) ينخرط يروح في النوم
good خير او حسن او جيد
gore النطح
gradients سلالم (جمع سلم)

English	Arabic
graduate	يشب عن
gross	كبير أو شديد
group	جماعة
groupings	تجمعات
grow	ينمو
growing	فى نموه
growing up	يستكمل نموه (يشتد عوده)
growing out	ينبثق
growth complex	مركب النمو
growth some	حافلة بالنمو
growth. see development	
guidance	ارشاد او توجيه او هداية
gullibility	سهولة الانخداع

H

English	Arabic
handedness	اليدوية تغليب احدى اليدين
harmonisation	تنسيق او تناسق
harmony	انسجام
harum scarum	طيش ورعونة
heaven	السماء
hierarchy	المراتب
hero worship	تمجيد البطولة
hints	تلميحات
homo	مماثل
human	بشرى أو انسانى
humour	الفكاهة او روحها
hyperbole	مبالغة غير صحيحة
hysteric	مصاب بنوبات عصبية.

I

English	Arabic
identity	تحقيق الشخصية
identification	التعرف على او التقمص
idiosyncracy	جبلة
idiot	معتوه
illustrations	ايضاحات او رسوم توضيحية
imagination	خيال او تخيل
imaginativeness	قوة الخيال
impetuous	مندفع
implicit	متضمن
import	مغزى او معنى
impressions	انطباعات
impressive	بالغ الأثر
impulses	اندفاعات او دوافع او بواعث
implications	اشتباكات او متضمنات
incentive. see drive	
incidental	عابرة او عرضية
inconsequential	فيه مفارقات ، لا ينتج من المقدمات
inconsistent	تناقض او لايتسق البتة
inconsistency or fluctuation or lability	تقلب
incontinence	اخراج (تبرز اوتبول)لاإرادى
indecisiveness	تردد
indications	امارات
indifference	عدم مبالاة
individual differences	فروق فردية
individualised	ظاهر الفردية
individuality	شخصية مفردة
indoctrinate	ترشيخ مبدأ او فكرة
infant	حضين
infectious diseases	امراض معدية
informations	معلومات
inhibit	يكف او يمنع
initial	اول ما يبدو
initiative	مبادأة
injury	إصابة بسوء
innate	فطرى (ماأودع فيه)
innervate	يمد بالقوة أو بالطاقة العصبية أو يستثير الأعصاب
insight	استبصار أو بصيرة
insistance	اصرار او تشبث
instinct	غريزة
integration	استكمال اوا كتمال أو تكامل
intellect	فكر أو تفكير مدرك

intelligence ذكاء
intercourse اختلاط
interest ميل او اهتمام او مهتم
interesting شائق أو ذو أهمية أو يستهوى
interpersonal relations العلاقات بالناس
interview حديث خاص
interweaving, reciprocal تناسج متبادل
intestinal معوى
intimacy ألفة وثيقة
introduction مقدمة
introvert انطوائى
intuition البديهة الحاضرة
investigation البحث والاستقصاء
involuntary بغير ارادة أو لاارادى
items عناصر أو مقومات

J

jargon رطانة
jealousy غيرة
joint مفصل
joy سرور وابتهاج

K

kindergarten روضة أطفال
kneels يجثو على ركبتيه وراحتيه

L

lability or fluctuation
or inconsistency تقلب
lapse يستسلم الى
lapses فلتات أو انحرافات
landmarks or milestones
صوى (مفردها صوة)
latent كامنة
levels مستويات
liberalism سماحة
locomotion تنقل حركى
loss خسارة أو هزيمة

M

magic سحر
maintenance صيانة
make belief تصنع وادعاء أو خداع
maladjustment اعوجاج او سوء توافق
malapropos اضطراب وشطط
management سياسة
mania ولع جنونى
manifestations مظاهر
manipulate يتناول بيده أو يعالج أو يمارس
manners آداب السلوك
maturity النضج
mechanism مكنية
memory الذاكرة
menstruation الحيض
mental عقلى
mentation عمليات عقلية أو التفكير بتعقل
mesomorphic عريض العظام بارز العضلات
metabolism استحالة الغذاء
metamorphosis التحول أو التغير او المسخ
methodology مناهج البحث
milestones, see land marks
modestly باستحياء أو فى مسكنة
modulate يعدّل أو ينظم أو يوائم
moods حالات أو تقلبات مزاجية
moody مكتئب
morals see ethics
morphology
علم أشكال الكائنات العضوية ونموها وتطورها
motify يحفز
motivate يدفع أو يحفز للحركة
motivation, self الحافز النفسى للحركة
motor system جهاز الحركى
moulds ل أو يصب فى قالب
mucus ى
muttering ـ أو دمدمة

mystries — الغوامض الخوافى

N

naturalistic see factual
nausia — غثيان
navel — سرة
nerves — أعصاب
nervous system — الجهاز العصبي
neuron — نيورون(الوحدة العصبية)
nightmare — كابوس أو حلم مفزع
night terror — فزع أو رعب الليل
nimble — خفيف الحركة
nirvana — السعادة الكاملة بعد الموت
nodal age — سن سكون وقرار
noisy — كثير الضوضاء
nonchalance — فتور وعدم مبالاة
norm — معيار
normal — سوى أو طبيعى
normative — معيارى
nose picking — الحفر فى الأنف
notion — فكرة (يكون لنفسه)
nursery — دار حضانة

O

objective — موضوعى
observation — مشاهدة أو ملاحظة
obsessive — ملتزم ما استحوذ على عقله بسبب تسلط قوى عليه خارجة عن إرادته (انحصارى)
onrush — اندفاع
opinion — رأى
organisation — تنظيم
organism — كائن عضوى
orientation — تبين الموقف والاتجاه
oscillating — متردد بين او متذبذب
otitis media — التهابات الأذن المتوسطة
outlet — متنفس
outlined — ملخصة
outlook — نظرة
out of bounds — متجاوز الحدود
overlapping — متراكبة
overt — ظاهر أو صريح
overweening — فيه استكبار أو غرور أكثر مما ينبغى

P

panorama — عرض شامل
paradox — عجيبة محيرة
parallelism — وجه شبه
parent — والد (تشمل الأب والأم)
participations — مشاركات
parties — حفلات
pastime — تسلية
pattern — نمط
patterning — صوغ الأنماط
peek-a-boo — لعبة « بخ »
peak — ذروة أو قمة
pensive moods — سهوم وتفكير وتأمل
perception — ادراك أو إحساس
performance — أداء أو عمل
periodic — دورى
peripheral — سطحى
permission — إذن
perplexity — ارتباك أو حيرة
perseveration — المداومة والمعاودة
personality — شخصية
perspective, view in — نظرة عامة شاملة مدركة للاهمية النسبية
perversity — العناد
phase — طور
phenomenon — ظاهرة
physical — طبيعى أو بدنى
philosophy — فلسفة
physiognomy — أسارير الوجه
physique — بنية الجسم

English	Arabic
pioneering	الارتياد
plan	خطة أو يضع خطة . يدبر . يرسم
platform	مصطبة
play	لعب
portents	نذر أو علامات
portrayal	وصف أوتصوير
posture	وضعة الجسم
possessiveness	الحرص على إظهار التملك
potentialities	قوى وإمكانيات
practice	تدريب أو وسيلة مستخدمة
pragmatic	نفعي أو عملي
precursorsigns	بوادر من علامات
preface	تمهيد
preference	التفضيل
pregnancy	الحمل
prehension	القبض
prejudices	تحيزات وتحاملات
pride	اعتزاز أو تفاخر أو زهو
principles	مبادىء أو أساسيات
privacy	توارى وخلوة
problem child	طفل معضل أو مشكل
process	عملية
profile, behavior	مصور السلوك
progression	متوالية
progressive	دائبة التقدم
projection	الاسقاط
project method	طريقة المشروعات
proneness	الانبطاح
propensities	ميول
properties	ممتلكات
psyche	الروح
psychology	علم النفس
puberty	البلوغ
purpose	غرض أو هدف

Q

English	Arabic
qualifying remark	ملاحظات وتسيرات
	تغير الموقف أو الوضع من حسن إلى سيء وبالعكس
quarrelling	التشاجر والعراك

R

English	Arabic
race	جنس
rage	ثورة غضب
ramble and scrumble	تنقل وتدافع
range	مدى
rate	معدل
readiness	استعداد
reading	قراءة
realistic see fuctual	
reason	العقل
reasonableness	تعقل او معقولية
reciprocity	تجاوب
recognition	تمييز او استبانة
records	سجلات أو تسجيلات
reduplicate	يعيد التمثيل طبق الأصل
reflex, tonic-neck	المنعكس التوترى للعنق
refusal	الرفض
regard	الاعتبار والرعاية
regress	النكص
relativity	النسبية
relaxation	خاء
releasing	ب
releases	قات
relief	ح عن
report	أو ينبىء
reporting of dreams	أحلام
repression	أو كبح
resentment	ضيق واستنكار
resistance	
resolution	تحلل من
response to reason	جابة لدواعى العقل

reversal عكس
ridicule see detraction
right and wrong الصواب والخطأ
runs اندفاعات

S

satisfaction مرضاة او ارتياح او إشباع
saving التوفير أو ماينجي
scale مقياس
scene مشهد
schedule جدول
scheme خطة
scope مجال
screen ستارة
secretions افرازات
security الأمن أو الدعة والاطمئنان
segregation انفصالى
self ذات او نفس
self conscious يستحي أو يتهيب او يخجل من نفسه
self containment الاحتواء الذاتى
self contained منحصر فى نفسه
self control ضبط النفس او امتلاك زمامها
self help اطعام الطفل نفسه
self identity الاحساس بالذات او تحقيقها
self possession تمالك النفس
senectitude الهرم
senescence الشيخوخة
sense حاسة
sensation احساس
sensibility رهافة الاحساس
sensibly بتعقل
sentiment عاطفة او وجدان
sensitivity حساسية
sequel ملحق
séquence تسلسل
series سلسلة أو سلاسل
seriousness الجدية
set مجموعة
setting الوضع
severity صرامة
sex جنس
shame خزى او استحياء او خجل
shift تنقل او تزحزح او تحول
sibling اخ صغير
sidelights انوار إضافية
significant خطير او عظيم الشان وذو بال او اهمية ، او له دلالته ومغزاه
silly سخيف او ابله
sin خطيئة
sissy دلوعة او بنوته
sketch خطط أو رسم تخطيطى
sketchy عرضية
skill مهارة
slap dash شجاعة وعدم اكتراث
slap stick سوقى او بلدى
sleep النوم
slopes منحدرات
smoothly فى يسر
snack وجبة خفيفة
sociality اجتماعية او ائتلاف اجتماعى او اندماج فى المجتمع
society المجتمع
sociology علم لاجتماع
socket تجويف العين
soma الجسد
somatotonic عضلى التكوين نشيط (له صلة بعرض العظام وبروز العضلات)
sound صوت
space الفضاء
span سعة او امتداد
spasmodic see convulsive
specific معين

specified مرسوم او محدد
speed انطلاق (سرعة بغير اتجاه)
speediness التسرع
spells نوبات
species جنس
spectrum طيف
sphincter عضلة عاصرة
spindly صنارى
spiral لولبي
spontaneity تلقائية
sporadic حيثما اتفق
sport رياضى
spurts انبجاسات
square ربعة
squatting الجثوم
stability اتزان او استقرار
staff هيئة العمل
stage مرحلة
stagelike مفتعل كالذى على المسرح
staggering ترنح
stalking الانفلات بخيلاء
stammering or stuttering تمتمة
standard قياسى
standardised ثابت المعايير مقنن
stamina قوة
stamped اتسم أو متسم
stance الحيز الذى يشغله الجسم فى وقفته
stature كيان
status وضع أو مركز أو مكانة
steadily باطراد أو بثبات
stereotyped وتيرى (على وتيرة واحدة)
stereoscope عدسات تظهر الأشياء مجسمة
stimulus منبه أو حافز أو مثير
stomach-ache ألم فى المعدة (مغص)
strain جهد أو عناء
strangers الأغراب
strata طبقات
strenuous مجهد أو مضنى أو شديد
stringy ذو ألياف
strivings كفاح أو الجهود فى المحاولة
structure مؤسسة أو منشأة أو صرح
structuralisation
عملية التكوين أو النشأة أو بناء الصرح
stunts ألعاب بارعة
stuttering. see stammering
subhuman دون البشر
subjectiveness ذاتية أو أنانية
subtle غامض دقيق
suggest توحي به أو تشير الى
sulky فيه كآبة وكمد
sullenness تجهم
supernatural خارق للعادة او للطبيعة
supine كسلان. مستروح . مستلق على ظهره
supine, in وجهه او راحة يده إلى أعلى
supination حركة دورانية لليد والذراع تجعل
راحة اليد متجهة إلى أعلى
suppress
ينحى جانبا (الأفكار والذكريات المؤلمة)
susceptible سريع التأثر أو حساس
swapping المقايضة
sway سلطان او تمايل
swearing or calling names السب
swinging التارجح
symblism الترامز
symmetry التماثل
sympathetic عطوف

T

tackle يحاول او يجابه
tag ends ذيول
tall stories قصص لايصدقها أحد
tall tales قصص غير معقولة
tantrum انفجار فى الغضب

tardiness تأخير
task مهمة
tattle taling رغي وثرثرة (قيل وقال)
teasing معاكسة او اغاظة
technique اسلوب . وسيلة . طريقة فنية
therapeutic علاجي
tells tales يفيض فى ذكر معايب للآخرين
temperament مزاج
temper tantrums نوبات من الغضب العنيف
tempo سرعة الايقاع او النبضات
temporal متصل بالزمن أو ببعض أجزاء الجمجمة أو المخ
tendency ميل أو نزعة
tendons أوتار عصبية
tensions توترات
tenuous نحيف ورقيق (أو بسيط)
test اختبار
texture التكوين والمظهر (الحجم والشكل)
thrust قوة الدفع أو الهجمة
toilet المرحاض
toiletting قضاء الضرورة
tone نغمة الصوت
tone, muscle الحالة الاستجابية للعضلة
tonic-neck-reflex المنعكس التوترى للعنق
tonus بداية التقلص
training تدريب
trait سمة (جمعها سمات)
transformations تغيرات أو تحولات
transition انتقال
transient عارض أو سريع الزوال
trend اتجاه او نزعة
trite مبتذل
true to nature على سجيته أو مطابق لطبيعته
trying situations مواقف عسيرة
type طراز أو نوع
typical طرازى يمثل النوع خير تمثيل

U

underlying كامن أو أساسى
undressing خلع الثياب او نضوها
unfairness الجور (عدم العدالة) الظلم
unique فريد
unit وحدة
unmodulated لم ينسق
unqualified غير مصحوب بما يفسره
unreeis يسترجع
unremitting دائمة لا تنقطع
urge (الحاح فى الطلب) لهفة او تلهف
urinating تبول

V

vacillation تردد
viscerotonic حشوى التكوين مترف مرح منبسط الأسارير (له صلة بانبعاج البطن)
visitors زوار
visual بصرى
visualise يتصور

W

waking الاستيقاظ
worried داخله القلق والضجر والهم

Z

zygote الزيجوت أو اللاقح

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٩٥٩٢

I.S.B.N. 977-01 4164-x



هذا هو الجزء الأول من كتاب الطفل من الخامسة للعاشرة، يضم في صفحاته خلاصة ما يزيد على الثلاثين عاما من تقصي دقيق وبحث عميق اشترك فيه الآلاف من العلماء والآباء والأمهات والأطفال فهو يزيد القارئ بصيرة بسيكولوجية الأطفال ويزيده علما بالأسس التي يجب أن يعاملوا طبقا لها وبذلك يجد القارئ في هذا الكتاب الأساس الأول لتكوين الأجيال القادمة وقد قام بتأليفه د.أرنلد جيزل وهو استاذ أمريكي في جامعة ييل، امتاز بانه استغل الإمكانيات الحديثة في تسجيل أعمال الأطفال، فاستغل التصوير الفوتوغرافي والتصوير السينمائي والتسجيل الصوتي وبهذا لم يكن جزل عالما باحثا فحسب وإنما سعى إلى خلق وعي سيكولوجي سليم وقد اهتم بالسنوات العشر الأولى أكثر مما اهتم بغيرها ذلك لأن هذه الفترة تزخر بالخصائص وبالتغيرات مما يجعلها أكثر فترات الحياة امتلاء بالمشكلات وأكثرها امتلاءبما يحصله الطفل من مهارات. وقد ذهب علماء النفس التحليلي إلى أن هذه المرحلة هي أهم مراحل الإنسان بالنسبة لنموه.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب